

مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي
Liban - Tripoli: Branche Abou Samra P.O. Box 8 - jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com



العام الثالث - العدد 20 - مايو 2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المشرفة العامة: د.سرور طالبي

المؤسس ورئيس التحرير: أ.جمال بلبكي

jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com

ISSN 2311-5181

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة تصدر دورياً عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحريري مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دورياً في كل عدد.

اهتمامات المجلة و أبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية. تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر موقعها وكذا مركز جيل البحث العلمي، مع إضافتها لفهارس أغلب محركات البحث الجامعية، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية:

علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة من داخل الجامعات الجزائرية ومن خارج الجزائر مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

هيئة التحرير:

- أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا).
د. ديبش فاتح (جامعة ٨ ماي ١٩٤٥، قالمة، الجزائر).
أ.م.د. فليح مضحي أحمد السامرائي (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا).
د. سامية ابريغم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر).
أ.م.د. السيد محمد سالم سالم العوضي (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا).
د. رضوان شافو (جامعة الشهيد حمّه لخضر، الوادي، الجزائر).
رئيس اللجنة العلمية: أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة ٢، الجزائر).

اللجنة العلمية:

- د. نعموني مراد (جامعة لونيبي علي، البليدة ٢، الجزائر).
د. براك خضراء (جامعة تبسة، الجزائر).
أ.م.د. داود عبد القادر إيليغا (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا).
د. بوزيد مومني (جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، الجزائر).
د. بشرى سعدي (جامعة مولاي اسماعيل، المغرب).
د. مراد علة (جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر).
د. طيب العيادي (جامعة محمد الخامس الرباط، المغرب).
د. ساسي سفيان (جامعة الطارف، الجزائر).
د. تاج الدين المناني (جامعة كيرالا، الهند).
أعضاء لجنة التحكيم الاستشارية لهذا العدد:
أ.د. العيد جلوي (جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر).
د. مح مد بوفاتح (جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر).
د. عبد السلام بوهلال (جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب).
د. أسماء سالم علي عربي (الجامعة الأسمرية، ليبيا).
د. سعيد علي (جامعة نفاونديري، الكاميرون).
د. اليسع حسن أحمد (جامعة طرابلس، ليبيا).
د. إبراهيم إسماعيل عبده محمد (جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية).
د. بوكبشة جمعية (جامعة حسيبة بن بوعلوي الشلف، الجزائر).

التدقيق اللغوي:

- أ.م.د. صلاح كاظم هادي العبيدي (جامعة بغداد، العراق).

شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافق فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

ISSN 2311-5181

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة ، أو مؤتمر في الوقت نفسه ، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - عنوان البحث.
 - اسم الباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي إليها.
 - البريد الإلكتروني للباحث.
 - ملخص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12.
 - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
 - اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
 - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:

social@jilrc-magazines.com

الفهرس

الصفحة	
9	• الافتتاحية
11	• التغيير التنظيمي كمدخل لإحداث إدارة الجودة الشاملة بالمؤسسات أ.سارة لياس، أ. مريم شرقي/جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.
31	• المنهجية: إشكالية المصطلحات و المفاهيم أ.د. تمار يوسف/جامعة الجزائر ٣.
41	• طرائق التواصل لدى المعاقين سمعياً د.عويقب فتيحة/جامعة معسكر، الجزائر.
53	• الآثار النفسية للأمراض المزمنة في حياة المسنين الباحث بركات حمزة/جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر.
69	• المرأة و العمل في المجتمع الجزائري د نادية بوضياف بن زعموش و الباحث زهار جمال/جامعة ورقلة، الجزائر.
81	• نظرية العقل عند الأطفال المصابين بالتوحد دراسة ميدانية في ضوء بعض المتغيرات يوب زهرة، طالبة دكتوراه/جامعة تلمسان.
97	• الخصائص النفسية والاجتماعية للأحداث الجانحين واستراتيجيات إعادة تأهيلهم في الجزائر أ.سامية شينار/جامعة باتنة ١، الجزائر.
117	• الشباب الجامعي وهاجس البطالة - دراسة ميدانية بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة جيجل - أ.بوعموشة نعيم/جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل، الجزائر.
139	• إسهامات مظفر شريف في علم النفس الاجتماعي التجريبي: تجربة "أثر الحركة الذاتية" في تكوين المعايير نموذجاً د. بوفولة بوخميس/جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر.
147	• استراتيجية مقترحة لتنمية مهارات التعبير الشفوي باللغة العربية لدى الطلبة الماليزيين، جاكاريجا كيتا، طالب دكتوراه/جامعة السلطان زين العابدين، ماليزيا، د.محمد زيد إسماعيل/جامعة السلطان زين العابدين، ماليزيا.
159	• دور الأخصائي النفسي الاجتماعي في تحسين جودة العملية الاتصالية في المنظمات، أ.بوعطي جلال الدين/جامعة سكيكدة، الجزائر.
173	• ممارسة العمل التطوعي وعلاقته بالشعور بمعنى الحياة لدى طلبة الجامعات في محافظات قطاع غزة، د.زهير عبد الحميد النواجحة/جامعة القدس المفتوحة، رفح، فلسطين ود. إسماعيل صالح الفرا/جامعة

	القدس المفتوحة، خان يونس، فلسطين.
191	• دور مناهج التربية المدنية بمرحلة التعليم الابتدائي في التربية على المواطنة أ.د. معتوق جمال وأ. بن جدو عبد الرحمان/جامعة الجزائر ٢.
209	• الإدمان على الأنترنت و دوره في بروز بعض المشكلات الاجتماعية أ. عديلة غالي/جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.
221	• طمس تكنولوجيات الإعلام والاتصال للهوية الوطنية - دراسة حالة المجتمعات العربية - ريطاب عز الدين/باحث دكتوراه، جامعة قسنطينة ١.
233	• تكوين المورد البشري كأحد شروط الترقية السياحية - حالة الجزائر - حجام العربي باحث دكتوراه/جامعة ملين دباغين سطيف ٢ و كوثر بوبريمة/باحثة دكتوراه جامعة الشلف.
253	• تحديد الخصائص السيكمومترية لاستبيان محتوى العمل (JCQ) لروبار كرزك على عينة من أساتذة التعليم الابتدائي بولاية أم البواقي وأحيواني كريمة/جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر.

مقالات باللغات الأجنبية

275	• Comportements des ménages vis-à-vis de la problématique de l'environnement urbain -Etude de cas de la commune d'Oran et la Commune de Perpignan (Enquête sur terrain 2011)- Boudia Leila. M.Assistante/Université Abou Bekr Belkaid, Tlemcen, Algérie.
291	• Les limites dans l'échange et risque de dissociabilité socio-familiale -Etude clinique chez un enfant épileptique- Zitouni Mohamed zoheir :Doctorant/Université de Tlemcen Algérie.
301	• « Comment les enseignantes et les enseignants du secondaire se représentent les enjeux éthiques de leur profession » Khlifi Ammar, Institut Supérieur de l'Education et de la Formation continue de Tunis.

الإفتاحفة

الحمد لله رب العالمفن؁ والصلاة والسلام على أشرف المرسلفن؁ سفدنا محمد وعلى آله
وصحبه والتابعفن:

فسعدنا أن نضع بفن أفاىكم أعزاءنا القراء الكرام العدد العشرفن من مجلة "ففل
العلوم الإنسانفة والاجتماعفة" الفف يصدرها مركز ففل البحث العلمف؁ سائلفن الله
تعالى أن فنفع بما ففه من بحوث علمفة جاءت متنوعاً بفن تخصصات المجله المتعدده؁
وأن تفتح هذه البحوث آفاقاً للمعرفة والبحث العلمف؁ كما هو هدف هذه المجله؁ الفف
ما كان لها أن تصل إلى ما بلغت لولا جهود ثله من الأساتذه الأفاضل؁ الالف أثروا المجله
بأبحاثهم؁ والمحكمفن الالف سهروا على مراجعتها وتقفمها؁ فلهم فمفعا من المجله
وهفئة تحريرها فائق تقدرها؁ وعظفم امتنانها؁ وصادق وعدها بإذن الله بالاستمرار
والتطوير؁ ما بقف تواصلهم ودام تعاونهم.

وما توففقنا إلا بالله عليه توكلنا وإله ننب.

رئفس التحرير / أ. جمال بلبكاف

تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز

جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي © 2016

التغيير التنظيمي كمدخل لإحداث إدارة الجودة الشاملة بالمؤسسات

أسارة لياس/جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر أمريم شرقي/جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر

ملخص :

تهدف هذه الورقة إلى التعرف على واحد من المداخل المبرمجة للتغيير في مؤسسات الأعمال ، أين أصبحت المؤسسات تنشط في بيئة أعمال أكثر تنافسية و انفتاحا جعلتها أكثر تعقيدا و أشد اضطرابا، لما تشهده من تغيير متسارع و ضخم في كافة أبعادها و جوانبها و على جميع أصعدتها ، مما يتطلب الأخذ بأحدث الأساليب الإدارية كنتيجة حتمية لضرورة التكيف و إحداث التغيير و التحسين المستمر ، و لعل من أهم هذه المداخل نجد مدخل إدارة الجودة الشاملة الذي يعد مدخلا أساسيا لمواجهة التحديات التي فرضتها المتغيرات الدولية ، حيث جعلت منها محور المرحلة الأساسية في التغيير التنظيمي ، كما يعتبر من الاتجاهات الحديثة في إدارة المؤسسة الانتاجية و الخدمية تسعى العديد من المؤسسات لانتهاجها و لا يتأتى ذلك إلا من خلال إحداث تغييرات جذرية و شاملة بها و في مجالات متعددة، أبرزها التغيير الثقافي و الهيكلي و التكنولوجي.

الكلمات المفتاحية: التغيير التنظيمي، التغيير الثقافي، التغيير الهيكلي، التغيير التكنولوجي، إدارة الجودة الشاملة.

مقدمة :

انتهى الزمن الذي كانت تعمل فيه مؤسسات الأعمال في استقرار، و كان التنبؤ بالمستقبل فيه ممكنا و سهلا لوضع خطط و موازنات قريبة من الواقع، و ظهر زمن البيئة المتغيرة و المشوبة بالضبابية و الكثير من التحديات بتحول الأسواق و تتطور التقنيات و مضاعفة المنافسون، و أضحت السمة المشتركة للمؤسسات المعاصرة هي ضرورة التطوير و التغيير لمواكبة التغييرات المختلفة ، حيث أصبح التغيير من المتطلبات الإدارية الملحة للمؤسسات ، و ليس القصد من عملية التغيير هنا ما يحدث تلقائيا من طفرات فجائية تأتي نتيجة ظروف معينة اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها ، و إنما ذلك العمل المخطط له سلفا على أسس علمية يتماشى من الامكانيات المتاحة و في حدود الأهداف العامة للمؤسسات، و بذلك لا يكون التغيير المطلوب مجرد تقليد أو هدفا في حد ذاته و لكن يبقى وسيلة للوصول إلى الأفضل، مما تتطلب الأخذ بالمفاهيم الحديثة لمسايرة الأوضاع و تماشيا مع التغيرات و تطبيق هذه الأنظمة بفلسفتها لإحداث التكيف، حيث تعد إدارة الجودة الشاملة نظام تغيير توسعي فهي لا تعنى بتغيير المؤسسة طريقة عملها فقط، بل تتطلب عملية تطبيق هذا المنهج إجراء تغييرات كبيرة في أنشطة المنظمة و عملياتها، و لقد لاقى هذا المفهوم قبولا واسع النطاق كما ازداد وعي المؤسسات في السنوات الأخيرة بضرورة تطبيق هذا المفهوم ، إذ تسعى العديد من المؤسسات و المنظمات العالمية لترسيخ مبادئها و مفاهيم الجودة في عملياتها التصنيعية و الخدمية قصد مجابهة التحديات المرتبطة بشدة التنافس و التكيف مع التغيرات التي تحدث سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الدولي، و لأجل الحصول على تغييرات فعلية و جب حصول التغيير في مجالات عديدة بالمؤسسة و من أهم مجالات التغيير في ظل إدارة الجودة الشاملة المجالات الثلاث التي تمثل محور التغيير في هذا المجال منها التغيير الثقافي و الهيكلي و التكنولوجي، ففي واقع الحال إدارة الجودة الشاملة تعني التغيير في ثقافة المنظمة، فضرورة اعتمادها على ثقافة تركز على قاعدة متينة و العمل على تطوير هذه الثقافة وفقا للظروف ، فرغم اتسام هذه الأخيرة بالثبات الظاهري ، إلا أنها تتأثر بالتغيير الحاصل. و يظهر ذلك من تغيير الأفراد لبعض الأفكار و السلوكيات

التي يحملونها طوال فترة تواجدهم داخل المؤسسة ، يعمل خلالها التغيير الثقافي كعملية داخلية تهدف من خلالها المؤسسة للتكيف مع عمليات التغيير الداخلية من أجل الاندماج و الخارجية من أجل التكيف، و كوسيلة من وسائل تحقيق أهداف المؤسسة يعد الهيكل التنظيمي الآلية التي يتم من خلالها تقسيم نشاطات المؤسسة و تكوين الوحدات الإدارية و تنسيقها و يحدد من خلاله مدى نطاق الإشراف و تفويض الصلاحيات ، لا بد من تغيره إلى هيكل يتناسب و النمط الجديد المتبع في الإدارة ، و لاكتساب المؤسسة مهام جديدة، أساليب جديدة، إدارة جديدة ، ثقافة جديدة ، و طرق جديدة للقيام بالعمل لا بد من القيام بعملية التغيير التكنولوجي بإدخال تكنولوجيا جديدة في الانتاج أو نظام جديد ، و ضمن هذا السياق نصل إلى إبراز معالم مجالات التغيير التنظيمي في ظل إدارة الجودة الشاملة.

١. ماهية التغيير التنظيمي:

يتجلى التغيير التنظيمي في العديد من الصور كتغير الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و غيرها، و باعتبار منظمة الأعمال عنصرا مهما في الحياة الاقتصادية و نظاما مفتوحا يعيش التغيير، فهي تنمو و تتطور و تتفاعل مع فرص و تحديات بيئتها التي تنشط بها، حيث يعتبر التغيير التنظيمي من بين المفاهيم التي نالت اهتمام الباحثين و الدارسين في جميع المجالات، فإننا نجد الكثير من الكتاب قد ساهموا بشكل كبير في نحث حيثيات هذا المفهوم.

١.١. مفهوم التغيير التنظيمي:

- عرفه زكرياء الدوري بأنه: "انتقال من وضع إلى وضع آخر، الهدف منه أن يكون إلى الأفضل و الأكثر انتاجا و أداء ، بحيث يحتاج هذا التغيير إلى قوة دفع تسهل كافة مراحل المتابعة و تمكنه من الوصول إلى أهدافه"^١.
من خلال هذا التعريف نستنتج أن التغيير التنظيمي هو عبارة عن عملية انتقال من وضع إلى وضع آخر أفضل و أكثر إنتاجا و أداء ، و لا يتحقق ذلك إلا من خلال مجموعة من الجهود و القوى.

- كما عرفه خضير كاظم حمود الفريجات بأنه: "التغيير التنظيمي بمعنى إعادة الهندسة و هو بمثابة إعادة تصميم لمجالات العمل كافة في المنظمة و هذا يتطلب نظرة شمولية و تحديد للأهداف و توفير الدعم من قبل الإدارات و إحساس بالحاجة الفعلية للمنظمة بإعادة تكوين نفسها"^٢.

من خلال هذا تعريف نستنتج أن التغيير التنظيمي أو إعادة الهندسة هو بمثابة إعادة تصميم لمجالات العمل الموجودة في المنظمة بنظرة شاملة ، لكي ينجح يجب أن يكون هناك دعم من قبل الإدارة من أجل إنجاحه.

- في حين نجد ماجد عبد الحق مساعدة عرف التغيير التنظيمي على أنه: " عبارة عن تغيير موجه و مقصود و هادف وواع يسعى لتحقيق التكيف البيئي (الداخلي والخارجي) بما يضمن الانتقال إلى حالة تنظيمية أكثر قدرة على حل المشكلات"^٣.

من خلال مفهوم نستنتج أن التغيير التنظيمي ليس بعملية عفوية بل هو جهد موجه و مقصود و يكون له هدف يسعى لإحداث التكيف مع المستجدات.

١- زكريا الدوري و آخرون، "وظائف و عمليات منظمات الأعمال" ، دار اليازوري للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٠، ص ٢٢.

٢- خضير كاظم حمود الفريجات و آخرون، "السلوك التنظيمي مفاهيم معاصرة"، إثناء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط٢٠٠٩، ص ٣٤٠.

٣- ماجد عبد الحق مساعدة، "إدارة المنظمات (منظور كلي)"، دار الصيرة ، عمان ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٣ ، ص ٣٤١.

- ويعرفه مصطفى عشوي على أنه: "الانتقال من حالة إلى حالة أخرى مغايرة و عادة ما يفترض أن يكون التغيير لما هو أحسن من الوضعية السابقة ، و هو خطوة من خطوات التغيير و يهدف إلى إنجاز المهام على طريق اتباع استراتيجية الانتقال من الجزئي إلى الكلي ، و الأهداف التي تأسست من أجلها المنظمة بمنهجية احسن و فعالية أفضل لغرض إشباع الحاجات المادية و المعنوية للأفراد الذين ينشطون داخل المؤسسة".¹

من خلال هذا التعريف نستنتج أن مصطفى عشوي اتفق مع زكريا الدوري ، حيث انه عرف التغيير التنظيمي على أنه عملية الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أفضل مخالفة تماما للمرحلة الأولى، تكون عن طريق الانتقال الجزئي، و ذلك بغرض اشباع حاجات الأفراد العاملين في المؤسسة.

- كذلك يعرفه التغيير التنظيمي بأنه: "تغيير ملموس في النمط السلوكي للعاملين، و إحداث تغيير جذري في السلوك التنظيمي ليتوافق مع متطلبات مناخ و بيئة التنظيم الداخلية و الخارجية".²

من خلال هذا التعريف يمكن القول أنه لا يمكننا القول أن التغيير حدث فعلا، إلا إذا لاحظنا وجود تغييرات في الجانب السلوكي للعاملين ، و الذي بدوره يؤدي إلى حدوث تغيير في الجانب التنظيمي للمؤسسة، لأن الهدف الأساسي للتغيير هو الموازنة بين المناخ التنظيمي السائد في المؤسسة و بيئة العمل الداخلية و الخارجية.

- فيما ذكر sinneB التغيير بأنه : " الاستجابة للتغيير نتيجة لوضع استراتيجية ثقافية هادفة للتغيير المعتقدات و القيم و الهيكل التنظيمي و جعلها أكثر ملائمة للتطور التكنولوجي الحديث و تحديات السوق".³

و من خلال هذا التغيير نستنتج أن sinneB حدد أهم مجالات التغيير التنظيمي، والتي كانت محور دراستنا هذه ، و هي على التوال: التغيير الثقافي ، التغيير الهيكلي، التغيير التكنولوجي، حيث أن التغيير يكون عن طريق وضع خطة تتضمن هذه المجالات .

- ويعرفه سعيد عطوي التغيير بأنه : " عملية تشمل سلوكيات الأفراد و هياكل التنظيم و نظم الأداء و تقييمها و التكنولوجيا ، و ذلك بغرض التفاعل و التكيف مع البيئة المحيطة".⁴

من خلال هذا التعريف نستنتج أن سعيد عطوي حدد نفس مجالات التغيير التنظيمي التي حددها sinneB إلا أنه أضاف نظم المعلومات لهذه المجالات، حيث أن الهدف من وراءها هو التأقلم مع الأوضاع الخارجية.

و من خلال ما تم استعراضه فإن التغيير التنظيمي ظاهرة مصاحبة للتحويل الاقتصادي الذي أجبر المؤسسات على البحث عن أساليب حديثة من أجل الحفاظ على البقاء و تحقيق التوازن و التكيف في النظام الجديد ، و عليه فإن هدف التغيير التنظيمي إحداث تعديل في سلوك الأفراد و هياكل المؤسسات و الأدوات التكنولوجية الحديثة المستخدمة هو نقلها من وضعها الحالي إلى الوضع المرغوب فيه عن طريق التخطيط الهادف و المستمر.

١ - مصطفى عشوي ، " أسس علم النفس التنظيمي"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٢، ص ٢٠٣.

٢ - مأمون أحمد سليم دقاسمة ، " التغيير التنظيمي دراسة ميدانية لاتجاهات المديرين في الإدارات الحكومية في محافظة إربد - الأردن - نحو دوافع و سمات ومعوقات و متطلبات نجاح جهود التغيير التنظيمي"، مجلة الإداري ، العدد ٨٨ ، مارس ٢٠٠٢ ، ص ٨٢.

٣ - بلال خلف السكارنة، التطوير التنظيمي والإداري"، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٩، ص ص ٥٠_٥١.

٤ - محمد يوسف النمران العطييات ، " إدارة التغيير و التحديات العصرية للمدير، رؤية معاصرة لمدير القرن الواحد والعشرين"، دار الحامد للنشر و التوزيع ، عمان، الأردن ، ٢٠٠٦، ص ٩٤.

٢١. مجالات التغيير التنظيمي:

يلاحظ بصفة عامة أن مجالات التغيير التنظيمي متسعة و متنوعة بقدر اتساع و تنوع أهداف التغيير التنظيمي غير أن الذي يحدد مجال التغيير التنظيمي هو الظروف الداخلية و الخارجية لكل منظمة و بصفة عامة فإن أكثر مجالات التغيير في المنظمة هي :

- ✓ نظام الأفراد و سلوكياتهم : مثل التغيير في اتجاهات الأفراد و إدراكاتهم و نظم الاتصالات و الحوافز.
 - ✓ نظام هيكل المنظمة و طرق العمل : مثل التغيير هيكل المنظمة من النظام الميكانيكي إلى النظام الحيوي و تبسيط إجراءات العمل و التوسع في برنامج الإثراء الوظيفي.
 - ✓ تغيير في مخرجات المنظمة : مثل التعديلات في مستوى جودة المنتج و أنواعه.
 - ✓ النظام التكنولوجي: مثل إدخال آلات جديدة و إدخال نظم الكترونية جديدة و استخدام معدات¹.
 - ✓ النظم الإدارية: مثل نظم جديدة في مجالات التخطيط و التنظيم و التوجيه و الرقابة.
 - ✓ النظام التسويقي: مثل إجراء تعديلات في سياسة البيع و في التغليف و التعبئة و في منافذ التوزيع².
- حيث أنه يتم إحداث التغيير التنظيمي في المؤسسة عن طريق مجموعة من المجالات، و التي سنحاول التركيز خلال هذه الورقة البحثية على كل من التغير الثقافي و التغيير الهيكلي و التغيير التكنولوجي:
- ### ١_٢_١. التغيير في الثقافة :

حيث تعرف الثقافة التنظيمية على أنها: "مزيج من القيم و الاعتقادات و الافتراضات و التوقعات التي يشترك بها أفراد المنظمة و يستخدمونها في توجيه سلوكهم و حل مشاكلهم، و بالتالي فالمنظمة تلجأ إلى إدخال التغييرات بشكل مستمر من أجل تحقيق أهدافها بشكل أفضل³، فثقافة المنظمة تتميز بالدينامية و التغيير و هذا ما يجعل متخذي القرار يأخذون في حسابهم القيم التنظيمية و الأنظمة السائدة داخل المنظمة عند وضع خياراتهم الاستراتيجية للتغيير.

و عليه فالتغيير الثقافي هو: "عملية داخلية تهدف من خلالها المنظمة للتكيف مع عمليات التغيير الداخلية من أجل الاندماج، و الخارجية من أجل التكيف فنقطة البداية في التغيير هي تحديد جوانب السلوك و دفعها و تعزيزها داخل أرجاء المنظمة، بناء على تشخيص دقيق للوضع الحالي للإطار الثقافي"⁴.

يتبين لنا أن التغيير الثقافي يهدف إلى إحداث تعديل في سلوكيات أفراد التنظيم في بيئة شفافة مدعمة لآليات التنافس، مع خلق ذهنيات جديدة لإدارة المنظمة تؤمن بضرورة التغيير و بالمبادئ التي يريدون ترسيخها داخل المنظمة .

٢_٢_١. التغيير في الهيكل:

تعتبر الهياكل التنظيمية من أكثر المجالات التنظيمية عرضة للتغيير ، حيث أن معظم التغييرات التي تحدث بالمنظمة غالبا ما يتبعها تغييرات بالهياكل التنظيمية و العلاقات الانسانية ، و يحدث التغيير في الهيكل التنظيمية بما يحقق المرونة

١- محمد الصيرفي، "السلوك الإداري العلاقات الإنسانية"، دار الوفاء لدنيا النشر و التوزيع ، الاسكندرية ، ط ١ ، ٢٠٠٧ ، ص ٢١٨ .

٢- نفس المرجع السابق، ص ٢١٨ .

٣- زكرياء الدوري و آخرون، "وظائف و عمليات منظمات الأعمال"، مرجع سابق، ص ٤٤-٤٥ .

٤- علي عبد الله، "التحولات و ثقافة المؤسسة"، الملتقى الدولي الأول حول الاقتصاد الجزائري في الألفية الثالثة، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة البليدة ، الجزائر، يومي ٢٠-٢١ ماي ٢٠٠٦ ، ص ٢٨٦ .

للتنظيم القائم و ملائمته مع التغييرات الجديدة¹، و عادة يأتي التغيير في الهيكل التنظيمي لأي منظمة طبيعية في الرسالة ، أو النشاط جزئيا أم كليا كان ، أو في الأهداف أو في التكنولوجيا أو توسيع حجم العمليات للتكيف مع المتغيرات المحيطة. و كاستجابة لذلك تلجأ المنظمة إلى إنشاء أو إلغاء مصالح و أقسام أو تغيير في هيكل السلطة أو تغيير في اختصاصات مسندة للوحدات التنظيمية أو تغيير في المسميات الوظيفية أو البطاقات الفنية للمهام أو تقليص أو زيادة عدد المناصب أو خطوط الانتاج، و يرى كثير من العلماء و الباحثين و الممارسين و مديري المؤسسات الناجحة أن المؤسسات التي تحتوي على هيكل تنظيمي لا مركزي مرن يمكنها التكيف و الاستجابة السريعة².

٣-٢١. التغيير في التكنولوجيا:

التغيير التكنولوجي هو استحداث طرق علمية و أساليب عمل أدائية أفضل ، لتحسين الانتاج أو استحداث التجهيزات الفنية و الآلات و أدوات العمل التي تستخدم في عمليات إنتاجية ، بما يسهم في رفع جودة المنتج و زيادة كميته، كما تحرص المنظمات اليوم على التطوير التكنولوجي لتجنب تلوث البيئة و المحافظة على المحيط العام و ضمان سلامة العامل و المستهلك³.

٣-٢٢. ماهية إدارة الجودة الشاملة:

إن المنافسة في الأوساط و الكيانات المؤسسية تتطلب جهدا إداريا متميزا و أسلوبا تسييرا و تنظيما فعالا ، لأن أوضاع البيئة التنظيمية الحالية أفرزت صورة واضحة عن حجم التحديات التي تواجه هذه المؤسسات المعاصرة ، فظهرت الحاجة الملحة للاهتمام بعنصر الجودة ، فهي عملية لا تتحقق إلا في ظل أسلوب إداري متميز و منهج تسيير فعال ، يمكن المؤسسة من التكيف و التأقلم مع المتغيرات و مجابهة التحديات ، لذا يرى الكثير من العلماء بأن منهج إدارة الجودة الشاملة يعد من الأساليب الحديثة الأكثر فعالية في الإدارة و التسيير .

٤-٢١. مفهوم إدارة الجودة الشاملة :

إن إدارة الجودة الشاملة هي الفلسفة الإدارية الحديثة ، تأخذ شكل نظام إداري شامل قائم على أساس إحداث تغييرات جذرية و إيجابية على كل شيء داخل المؤسسة⁴، و أضحت بذلك خيارا لا بديل له وسط البيئة التنافسية التي لا تثبت على حال ، و لا تترك مجالا للجمود و البقاء في الوضع نفسه، و هذه المرحلة هي مرحلة اتخاذ الجودة بعدا استراتيجيا و إعطائها اهتماما خاصا من طرف الإدارة العليا كفتح لتحقيق الميزة التنافسية⁵.

١- أوسرير منور و سعيد منصور فؤاد، "التطوير التنظيمي و إدارة التغيير في المنظمات الحكومية (المتطلبات و المعوقات)"، ورشة بحث في المؤتمر العلمي الدولي حول الأداء المتميز للمنظمات و الحكومات، كلية الحقوق و العلوم الاقتصادية ، جامعة ورقلة، يومي ٠٨-٠٩ مارس ٢٠٠٥، ص ٢٧٢ .

2- Jan Brilman , **les meilleures pratiques du management** , édition organisation , 3eme édition , ٢٠٠١ , p٣٧٦ .

3. jan Brilman , *ibidem* , p٣٧٦

٤- العمري فنطازي. "تقييم تطبيق نظام إدارة الجودة الشاملة بمواصفات الإيزو بالمنظمة الجزائرية من خلال اتجاهات الطبقة

الإشرافية"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس العمل و التنظيم ، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠١١، ص ١٨٨ .

٥- صبرينة حديدان، "اتجاهات العمال نحو تطبيق إدارة الجودة الشاملة، دراسة ميدانية بالمطاحن الكبرى لعوينات"، أطروحة مقدمة

لنيل شهادة الدكتوراه في تنمية و تسيير الموارد البشرية، جامعة باجي مختار، عنابة ، الجزائر، ٢٠١٤ ، ص ١٠١ .

- كما يعرفها مدحت أبو النصر على أنها : " فلسفة إدارية حديثة فرضت نفسها خلال عقد التسعينات بحيث أصبحت أسلوب حياة للمنظمات الاقتصادية خاصة الصناعية و منهج المنافسة و البقاء في الأسواق"¹.

من خلال هذا التعريف يمكن القول أن إدارة الجودة الشاملة هي عبارة عن فلسفة ومنهج جديد طرأت على المنظمات الاقتصادية و الصناعية منها في فترة التسعينات.

- كما عرفها عبد الفتاح محمود سليمان:"عبارة عن طريقة لإدارة المنظمة تركز على الجودة وهي مبنية على مشاركة الجميع لتحقيق النجاح من خلال إرضاء العميل بما يعود بالنفع على الجميع و المجتمع"².

- يعرفها حسن حسين البيلاوي على أن:"الجودة الشاملة تشير إلى ثقافة جديدة في التعامل مع المؤسسات الانتاجية لتطبيق معايير مستمرة ، ليس فقط لضمان الجودة بل أيضا و هذا هو الأهم ، جودة العلمية التي يتم من خلالها المنتج"³.

و ضمن نفس السياق فهي فلسفة إدارية حديثة ذات طابع شامل و عام لمختلف جوانب التنظيم، لتحقيق الجودة مسؤولية جميع أعضاء المنظمة من قمة الهرم حتى قاعدته مع جودة الأنظمة ، الثقافة التنظيمية ، الهيكل التنظيمي، أساليب و إجراءات العمل.

٢٢. خصائص إدارة الجودة الشاملة :

تتمثل خصائص إدارة الجودة الشاملة كمدخل للتغيير الشامل داخل المنظمة فيما يلي:

- الأخذ في الحسبان في إطار إدارة الجودة الشاملة جميع حاجات وتطلعات الزبائن.
- كل وظيفة توجه رسائلها الخاصة المادية والبشرية نحو التحسين المستمر وذلك بتوجيه مواردها نحو التحسين والتطوير والوقاية من المشاكل بدلا من اللجوء إلى التصحيح.
- الجودة تندمج في ثقافة المؤسسة حيث أن كل أفراد المؤسسة في كل المستويات يجب أن يدمجوا الجودة في عملهم.
- إدارة الجودة الشاملة هي إدارة تشاركية تعتمد على مواهب الإدارة والعاملين أيضا للتحسين المستمر لأداء المؤسسة⁴.

٣٢. مبادئ إدارة الجودة الشاملة :

تتمثل مبادئ إدارة الجودة الشاملة فيما يلي:

- يمكن للجودة أن تدار: أي يمكن التخطيط لها من خلال وضع السياسات وخطط وقواعد لها كما يمكن تنظيمها من خلال لجان واجتماعات ومسؤوليات، وتتوزع على كافة المستويات، كما يمكن توجيه الأشخاص والمرتبطين بها من خلال وجود القيادة وجماعات العمل، والاتصال والتحفيز وأيضا متابعة الجودة والرقابة عليها من خلال جهود المقارنة والتحليلات الإحصائية للتباين بين الأداء الفعلي والمعايير.

١- مدحت أبو النصر، "أساليب إدارة الجودة الشاملة"، دار الفجر، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٨ ، ص ٦٥ .

٢- عبد الفتاح محمود سليمان، "الدليل العلمي لتطبيق إدارة الجودة الشاملة"، إيتراك للطباعة والنشر، مصر، ط ١ ، ٢٠٠١ ، ص ٨ .

٣. jan Brilman , Ibidem , P 233 .

٤- عبد الحق سائحي، محمد خثيري ، "محاولة لدراسة إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الإستشفائية الجزائرية"، العدد ٣٣ ،

٩، ٢٠٠٧، ص

- العميل هو محور الجودة : وهذا يعني أن على المديرين أن يحددوا مواصفات السلع والخدمات من وجهة نظر العميل وليس من وجهة نظر المنظمة ، وبناء على ذلك يتم تحديد المعايير ومعدلات الأداء والمواصفات التي تشبع احتياجات العملاء .

- المعايير والمعدلات والمواصفات هي لب الجودة : يمكن ترجمة احتياجات ورغبات العملاء في شكل مواصفات للسلع أو الخدمة ، أو معايير تحدد ما هو سليم ومعدلات للأداء البشري و العمليات وهناك أنظمة عالية تساعد على ذلك مثل الإيزو وتساعد في التنظيم.

- الاستمرارية: نظام الجودة الشاملة يوضع لكي يبقى ، وهو ليس نظام يطبق مرة واحدة، بل هو نظام يومي دائم لكي يستمر وعلى كافة العمال الالتزام به.

- الأفراد هم السبب في تحقيق الجودة : المعايير توضح العمليات فقد يلتزم بها أو لا يلتزم بها الأفراد إلا أنه يمكن دفعهم إلى الانضباط والالتزام من خلال التدريب و الحوافز ، ومنح الصلاحيات وتكوين جماعات العمل والاتصال.¹

- القياس أداة هامة للجودة: يتم قياس أداء العمليات بمدى سرعتها وتكلفتها والالتزام بمواصفاتها ثم بعد ذلك يتم مقارنة ما تم تنفيذه بالمعايير ويتم تحليل الفروق والتباين احصائيا لتحديد مدى الالتزام بالمعايير.

- الالتزام بمبدأ التحسين المستمر : تعتمد الجودة الشاملة على التحسين المستمر الذي يتضمن تحديد العملية وقياسها ومعرفة المشاكل في العمليات وأسبابها وإدخال التحسينات، والتعديلات في المعايير ثم قياس الأداء بعد التعديلات ثم التنفيذ والاتصال بالعملاء لقياس رضاهم وبالعاملين لتدريبهم على التعديلات الجديدة.²

٣. التغيير التنظيمي كمدخل لإحداث الجودة الشاملة :

إن لجوء المنظمات إلى تبني فلسفة إدارة الجودة الشاملة نتج عن وجود عدة قوى دافعة خارجية و داخلية، أثرت بشكل كبير على إستراتيجياتها، وهذا ما جعلها تتخذ التغيير التنظيمي كمدخل لإحداث هذه الفلسفة، فقامت بإجراء عدة تغيرات جذرية و شاملة في مختلف المجالات، سنحاول في هذا العنصر التطرق إلى ثلاثة جوانب أساسية مسها التغير و هي التغير الثقافي ، التغير الهيكلي و أخيرا و ليس آخر التغير التكنولوجي.

١.٣. المؤسسة بوصفها نظاما مفتوحا في ظل محيط متغير:

لقد أدت التحولات الكبرى التي عرفها محيط المؤسسة، و تسارع التطورات التي لا يزال يتميز بها حتى اليوم ، إلى نقل المؤسسة من ذلك المفهوم الضيق على أنها نظام مغلق ، لا تؤثر و لا تتأثر بالبيئة المحيطة بها، إلى مفهوم أوسع و أشمل ، خاصة مع ظهور أهم مدارس الفكر التنظيمي ألا و هي مدرسة النظم، حيث أصبح ينظر للمؤسسة على أنها نظام مفتوح تتفاعل باستمرار مع المؤسسات الأخرى في المجتمع ، من أجل تأمين مدخلاتها من تلك المؤسسات و تزويدها بمخرجاتها ، كما أنها تتأثر بعوامل بيئية أخرى عديدة من اقتصادية وثقافية و غيرها.³

فالمؤسسة نظام اجتماعي نسبي و إطار تنسيقي عقلائي بين أنشطة مجموعة من الأفراد تربطهم علاقات مترابطة و متداخلة يتجهون نحو تحقيق أهداف مشتركة و تنتظم علاقاتهم بهيكلية محددة في وحدات إدارية وظيفية ذات خطوط

١- أحمد ماهر ، " تطوير المنظمات "، الدار الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠١ ، ص ص ٥٨١ _ ٥٨٢ .

٢- سونيا البكري ، "إدارة الجودة الشاملة "، الدار الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٠ ، ص ١٢ .

٣- حسين حريم ، "إدارة المنظمات "، دار حامد للنشر و التوزيع ، الأردن ، ١ ط ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٧ .

محددة السلطة والمسؤولية ، تعمل خلالها المؤسسة على تلبية الحاجات الانسانية بطريقة منظمة ذات نسق معين يوجهها.¹

و قد أكد هذه الفكرة بقوله : "إن المؤسسة لا تقف عند حدود مجموعة من الشركاء و المساهمين و وسائل الانتاج فقط، فهي جزء من نظام شامل و هي فيه نظام فرعي و بالتالي لا يمكن عزلها عن المحيط الثقافي و الاقتصادي و الجغرافي و السياسي الموجودة فيه ، فالمؤسسة تقيم علاقات متعددة مع كل عناصر هذا المحيط و بهذا فهي تؤثر في المحيط و تتأثر هي في حد ذاتها"².

فمع ظهور نظرية النظم أصبحت المؤسسة نظاما فرعيا تعمل ضمن شبكة مترابطة من النظم الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية و الموارد الطبيعية و البشرية و غيرها، منها ما له صلة مباشرة بالمؤسسة من حيث تحقيق أهدافها ، و أخرى لها تأثير غير مباشر على هذه المؤسسة.

٢٣. بيئة المنظمات الإدارية و حتمية التغيير:

إن التغيير أمر ضروري و حتي كما أنه عملية مستمرة و متجددة ، فضمن نطاق بيئة المؤسسة الإدارية المعقدة في عالم سريع التغيير في كافة المجالات، و إجمالاً يمكن ذكر أهم الجوانب التي تؤكد على حتمية التغيير و تبني أساليب التنمية الإدارية في ظل التحولات الحاصلة في البيئة كما يلي:

- ✓ الانفجار الكمي و النوعي في المعلومات و المعرفة.
 - ✓ التغييرات المستمرة في سوق القوى العاملة، سواء من ناحية العدد أو التركيب النوعي للكفاءات، و ذلك نظرا للتغيرات المستمرة في هيكل و نظم التعليم و التنمية و التدريب.
 - ✓ زيادة الترابط و التداخل بين مشروعات الأعمال نظرا للترابط بين الدول، ما يدل على ذلك ما نراه اليوم من تطور مشاريع الأعمال المتعددة الجنسيات ، و مشاريع الأعمال الدولية.
 - ✓ الاهتمام المتزايد بالنواحي الشخصية و الاجتماعية ، فسلوكيات الأفراد قد تعرضت لتغيرات سريعة لاتجاهاتهم و مدركاتهم و دوافعهم و شخصياتهم كنتيجة حتمية لتغيرات الظروف المحيطة.³
- كما أن هناك مجموعة من التغيرات البيئية العالمية منها:

- ✓ انتقال المجتمع من ملامحه الصناعية إلى مجتمع آخر يهتم بالمعلومات و الخدمات.
- ✓ الانتقال من الاقتصاد المحلي إلى الاقتصاد الكوني العالمي انحصار الموجه الاشتراكية أما المد الرأسمالي.
- ✓ انهيار سياسي لبعض الدول و ظهور دول جديدة و حدود جديدة لدول قديمة.
- ✓ سيادة أسلوب حياة عالمية مع بروز نزاعات قومية.
- ✓ تحرير التجارة العالمية و ظهور كتلات اقتصادية بين الدول.⁴

١- محمد أكرم العدلوني ، " العمل المؤسسي "، دار ابن حزم ، لبنان، ٢٠٠٢ ، ص ١٤ .

2 - Med nuiga , " la conduite du changement par la qualité dans un contexte socioculturel essai de modélisation systémique et application " _thèse de doctorat en génie industrielle , paris , 2003 , p 19 .

٣- صلاح الدين محمد عبد الباقي ، " السلوك الفعال في المنظمات "، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية ، ٢٠٠٢ ، ص ص ٣٤١_٣٤٢ .

٤- أحمد ماهر ، " الإدارة ، المبادئ و المهارات "، الدار الجامعية ، الاسكندرية ، ط ٣ ، ٢٠٠٨ ، ص ٦٣٣ .

١.٢٣. العوامل الداخلية :

إن الحديث عن الضغوط الممارسة على الإدارة من كرف البيئة الحيطلة لا يقتصر على العوامل الخارجية فقط ، و إنما يشمل كذلك العوامل البيئية الداخلية، هذه الأخيرة لها تأثير كبير على نجاح و استمرارية التنظيمات الإدارية ، فليس بوسع أي إدارة أن تضع استراتيجية و اختيار البدائل المناسبة لها^١.

و هنا تكمن أهمية هذا التحليل الذي يساهم في تقييم القدرات و الامكانيات البشرية و المعنوية و التنظيمية المتاحة للإدارة، و بواسطتها يتم تحديد نقاط القوة و تعزيزها للاستفادة منها و البحث عن طرق و وسائل تدعيها مستقبلا، بما يساعد في القضاء على المعوقات البيئية و انتهاز الفرص الموجودة فيها، كما يحدد نقاط الضعف حتى يمكن التغلب عليها و احتوائها ببعض نقاط القوة الحالية للإدارة، كما يؤكد هذا التحليل على ضرورة الترابط بين التحليل الداخلي و التحليل الخارجي فالفائدة من عدمه في حالة الكشف عن الفرص و المخاطر للبيئة الخارجية دون الوقوف على النقاط التي تمثل قوة للمنظمة أو ضعفا لها، فإذا كان الهدف من تحليل البيئة الداخلية يتمثل في الوقوف على نقاط القوة و الضعف، فإن ذلك يمثل الطريقة التي ترشد لانتهاز الفرصة و تجنب المخاطر و تح جيما، فلعل إدارة نواحي قوتها التي تختلف نقاط ضعفها، كما أنها تختلف من إدارة لأخرى، و بيئة عمل إلى بيئة أخرى^٢، فهذا التحليل يجب أن ينصب على العوامل التي تمثل القدرات و الامكانيات المتاحة، سواء كانت هذه القدرات مادية كالمنشآت و الهياكل الإدارية أو البشرية منها و التنظيمية والتنفيذية، و ذلك من حيث مدى كفاءة البناء التطبيقي و مدى توافر الكفاءات الإدارية المطلوبة بالكم و النوع المناسب، إلى جانب العوامل المعنوية التي تمثل مدى قوة العلاقات بين الأفراد و تماسك جماعات العمل الإدارية و الصورة المرسخة لدى الجمهور حول تلك الإدارة^٣.

فمن العوامل الداخلية المحتملة كذلك لتبني التنمية الإدارية من خلال التغيير نجد أساسيين هما : الرغبة في تكامل الإدارة ، و ظهور مؤشرات أو بوادر ظهور المشاكل الداخلية^٤ ، فقد تعترى الإدارة فترات وحداتها و أقسامها عن بعضها البعض ، حيث يؤدي تقسيم العمل و التخصيص الجديد إلى ابتعاد الإدارات عن بعضها البعض و استقلالها بنفسها مما يؤدي إلى فقدان ميزة التكامل و التنسيق ، هنا تنشأ الرغبة في توحيد أقسام الإدارة و التنسيق فيما بينها، كما تزداد الرغبة في المزيد من التكامل ، وهنا تظهر معاناة الإدارة من مشاكل داخلية حادة مما يستلزم التدخل من خلال وسائل و أدوات التنمية الإدارية لمعالجة هذه المؤشرات التي توجي بحدوث مشاكل إدارية و تنظيمية^٥، و لعل إدارة الجودة الشاملة واحدة من أنسب وسائل و أدوات التنمية الإدارية كونها تهدف إلى التكامل و التنسيق بيم كافة وحدات و أقسام التنظيمات من خلال تبني الهيكل التنظيمي المتكامل .

و عموما يمكن حصر و إجمال العناصر البيئية الداخلية في كل من التزام الإدارة العليا ، تبني ثقافة تنظيمية جديدة وتهيئة المناخ الملائم قبل تطبيق الأساليب الحديثة بما يضم إعادة تصميم و بناء الهياكل الإدارية و تحسين الاتصالات، دعم

١- عبد العزيز صالح بن جبتور ، "الإدارة الاستراتيجية ، إدارة جديدة في عالم متغير" ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، عدن ، ط ٣ ، ٢٠٠٧ ، ص ١٨٤ .

٢- موسى اللوزي ، "التنمية الإدارية" ، دار وائل للنشر ، عمان ، الأردن، ٢٠٠٠ ، ص ٢٥٣ .

٣- عبد العزيز صالح بن جبتور ، "الإدارة الاستراتيجية ، إدارة جديدة في عالم متغير" ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٨٥ .

٤- أحمد ماهر ، "الإدارة ، المبادئ و المهارات ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٧ .

٥- عبد العزيز صالح بن جبتور ، "الإدارة الاستراتيجية ، إدارة جديدة في عالم متغير" ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٩٢ .

و النهوض بقدرات الكفاءات البشرية من خلال تنمية و تدريب قدراتهم بما يتوافق و متطلبات هذه الأساليب، مع اتباع أنظمة مكفأة و تحفيز مادية و معنوية.

فغالبا ما يعرف نطاق الإدارة و حدود تطبيقها على أصول الإدارة و قوى العمل بها كما أن عملها يتمثل في إدارة أعمالها و تيسير أمورها بطريقة أكثر من الاهتمام بما يدور حولها ، بمعنى أن الإدارة تركز في عملها على الأمور الداخلية أكثر من الأمور الخارجية و هذا ما تؤكد الممارسات الإدارية ، و يقوم هذا الافتراض على ضوء مفاهيم العملية التقليدية، إلا أن فكرة العملية بدأت تأخذ أبعادا جديدة فأصبحت الحدود السياسية بين الدول ليس لها أهمية¹.

٢.٢٣. العوامل الخارجية:

إن هدف الإدارة اليوم أصبح ليس الحصول على المعلومات فيما يجري داخل الإدارة و إنما الحاجة الرئيسية هي الحصول على بيانات عما يحدث حولها و خارجها، كما أن الإدارة في المجتمعات الحديثة وجدت لتتفاعل و تتوافق معها لتحقيق نتائج المرغوبة و عليه فالعوامل الخارجية لها تأثير في الحفاظ على ديمومة و استمرار الكيانات الناشطة في البيئات المختلفة و منها:

- ✓ طلبات الزبائن .
- ✓ التغيير السريع في التكنولوجيا السريعة.
- ✓ التغييرات السياسية و القانونية.
- ✓ التغييرات في القيم الاجتماعية القائمة و التي أدت إلى تحول نمط الحياة من مرتكز على النزعة الفردية إلى مرتكز على النزعة الجماعية.

✓ الفرص و التهديدات الناتجة من التنبؤ حول مستقبل المؤسسة².

حيث أن محاولة جعل العالم كله سوق واحدة و محاولة الحد من تدخل الجهات الرسمية في النشاط الاقتصادي ، و بروز ظاهرة الشركات المتعددة الجنسيات و تحرير رأس المال و التجارة الدولية و إزالة الحواجز و القيود ، سواء كانت مادية كالحدود أو معنوية من خلال صياغة قوانين تسهل عملية تبادل السلع و البضائع و تسمح بمرورها و حركتها و انسيابها بكل سهولة ، فإن هذا الاقتصاد الكوني يكسب النظام العالمي استقلالاً ذاتياً ، كما ينشأ عن هذا الاقتصاد الكوني مشكلة أخرى تتمثل في صعوبة التحكم فيه³.

كما حظيت التغييرات التكنولوجية بالاهتمام الشديد من قبل دول العالم ، إذ تعهدت هذه الدول بتنفيذ خطط تنموية متطورة هي في أشد الحاجة لكل متطلبات التنمية و منها التنمية التكنولوجية. و محاولة الاستثمار عن طريق استيرادها⁴ ، و بالتعبية يؤدي ذلك إلى ضرورة توفير الكوادر الوطنية لتشغيلها، كما أن السرعة في الابداع و الاختراعات جعل مسألة التنمية الإدارية مسألة حتمية لتواجه هذا التغيير السريع في التكنولوجيا و فوق كل ذلك فإن استيراد التكنولوجيا قد يشكل عبئا على استقلال الإدارة العامة المستوردة لها ، كما نلفت الانتباه إلى أن التغييرات العلمية و التكنولوجية الحالية و المستقبلية ستؤدي إلى تغيير معايير التقييم التنظيمي إلى معايير عالمية، و ما معايير و اشتراطات الإيزو إلا دليلا على هذه الحقيقة و

^١ . زيد منير عبوي ، "الإدارة و اتجاهاتها المعاصرة ، وظائف المدير" ، منشورات دار دجلة ، الأردن ، ٢٠٠٧ ، ص ٢١ .

² - Jan Brillman, " les meilleures pratiques du management, édition organisation , ٤eme édition ٢٠٠٣ . p ٤٢٢ .

- محمد صفوت قابل ، " الدول النامية و العولمة " ، الدار الجامعية، الاسكندرية ، ٢٠٠٣ ، ص ٢١ .

- نفس المرجع السابق ، ص ٣٣ .^٤

تسبق المنظمات اليوم في التطبيق و السعي المضني للحصول على شهادات المطابقة للمعايير أو المقاييس العالمية التي حددتها منظومة الإيزو إلا تأكيد ميداني لذلك.

٣-٣. التغيير التنظيمي في ظل إدارة الجودة الشاملة:

يأتي التغيير التنظيمي كعملية مصاحبة لتطبيق إدارة الجودة الشاملة بالمؤسسة ، و لتطبيق إدارة الجودة الشاملة بصفة شمولية ، قد يمس التغيير مختلف جوانب المؤسسة و هذا تبعا للحاجة إلى التغيير في ذلك الجانب ، و لأجل الحصول على تغييرات حقيقية و جب حصول التغيير في هذه الأبعاد الثلاث و هي كالآتي:

١-٣-٣. التغيير الثقافي:

١-٣-٣: مفهوم ثقافة التنظيمية:

-يقول محفوظ أحمد جودة أن ثقافة المؤسسة "مجموعة من المعتقدات العميقة تتعلق بكيفية تنظيم العمل و ممارسة السلطة ، ومكفأة العاملين و مراقبة أدائهم و انضباطهم في العمل ودرجة الرسمية المطلوبة " ¹ و عليه فإن الثقافة التنظيمية تعني مجموعة من القيم و المعتقدات و الأنماط المتعلقة بالمؤسسة ، إذ لكل مؤسسة ثقافتها الخاصة بها.

٣-١-٣: أشكال الثقافة المنظمة:

و يمكن التعبير عن ثقافة المؤسسة بأشكال عديدة أهمها:

١. طريقة التعامل اليومية: مناداته الأفراد باسم العائلة، لبس ربطة العنق أثناء العمل...إلخ.
٢. قواعد العمل: عدم مغادرة مكان العمل قبل الرئيس مثلا.
٣. قيم العمل : مثلا التمييز في كل شيء يتم كما هو الحال في شركة مرسيدس على سبيل المثال².

٣-١-٣. الجوانب التي المتعلقة بالثقافة و الجودة:

ومن بين الجوانب التي ينبغي أن تشمل عليها ثقافة المؤسسة المتعلقة بالجودة أهمها :

- ✓ التركيز على العميل.
- ✓ احترام الآخرين و الصدق في التعامل معهم.
- ✓ الخطأ في فرصة التطور.
- ✓ الحرص على التفاني في العمل و على أدائه الصحيح من المرة الأولى.
- ✓ التحلي بروح التميز في كل شيء يتم القيام به.
- ✓ التحلي أيضا بروح الفريق و التعاون³.

١ - أحمد بن عيشاوي ، "إدارة الجودة الشاملة (الأسس النظرية و التطبيقية و التنظيمية في المؤسسات السلعية و الخدمية)" ، دار حامد ، عمان ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٣ ، ص ٥٠ .

- نفس المرجع السابق ، ص ٥٠ .

- نفس المرجع السابق، ص ٥١ .

٤.١.٣٣. التغيير الثقافي كمدخل لإدارة الجودة الشاملة :

تشمل الأبعاد الحضارية في المنظمة القيم المعايير السلوكية و التنظيم غير الرسمي و إشباع الحاجات الشخصية و درجات التحفيز و مواقف الأفراد و جماعات العمل ، و العلاقات بين الأفراد و بين الجماعات العمل، و التفاعل الإنساني بين الأفراد و بين الجماعات ، حيث أن عملية التدخل من أجل إحداث التغيير تشمل جميع هذه المعايير .

و يمكن إحداث التغيير من خلال تقديم حزمة متكاملة من الاطارات القيمية ، تهدف إلى تطوير المنظمات و تنميتها و تستمد من المفاهيم و الأفكار الإدارية و التنظيمية ، و التي أصبحت تمثل اتجاهات عالمية و التي تمثل فيمايلي :

- ✓ إن الفرد يميل إلى الاستقلال في عمله و الحرية في أدائه.
- ✓ يجب ان يكون للفرد فرص الاختيار في العمل و في الراحة المتاحة له .
- ✓ يتجه الفرد إلى إشباع حاجاته السامية و التي تحقق طموحاته الشخصية و إذا ما تصادمت حاجات الفرد الشخصية مع حاجات المنظمة فقد يتجه البعض إلى إعطاء الأولوية لإشباع حاجاتهم الشخصية.
- ✓ يجب على المنظمة أن تنظم أعمالها حتى تصبح الأدوار و الواجبات ذات مغزى و محفزة و بذلك تهيأ للعاملين بها مزايا بالإضافة إلى الحوافز المادية و الأجور العادلة.
- ✓ يتضاءل فارق القوى و السلطة بين المستويات التنظيمية و أن التغيير مستمر في هذا الاتجاه ، مع إتاحة فرص الاختيار في العمل و توافر فرص الراحة فسوف تعتمد القيادة أثر على التأثير منها على القوة و السلطة^١.

و وفقا لنموذج ماكزوي الذي يتعلق (بالتنفيذ الاستراتيجي و يقوم على^٧ عوامل هي : الاستراتيجية، الهيكل، الأنظمة، نمط الإدارة، اختيار الأفراد ، المهارات ، والتي تدور كلها حول المحور أو القلب وهو العامل السابع و المتمثل بالقيم المشتركة أو الثقافة المنظمة)، إنه عندما تصبح الجودة هي القيمة المشتركة المركزية في المنظمة فإن كل شيء سيتبعها : الأنظمة ، الاستراتيجية ، الهيكل ، نمط الإدارة، المهارات، اختيار الأفراد ، ومن هنا لا بد من بناء ثقافة تنظيمية تتناسب مع إدارة الجودة الشاملة و فلسفتها لتدعيم التطبيق لها.و إن القواعد و المثل و القيم المناسبة لهذه الثقافة لا بد أن تستمد و تجسد المفهوم الشمولي للجودة ومبادئ الجودة، و هي أهمها:^٢

- ✓ تشخيص و تلبية رغبات و توقعات العميل.
- ✓ تحديد العميل و المورد الداخلي لكل عامل أو عملية.
- ✓ تحمل المسؤولية عن العمل.
- ✓ إنجاز العمل بصورة صحيحة من المرة الأولى.
- ✓ الولاء للمنظمة.
- ✓ الشعور بالفخر بالعمل.
- ✓ الجودة مسؤولية الجميع.
- ✓ المعيب الصفري.
- ✓ تشجيع الإبداع و الابتكار.

- محمد الصيرفي ، " إدارة التغيير "، دار الفكر الجامعي ، الاسكندرية ، ٢٠٠٨ ، ص ٤٩ .

- رعد عبد الله الطائي و عيسى قعادة ، " إدارة الجودة الشاملة "، دار اليازوري ، عمان ، ٢٠٠٨ ، ص ص ١٣٣ - ١٣٤ .

✓ العمل بروح الفريق.

✓ التحسين المستمر¹.

مما سبق نستطيع أن نقول أن تطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة يستدعي إجراء تغيير جذري في ثقافة و في طريقة العمل داخل المؤسسة و ذلك يتطلب بالتحديد بناء ثقافة تنظيمية تكون الجودة مرتكزاتها و فلسفة تفكيرها و كل هذا يستند إلى التعليم و التدريب الصحيح و الفعال المتعلق بالجودة².

حيث تفرز البيئة الثقافية سواء المحلية أو الخارجية في عالم تتفاعل و تتداخل ثقافته و تزحف فيه الثقافة الغربية على ثقافات أخرى ، و تفرز هذه البيئة الثقافية تغييرات في قيم و اتجاهات و سلوكيات الناس كمرؤوسين و رؤساء و عملاء و موردين .. إلخ . و يؤثر التغيير في سلوكيات الرؤساء و المرءوسين على فعالية الأداء التنظيمي³.

● من خلال ما تم عرضه سابقا سنحاول التعقيب ومناقشة المعطيات التي تم جمعها حول عنصر التغيير الثقافي من أجل إحداث إدارة الجودة الشاملة :

١ - حسب وجهة نظرنا فإن أول عنصر يساعد على إحداث التغيير الثقافي هو سهر المنظمات على تغيير البيئة الثقافية السائدة ، حيث تقوم بعض المؤسسات بتحديد نوع اللباس و لونه ، فنجد أن مؤسسة نجمة للاتصالات تسهر على لبس عمالها طاقم أسود مع ربطة عنق برتقالية و هذا راجع للون الشريحة .

٢ - كما نجد أن بعض الأخر من المؤسسات يقوم بتغيير اللغة التي يمتلكها الأفراد من خلال غرس مصطلحات جديدة تتلاءم مع الثقافة الجديدة من أمثلتها مبدأ * % خطأ ، التمييز ، الجودة ، لا لحوادث العمل ومن بين هذه المؤسسات مؤسسة فرتيال .

٣ - من جهة تقوم بعض المؤسسات بتغيير سلوكيات الأفراد الخاطئة ، و على سبيل المثال مثلا القيام بعدت إجراءات في مجال الأمن و الوقاية ومن نماذج هذه المؤسسة نجد مؤسسة فرتيال التي حقق وراء انتهاج هذا المبدأ * % حادث عمل طيلة عام كامل ، حيث غرست في عمالها قيم جديدة ، عن طريق إعدادها لبرامج تكوين في مجال الأمن و الوقاية ، و توفير كل الوسائل اللازمة لذلك .

٢-٣٣. التغيير الهيكلي:

١٢٣٣. مفهوم الهيكل التنظيمي :

يعرف الهيكل التنظيمي عموما على أنه " الإطار الذي يحدد التركيب الداخلي للمؤسسة ، فهو يوضح الإدارات و الأقسام التي تقوم بأداء الأنشطة و الأعمال المطلوبة بغية تحقيق أهداف المؤسسة ، كما يوضح نوعية العلاقات بين الأقسام و تسلسل السلطات و شبكات الاتصال بينها " ⁴ .

- نفس المرجع السابق ، ص ١٣٤

١. أحمد بن عيشاوي ، "إدارة الجودة الشاملة (الأسس النظرية و التطبيقية و التنظيمية في المؤسسات السلعية و الخدمية)" مرجع سابق ، ص ٥١ .

٢- أحمد السيد مصطفى ، " إدارة السلوك التنظيمي (رؤية معاصرة لسلوك الناس في العمل)" ، دارالكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص ص ٤٦٠-٤٦١ .

٤ - أحمد بن عيشاوي ، " إدارة الجودة الشاملة (الأسس النظرية و التطبيقية و التنظيمية في المؤسسات السلعية و الخدمية)" ، مرجع سابق ، ص ٥١ .

و بالتالي فإن الهيكل التنظيمي هو الأداة الرئيسية لتحقيق أهداف المؤسسة ، كما تتولد عنه عدت قرارات تنظيمية حاسمة أهمها : تحديد الوحدات التنظيمية و نطاق أعمالها ، نوعية العلاقات بينها ، تفويض الصلاحيات و قنوات الاتصال التي تربطها .

٢٢٣٣. أهمية الهيكل التنظيمي:

يساعد الهيكل المنظمي في مايلي :

١. تخصيص الأفراد و الموارد الأخرى لكل مهمة من المهام .
٢. توضيح المسؤوليات الأفراد و كيفية استخدامهم لها من خلال وصف الوظيفة و الخرائط التنظيمية و خطوط السلطة .
٣. تعريف العاملين بما متوقع منهم عن طريق قواعد ، إجراءات التشغيل ، معايير الأداء .
٤. تحديد إجراءات جمع و تقييم المعلومات التي تساعد المدراء في اتخاذ القرارات وحل المشاكل^١ .

٣-٢-٣٣. جوانب تصميم الهيكل وفق خبراء الجودة :

و يجمع خبراء الجودة على أن الهيكل التنظيمي المتعدد المستويات التنظيمية لا يمكنه أن يتناسب مع المؤسسات التي تطمح إلى تطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة ، حيث أنه يمتاز على العموم بالصفات و المميزات التالية :

✓ بعد قمة الهرم التنظيمي عن قاعدته بسبب طول خطوط الاتصال ، و هذا ما يضعف عنصر الاتصال بين الإدارة العليا و باقي الإدارات لا سيما الإدارة الدنيا .

✓ مركزية السلطة و محدودية إشراك باقي الإدارات في اتخاذ القرارات ، مما من شأنه أن يقتل روح التعاون و الإبداع داخل المؤسسة .

✓ و كل هذه العوامل من شأنها أن تضعف عنصر التنسيق بين مختلف الوظائف^٢ .

كما يتفق الخبراء على أن الهيكل التنظيمي الذي يتناسب مع تطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة يجب ان يتصف بقصر خطوط الاتصال الرأسية و سهولة الاتصال الأفقية ، و من ثم التدفق السريع للمعلومات و البيانات بين أجزاء الكيان التنظيمي ، مما يحقق التنسيق و التعاون و تعزيز العمل الجماعي و السرعة في عمليات اتخاذ القرار^٣ .
فالتغيير الهيكلي يكون كذلك في شكل إعادة تقييم الوحدات الإدارية ، و إحداث إدارات جديدة ، أو جمع الإدارات مع إدارات أخرى^٤ .

و التغيير في الهيكل التنظيمي للمنظمة فقد يأتي كنتيجة لتغيير الرسالة أو النشاط أو الأهداف أو التغيير التكنولوجي أو خصائص العمالة ، أو حجم عمليات المنظمة أو سعياً لحفظ التكاليف أو لمواجهة متغيرات تنافسية سوقية أو فنية أو تشريعية أو ثقافية أو اجتماعية ، و هكذا يتعين مثلاً إنشاء أو إلغاء وحدات تنظيمية أو تغيير في خطوط الاتصال أو اللجان ، أو في هيكل السلطة ، أو تغيير في اختصاصات الوحدات التنظيمية أو في المسميات الوظيفية^٥ .

١- رعد عبد الله الطائي و عيسى قداد ، " إدارة الجودة الشاملة " ، مرجع سابق ، ص ص ٥١ - ٥٢ .

٢- أحمد بن عشاوي ، " إدارة الجودة الشاملة (الأسس النظرية و التطبيقية و التنظيمية في المؤسسات السلعية و الخدمية)" ، مرجع سابق ، ص ص ٥١ - ٥٢ .

٣- نفس المرجع السابق ، ص ٥٠ .

٤- عمروصفي عقيلي ، " الإدارة المعاصرة (التخطيط ، التنظيم ، الرقابة)" ، دارزهران للنشر و التوزيع ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٧٢ .

٥- أحمد السيد مصطفى ، " إدارة السلوك التنظيمي (رؤية معاصرة لسلوك الناس في العمل)" ، مرجع سابق ، ص ص ٤٧٦ - ٤٧٧ .

٣.١.٤. دور التغيير الهيكلي في إحداث إدارة الجودة الشاملة :

يتجسد دور الهيكل في توفير وسائل تمكن المدراء من تنسيق الوظائف والأنشطة والأقسام المختلفة من أجل استغلال كامل قدراتها ومهاراتها وتوجيهها نحو تحقيق الأهداف ، و هكذا في ظل إدارة الجودة الشاملة لا بد من إعادة تصميم هيكل المنظمة بما يتلاءم مع مفهوم و فلسفة إدارة الجودة الشاملة و تحقيق أقصى فاعلية في تطبيقها ، و بوجه عام تفضل الهياكل التنظيمية التي تتصف بالآتي

✓ الهلي إلى الهيكل المسطح الذي يعطي قدر أكبر من الاستقلالية .

✓ الميل إلى اللامركزية .

✓ الميل إلى الهيكل العضوي أو الهيكل فريق الإنتاج .

✓ ضمان التكامل باليات المناسبة .¹

● من خلال ما تم عرضه سابقا سنحاول التعقيب ومناقشة المعطيات التي تم جمعها حول عنصر التغيير الهيكلي من أجل إحداث إدارة الجودة الشاملة :

١ - أول عنصر يساعد على إحداث إدارة الجودة الشاملة هو تغيير رسالة المنظمة ، و التي يجب إعادة صياغة رسالة تتضمن مبادئ ومعايير إدارة الجودة الشاملة ، و على سبيل المثال هو القيام بتبني معيار الجودة ، فمعيار الجودة لا يقترن بجودة المنتج فقط بل يجب أن يشمل جودة الخدمة أيضا .

٢ - على المنظمة أن تقوم بإعادة تقييم الوحدات التي تملكها و التي يتكون منها الهيكل التنظيمي ، و إعادة بناء أو تصميم هيكل يتماشى مع الوضع التي ترغب الوصول له ، و على سبيل المثال تقوم بإنشاء إدارة جديدة خاصة بالجودة لم تكن موجودة سابقا في هيكلها التنظيمي ، و الهدف من وراء ذلك هو التغيير من أجل تبني مفهوم إدارة الجودة الشاملة ، فالمنظمات لا تستطيع التبني هذا المفهوم ما لم تكن تملك إدارة خاصة بالجودة .

٣ - إن التغيير في الهيكل التنظيمي أمر ضروري ، يجب القيام به من أجل إحداث التغيير و تبني مفهوم إدارة الجودة الشاملة ، حيث أن الهيكل التنظيمي يجب أن يكون مرنا و هذا لا يتحقق إلا من خلال توضيح خطوط السلطة التي تسمح بانتقال المعلومات و انسيابها إلى كافة المستويات الإدارية بكل سهولة .

٤ - توضيح خطوط السلطة من خلال إعادة توزيع المهام ووضع كل فرد في مكانه .

٥ - توضيح إجراءات المتبعة في العمل بالطريقة التي تسمح للعاملين العمل بأسلوب موحد و متناسق .

٦ - ضرورة اختيار الهيكل المناسب الذي يحقق رسالة المنظمة التي أصبح تبني مفهوم إدارة الجودة الشاملة .

٣.٣.٣ - التغيير التكنولوجي :

٣.٣.٣.١. مفهوم التغيير التكنولوجي :

تعد التكنولوجيا من المواد الرئيسية لمختلف المنظمات و التي تستلزم ضرورات تحديثها و تغييرها بغية تحقيق أهدافها الاستراتيجية و تعزيز ميزتها التنافسية.²

١ - رعد عبد الله الطائي، عيسى قدادة، "إدارة الجودة الشاملة"، مرجع سابق، ص ١٣٢ .

٢ - غسان قاسم داود ، "تحديد الميزة التكنولوجية في المنظمات الصناعية (نموذج عملي لقياس الأبداع التقني)" ، ورقة مقدمة في المؤتمر

وقد كانت الدراسات في مجال التكنولوجيا على مستويين : مستوى المؤسسة ككل ، و مستوى الوحدة في التنظيم ، و قد كان لزاما تغيير سلوك الأفراد و الجماعات لتتناسب مع التكنولوجيا المستخدمة¹.

هو تهيئة معرفة أو طرق أو تجهيزات فنية جديدة تستخدم في عمليات إنتاجية، مما يسهم في تحسين جودة الإنتاج أو التسويق أو كلاهما أو خفض التكلفة².

فالمقصود بالتكنولوجيا جميع الأدوات الفنية للعمل و أدوات حل المشكلات و تتمثل مجالات التغيير المرتبطة بالتكنولوجيا في تغيير الجوانب التكنولوجية للعمل و إجراءات و طرق العمل التي تتبعها المنظمة³.

فالتغيير التكنولوجي يتطلب استعمال الطرق الحديثة لتحويل المواد إلى منتجات أو لتحسين الخدمات ، حيث أن التكنولوجيا تعني استخدام الوسائل الحديثة من هاتف نقال، و الحاسبات و الشبكات السلكية و اللاسلكية و الممكنات الجديدة و ذلك من أجل القيام بكافة النشاطات الفنية و الإدارية في المؤسسة⁴.

٢٣-٣٣. عملية التغيير التكنولوجي كمدخل للإدارة الجودة الشاملة:

التغيير التكنولوجي يؤدي إلى اكتساب المنظمة مهام جديدة ، أساليب جديدة ، إدارة جديدة ، ثقافة جديدة ، و طرق جديد للقيام بالعمل ، تتطلب عملية التغيير التكنولوجي تخطيط التغييرات في الأهداف و الاستراتيجيات المتعلقة بها ، و التخطيط هو العملية التنظيمية الحيوية التي من خلالها يمكن التنبؤ بتطورات جديدة ، و إقامة رؤية تنظيمية و رسالة و أهداف جديدة مناسبة لقوى التغيير ، و من خلال الخطة تستطيع المؤسسة تطوير استراتيجيات و سياسات لتنفيذ الأهداف ، إن التخطيط للتغيير التكنولوجي يتطلب تقييما للمخاطر و الايجابيات الموجودة التي تواجهها المؤسسة ، و التركيز على المخاطر التي قد تواجهها المؤسسة إذا تأخرت في إحداث التغيير اللازم في المجال التكنولوجي و هذا يساعد في التخطيط الاستراتيجي المنشود .

تقوم المنظمة بالتغيير التكنولوجي لمواجهة الأوضاع الجديدة و اقتناء التكنولوجيات التي تعود عليها بالفائدة ، كتخفيض التكاليف تحسين الجودة و الالتزام أفضل بمواعيد تسليم الانتاج ، و يتمثل التغيير التكنولوجي في ادخال وسائل انتاج حديثة أو تغيير طرق و خطوط الانتاج ، كما أنه يتعدى وظيفة الانتاج حيث أن المنظمات حاليا تقوم بتطوير طرق و وسائل الاتصال باقتناء وسائل و تقنيات اتصال جديدة، و أبعد من ذلك ، توصل التقدم التكنولوجي إلى تطوير طرق المعاملات منها : طريقة تحويل الأموال و الدفع بوسائل الكترونية ، و أيضا القيام بالصفقات التجارية عبر شبكة الانترنت - التجارة الالكترونية - ، هذه الشبكة التي تخدم جميع المجالات مثل تقديم برامج التدريب و التعليم ، كما يفرض التقدم

العلمي الرابع حول الريادة و الابداع ، استراتيجيات الأعمال في مواجهة تحديات العولمة ، جامعة فيلادلفيا ، الأردن ، يومي ١٥ - ١٦ مارس ٢٠١٥ ، ص ٠٢ .

١- بوفاس الشريف ، "إدارة الجودة الشاملة و التغيير في المؤسسة الاقتصادية ، دراسة ميدانية لعينة من المؤسسات الاقتصادية بالشرق الجزائري " ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التسيير ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، الجزائر ، ٢٠١٣ ، ص ١٢٦ .

٢- أحمد السيد مصطفى ، "إدارة السلوك التنظيمي (رؤية معاصرة لسلوك الناس في العمل)" مرجع سابق ، ص ١٢٧

٣- حسن محمد أحمد محمد المختار ، "إدارة التغيير التنظيمي (المصادر و الاستراتيجيات)" ، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات ، القاهرة ، ط ٣ ، ٢٠١٤ ، ص ٦٩ .

٤- خضير مصباح إسماعيل الطيبي ، "إدارة التغيير (التحديات و الاستراتيجيات المدراء المعاصرين)" ، دار حامد ، عمان ، ط ١ ، ٢٠١١ ، ص ٦٠ .

التكنولوجي خاصة تكنولوجيا المعلومات ضرورة تغيير الأدوات و الأساليب المستخدمة في المؤسسة ، و قد تكون هذه التغييرات بسيطة لا تتعدى الاستعانة بالحاسبات الآلية في أداء بعض الأعمال أو تكون تغييرات أساسية تشمل المؤسسة ككل¹.

تؤثر ثورة المعلومات بشكل كبير على أساليب الإدارة و تقديم الخدمات إضافة إلى عمليات البيع و الشراء و تتصاعد هذه التأثيرات يوم بعد يوم و بشكل سريع جدا لأن تقنية المعلومات أصبحت جزءا من الاتجاه الهادف إلى انجاز المهام المتداولة بفاعلية أكبر ، و بناء على ذلك ينصح المديرين و القادة العمل على استخدام و اتقان تقنية المعلومات للتنافس من أجل البقاء و اتباع سياسة الانفتاح حيال كل تطور تكنولوجي .

● من خلال ما تم عرضه سابقا سنحاول التعقيب ومناقشة المعطيات التي تم جمعها حول عنصر التغيير التكنولوجي من أجل إحداث إدارة الجودة الشاملة :

- ١- تحت طيات ما تم إدراجه في هذا العنصر نجد أن إدارة الجودة الشاملة الوجه الأخر للتقدم التكنولوجي و ظهرت مساهمة إدارة الجودة الشاملة في إحداث التكيف التكنولوجي داخل المؤسسات و متطلبات بيئتها الحالية.
 - ٢- تنطلق إدارة الجودة الشاملة من مفهوم التكامل و الشمولية بقصد خفض التباعد بين وحدات و مديريات المؤسسات انطلاقا من رفض التباعد بين القمة و القاعدة في الهياكل التنظيمية و فرض الهياكل الأفقية التكاملية، و هذا دليل على تحسين الاتصالات بين أعضاء التنظيم و التنسيق بين الوحدات مما تتطلب تحديث وسائل الاتصال بمبدأ أقل تكلفة و أقل جهد في إيصال هذه المعلومات و انسيابها داخل التنظيم.
 - ٣- فرض كذلك مبدأ ٠% خطأ في العمل سواء سلك الانتاج أو سلك العمليات الإدارية كذلك تقديم الأعمال في أوقاتها المحددة و التطابق بالمعايير العالمية ادخال التكنولوجيا للحاق بهذه التحديات و تحقيقها على أرض واقع المؤسسات.
 - ٤- كذلك مبدأ ٠% حوادث استدعى آليات تكنولوجية للحفاظ على المورد البشري و المادي للتشخيص و العلاج.
 - ٥- على كافة إدارة الجودة الشاملة كغيرها من أساليب التنمية الإدارية في تطور دائم و في الكافة الثانية العلم والثقافة في رهان دائم و عليه لابد العمل على التكيف التكنولوجي وفق المستجدات العصرية.
- خاتمة :

إن تطبيق إدارة الجودة الشاملة كفلسفة حديثة تأخذ شكل منهج أو نظام إداري شامل قائم على أساس إحداث تغييرات ايجابية جذرية لكل جوانب المؤسسة بحيث تشمل هذه التغييرات أخذ القرار بالتطبيق بدءا بتهيئة المناخ المناسب بتغيير الفكر و السلوك في حلة ثقافة تنظيمية تتوافق و متطلبات هذا المنهج ، و إعادة تصميم البناء التنظيمي و مجرات التطور التكنولوجي و خلق التكيف التقني ، قبل وضع هذا المنهج موضع التطبيق الفعلي، لكن ما لابد وضعه في الحسبان أن التغيير يحدث في مجال الأعمال و لا ينتظر أحد بالرغم من ميول المنظمات لمقاومة الظروف الجديدة و غير الاعتيادية ، و أن الاخفاق في الاستجابة له يمكن ربطه مباشرة بالإخفاق الذي منيت به معظم منظمات الأعمال، و لم تستطع أي منظمة أن تتجنب أثر التغيير و مقاومته ، و هنا تتمظهر معيقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة و يبرز دور إدارة التغيير بأنها ليست غاية في حد ذاتها و إنما ضرورة لتكيف مع محيطها و ذلك عن طريق اغتنام الفرص الملائمة و ترشيد استغلال نقاط القوة و ايجاد الحلول المناسبة بإدارة عقلانية للتغيير.

¹ محمد يوسف النمران العطييات، "إدارة التغيير و التحديات العصرية للمدير، رؤية معاصرة لمدير القرن الواحد و العشرين"، مرجع سابق، ص ٩٤ .

قائمة المراجع:

١. أبو النصر مدحت، أساليب إدارة الجودة الشاملة، دار الفجر، القاهرة، ط ٨، ٢٠٠٨.
٢. أوسرير منور و سعيد منصور فؤاد، التطوير التنظيمي وإدارة التغيير في المنظمات الحكومية (المتطلبات و المعوقات)، ورشة بحث في المؤتمر العلمي الدولي حول الأداء المتميز للمنظمات و الحكومات، كلية الحقوق و العلوم الاقتصادية، جامعة ورقلة، يومي ٨، ٩، ١٠ مارس ٢٠٠٨.
٣. البكري سونيا، إدارة الجودة الشاملة، الدار الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٠.
٤. بن جبتور عبد العزيز صالح، الإدارة الاستراتيجية، إدارة جديدة في عالم متغير، ط ٢، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عدل، ٢٠٠٧.
٥. بن عيشاوي أحمد، إدارة الجودة الشاملة (الأسس النظرية و التطبيقية و التنظيمية في المؤسسات السلعية و الخدمية)، دار حامد، عمان، ط ٣١، ٢٠١١.
٦. بوفاس الشريف، إدارة الجودة الشاملة و التغيير في المؤسسة الاقتصادية، دراسة ميدانية لعينة من المؤسسات الاقتصادية بالشرق الجزائري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التسيير، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ٢٠١٣.
٧. حديدان صبرينة، اتجاهات العمال نحو تطبيق إدارة الجودة الشاملة، دراسة ميدانية بالمطاحن الكبرى لعوينات، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تنمية و تسيير الموارد البشرية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ٢٠١٤.
٨. حريم حسين، إدارة المنظمات، ط ١، دار حامد للنشر و التوزيع، الأردن، ٢٠٠٣.
٩. خضير كاظم حمود و آخرون، السلوك التنظيمي مفاهيم معاصرة، إثراء للنشر و التوزيع، عمان، ط ٩١، ٢٠٠٩.
١٠. دقاسمة مأمون أحمد سليم، التغيير التنظيمي دراسة ميدانية لاتجاهات المديرين في الادارات الحكومية في محافظة اربد - الأردن - نحو دوافع و سمات و معوقات و متطلبات نجاح جهود التغيير التنظيمي، مجلة الإداري، العدد ٨٨، ماريل، ٢٠٠٧.
١١. الدوري زكرياء و آخرون، وظائف و عمليات منظمات الأعمال، دار اليازوري للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٠.
١٢. رعد عبد الله الطائي، عيسى قدادة، إدارة الجودة الشاملة، دار اليازوري، عمان، ٢٠٠٨.
١٣. سائعي عبد الحق، محمد خثيري، محاولة لدراسة إدارة الجودة في المؤسسات الإستشفائية الجزائرية، العدد ٣٣، ٢٠٠٧.
١٤. السكارنه بلال خلف، التطوير التنظيمي و الإداري، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٩.
١٥. الصيرفي محمد، إدارة التغيير، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠٠٨.
١٦. الصيرفي محمد، السلوك الإداري " العلاقات الإنسانية "، دار الوفاء لدنيا النشر و التوزيع، الاسكندرية، ط ١، ٢٠٠٧.
١٧. الطيطي خضير مصباح إسماعيل، إدارة التغيير (التحديات و الاستراتيجيات للمدراء المعاصرين)، دار حامد، عمان، ط ١١، ٢٠١١.
١٨. عبد الباقي صلاح الدين محمد، السلوك الفعال في المنظمات، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٢.

١٩. عبد الله علي ، التحولات و ثقافة المؤسسة ، الملتقى الدولي الأول حول الاقتصاد الجزائري في الألفية الثالثة ، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة الهليدة ، الجزائر ، يومي ٢٠، ٢١، ٢٢ ماي ٢٠٠٦ .
٢٠. عبوي زيد منير ، الإدارة و اتجاهاتها المعاصرة ، وظائف المدير ، منشورات دار دجلة ، الأردن، ٢٠٠٧ .
٢١. العدلوني محمد أكرم ، العمل المؤسسي ، دار ابن حزم ، لبنان، ٢٠٠٢ .
٢٢. عشوي مصطفى ، أسس علم النفس التنظيمي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ١٩٩٢ .
٢٣. عقيلي وصفي عمر ، الإدارة المعاصرة (التخطيط ، التنظيم ، الرقابة) ، دار زهران للنشر و التوزيع، ٢٠٠٧ .
٢٤. غسان قاسم داود ، تحديد الميزة التكنولوجية في المنظمات الصناعية (نموذج عملي لقياس الابداع التقني) ورقة مقدمة في المؤتمر العلمي الرابع حول الريادة و الابداع ، استراتيجيات الأعمال في مواجهة تحديات العولمة ، جامعة فيلادلفيا ، الأردن ، يومي ١٦، ١٥ مارس ٢٠١١ .
٢٥. فنطازي العمري. تقييم تطبيق نظام إدارة الجودة الشاملة بمواصفات الإيزو بالمنظمة الجزائرية من خلال اتجاهات الطبقة الاشرافية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس العمل و التنظيم ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر، ٢٠١١ .
٢٦. قابل محمد صفوت ، الدول النامية و العولمة ، الدار الجامعية ، الاسكندرية، ٢٠٠٣ .
٢٧. اللوزي موسى ، التنمية الإدارية ، دار وائل للنشر ، عمان ، الأردن، ٢٠٠٠ .
٢٨. ماهر أحمد ، الإدارة ، المبادئ و المهارات ، ط٣ ، الدار الجامعية ، الاسكندرية، ٢٠٠٠ .
٢٩. ماهر أحمد ، تطوير المنظمات ، الدار الجامعية ، الاسكندرية، ٢٠٠٠ .
٣٠. محمد مختار حسن محمد أحمد ، إدارة التغيير التنظيمي (المصادر و الاستراتيجيات) ، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات ، ، القاهرة ، ط٣، ٢٠١٤ .
٣١. محمود سليمان عبد الفتاح ، الدليل العلمي لتطبيق إدارة الجودة الشاملة ، إيتراك للصناعة و النشر ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠١ .
٣٢. مساعدة ماجد عبد الحق ، إدارة المنظمات " منظور كلي " ، دار المسيرة ، عمان، ط١، ٢٠١٣ .
٣٣. مصطفى أحمد السيد ، إدارة السلوك التنظيمي (رؤية معاصرة لسلوك الناس في العمل) ، دار الكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٥ .
٣٤. النمران العطيات محمد يوسف ، إدارة التغيير و التحديات العصرية للمدير ، رؤية معاصرة لمدير القرن الواحد والعشرين ، دار الحامد للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن، ٢٠٠٦ .
35. Jan Brillman , **les meilleures pratiques du management** , edition organisation , ٤eme édition . ٢٠٠٣
36. Jan Brillman , **les meilleures pratiques du management** , edition organisation , 3eme édition . ٢٠٠١
37. Med nuiga , **la conduite du changement par la qualité dans un contexte socioculturel essai de modélisation systémique et application** , thèse de doctorat en génie industrielle ,paris , 2003 , p 19 .

المنهجية: إشكالية المصطلحات و المفاهيم

أ.د. تمار يوسف/جامعة الجزائر ٣

ملخص:

بينما تتوجه البحوث الاجتماعية و الانسانية في الجامعات المتقدمة بخطوات كبيرة و دقيقة، و تنتهج أدوات منهجية دقيقة ومستحدثة، تستقر البحوث جامعاتنا عند مستوى البحث عن معلم *repère* منهجي يكون قادراً على تفسير الظواهر الاجتماعية و الانسانية عندنا، فالأمر يتعلق بعلم المنهجية و ما يدور في فلكها من تقنيات و أدوات و أنواع .. فالإشكالية في عصرنا هذا، ليست في المعلومات في ضخامتها ما لم تشهده البشرية طوال تاريخها، لكن الإشكالية في تصنيف و ترتيب و تحليل و ربط تلك المعلومات فيما بينها منهجياً لتكون وسيلة لتفسير الظواهر الاجتماعية و الإنسانية بصفة عامة. حان الوقت لجمع مجهودات العاملين في المجال العلمي و على وجه التحديد العلوم الاجتماعية و الانسانية عندنا، للتعاون في الاجتهاد و إيجاد أحسن الطرق المنهجية لمقاربة ظواهرنا الاجتماعية و الانسانية، خاصة إذا علمنا أن ما نستورده من تلك التقنيات العلمية و المناهج .. لم تستطع تفسير بعض ظواهرنا الاجتماعية لسبب اختلاف المجالات المنتجة فيها. هذا المقال لا يتعدى محاولة تحديد الانطلاقة في ما سبق ذكره، فهو يفتح الباب للتفكير العميق في البعد العلمي لبحوثنا العلمية.

الكلمات المفتاحية: المناهج، المقاربات، أنواع الدراسات، تقنيات البحث.

مقدمة:

من بين الصعوبات التي يواجهها باحثونا عند تطبيق المنهجية في أعمالهم العلمية، هي تضارب المفاهيم الخاصة ببعض المصطلحات المنهجية المستعملة من طرف بعض المختصين في هذا الميدان، أو تلك التي تحتويها بعض الكتب المنهجية المتوفرة لديهم، فإذا كان الاختلاف شيء "عادي" في بعض المجالات المعرفية مثل العلوم الإنسانية و الاجتماعية بحكم الطابع التفاعلي بين المفاهيم و تطور الظواهر، فإنه يكون غير مقبول إذا وصل هذا الاختلاف، حد التناقض. من الصعب تحديد معاني المفاهيم الخاصة بميدان منهجية البحث العلمي، و ذلك لاختلاف المدارس الفكرية و الخلفيات التي تنطلق منها لتفسير و مقاربة الظواهر و حركيتها، لكن هذا إشكال من نوع آخر لا ينبغي على الباحث المبتدأ أن يقف عنده أكثر من اللزوم عند إنجازه لبحوثه، لأنه قد يصرفه عن ما هو أهم أي التركيز على تحديد و تحليل إشكالية بحثه، فلا نطلب من الفرد الذي يريد تعلم السياقة أن يكون على دراية مفصلة لميكانيكية السيارة، إذ هذا الأمر يعني المختصين في الميدان.

الباحث المبتدأ بحاجة إلى منهجية عملية تساعد في فهم، ثم التدريب على الأدوات المنهجية الأساسية التي تنير له الطريقة في الكيفية التي تُعالج بها البحوث العلمية، فمن غير المعقول مثلاً أن نوجه باحثاً مبتدئاً في تحضيره لمذكرة الماستر أو الماجستير، في أن ينشغل بالفرق بين المشكلة و الإشكالية؟، أو أن عليه أن يحدد الفرق بين المقاربة و نوع الدراسة؟ ولا نطلب منه أيضاً، أن يطرح الإشكالية على شكل سؤال جوهري، وغيرها من الأمور التي هو في غنى عنها على الأقل، في ذلك المستوى، كما لا ينبغي توجيهه إلى تبني فكرة أو أسلوب أو طريقة أو نظرة منهجية هو غير مقتنع بها منطقياً، فهذا قد يؤثر أولاً في

تناوله لإشكاليته و الطريقة التي يتم بها التحليل، ثم على مدى ارتبطه بالموضوع الذي هو في صدد دراسته، فلا بد أن يكون بينه وبين موضوعه علاقة تبني و تشخيص، و إلا فإن الاغتراب يصبح هو المسيطر على تلك العلاقة و منه إفراش البحث و ابتعاده عن الموضوعية.

المنهجية تعلم و تدريب:

قد يقول قائلًا بعد ما سبق عرضه، و كيف للباحث المبتدأ أن يتعلم و يتدرب على المنهجية؟ تلقي المعارف المنهجية شيء و القيام ببحث علمي شيء، و لو أن الثاني يرتبط أشد الارتباط بالأول و يحدده، معنى ذلك أنه من المفروض أن يتلقى الطالب المعارف الخاصة بالمنهجية في إطار مساره التكويني قبل أن يخوض غمار البحث، في هذه المرحلة بالذات، يتم النقاش حول الأسس المعرفية لعلم المنهجية و مختلف التدابير التي تتحكم في البحوث العلمية من إشكالية و فروض و مناهج و تحليل كمي و كيفي .. كما ينبغي في هذه المرحلة القيام بمختلف التمرينات العملية في تطبيق المنهجية على أمثلة في التخصص، فلاعب كرة القدم لا يمكنه لعب مباراة رسمية بشكل مقبول دون أي عملية تدريبية تسبقها، و على ذلك فإن المقررات البيداغوجية التي تحتوي على المواد المنهجية، تُعد من بين أهم المواد التي يجب الاهتمام بها، كما ينبغي أن تسخر لها الخبرة الكافية من أساتذة و خبراء من ذوي التجارب العلمية الطويلة في الميدان، و أن تُنظم الحصص الخاصة بالمنهجية و تُدار بطريقة غير تلك التي تدار بها المواد الأخرى *، فقد عهدنا في جامعتنا - بكل أسف - سقوط بعض الأساتذة في التمتع لهذه المادة عن طريق إجبار الطالب (وحتى على مستوى عالي من التكوين) على تقديم بحث في بعض الخطوات المنهجية كالإشكالية و الفروض و تعريف المصطلحات...، أو بحث حول منهج من المناهج أو تقنية من التقنيات و بعد مرور عملية الإلقاء التي تدوم ما بين ٣٥ و ٤٠ دقيقة، يفتح الأستاذ النقاش للطلبة لمدة ٢٠ دقيقة دون أن يبقى له الوقت (الأستاذ) لشرح مختلف معطيات البحث و التقنيات المنهجية و الأخطاء التي وقع فيها الطالب، هذه الطريقة لا تفيد في شيء إلا في زيادة تيهان الطالب في عالم المنهجية و البحوث العلمية، بل و قد يزيد نفوراً من كل عملية التفكير في القيام ببحث علمي إن لم يكن مجبراً على ذلك.

أفكار للمناقشة:

لا ينبغي اعتبار ما تقدم، أحكاماً على ما يقوم به بعض الزملاء من الأساتذة و المختصين في المنهجية لطلابهم من مجهودات في تلقيهم أسس التفكير العلمي و التنظيم المنهجي السليمين، فيوجد في جامعاتنا، من هم في مستوى عالي في مجال المنهجية و ما يدور في فلكها من معارف، لكن الأمر يتعلق بالتنظيم البيداغوجي لهذه المواد، ففي الكثير من الأحيان تُبرمج مادة المنهجية في أوقات يكون مردودها لدى الطلبة ضعيف، و عند الحاجة إليها لا تُبرمج، ثم لماذا نترك المواد المنهجية حبيسة المقررات البيداغوجية؟ ألسنا في مجال التفكير العلمي و طرح الآراء و مناقشتها؟ أليس من مهامنا نحن الأساتذة عقد جلسات علمية في مختلف معارفنا المتخصصة و مناقشة إشكالياتها؟ أليس من واجبنا التوجه إلى ما يساعد طلابنا و باحثينا في فهم الأسس العلمية السليمة للقيام ببحوث علمية مفيدة؟ لقد صدق هنري تيلمان عندما قال " لو لم تكن جزءاً من الحل فأنت جزء من المشكلة ".

السؤال الذي أريد أن أطرحه في هذه المحاولة، هو هل ينبغي تلقين طلابنا كيف يفكرون أو فيما ينبغي أن يفكرون فيه؟ هل ينبغي تقديم المعارف و المعلومات الخام لطلابنا في الوقت الذي أصبحت فيه ميادين أخرى أكثر فعالية منا في هذا الميدان

* طبعا هذه الملاحظة خاصة بكل مادة و طبيعتها، و باعتبار أن البحث العلمي هو أساس كل تكوين جامعي، فإننا نعتقد أن مادة المنهجية تحتاج إلى بعض الشروط التنظيمية الخاصة أكثر من غيرها.

والقصود هنا شبكة الأنترنت؟ أم تعليمهم الطريقة السليمة في التفكير العلمي و النظر إلى الظواهر و مقاربتها؟ طبعاً أضمن أن الجواب واضح لا يحتاج إلى تحليل واسع، بل يحتاج التذكير به.

قال داود بن درويش حلس " .. مجرد تكديس المعلومات ليس بحثاً، و الوصف دون تحليل ليس بحثاً.. " لقد أنتج عصر التكنولوجيا وسائل جد فعالة في جمع المعلومات من الإنترنت إلى الحواسيب ذات الذاكرة الضخمة، لكن ما لا يستطيع الحاسوب القيام به، هو التحليل و الابتكار فيه مثلما يقوم به العقل الإنساني عن طريق التفكير، و على هذا فإن التحليل و ربط الأسباب و مسببات حدوث الظواهر ليست قارة- على الأقل في الظواهر الإنسانية و الاجتماعية - لا في الزمان و لا في المكان و لا حتى في أسباب حدوثها.

أما المقصود بالتفكير العلمي هنا، فهو طريقة إدراك و ترتيب و ربط العقل البشري لمختلف الأفكار التي نعترضه بالحواس أو بالتفكير الاستنتاجي المنطقي، و ألا يتقبل فكرة أن الظواهر تحدث بشكل تلقائي أو طبيعي كما كان يعتقد في ما سبق، بل لكل ظاهرة سبب - أو أسباب - وقوعها، و للوصول إلى ذلك فإن العقل البشري يحتاج إلى التدريب على بعض المعارف العلمية في إطار من التخصص، كما ينبغي على الباحث تطوير قدرته على التحليل النقدي لطبيعة ما يتلقاه.²

و السؤال المشروع هنا: كيف يمكن أن نتبنى تلك الواجبات حتى نصل إلى إنتاج باحثين جديرين بالتكفل بقضايا المجتمع والحضارة؟ لا أريد أن أقوم بعملية مسح شامل لكل الواجبات التي ينبغي مراعاتها لذلك، فقط سوف أحاول - من وجهة نظر أستاذ - أن أنحاز إلى الاجراءات العلمية - كبداية - على الأقل يمكن القيام بها على مستوى الوحدة التعليمية أي مادة المنهجية، و كيف يمكن أولاً و قبل كل شيء تعليم طلابنا مختلف المفاهيم التي تساعد في مقارنة الإشكاليات التي تطرحها الظواهر المختلفة؟.

مفاهيم مختلفة لوظائف علمية مختلفة:

مفاهيم كثيرة و مصطلحات متعددة و تعاريف متنوعة، تلك المُستعملة في إطار البحث العلمي و على وجه التحديد القضايا المنهجية التي تتعلق به، هذا التنوع " .. يجعل من الصعب إيجاد رؤية عامة على المجالات و المنهج التي تغطيها هذه الميادين " كما أصبحت هذه الكثرة و التعدد أيضاً، هاجس لدى طلابنا و باحثينا، حيث أصبحوا لا يركزون في بحثهم إلا على ما تعلق بتفاصيل البناء المنهجي و ما يدور في فلكها من تنظيم، و هذا شيء مبرر إذ علمنا أن المناقشات العلمية للمذكرات والأطروحات، تركز على النقائص المنهجية أكثر من تركيزها على الطرق التي استعملها الباحث للوصول إلى النتائج، و هنا لا نقصد بأي حال من الأحوال، أن التنظيم المنهجي شيء ثانوي مقارنة بالموضوع أو العكس، فالغاية من هذه المحاولة هو التأكيد على المبادئ المنهجية في البحوث العلمية، أي:

-المنهجية هي الإطار الوحيد الفاصل بين البحث العلمي و الأنواع الأخرى من الكتابات.

-التنظيم المنهجي في إطاره الكامل، هو الذي يجعل نتائج أي بحث أقرب إلى المنطق من التخمينات و التحاليل الأخرى.

-الإخراج المنهجي لأي بحث علمي، هو المرآة العاكسة لمستوى و قدرة الباحث على التعامل مع الإشكاليات و القضايا العلمية.

-البحث العلمي ليس عمل عشوائي يطرح فيه الباحث أفكاره كما شاء، بل عمل منظم مبني على أسس منطقية يخاطب على إثرها العقل بما يفهم.

¹ داود بن درويش حلس، دليل الباحث في تنظيم و توضيح البحث العلمي في العلوم السلوكية. www.softwarelabs.com

² Pierre saugaut, **Introduction à la pensée scientifique moderne**, Paris : Université pierre et marie curie, 2008, P 05.

¹ Op cit, P24.

لكن قبل كل ذلك، على ما نتحدث عندما نستعمل مصطلح المنهجية؟ يحتوي هذا المصطلح على الكثير من المعاني تجعله لا يعنى شيئاً واضحاً لدى الكثير من باحثينا، وذلك لتداخل معانيه فيما بينها، حتى أصبحت المناهج و تقنيات البحث العلمي و أدوات التحليل و المقاربات و أنواع الدراسة و المنهجية تعني شيء واحد، بينما من المفروض أنها تعني أشياء متداخلة لكنها مختلفة، لأن وظيفة كل منها في البحث العلمي، ترتبط بمهمة دقيقة و معينة من أول الإجراءات القبلو- مبحثية أي عملية التفكير في الموضوع إلى آخر البحث بعد عرض النتائج.

لقد وجدنا أن المشكل لا يُطرح إلا في الكتب العربية أو المعربة، (خاصة بين المشاركة و المغاربة) و لما كان الشرق أكثر غزارة في إنتاج الكتب المنهجية الخاصة بميادين العلوم الإنسانية و الاجتماعية لأسباب لا نريد الخوض فيها هنا، فإن الاعتماد عليها يطرح أكثر من إشكال لدينا، حيث اعتمادنا على المدارس الغربية في المنهجية يبدو واضحاً في الكثير من كتاباتنا، و قد نشأ إشكال في ضبط مفهوم كل من المصطلحات الأساسية لعلم المنهجية و التي أشرنا إلى بعضها فيما سبق.

فما العمل؟ هل نحاول الاجتهاد قدر الإمكان في ضبط بعض المصطلحات الخاصة بالمنهجية و التي تساعدنا في فهم ما نحن بصدد القيام به عند قيامنا بالبحث العلمي، مع مجازفة الوقوع في الخطأ، أو نترك الأمور على حالها مع العلم أنها ستزيد من تدهور الطابع العلمي لبحوثنا و تجعلها بعيدة عن الواقع المدروس فتصاب بالتميع و التفاهة؟.

طبعاً ما سيُعرض قابل للنقاش و هذا هو الهدف، بشرط أن تكون هناك بدائل علمية قابلة لضبط الأمور العملية لطلابنا و باحثينا، و لا نقصد هنا المناقشات الإستمولوجية التي لها مجال آخر للمناقشة.

- أدوات البحث Outils de recherche :

يقول فولتر "إذا أردت أن تتحدث معي فحدّد مصطلحاتك" من هذا المبدأ، و جب علينا تحديد ما نحن بصدد الحديث عنه عندما نتكلم عن " أدوات البحث "، ولماذا أصبح معناها يشكل هاجس بالنسبة لفهم مبادئ التنظيم المنهجي عندنا؟.

يقصد بالأدوات في أبسط معانيها "مصنوعات بسيطة ينجزها الإنسان بيده و يتحكم فيها، و يسخرها لتحقيق وظائف محددة"، و هي ليست بعيدة عن هذا التعريف في ميدان البحث العلمي، إذ قد يمكن اعتبارها مجموعة وسائل فكرية تخمينية أنتجها الإنسان لاستعمالها في البحث العلمي قصد الوصول إلى حقائق علمية موضوعية دقيقة. و على هذا الأساس فمن بين أهم خصائصها:

- هي نتاج تطورات فكرية و تجريبية نابعة من مجالات معرفية مختلفة.

- مستقلة عن الإطار الفكري الذي تُستعمل فيه.

- موضوعية لخضوعها لبعض المقاييس الإمبريقية و التحليلية.

و إذ حاولنا تصور أدوات البحث، يمكن تشبيهها عند الميكانيكي الذي يشخص عطب السيارة ثم يحدد الأدوات المناسبة لإصلاح ذلك العطب، و عليه فإن لكل عطب وسائله الخاصة، و قد يحتاج الميكانيكي إلى تداخل عدة وسائل في إصلاح بعض الاعطاب، نفس الشيء بالنسبة للباحث الذي يريد إيجاد تفسير لإشكالية ما، فهو يبحث عن أصلح الأدوات العلمية التي تناسب طبيعة تلك الإشكالية.

ماذا نفهم مما سبق، أولاً أن الأدوات مستقلة عن العطب في حد ذاته، أي أن العلاقة بين الأدوات و العطب، علاقة اعتباطية، بمعنى تتحدد الأدوات وفق طبيعة العطب، فإذا كانت لدينا إشكالية تبحث في تنامي ظاهرة العنف و علاقته ببرامج الرسوم المتحركة، فإن الأدوات التي يمكن أن تناسب هذه الإشكالية هي إما استطلاع الرأي (الأداة أ) أو تحليل مضمون

(الأداة ب)، و يمكن في بعض الأحيان الاعتماد على الوسيّتين معاً، ثانياً أن الإشكالية (العطب في مثالنا السابق) هي التي تحدد الأداة و ليس من المنطقي أن يكون العكس، ثالثاً أكثر الأدوات استعمالاً في تحليل الإشكاليات الخاصة بالظواهر الاجتماعية بصفة عامة، تدور حول استطلاع الرأي، تحليل المضمون، الملاحظة، المقابلة، التحليل الإحصائي، التحليل السيميولوجي، و بعض برامج الإعلام الآلي التي أصبح يُعتمد عليها في بعض الإشكاليات. و على هذا، نحن نرى أنه من الأفضل تنظيم بحوثنا وفق المفهوم السابق للأدوات التحليل، و أن نعرضها على ذلك الأساس، في الإطار المنهجي بشكل مستقل و بعناية كبيرة في محاول تفسير اختيارها بالنسبة للإشكالية المراد تحليلها، و كذلك البرهنة على أن تلك الأدوات أصلح من غيرها في تحليل تلك الإشكالية.

- مناهج البحث: Méthodes de recherche:

لا يمكن الحديث عن المناهج في بضعة أسطر من هذه المحاولة، و ذلك لطبيعة الأبعاد التاريخية و الفلسفية و الفكرية التي أنتجتها، و لكن على الأقل سوف نحاول طرح ما يميزها عن باقي المفاهيم المنهجية الأخرى لنقول أنها عملية فكرية منظمة تعتمد على طائفة من القواعد والقوانين التي تحكم سير البحث، وتدفع الباحث إلى التقيد والاسترشاد بها و ذلك قصد الوصول إلى نتائج دقيقة و مقبولة منطقياً.

جاء في قاموس التعريفات Les définitions أن المنهج في البحث العلمي، هو مجموعة من الإجراءات الضرورية للحصول على المعارف (علمية)، عن طريق وسائل تحمي الباحث من الذاتية¹ كما تُعرف مادلين قرافيتس Grawitz madeleine المنهج قائلة أنه مجموعة من العمليات الفكرية التي تسمح لأي مجال بحث من الوصول إلى الحقيقة و البرهنة عليها²، و حتى إن تمارينا في طرح التعاريف لمصطلح المنهج، فهي لا تخرج عن كونها المنطق الذي يحكم البحث و يوجهه إلى المبتغي عبر سلسلة من الطرق و الأدوات و التقنيات التي ينبغي على العقل أن يتبعها ليصل إلى الحقيقة، ثم بعد ذلك يضاف إليه ما تم تغذيته من الواقع والقوانين والمعطيات الخارجية (معلومات).

إذن من خلال ما سبق، يتضح لنا أن مصطلح المنهج لا يعني الأدوات المنهجية و لا يعني تقنيات البحث العلمي، فلكل مصطلح دلالاته الخاصة، و قد نجد هذا الحرص في التفرقة بين المنهج و الأدوات أو بين المنهج و التقنيات عند العديد من المختصين في المنهجية، فعلى سبيل المثال يرى قونال GOUNELLE أن التقنيات هي أدوات وضعت تحت تصرف الدراسة و منظمة من طرف المنهج المعتمد بهدف الوصول إلى حل أو موضوع بحث، فهي محدودة العدد في سعيها لجمع المعلومات¹، بل هناك من يقر بهذا التداخل غير العلمي بين المفهومين، إذ يرى ابراهيمة لو Ibrahima Lo أن البحث في العلوم الاجتماعية، يعتمد على إجراءات محددة يطلق عليها اسم "التقنيات"، اختيار تقنية منها يحدده الهدف من الدراسة، الذي يرتبط بدوره بالمنهج، هذا الترابط يجعل في الكثير من الأحيان، تداخل المفهومين الذي ينبغي رفعه².

من جهة أخرى لو تمعنا جيداً في الطابع العملي لكل من المناهج و الأدوات، نجد أن العلاقة بينهما اعتبارية أي ليست علاقة إلزامية بالضرورة، إذ قد يستعين المنهج التاريخي مثلاً بأداة تحليل المضمون كما قد يستعين بأداة الاستطلاع و ذلك حسب موضوع الدراسة و أهدافه.

¹ Le dico des définitions, <http://lesdefinitions.fr/methode-scientifique>.

² Grawitz, madelaine, **Méthodes de recherche en sciences sociales**, Paris : Dalloz, 2001, P35.

¹ Gounelle, M, **La vie internationale**, Dalloz, Paris, 1995, P. 89

² Ibrahima Lo, **Méthodologie de la recherche en sciences sociales**.
http://foad.refer.org/IMG/pdf/METDOLOGIE_DE_LA_RECHERCHE.pdf

أما عن أكثر المناهج استعمالاً في بحوث الاجتماعية بصفة عامة، فهي: المنهج التاريخي، المنهج المقارن، المنهج المسحي، دراسة الحالة، منهج تحليل العاملي، تحليل النظم.

-تقنيات البحث Les techniques de recherche:

يتداخل هذا المصطلح مع مصطلح الأدوات ليشكل شيء واحد، ففي بعض الكتب نجدها تحت اسم الأدوات *outils* و في بعضها الآخر تقنيات *Techniques* و هي تؤدي نفس المعنى، أي مجمل الوسائل التي يستعين بها الباحث في تحليله للوصول إلى أجوبة موضوعية عن بعض تساؤلاته و منه إشكالية البحث، فعلى سبيل المثال قد يستعين الباحث بأداة تحليل المضمون - التي تُعد تقنية من تقنيات البحث - في إطار المنهج المسحي، و قد يستعين باحث آخر بأداة استطلاع الرأي في دراسة مقارنة تعتمد على المنهج المقارن وهكذا و ليك حسب طبيعة كل موضوع و إشكاليته.

فتقنيات البحث هي وسائل - في أغلب الأحيان ذات طابع إمبريقي - تمثل مراحل إجرائية محدودة ترتبط بعناصر عملية مكيفة لتحقيق هدف محدد، بينما المنهج هو تصور يربط بين مجموعة من العمليات التقنية³.

و إذ أردنا تعداد أكثر التقنيات استعمالاً في البحوث الاجتماعية، فإننا نجعلها في: الملاحظة، المقابلة، الاستبيان، تحليل المضمون، كما يمكن أن نجد هناك تقنيات أخرى كالدراسات الإحصائية أو الاستعانة ببعض برامج الإعلام الآلي على شاكلة EXCEL أو SPSS Le sphinx و هي تقنيات نابعة من مجالات معرفية كثيرة مختلفة و متنوعة الفلسفة، التاريخ، علم السياسة، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، علم الاقتصاد، علم الإحصاء، الرياضيات...

-المقاربة L'approche:

يقول عمر أكتوف " لا توجد هناك طريقة وحيدة و واحدة لمقاربة الواقع أو فهمه، حتى بالنسبة للعمل العلمي " ¹، و على ذلك فإن المقاربات كثيرة و متنوعة حسب المجالات المعرفية التي أنتجتها أو تستعملها.

مصطلح آخر في علم المنهجية و تنظيم البحوث العلمية، الذي له دلالة أخرى لا تخرج عن إطار ما يحتاجه الباحث في إنجاز بحثه، و هو أيضاً يختلف عن مصطلح المنهج و الأدوات و التقنيات.. ألا و هو المقاربة.

ظهرت فكرة "المقاربة" كنتيجة للتطور الهائل الذي شهده البحث العلمي في تقنياته و مناهجه و أدواته، التطور الذي ساد لفترة طويلة من تاريخ العلوم و التفكير فيه، فانقسمت تلك الجهود إلى روافد كثيرة و متعددة منها المدرسة الوظيفية و المدرسة الإمبريقية و المدرسة النقدية و المدرسة البنيوية.. و التي كانت من بين أطروحاتها إيجاد أدوات أكثر مصداقية من التأويلات الفلسفية الاستنتاجية التي كانت تُفسر على إثرها الظواهر المختلفة.

المقاربة هي الطريقة التي يختارها الباحث للتقرب من موضوعه، بمعنى آخر هي تصور أحسن الاستراتيجيات (المنهجية) التي من شأنها أن تعطي للبحث نتائج ذات مصداقية عالية لإشكاليته، فالمقاربات هي مزيج مما أنتجته نظريات علم الاجتماع و علم النفس الاجتماعي و الاقتصاد ..، و فيما بعد تم تصديرها إلى علم الاجتماع الإعلامي و نظريات الاتصال و دراسات الجمهور ..، و التي في مجملها تعتمد على محاولة تحديد طبيعة تفاعل مكونات المجتمع و تحديده، لكن مشكلة هذه الكثرة هو في تحديد تصنيف دقيق لمختلف المقاربات، فلقد وجدنا تصنيفات كثيرة حتى تكاد بعضها تتداخل مع البعض الآخر،

³ Op cit.

¹ Omar aktouf, *Méthodologie des sciences sociales et approche qualitative des organisations*, Montréal : Les Presses de l'Université du Québec, 1987, P18.

وعليه فإن ما نطرحه في هذه المحاولة من أنواع المقاربات، ما هي إلا اجتهاد نابع من عملية مسحية كبيرة لمختلف البحوث التي أنجزت عندنا والتي - مع الأسف - إدراج مقارنة واضحة فيها، لم يكن من اهتمامات باحثينا مع أنها مؤشر هام جداً على مصداقية نتائج البحث ومنه البحث برمته، وقد لاحظنا أن أكثر المقاربات ملائمة في دراسة الظواهر الإعلامية الاتصالية، تدور حول:

أ - المقاربة التاريخية: وهي المقاربة التي تأخذها الإشكاليات التي تحتاج العودة إلى الماضي و البحث فيما يمكن أن يساهم في فهم و تحليل إشكاليات الحاضر، ففي دراستنا لتطور فنون الكتابة الصحفية على سبيل المثال، نستعين في تصورنا للإجراءات المنهجية لهذا الموضوع، بالمقاربة التاريخية التي تخلق لدينا تركيز على الأبعاد التاريخية كمرجعية طبيعية لدراسة إشكالية ذلك الموضوع، و عن أهمية هذه العودة يقول محمد بابكر العوض " لا شك ان السياق التاريخي الذي تدرس من خلاله نظريات الاتصال غالباً ضروري لاستيعاب المعرفة في سياقها التطوري " ¹. المقاربة التاريخية هي صيغة تخمينية وإجرائية ذات طابع تاريخي، يحددها الباحث كإطار منهجي يتبعه في مختلف محطات تحليله، ففي مثالنا السابقة نقول دراسة تاريخية لأهم المحطات التاريخية لفن الكتابة الصحفية، فهي بهذا المفهوم ليس المنهج التاريخي و لا تقنيات تاريخية، بل هي كل ذلك على شاكلة صبغة تلازم البحث في طبيعته التاريخية.

ب - المقاربة المقارنة: تعتمد هذه المقاربة على المقارنة كتصور عام لإجراءات الدراسة و التحليل، و هذا المصطلح يعني النظر في أهم ما يقارب أو يباعد بين ظاهرتين أو أكثر، أو بين عنصرين أو أكثر في ظاهرة من الظواهر، و لعل أرسطو لم يكن خاطئ عندما قال لا تحليل بدون مقارنة، فهي تلازمنا في تفكيرنا و في نظرنا إلى الأشياء لتحديد موقعها و مفهومها و مكانتها.

ففي دراسة حول طريقة تناول الصحافة المكتوبة المفرنسة و المعربة لأهم أحداث الوطن العربي، هذا الموضوع يوحي بالمقارنة، و على هذا الأساس تصبح المقاربة المقارنة هي الصبغة التي سوف يتحلّى بها التحليل.

ج - المقاربة البنيوية: حتى و لو كانت هذه المقاربة حديثة نوعاً ما على الأقل في بحوث الإعلام و الاتصال، فإنها أثبتت أهميتها في العديد من إشكاليات هذا العلم، و هي تعني تصور البنى التي تتحكم في ظاهرة من الظواهر محل التحليل، ومحاولة إيجاد تفسير منطقي في تفاعل تلك البنى في إنتاج العلاقات التي تتحكم في طبيعة التفاعل بينها

و لقد أثبتت التطورات الحاصلة في ميدان بحوث الإعلام و الاتصال، أن دراسة المحتوى - و على وجه الخصوص اللغة - من بين أهم الدراسات التي تحدد طبيعة العناصر الاتصالية الأخرى، و على هذا تُعد المقاربة البنيوية من بين الإجراءات المنهجية التي لا بد من الاعتماد عليها في تفسير بعض الإشكاليات الخاصة بهذا العلم، و عليه فنحن بحاجة إلى المقاربة البنيوية كإطار تصوري لأهم الاتجاهات التي سوف يأخذها التحليل.

د - المقاربة الإمبريقية: لا يمكن الاستغناء عن المقاربة الإمبريقية في بحوث الاجتماعية بصفة عامة و بحوث الإعلام والاتصال بصفة خاصة إلا ما نذر، لسبب بسيط هو أن أغلب العناصر العملية الاتصال، (المضمون، الجمهور، التأثير) تحتاج إلى قاعدة موضوعية (من شاكلة تكميم الظواهر و اعتماد على قوانين الرياضيات و علم الإحصاء و ما أنتجته العلوم الدقيقة في هذا المجال) بل و حتى العناصر الأخرى مثل المستقبل و الوسيلة التي قد تحتاج إلى المقاربة الإمبريقية في البعض من إشكالياتها.

¹ محمد بابكر العوض، مراجعات منهجية على مبحث النظرية الاتصالية.

بمعنى بسيط، المقاربة الإمبريقية، هي تلك الدراسات التي تعتمد على الأبعاد التكميلية و الإحصائية و الرياضية في محاولة فهم الظواهر و كيفية حدوثها، فغالباً ما يُقال لها الدراسات الميدانية، لأنها تعتمد على وسائل يحتك من خلالها الباحث بمتغيرات واقعية قابلة للدراسة و التكميم و القياس، و هذا ما قد يجعل البحث يتجه إلى التحليل الكمي و منه إلى تفسير تلك الأبعاد كيقياً.

هـ - المقاربة الوظيفية: القاعدة الأساسية للوظيفية، هي " لكل عنصر في أي ثقافة وظيفة، و لكل وظيفة عنصر "، فالمقاربة الوظيفية تعني النظرة إلى الموضوع على أنه مجموعة من العناصر لها وظائف محددة في إطار نسق معين، و عليه فعلى الباحث البحث فيما يمكن أن يشكل الخلل الوظيفي داخل النسق، و البحث أيضاً فيما يمكن أن يعيد لذلك النسق وظيفته التوازنية.

فلوسائل الإعلام ووظائف تقابلها عناصر، فعلى الباحث الذي يستعين بالمقاربة الوظيفية، أن ينظر إلى تلك الوسائل من حيث الوظيفية أو الوظائف التي تؤديها في نسق الظاهرة الاتصالية، فإن وجد خلل في عنصر من العناصر، ينبغي عليه البحث فيما يمكن أن يعيد لذلك العنصر وظيفته الأصلية.

و - المقاربة النقدية: تعتمد هذه المقاربة على ما أنتجته المدرسة النقدية من رؤى و مقاربات المجتمع، فهي تهتم بعلاقة الإنتاج بالمشكلات الاجتماعية، و قد تبنت دراسات الثقافة النقدية منظوراً شاملاً في دراسة الكبرى، حيث تهتم بالنظام الاجتماعي ككل و تركز على استخدام الصفوة للإعلام.

بمعنى آخر، تعني المقاربة النقدية بالبحث في السياقات المختلفة (الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية...) التي يحدث في إطارها الفعل الاتصالي (التعرض لمضامين وسائل الإعلام على سبيل المثال)، فإذا كنا بصدد دراسة كيفية تعرض الأطفال لمضامين التلفزيون، و أردنا البحث فيها من منظور النقدي، فهذا يعني البحث في مختلف الأوساط (الاجتماعي، العائلي، المدرسي)، الذي يتعرض في إطارها الطفل إلى تلك المضامين.

نحن ندري أن ما سبق عرضه يحتاج إلى تعمق أكثر و مناقشة جادة و في الحقيقة هذا هو المقصود، و لكن الأصل في طرح المقاربات، هو أن باحثينا لا يعينون أهمية كافية لهذا العنصر المنهجي الهام، فهم أهملوا تحديد المقاربات في تناولهم لمختلف الإشكاليات التي غالباً لا تتضح الصورة المنهجية العامة التي يرسمونها لتحليلهم.

-نوع أو أنواع الدراسة:

لا يزيد تحديد نوع الدراسة إلا مصداقية للتحليل و منه إلى النتائج، فهي إجراء منهجي جدير بالتناول و الاهتمام، فنوع الدراسة هو الطابع العام الذي سوف تأخذه الدراسة كمؤشر في تحديد اصلها و انتماءها، أي هي تعريف **Identité** أقل من المنهج و أكثر من التقنية و المقاربة، تُحدد في بداية البحث حتى ترسم للقارئ خريطة الطريق التي ينبغي اتباعها للوصول إلى ما وصل إليه الباحث من نتائج.

و هنا أيضاً نريد أن يكون ما سوف يُعرض في هذا الجزء من المحاولة، محل نقاش جدي و عميق، كما نريد ها هنا عرض أكثر أنواع الدراسات استعمالاً و انتشاراً في بحوث الإعلام و الاتصال، و هذا يعني أن هناك أنواع أخرى في مجالات معرفية أخرى يمكن الاستعانة بها في تحليل الظواهر الإعلامية الاتصالية، و ذلك حسب اجتهاد الباحث و عمق نظريته المنهجية.

أ - الدراسات التحليلية: يكون هذا النوع في الدراسات التي تتناول عناصر العملية الاتصالية الثلاث و هي المرسل، الرسالة، الوسيلة، حيث يواجه الباحث مجموعة كبيرة من مكونات و متغيرات الظاهرة عليه أن يصفها، و المقصود

هنا التعرف على العناصر المكونة لها والعلاقات السائدة داخلها، أي اختبار علاقات التأثير والتأثر بين تلك المتغيرات والمكونات، و لا يكفي الباحث في هذا النوع من الدراسات باستكشاف الظاهرة أو تصويرها، بل يذهب أيضاً إلى دراسة العوامل التي أوج دتها على الشكل الذي هي عليه. أما إذا حاولنا تبسيط الفهم لهذا النوع من الدراسات، نقول أنها ذلك النوع الذي يهتم بتحليل الرسائل و المضامين و الخطب .. و كل أنواع المحتويات الاتصالية.

فإذ كنا في صدد دراسة مضمون جريدة ما أو كتاب ما، أو دراسة مؤسسة إعلامية ما، أو الإذاعة أو التلفزيون أو الأنترنت، هنا نقول أن نوع الدراسة هو تحليلية، أي دراسة تحليلية لمضمون الجريدة الفلانية، أو دراسة تحليلية لمؤسسة ما.

ب- الدراسات الاستطلاعية: هذا النوع أكثر الأنواع اعتماداً من طرف باحثينا، و هي في عمومها ذلك النوع من الدراسات التي يعتمد فيه الباحث على أدوات تساعده على المسح الدقيق للمعطيات الظاهرة والتعبير عن النتائج بطرق خاصة، يستعين فيها الباحث بطرق القياس الكمي التي تتطلب تسجيل المعطيات وعدها في المرحلة الأولى ثم اعتماد الطرق الإحصائية في تبويبها وتحليلها لاستخراج المؤشرات التي تحتويها كمرحلة لاحقة.

ففي الدراسات التي تريد معرفة آراء أو اتجاهات أو سلوكيات الأفراد إزاء مضمون من المضامين الإعلامية، أو قضية مجتمعية أو غيرها... نقول أن هذه الدراسة من نوع الاستطلاعية، لأنها تحاول استخراج و تكميم الرؤى و مواقف الأفراد إزاء تلك المضامين.

ج- الدراسات التاريخية: كل ظاهرة تحتاج العودة إلى الماضي لدراسة أصلها أو سبب وجودها أو حتى مجرد وصفها، تُعد من الدراسات التاريخية، و على العكس ما يمكن اعتقاده فإن هذا النوع من الدراسات من الأهمية التي تجعل بعض الظواهر صعبة التفسير بدون العودة بها إلى الماضي، و لذلك فهي مهمة جداً في الإجابة عن بعض التساؤلات الحالية.

و من الأمثلة عن الدراسات التاريخية:

-تاريخ صحافة الرأي في الوطن العربي.

-في تاريخ تقنيات الإعلام والاتصال.

-تطور تقنيات الإخراج الصحفي عبر الزمن.

د- الدراسات السيميولوجية: حتى و إن كان علم السيميولوجيا حديث الظهور بالمقارنة بالمجالات المعرفية الأخرى، إلا أن مكانته فيها ترسخت إلى درجة أننا لا يمكن التغاضي عنه في دراسة بعض الإشكاليات الإعلامية الاتصالية. و هو يهتم بإشكاليات دقيقة و في مستويات مختلفة من عناصر العملية الاتصالية. السيميولوجيا هي علم الدلالات اللغوية و غير اللغوية، بمعنى آخر تفكيك الرموز النصية و البصرية لمحتوى معين، و على هذا الأساس فهي تقوم على التفكيك و التركيب للدوال اللغوية النصية أو البصرية لكشف المعنى أو المعاني واستخراج دلالتها و من ثمة، فالهدف من دراسة المحتوى سيميولوجياً وتطبيقياً، هو البحث عن المعنى والدلالة و استخلاص البنية المولدة للمحتوى منطقياً ودلالياً.

فعند دراسة الومضات الإشهارية على سبيل المثال، نقول أن نوع هذه الدراسة هو دراسة سيميولوجية، و في حقيقة الأمر نحن لا ندري لماذا لا يحظى هذا النوع من المعرفة بالاهتمام اللازم عندنا؟.

خلاصة:

لم يكن الهدف من هذه المحاولة، إلا فتح باب النقاش و على مصرعيه في قضايا الضبط المنهجي الذي ينتظره الكثير وبالإحاح، بعدما تفاقم الارتباك المنهجي عند طلابنا و باحثينا، نتيجة سوء ضبط المصطلحات و المفاهيم الخاصة بهذا الميدان الحساس، مما جعل الكثير منا، يقوم بعرض رؤيته الخاصة إلى طلابه دون أدنى جهد في مناقشتها، ليصبح للمصطلح الواحد العديد من المفاهيم بحسب عدد الأساتذة، إن هذا الوضع لا يزيد إلا تدهور للبحوث العلمية المنجزة عندنا و ينقصها الموضوعية و يبعدها عن إمكانية التطبيق.

قائمة المراجع:

- ١ - بابكر العوض، محمد، مراجعات منهجية على مبحث النظرية الاتصالية، http://omerhago.blogspot.com/2012/07/blog-post_30.html
- ٢ - بن درويش حّسّ، داود، دليل الباحث في تنظيم و توضيح البحث العلمي في العلوم السلوكية، www.softwarelabs.com
- 3 - Aktouf, omar. **Méthodologie des sciences sociales et approche qualitative des organisations**, Montréal : Les Presses de l'Université du Québec, 1987, P18.
- 4 - Grawitz, madelaine, **Méthodes de recherche en sciences sociales**, Paris : Dalloz, 2001, P35.
Gounelle, M, **La vie internationale**, Dalloz, Paris, 1995, P. 89
- 5 - Ibrahima Lo, **Méthodologie de la recherche en sciences sociales**.
http://foad.refer.org/IMG/pdf/METDOLOGIE_DE_LA_RECHERCHE.pdf
- 6 - Saugaut Pierre, **Introduction à la pensée scientifique moderne**, Paris : Université pierre et marie curie, 2008, P 05.
- 7 - **Le dico des définitions**, <http://lesdefinitions.fr/methode-scientifique>.

طرائق التواصل لدى المعاقين سمعيًا

د.عويقب فتيحة/جامعة معسكر، الجزائر

ملخص:

للشخص العادي لغة منطوقة يستطيع من خلالها التواصل مع الآخرين، واكتساب المعارف والتعلم. وللمعاق سمعيًا أيضًا طرائق أخرى للتواصل مع الغير، واكتساب المعارف تتمثل في: لغة الإشارة التي تعدّ أكثر استخدامًا، لغة الشفاه، التكنولوجيا المعينة، هجاء الأصابع والتواصل الكلي الذي يستطيع من خلاله المعاق سمعيًا استخدام كل الطرائق السابقة حتى يتمكن من الفهم والإفهام.

الكلمات المفتاحية: لغة الإشارة- لغة الشفاه- التكنولوجيا المعينة- هجاء الأصابع- التواصل الكلي.

١- لغة الإشارة:

أولاً: مفهومها وطبيعتها:

معروف عن اللغة الإنسانية أنها نظام من العلامات الصوتية المنطوقة، وهي تمكن الأفراد من التواصل فيما بينهم بعد أن يتم الاصطلاح عليها. وهي بهذا المفهوم لغة طبيعية، وهناك في المقابل لغات غير طبيعية، أو بمعنى أصح لغات اصطناعية، أي أن الإنسان هو الذي سعى إلى اصطناعها بدافع الحاجة. ولهذا تعرف اللغات الاصطناعية على أنها "لغات غير طبيعية (مخترعة) نشأت بدافع الحاجة، وغرضها التواصل".^١ واللغات الاصطناعية كثيرة منها: لغة الإسبرنتو*، لغة براي**، لغة الصم البكم...إلخ.

و تعتبر لغة الإشارة من ضمن أساليب التواصل اليدوي المستخدمة من قبل الصم، إذ هي نظام من الرموز اليدوية الخاصة تمثل بعض الكلمات والمفاهيم والأفكار المعينة.

كما تعد لغة الإشارة لغة طبيعية للصم، لما تحويه من قواعد صرفية ونحوية ومعجمية ودلالية، لكن هذه القواعد مستقلة عن قواعد اللغة أو اللغات الخطوقة حتى في البيئة المحلية للطفل الأصم، إذ تتصل لغة الإشارة بأبعاد نفسية قوية لدى الأصم لما تميزت به من قدرتها على التعبير بسهولة عن حاجات الأصم وتكوين المفاهيم لديه، بل لقد أصبح لدى

١- صالح بلعيد، "دروس في اللسانيات التطبيقية"، دار هومة، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٠، ص ٢١٥.

* لغة الإسبرنتو: لغة دولية، وهي غير طبيعية أنشأها اللساني زامنهوف **Zamenhof**، كان أحد علماء تاريخ اللغات في جامعة وارسو. وفي عام ١٨٨٩ صدرت أول صحيفة بهذه اللغة في مدينة نومبرج الألمانية، وقد استمد زامنهوف حروف وأصوات هذه اللغة من مجموعة اللغات الجرمانية واللاتينية القديمة.

** لغة براي، سميت نسبة إلى لويس برايل (**Braille**) الذي اخترع النقاط البارزة الملموسة التي تساعد المكفوفين على القراءة والكتابة

سنة ١٨٢٩.

المبدعين من الصم القدرة على إبداع قصائد شعرية و مقطوعات أدبية و ترجمة الشعر الشفوي إلى هذه اللغة التي تعتمد أساساً على الإيقاع الحركي للجسد.¹

وتعرف لغة الصم البكم على أنها: " لغة خاصة بذوي العاهات الكلامية وأمراض اللغة، وفيها يلتجأ إلى توظيف الإشارات الكلامية، والأيدي ومختلف الإشارات تعويضاً عن اللغة العادية".²

وبما أن فئة الصم البكم لا تستطيع التحدث باللغة العادية التي يتكلمها أفراد المجتمع، فإنها تلجأ إلى استخدام لغة خاصة بها تعرف بـ " لغة الإشارات".

والطريقة التي يتبعها الأصم الأبكم في الكلام، هي التعبير بواسطة الحركات، ومثله في ذلك مثل الشخص الذي يجد نفسه مضطراً للتفاهم مع الأجانب، فلا يملك من حيلة سوى الإشارة والحركة والتلميح.³

وكغيرها من اللغات، تعتبر لغة الإشارة أسلوب تواصل يعتمد في أساسه على استخدام إشارات مادية يستطيع الصم تمييزها أو التعرف عليها.⁴

ولقد شهدت اللغة الإشارية تحسينات نوعية، عندما بدأت الأبحاث التربوية تنشر فيها، وخصوصاً لما أدخلت الطريقة الشفهية، وتعليم الكلام دون الاستعانة بطريقة الإشارة أو الأبجدية اليدوية، حيث ركز فيها الاهتمام على تعليم اللغة والكلام عن طريق قراءة الشفاه، وكانت هذه الطريقة ليست غاية في ذاتها، بل أداة للتفاهم والاتصال.⁵

فلغة الإشارات ليست موحدة في جميع بلدان العالم، بل تختلف من بلد لآخر، وهذا ما لمسناه في كتاب " علم اللسانيات الحديثة"، حيث عرض صاحبه صوراً بيانية للغة الإشارات الأمريكية والإنجليزية والسويدية.⁶

ويقول عبد القادر عبد الجليل بخصوص لغة الإشارات أنها: " لغة سيميائية وليس أدبية كما تظهر في النصوص، والتراكيب، وهي لغة قائمة على نظام بين القيمة تتجاذب أطرافه درجات الفهم، أو الإدراك لهذه النظم (مجموعة القواعد التركيبية وانزياحها) بين المنثني والمتلقي".⁷

ومن الجدير بالذكر أن الإشارات التي يستعملها المعاق سمعياً تنقسم إلى قسمين هما:

أ- إشارات وصفية: وهي إشارات يدوية تلقائية تصدر عن المعاق سمعياً، من أجل وصف فكرة معينة يود التعبير عنها، مثل رفع اليدين ليعبر عن الطول أو فتح الذراعين للدلالة على الكثرة.

ب- إشارات غير وصفية: وهي إشارات خاصة، تكون بمثابة لغة متداولة بين المعاقين سمعياً، مثل الإشارة إلى أعلى وتدل على شيء حسن.¹

١- كمال عبد الحميد زيتون، "التدريس لذوي الاحتياجات الخاصة"، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣، ص ٢٦٠.

٢- صالح بلعيد، "دروس في اللسانيات التطبيقية"، ص ٢١٨.

٣- حنفي بن عيسى، "محاضرات في علم النفس اللغوي"، د.م.ج، الجزائر، ط١، ١٩٩٣، ص ٢٦٥.

٤- فيوليت فؤاد إبراهيم وآخر، "بحوث ودراسات في سيكلولوجية الإعاقة"، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١، ص ١٧٧.

٥- صالح بلعيد، "دروس في اللسانيات التطبيقية"، ص ٢١٨-٢١٩.

٦- عبد القادر عبد الجليل، "علم اللسانيات الحديثة"، دارالصفاء، عمان، دط، ٢٠٠١، ص ٧٨-٨٠.

٧- عبد القادر عبد الجليل، "علم اللسانيات الحديثة"، ص ٧٦.

كما تقسم المصطلحات المتداولة في لغة الإشارات إلى ثلاث فئات هي:

- ١- إشارات أيقونية (Signes iconiques): وهي الإشارات التي تشترك مع مرجعها في توافقات وتشابهات كبيرة رئيسية، تخص المعالم الخارجية مثلاً "شجرة"، حيث يثير المساعد إلى جذع الشجرة، بينما تشير الأصابع إلى الأغصان.
- ٢- إشارات كناية مجازية (Signes métonymiques): وهي إشارات تنخفض نسبة ارتباطها الخارجي بالمرجع مقارنة بالإشارات الأيقونية، حيث يقصر على علامة أو جزء واحد حال على مجموع المرجع، وقد تكون هذه العلامة محسوسة، مثل: "المقود" الذي يشير إلى السيارة، أو مجرد، مثال: الرائحة بالنسبة للورد.
- ٣- الإشارات التجريدية (Signes abstraits): لا تشترك مع مرجعها بأية علاقة ظاهرة.²

ثانيا: خصائصها ومميزاتها:

أ. الخصائص:

مثلما هو معلوم فإن لكل لغة من لغات العالم خصائص تميزها سواء في النحو أو الصرف أو الأصوات... الخ. فلغة الإشارة هي الأخرى لها خصائص وسمات تميزها يمكن تلخيصها كالآتي:

- الأصوات:

ويقصد بالأصوات في لغة الإشارة المواقع والمحددات والمؤشرات والفراغات التي تحدثها الأعضاء المتحركة، والأصوات في لغة الإشارة أصوات وظيفية (فونولوجية)، كما تتمثل الأصوات أيضا في تهجئة الأصابع، التي تعدّ نمطاً من أنماط الإشارة.

- التصريف:

فلغة الإشارة يمكن أن تكون لغة متصرفة أو لغة لصفية، بالإضافة إلى سمى الاشتقاق والتصريف.

- التزامن والتعاقب:

فالإشارة تنطلق من الموقع بشكل معين، وتتحرك بطريقة معينة، وتسير في اتجاه محدد.

- الاعتبارية:

ويقصد بها أن العلاقة بين الأصوات الإشارية ودلالاتها علاقات اعتبارية غير منطقية، فلغة الإشارة لغة بصرية ومعظم كلماتها محسوسة.

- القيود:

هناك نوعان من القيود على أشكال الإشارة:

● قيود فيزيائية: تتعلق بإنتاج الإشارة واستيعابها، إذ تنحصر الإشارات في مناطق محددة، كالرأس والوجه واليدين والصدر.

١- عبد الكريم محمد شطناوي، "تطور لغة الطفل"، دارصفاء، عمان، ط١، ١٩٩٢، ص ١١٢.

٢- فاطمة مؤذن: "لغة الإشارات وطبيعة نظرية الذهن لدى الأطفال الصم"، أطروحة دكتوراه في علم النفس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، ٢٠٠٨-٢٠٠٩، ص ٦٧.

• قيود لغوية: تتعلق بشكل الإشارة.**- التطابق الرمزي:**

تتطابق الإشارة مع المشار إليه تطابقاً رمزياً، بسبب اعتماد لغة الإشارة على الكلمات المحسوسة المشاهدة كما سبق الذكر. فالمتلقي الأصم يعتمد في فهم الرسالة الإشارية على تعابير الوجه و حركات العينين أكثر من اعتماده على إشارات اليدين أو غيرها، لأنه هذه التعابير و الحركات أدق من غيرها في الوصف.

- حيوية الإشارة:

لغة الإشارة لغة ديناميكية فيها الكثير من الحيوية. هذا ما يميّز معانيها، فلا تقتصر الإشارة على حركة اليدين في أداءها، بل يستخدم الفرد تعبير وجهه ولغة جسده،، وهي جزء مهم في لغة الإشارة، فتعبير الوجه وحركة الجسم بإيقاع خاص نستطيع مقارنتها بتغير ونغمة الصوت أثناء الكلام باللغة المنطوقة للدلالة على معاني الكلام، فعندما نتحدث باللغة المنطوقة نستخدم بالإضافة للغة تعبير الوجه وحركة الرأس والأكتاف واليدين، لتأكيد المعاني وجذب انتباه المستقبل¹، بلغة الإشارة نستخدم حركات الرأس للتعبير عن النفي والإثبات، ونستعمل تعبير الوجه والعيّنين للدلالة على مشاعر الفرح والحزن والغضب والخوف والاندھاش والتساؤل والمرض والتعب والحيوية والنشاط والرأفة والشفقة والتكبير والسخرية والاحتقار... الخ. وحركة الأكتاف سواء للأمام أو للخلف تزيد في توضيح معنى الإشارة، ومن هنا نستنتج أن اللغة الإشارية تقوم على توظيف أعضاء مختلفة من الجسم لإبلاغ المعاني وتراكيب الجمل.

- لغة غير مقطعية:

تعد لغة الإشارة من بين اللغات غير المقطعية مثل الحركات وإيماءات الوجه أو تعبيرات الوجه أثناء الحديث، أو لغة العيون، لغة الحركة- لغة الشم، لغة الاتصال... الخ²، وهذا عكس اللغة المقطعية فهي عبارة عن كلمات أو جمل أو عبارات ذات مدلول ومعنى متعارف عليه من قبل أفراد الجماعة، وهي شديدة الثراء والقدرة على التعبير والفهم مقارنة مع اللغة غير المقطعية (لغة الإشارة).

- غير موحدة:

تتعدد لغات الإشارة داخل اللغة الواحدة، فلغة الإشارة في العالم العربي مثلاً تختلف من دولة إلى أخرى بالرغم من محاولات توحيدها، فلغة الإشارة الأمريكية تختلف اختلافاً بيناً عن لغة الإشارة البريطانية، وكلاهما تختلف عن لغة الإشارة الأسترالية والألمانية، وربما تختلف لغات الإشارة اختلافات معينة داخل الدولة الواحدة الناطقة بلغة واحدة³.

هذه أهم الخصائص التي تختص بها لغة الإشارة، وبالإضافة إلى هذه الخصائص هناك مجموعة من المميزات التي تميز هذه اللغة.

¹ - إبراهيم القربوتي، "الإعاقبة السمعية"، داريافا العلمية، عمان، ٢٠٠٦، ص ١٦٦.

² - أمين محمد أحمد قاسم، "اللغة والتواصل لدى الطفل"، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢٩.

³ - عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، "علم اللغة النفسي"، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط ٢٠٠١، ص ٣٧٢.

ب. المميزات:

تتميز لغة الإشارة ببعض المميزات التي تجعلها تختلف عن غيرها من اللغات نذكر منها¹:

١. لغة الإشارة لغة إشارية و حركية و مرئية و من خلالها يمكن التعبير عن النفس بتحريك اليدين و الجسم و الرأس وتعابير الوجه، و حركات الفم و العينين.
٢. و بما أنها لغة مرئية فإنها تفهم بالنظر.
٣. تركز على شكل مختلف لأشكال اللغات الأخرى التي تدرس بطريقة تقليدية، أي أنها تدرك و تنتج من خلال قنوات بصرية و حركية لمعالجة المعلومات لا من خلال وسيلة سمعية و شفوية.
٤. تركز على خمسة مظاهر هي: الحركة، التحديد المكاني، شكل اليد، تحديد الاتجاه، الحركات غير اليدوية مثل نظرة العينين، حركات الجسم و الكتفين، الفم و الوجه. و هذه المظاهر تحدث في آن واحد على عكس اللغة المنطوقة التي تبدأ بإخراج الأصوات التي تتكون منها المفردات اللغوية.

ثالثاً: قواعد بناء لغة الإشارة:

إن للغة العربية قواعد و قوانينها التي تضبطها، و للغة الإشارة أيضاً قواعد و قوانين تحصرها هذه القواعد صوتية و نحوية و صرفية لا تختلف كثيراً عن القوانين المعجمية و الدلالية². و يمكن حصر قواعد بناء لغة الإشارة فيما يلي:

١. الأصوات:

و قد سبق الحديث عن كون الأصوات في لغة الإشارة ليست أصواتاً مسموعة. وإنما هي مواقع و محددات و مؤشرات و فراغات تحدثها الأعضاء المتحركة كما هو الحال في تهجئة الأصابع كنمط من أنماط الإشارة.

٢. الصرف:

يستعمل المعاق سمعياً إشارات تمثل كلمات ترمز إلى معان معينة، و هذه الإشارات قد تحوي مورفيماً واحداً للدلالة على معنى واحد، و قد تحوي مورفيمين أو أكثر، سواء أكان المورفيم حراً أو مقيداً³.

٣. النحو:

تحتل المعاني و الوظائف النحوية المرتبة الأولى في الأبنية النحوية في لغة الإشارة، غير أن لغة الإشارة لا تستعمل الأدوات الوظيفية إلا للضرورة، و ذلك حين لا يفهم المعنى بدونها.

كما أن التلميذ المعاق سمعياً لا يحترم قواعد بناء الجملة العربية، إذ نجد هذا الأخير يقدم ويؤخر و يحذف و يزيد في عناصر الجملة، كأن يأتي بجمل يقرأها و يكتبها على هذا النحو:

١ عمر الدراجة على خرج.

١ - خالد عوض حسين البلاح، "الاضطرابات النفسية لدى ذوي الإعاقة السمعية (في ضوء التواصل)", دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، دط، ٢٠٠٩، ص ٩٢.

٢ - عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، "علم اللغة النفسي"، ص ٣٨٦.

٣ - المرجع نفسه، ص ٣٨٧.

٢ ذهب طفل المدرسة.

ففي الجملة الأولى وقع خلط في ترتيب الكلمات داخل الجملة، التي كان ينبغي أن تكون على الشكل الآتي: خرج عمر على الدراجة، حيث قدّم الفاعل على الفعل الذي جاء في آخر الجملة، و قدم الاسم المجرور على حرف الجر. أما في الجملة الثانية، فيلاحظ بأن التلميذ حذف حرف الجر (إلى) من الجملة.

و في مواضع أخرى نجد التلميذ المعاق سمعياً يوظف المضاف إليه قبل المضاف و تبدأ الجملة عنده دائماً بالاسم المسند إليه أو الفاعل قبل الفعل المسند، كما يشير الأصم إلى الشيء المعدود بصيغة المفرد ثم يتبعه بالعدد، فيقول مثلاً: "سيارة خمسون" بدلاً من "خمسون سيارة"، أما صياغة الجمع فتكون بتكرار الحركة أو مضاعفة شكل اليد^١.

و لهذه الأسباب يقول البعض عن لغة الإشارة، انها لغة عاجزة على أن تصبح آلة طبعة للفكر، لفقير مفرداتها و ضعفها في التراكيب النحوية، و قصورها في الأساليب البلاغية^٢.

٤. البلاغة:

أما على المستوى البلاغي، فالمعلم أن اللغة تعرف ببلاغتها، و جمالها الفني، إلا أن التلميذ الأصم لا يمكن أن يكون جماً ذات بلاغة، ذلك لأنه لا يفهم من الكلام إلا الكلمات أو المفردات المحسوسة، و لا يفهم الكلمات المجردة.

إذ يجب على معلم الصم على المستوى البلاغي الالتزام بما يلي:

أ- أن يقوم بتعليم التلاميذ ضعاف السمع أو الصم مفردات التشبيه والتي يفتر إليها أغلب الصم مثال على ذلك (جمل- ناقة- سفينة الصحراء)، فالشيء المشترك بين سفينة الصحراء والسفينة هو السفر وقوة التحمل.

ب- عدم اللجوء إلى التعابير البلاغية، والاستعارات والتشبيهات الضمنية في اللغة المقدمة للصم وجعلها أكثر وضوحاً. عدم تعليم الصم مباشرة الكلمات غير المباشرة مثل (التبر أو الذهب الأبيض) لأن كل ذلك يتم ترجمته في ذهنه بشكل مختلف عما نعرفه مثال على ذلك (مسقط رأسه) يترجمها الأصم بإشارة عاصمة+ إشارة رأس^٣.

٥. الدلالة:

حتى تؤدي الجملة دلالة ما، لا بد أن تتسم بالترتيب المنطقي للكلمات المكونة لها، ذلك أن الجملة التي يلفظها الطفل أو يشكّلها تكون ذات فائدة و معبرة عن حاجاته عبر التواصل الاجتماعي، إذا كانت جملة واضحة حيث يلعب بناء الجملة دوراً بالغ الأهمية في فهمها^٤.

فالكلام ليس مجرد رصف الكلمات بعضها إلى بعض، و لكن ذلك يكمن في العلاقات بين وحدات التركيب في أثناء التركيب والتأليف بين معانيها في نسق العلاقات، يقول الجرجاني: "و اعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه، أن لا نظم في الكلام، و لا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، و يبني بعضها على بعض، و تجعل هذه بسبب تلك"^٥.

١- عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، "علم اللغة النفسي"، ص ٣٨٨-٣٩٠.

٢- حنفي بن عيسى، "محاضرات في علم النفس اللغوي"، ص ٢٦٥.

٣- ينظر: بطرس حافظ بطرس، "تكييف المناهج للطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة"، دار المسيرة، عمان، ط١، ٢٠١٠، ص ٢٢٦-٢٢٧.

٤- نبيل عبد الهادي وآخرون، "تطور اللغة عند الأطفال"، الأهلية للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٧، ص ١٤٨.

٥- عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت، ص ٤٤.

و عليه، يمكن القول بأن عناصر التركيب يجب أن تكون مرتبة وفق الشكل الصحيح، الذي من شأنه أن يفصح عن فكرة معينة أو معنى ما، ذلك أن أي لغة هدفها الأسى هو الإيصال والإبلاغ.

و يمكن تقسيم قواعد بناء لغة الإشارة إلى قسمين اثنين هما:

الأول: قائمة المفردات، يتعلمها الفرد من خلال إتقان حركات محددة.

الثاني: الجمل والكلمات المركبة، ومنها:

١. الضمائر:

نحو: أنا- أنت- هو- هذا.. حيث يشار إلى ضمير الشخص بالسبابة، و السياق هو الذي يدل على التذكير أو التأنيث، و يشار للغائب بإشارتين و يشار إلى الملكية بكل اليد مضمومة الأصابع.

٢. الجملة الاسمية:

حيث تختلف الجملة الاسمية عن اللغة المنطوقة في أن الخبر يأتي دائما بصورة المفرد مثل: أنا أصم، هم أصم، هي أصم، و يعرف التذكير و التأنيث من السياق.

٣. الجملة الفعلية:

تستخدم لغة الإشارة الفعل في صورته المجردة عن الزمن، و تدل على زمنه بقرينة لغوية، فالدلالة على الماضي تتم بفعل مقترن بالماضي أحسن، أو المضارع يرتبط بالآن...

٤. الجملة المنفية:

في لغة الإشارة يتم النفي بإشارات يدوية أو جسدية، فالإيماء بالرأس يدل على الموافقة، و هزّ الرأس جانبا يدل على الرفض.

٥. الاستفهام:

و هو يضم نوعين: الأول: طلب شيء لم يكن معروفا و المقصود هنا التعيين مثل: هل تريد قهوة أم شاي؟ و هنا يكون الجواب بتعيين الشيء. أما إذا كان التأكيد من شيء فيكون بنعم أو لا.

٦. العدد:

تختلف لغة الإشارة في عملية الجمع، فيشار إلى الكلمة المفردة والصفة فيقال: كلب كثير، أي كلاب...

خامسا: التمايز و التشابه بين اللغة المنطوقة و لغة الإشارة

يمكن حصر بعض نقاط تشابه و اختلاف كل من اللغة المنطوقة و لغة الإشارة فيما يلي:

١ - عصام نمر يوسف، "الإعاقة السمعية- دليل عملي علمي للأباء و المرين. مقدمة في الإعاقة السمعية و اضطرابات التواصل"، دار المسيرة، عمان، ط١، ٢٠٠٧، ص ١٠٧-١٠٩.

١- التمايز (الاختلاف):

أ-الكيفية:

لا تتوافر في اللغات المنطوقة، حيث لا توجد علاقة جوهريّة بين مجموعة الأصوات و بين الشرائع الذي تشير إليه الأصوات، فمثلا كلمة "قطار" التي تتكون من أربعة أصوات فقط تدل على شيء طويل جداً. أما لغة الإشارة فتتميز بالرمزية المطابقة، أي أن الإشارات تشابه الأشياء التي تشير إليها.

ب - البناء المتزامن و المتعاقب:

بناء اللغة المنطوقة بناء متعاقب إذ تحدد قواعد للترتيب السليم للفونيمات داخل المقاطع و المقاطع داخل الكلمات والكلمات داخل الجمل. أما بناء لغة الإشارة فهو متزامن و قائم على أساس التنظيم في حيز مكاني أكثر منه في الحيز الزمني.

ج- إنتاج اللغة:

اللغة المنطوقة تستخدم قناة التنفس، أما لغة الإشارة فهي مستقلة عنها.^١

و يمكن إجمال بعض الاختلافات أيضا بين لغة الإشارة و اللغة المنطوقة في الجدول الآتي^٢:

لغة الإشارة	اللغة المنطوقة	الجوانب
اليد، الجسم...	الهواء، الحنجرة، اللسان	١-الأداة المستخدمة
إشارات و حركات	كلمات و أصوات	٢-النتائج
العين	الأذن	٣-المستقبل
إشارات متنوعة	كلمات متنوعة	٤-الوحدة
قواعد اللغة الإشارية	قواعد اللغة المنطوقة	٥-ضوابط اللغة
يفهم الشخص المقابل الكلام	يفهم الشخص المقابل المراد	٦-الفهم و الإيصال

٢- التشابه:

هناك بعض النقاط التي تتشابه فيها لغة الإشارات مع اللغة المنطوقة منها:

أ- ثنائية تشكيل الأنماط: هناك ثلاثة عناصر للغة الإشارة:

أ. تشكيل الأيدي.

ب. مكان النطق.

١- نازك إبراهيم عبد الفتاح، "مشكلات اللغة و التخاطب في ضوء علم اللغة النفسي"، دار قباء، القاهرة، د ط، ٢٠٠٢، ص ٢٩-٣١.

٢- عصام نمر يوسف، "الإعاقفة السمعية"، ص ١٠٦.

ج. الحركة.

ب- النحو: تتمتع لغة الإشارة بقواعد نحوية مستقاة من الذهن تماماً كاللغة المنطوقة.

ج- الصرف: تتمتع لغة الإشارة بنظام صرفي كذلك - كما سبق الذكر- كما هو الحال في اللغة المنطوقة.

د-بناء العبارة:

لغة الإشارة مثلها مثل اللغة المنطوقة، هي الأخرى لها قواعد تحكم العلاقة بين الإشارات المستقلة في جملة.¹

٢- لغة الشفاه:

وهي عبارة عن معرفة الكلام من خلال ملاحظة الأصم، حركات الشفاه والفك واللسان للمتكم، فهي تتطلب القدرة على رؤية حركة الشفاه واللسان والفك بسرعة على أن يستكمل الفرد ما لم يستطع رؤيته من حركات هذه الأعضاء، وذلك من خلال ملاحظة تعبيرات الوجه والإشارات المصاحبة لها ، وطبيعة الموقف والسياق اللغوي، فهي إذن تعتمد على مهارة التخمين والفهم الجيد للغة.²

ولغة الشفاه هذه، هناك من يراها بطيئة تأخذ وقتاً طويلاً في التعلم، فالمعلم قد يحتاج" إلى صبر خلال فترة التعليم البطيئة عندما يتحتم على الطفل أن يترجم في نفس الوقت حركات الشفاه إلى معنى ما يقال".³ وعلى الرغم من ذلك، فهناك من يرى بأن هذه الطريقة (لغة الشفاه)، تعد ناجحة إلى حد ما كما تعتمد على المواجهة ورؤية الأصم للمتكم، وإلا فلا فائدة منها.⁴

ويمكن تمييز ثلاث طرائق تستخدم الآن في التدريب على قراءة الشفاه، وهي:⁵

١- طريقة يكون التركيز فيها على أجزاء الكلمة ويطلق عليها طريقة الصوتيات. في ضوء هذه الطريقة يتعلم الطفل نطق الحروف الساكنة والحروف المتحركة ، ثم يتعلم نطق هذه الحروف مع بعض الحروف الساكنة وهكذا.

٢- بعكس الطريقة السابقة، فإن الطريقة الثانية لقراءة الشفاه لا تضع التركيز على الكلمة أو على الجملة، وإنما تهتم بالوحدة الكلية، قد تكون هذه الوحدة قصة قصيرة حتى وإن كان الطفل لا يفهم منها سوى جزء صغيراً فقط.

٣- تقوم الطريقة الثالثة على إبراز الأصوات المرئية أولاً، ثم بعد ذلك الأصوات المدغمة.

٣- التكنولوجيا المعينة:

مثل استخدام أجهزة الاتصال التليفزيوني للصم عن طريق إضافة آلة كاتبة مبسطة وشاشة صغيرة للتليفون المرسل والمستقبل، حيث يستقبل الأصم الحديث التليفوني على الشاشة بدلاً من السماع، كما يجيب بالكتابة على الآلة الكاتبة فتظهر على الطرف الآخر على شاشته، وكذلك في مجال التليفزيون فقد أمكن إضافة جهاز يحول الصوت إلى إشارات

١- نازك إبراهيم عبد الفتاح، "مشكلات اللغة والتخاطب في ضوء علم اللغة النفسي"، دارقباء، القاهرة، دط، ٢٠٠٢، ص ٣٠-٣١.

٢- سهير كامل أحمد، "سيكولوجية الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة"، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢، ص ٢٢٦.

٣- فوزية محمد بدران، "الطفل العاجز"، ترجمة عن: أد. ث. م. ستيرن وآخر، دارالفكر العربي، القاهرة، دط، ١٩٩٧، ص ١٠٣.

٤- نايف خرما، "أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة"، عالم المعرفة، الكويت، دط، ١٩٧٨، ص ٢٠.

٥- عبد الرحمن السيد سليمان، "سيكولوجية ذوي الحاجات الخاصة"، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١، ج٤/١٢٤.

إلكترونيا، وتظهر على ركن من الشاشة فيستطيع الأصم فهم ومتابعة ما يقدم على الشاشة كالشخص السليم، وقد تطور التلفزيون أكثر حيث أمكن إضافة جهاز صغير (Decoder) إلى التلفزيون يحول الحديث الدائر فيه إلى كلمات مكتوبة تظهر في الجزء السفلي من شاشة التلفزيون، فيتمكن الأصم من قراءتها ومتابعة أحداث البرنامج، بل أصبحت هذه القطعة توضع داخل كل أجهزة التلفزيون المنتجة حديثا، وتعددت هذه الأجهزة فمنها ما يحول الصوت الصادر إلى مثيرات لمسية، أو إلى إشارات، أو إلى ذبذبات تصدر في راحة اليد للطفل المعاق سمعيا.¹

وتستخدم هذه الأجهزة على معاونة الطفل على تعلم الكلام مستعينين في ذلك بالبقايا السمعية، ذلك أن أي طفل أصم، مهما كانت درجة إعاقته السمعية، لديه بقايا سمعية وإن اختلفت الدرجة من أصم لأخر.²

٤- هجاء الأصابع:

مما يعطي تعضيدا و مساندة للتواصل اليدوي لدى الطفل المعاق سمعيا، ما يعرف بطريقة هجاء الأصابع، حيث يكون هجاء الأصابع مفيدا عندما لا توجد إشارة خاصة لكلمة معينة، أو عندما يكون الشخص الذي يعطي الإشارات يجهل إشارة معينة.

كما أن هذه الطريقة تقوم على أساس رسم أشكال الحروف الهجائية بواسطة أصابع اليد، ويكون لكل حرف شكله الخاص به، ومن الحروف تتكون الكلمات، ويتطلب تعلمها كثرة الممارسة والتدريب عليهما. ويتوقف على سرعة تحريك الأصابع، ومن أهم مزاياها، أنها ترتبط باللغة المكتوبة.

٥- التواصل الكلي :

ويقصد بالتواصل الكلي استخدام كل طرائق التواصل الممكنة، والتي تتيح لكل طفل أصم الفرصة الكاملة لتنمية مهارة اللغة، واستخدامها بشكل تعبيرى أفضل، وهي تشمل كل طرائق التواصل من إشارات، لغة الشفاه، هجاء الأصابع، إيماءات... الخ. وهذه الطريقة من أفضل طرائق التواصل، حيث تتيح للأصم استخدام الطريقة المناسبة وفق الموقف نفسه، وإمكاناته.

وقد أظهر المعاقون سمعيا الذين يستخدمون طريقة التواصل الكلية، درجات مرتفعة في التواصل عن أولئك الذين يستخدمون طرائق التواصل الأخرى.

بناء على ما سبق عرضه حول أهم الطرائق المستخدمة في عملية التواصل لدى فئة المعاقين سمعيا، يتبين أن هناك تنوع و ثراء في هذه الطرائق، إلا أن المعاق سمعيا يحاول استخدام جميع هذه الطرائق، التي تعرف طريقة التواصل الكلي بغية إيصال المعنى بشكل صحيح.

قائمة المراجع:

١- صالح بلعيد، "دروس في اللسانيات التطبيقية"، دار هومة، الجزائر، ط٢٠٠٩.

٢- كمال عبد الحميد زيتون، "التدريس لذوي الاحتياجات الخاصة"، عالم الكتب، القاهرة، ط٢٠٠٣.

١- سهير كامل أحمد، "سيكولوجية الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة"، ص ٢٢٧-٢٢٨.

٢- مصطفى فهيم، "أمراض الكلام"، دار مصر للطباعة، مصر، ط١، دت، ص ١٣٢.

- ³- مصطفى فهيم، "أمراض الكلام"، دار مصر للطباعة، مصر، ط١، د.ت.
- ⁴- حنفي بن عيسى، "محاضرات في علم النفس اللغوي"، د.م.ج، الجزائر، ط١٩٩٣.
- ⁵- فيوليت فؤاد إبراهيم وآخر، "بحوث ودراسات في سيكولوجية الإعاقة"، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١٩٩٠.
- ⁷- عبد القادر عبد الجليل، "علم اللسانيات الحديثة"، دار الصفاء، عمان، دط١٩٩٠.
- ⁹- عبد الكريم محمد شطناوي، "تطور لغة الطفل"، دار صفاء، عمان، ط١٩٩٣.
- ^{١٠}- فاطمة مؤذن، "لغة الإشارات وطبيعة نظرية الذهن لدى الأطفال الصم"، أطروحة دكتوراه في علم النفس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، ١٩٩٠-٢٠٠٠.
- ^{١١}- إبراهيم القريوتي، "الإعاقة السمعية"، دار إيفا العلمية، عمان، ٢٠٠٩.
- ^{١٢}- أمين محمد أحمد قاسم، "اللغة والتواصل لدى الطفل"، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩.
- ^{١٣}- عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي.
- ^{١٤}- خالد عوض حسين البلاح، "الاضطرابات النفسية لدى ذوي الإعاقة السمعية (في ضوء التواصل)"، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، دط١٩٩٠.
- ^{١٩}- بطرس حافظ بطرس، "تكيف المناهج للطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة"، دار المسيرة، عمان، ط١٩٩٠.
- ^{٢٠}- نبيل عبد الهادي و آخرون، "تطور اللغة عند الأطفال"، الأهلية للنشر، عمان، ط١٩٩٠.
- ^{٢١}- عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د.ت.
- ^{٢٢}- عصام نمر يوسف، "الإعاقة السمعية- دليل عملي علمي للأباء و المربين، مقدمة في الإعاقة السمعية و اضطرابات التواصل"، دار المسيرة، عمان، ط١٩٩٠.
- ^{٢٣}- نازك إبراهيم عبد الفتاح، "مشكلات اللغة و التخاطب في ضوء علم اللغة النفسي"، دار قباء، القاهرة، دط١٩٩٠.
- ^{٢٦}- سهير كامل أحمد، "سيكولوجية الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة"، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، ط١٩٩٠.
- ^{٢٧}- فوزية محمد بدران، "الطفل العاجز"، ترجمة عن: أ.د.ث.م. ستيرن و آخر، دار الفكر العربي، القاهرة، دط١٩٩١.
- ^{٢٨}- نايف خرما، "أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة"، عالم المعرفة، الكويت، دط١٩٩٧.
- ^{٢٩}- عبد الرحمن السيد سليمان، "سيكولوجية ذوي الحاجات الخاصة"، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١٩٩٠، ج١.

الأثار النفسية للأمراض المزمنة في حياة المسنين

الباحث بركات حمزة/جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر

ملخص :

أصبحت المرحلة الأخيرة من حياة الإنسان تمثل محور اهتمام الدراسات السيكولوجية في السنوات الأخيرة، ونتيجة للتقدم الطبي الهائل وتحسن الأحوال الاجتماعية للمجتمع فقد انخفض عدد الوفيات، وبالتالي ارتفعت نسبة المسنين بالمقارنة لعدد السكان، وأصبحت الشيخوخة مرحلة عمرية بخصائصها ومتفردة بمشاكلها، تتشعب بها معاناة المسنين بدنياً وأسرياً واجتماعياً وتدننى قدراتهم الأساسية في العمل ومقاومة الأمراض . وعلى المستوى الجسدي يحدث هبوط في نشاط الجسم وضعف عام واختلال في بعض الوظائف العقلية، لذا نجد العديد من المجتمعات تعد كبار السن عبئاً عليها لكن كبار السن الذين يعيشون حياة صحية جيدة من الممكن أن يكونوا مورداً بشرياً مهماً ليس داخل أسرهم فحسب بل بإمكانهم ولوج سوق العمل وإعطاء تجاربهم في مختلف المجالات العلمية والمهنية. فالعديد من الدول المتقدمة لا تعترف بحد معين بوصفه حداً للإعطاء والإبداع والمشاركة في بناء المجتمع مما أدى بكل المجتمعات الى البحث عن التوافق النفسي والصحة النفسية للمسن من خلال الدراسات النفسية وهذا دوماً لمساعدة المسن في التغلب على الأثار النفسية للأمراض التي تصيبه في هذه المرحلة .

الكلمات المفتاحية: الشيخوخة ، الأمراض المزمنة ، الصحة النفسية.

مقدمة :

الشيخوخة مرحلة عمرية بخصائصها ومتفردة بمشاكلها، تتشعب بها معاناة المسنين بدنياً وأسرياً واجتماعياً وتدننى قدراتهم الأساسية في العمل ومقاومة الأمراض . وعلى المستوى الجسدي يحدث هبوط في نشاط الجسم وضعف عام واختلال في بعض الوظائف العقلية، لذا نجد العديد من المجتمعات تعد كبار السن عبئاً عليها لكن كبار السن الذين يعيشون حياة صحية جيدة من الممكن أن يكونوا مورداً بشرياً مهماً ليس داخل أسرهم فحسب بل بإمكانهم ولوج سوق العمل وإعطاء تجاربهم في مختلف المجالات العلمية والمهنية. فالعديد من الدول المتقدمة لا تعترف بحد معين بوصفه حداً للإعطاء والإبداع والمشاركة في بناء المجتمع، وكبار السن جزء أساسي من المجتمع فهم إذا كانوا قد تركوا الحياة العملية فإن هذا لا يعد دليلاً على عجزهم، فالخبرة والحكمة اللتان يحصلون عليهما خلال العمل الطويل تجعلان لمشورتهم ثقلاً يعتد به.

ومن كل ما سبق نطرح الإشكالية التالية:

ما هو مفهوم الشيخوخة وما هي التغيرات التي تحدث في هذه المرحلة على الإنسان؟

وما هي أهم النظريات المفسرة لهذه المرحلة من حياة الإنسان؟

وما هي المشكلات التي تظهر في هذه المرحلة؟

وما هي الأمراض المزمنة التي تصيب الإنسان في هذه المرحلة من عمره والآثار التي تتركها على المسن؟

١ - تعريف الشيخوخة:

قسم العلماء مراحل العمر في حياة الإنسان إلى أربع مراحل هي : سن الطفولة ثم الشباب ثم الكهولة ثم الشيخوخة و كانت العرب تطلق على من وصل إلى مرحلة الشيخوخة أسماء عدة فتقول: شيخ وهو من استبانته فيه السن وظهر عليه الشيب ، وبعضهم يطلقها على من جاوز الخمسين وقد تقول الهرم وهو أقصى الكبر وتقول كذلك كهل وجميع هذه الألفاظ تدل على كبر السن^١

و يستخدم الباحثون في مجال دراسة المسنين أحيانا مفهوم الشيخوخة و أحيانا أخرى مفهوم التقدم في العمر على أنهما مترادفان و يشيران إلى نفس المعنى ، وكلاهما قد استخدم بأشكال مختلفة فمفهوم التقدم في العمر هو أحد المفاهيم المروعة إلى درجة جعلت من غير المستطاع لعدد كبير من الباحثين تناوله تجريبيا ، كما تعددت المقاييس المستخدمة في تحديد

مرحلة الشيخوخة نذكر منها:

١- العمر البيولوجي : و يستخدم في تحديد بداية الشيخوخة العضوية ، وهو مقياس وصفي يقوم على أساس المعطيات البيولوجية لكل مرحلة مثل معدل الأيض ومعدل نشاط الغدد الصماء، وقوة دفع الدم و التغيرات العصبية الخ.

٢- العمر الاجتماعي: و هو مرتبط بالأدوار الاجتماعية، وعلاقة الفرد بالآخرين ومدى توافقه الاجتماعي.

٣- العمر السيكولوجي : و يستخدم هذا المقياس في تحديد الشيخوخة النفسية ، وهو مقياس وصفي يقوم على جملة الخصائص النفسية و التغيرات في سلوك الفرد ومشاعره و أفكاره... الخ.

٤- العمر الزمني : يرى بروملي أن مرحلة الشيخوخة تنقسم إلى أربعة مستويات:

المستوى الأول : فترة ما قبل التقاعد و تمتد من 55 إلى 65 سنة.

المستوى الثاني : فترة التقاعد 65 سنة فأكثر ، حيث الانفصال عن الدور المهني وشؤون المجتمع و يصاحبها تغيرات عديدة في النواحي العقلية و البيولوجية و النفسية و الاجتماعية.

المستوى الثالث : فترة التقدم في العمر، والتي تمتد من 70 سنة فأكثر، حيث الاعتماد على الآخرين و الضعف الجسدي و العقلي.

المستوى الرابع : فترة الشيخوخة و العجز التام و الوض، الوفاة و التي تمتد حتى ١١ سنة^٢

٢- كبار السن و شخصيتهم

^١عبد الله بن ناصر السدحان، ٢٠٠٨. الشيخوخة و كيفية تعامل الإسلام مع متغيراتها،، سلسلة دعوة الحق، العدد ٢٥٥، ص ٢٢.

^٢عبد اللطيف محمد خليفة ، ب.ت، دراسات في سيكولوجية المسنين ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة، ص١٤.

١٢ كبار السن:

الكبار في السن هم الأشخاص ذكورا أو إناثا الذين تجاوز مراحل النمو و التطور و البناء و النضج في قواهم البدنية و الفسيولوجية ووصلوا إلى مراحل التوقف والاستقرار و بدايات الضعف و فقدان والانحدار في بعض وظائف تلك الأعضاء و الأجهزة أو المكونات¹

فالمسنين هم الذين تتجه قواهم و حيويتهم إلى الانخفاض مع ازدياد تعرضهم للإصابة بالأمراض التي يتزايد معه الشعور بالحاجة و العناية و الرعاية الاجتماعية و النفسية و الطبية.

٢٢ شخصية المسن:

عندما نتلطم عن الشخصية نعني الصفات والمكونات الجسمية والعقلية والوجدانية والاجتماعية في سياق من التعامل والشمول فكل من هذه الجوانب للشخصية يتأثر بالآخر معه، وإذا كانت الفروق الفردية قائمة وأثبتها علم النفس الحديث وعلم الوراثة في المراحل المبكرة من النمو كمرحلة الطفولة والمراهقة مثلاً، إلا أن الفروق الفردية تكون أوسع و أوضح في مكونات الشخصية في المرحلة المتأخرة من دورة الحياة في كبار السن.²

٣- التغيرات التي تحدث في الشيخوخة

١٣- التغيرات البيولوجية و الفيزيولوجية

تمثل الشيخوخة ظاهرة بيولوجية طبيعية ناتجة عن تأثيرات مرور الزمن و التقدم في العمر على جسم الإنسان ، فالشيخوخة هي نتيجة مباشرة للتراكم التدريجي للخلايا المتعبدة على مرور السنين.³

كما أنها عبارة عن نمط شائع من الاضمحلال الجسمي في البناء و الوظيفة يحدث بتقدم السن لدى

كل كائن حي بعد اكتمال النضج ، و هذه التغيرات الاضمحلالية المسيرة لتقدم السن تعترى كل الأجهزة الفسيولوجية و العضوية و الحركية و الدورية و الهضمية و البولية و التناسلية و الغدية و العصبية والفكرية.⁴

يرتكز تعريف الشيخوخة من الناحية البيولوجية على جانبين أساسيين هما :

-الأول يتعلق بالبناء :

و يشير إلى زيادة التفاعلات الاجتماعية الهدامة بالجسم عن التفاعلات الكيميائية البناءة مما يترتب عليه نقص مستمر

في مقدرة الجسم على مقاومة المؤثرات الخارجية

- والثاني يتعلق بالوظيفة :

حيث يؤدي هذا النقص المستمر في مقدرة الجسم على مقاومة المؤثرات الخارجية إلى نقص في المقدرة الوظيفية لهذه

^١ علي جاسم علكة الزبيدي ، ٢٠٠٩ ، سيكولوجيا الكبر والشيخوخة مراحل ما بعد النمو في حياة الإنسان، إثراء للنشر والتوزيع الأردن، ص٣٥

^٢ مساري حسن الراوي ، ٢٠٠٩ ، سيكولوجية الشيخوخة، دار الياقوت للطباعة و النشر ، عمان، ص٣.

^٣ جعفر حسان، ٢٠٠٣ ، الشيخوخة، سن الأمل والشباب الدائم، دار البحار، بيروت لبنان، ص٧.

^٤ محمد قناوي هدى، ١٩٨٧ ، سيكولوجية المسنين ، مركز التنمية البشرية والمعلومات ، مصر، ٥٢.

الأعضاء ، و هذا أوضح ما يكون في نوعين من أعضاء الجسم ذلك الذي ليس عنده المقدرة على تعويض نقص الخلايا و الثاني ذلك الذي يتميز بأنه يتحكم في أعضاء أخرى بالجسم، و أي من النوعين أو كلاهما يؤدي في النهاية إلى اضمحلال وظيفة العضو و الجسم وهو ما يسمى على مستوى الجسم كله عند حدوثه بالشيخوخة.

و فيما يلي عرض للتغيرات البدنية التي تحدث في كل الأجهزة العامة للجسم :

أ-الجهاز الحسي:

ربما تكون التغيرات في الأعضاء الحسية أكثر خطورة لدى كبار السن فمن خلال الأحاسيس تستلم المعلومات و تقدم الاستجابات التي تحكم تفاعلاتنا مع الآخرين و مع البيئة ، فالنقصان في البصر والسمع و اللمس أو في الألم أو في الإحساس و التذوق أو في الشم و التوازن يؤثر في نوعية هذه التفاعلات ، و عموما فإن فقدان الحسي يكون تدريجيا و حين تصل هذه التغيرات إلى مستوى يعوق الوظائف فإن المساعدات و التعديلات في البيئة تقدم مباشرة و أكثر فقدان شيوعا ما يعاينه كبار السن في درجة حدة البصر و السمع .

ب-البصر:

إن التغيرات في البصر تكون بصورة أولية على أشكال من الضعف في دقة الرؤيا و إدراك الضوء وتعديل الصورة أي التركيز بدرجة شديدة قرب الصورة ، و هذه التغيرات تتأثر بالتبادلات في تركيب العين و فقدان المرنة في عضلاتها ، و تتضمن التغيرات الأخرى المرتبطة بالعمر أيضا فقدان العضلات الوجهية لمطاطيتها و مرونتها حول العين و فقدان الشحوم حول كرة العين وينتج عن هذه التغيرات سقوط في وجفن العين مما يؤثر في مظهر الوجه ¹.

ج-السمع:

لاشك أن فقدان الشخص للقدرة التي يعتمد عليها في التعايش مع الآخرين إضافة إلى ما قد يصاحب الإفاقة السمعية الناتجة من اعتلال عام في الصحة البدنية و تناقص الحيوية و النشاط (افتقاد الإحساس بالأمان ، عدم الاستمتاع بمناهج الحياة العادية التي كانت متاحة لهم من قبل فقد السمع صعوبات التفاعل مع الآخرين) ، و الاستجابات التالية للمتغيرات المصاحبة أو المرتبطة بفقد السمع الناتج عن التقدم في العمر ربما يصبح التعامل معها

و دراستها استنادا إلى ما يعرف بنظريات رد الفعل للأزمة²

د-التذوق و الشم:

تحكم أحاسيس التذوق و الشم بواسطة براعم تذوقية على اللسان و في الفم و بواسطة خلايا متسلحات شممية موجودة داخل الأنف من الأعلى ولا يوجد دليل يظهر مميزات هي هذه الأحاسيس مرتبطا بالعمر ، وأن معظم التغيرات في التذوق و الشم يكون للناس خبرة بها أساسي فردي إلى درجة كبيرة و غالبا ما تكون عادات نمط الحياة مثل التدخين في السبب في ضعف هذه الأحاسيس.

¹ علي جاسم علكة الزبيدي ، نفس المرجع، ص ١٥٨ .

² محمد السعيد أبو حلاوة ، 2005.الاكتئاب لدى الأطفال و المراهقين، مدرس الصحة النفسية و علم النفس الأطفال غير العاديين ، كلية التربية بدمهور، جامعة الإسكندرية، ص ٦٠٠ .

هد اللمس:

إن المتسلّمات البدنية المسئولة عن عدم الإحساس اللمسي (الألم و الضغط و الحرارة و البرودة والعلاقات المكانية) تكون جزء من الجلد و كذلك من الجهاز العضوي الداخلي من الجسم . و بينما يكبر الجسم فإن ضعف في الحساسية للحرارة و البرودة و الألم يتراكم، و لهذا فإن إرادة الحرارة البيئية تكون مهمة في إسناد درجة الحرارة الملائمة و مريحة للجسم عند كبار السن.

و.الجهاز العصبي:

ففي كبار السن يتدهور الدماغ و الجهاز العصبي المركزي بصورة سريعة و إذا أثرت هذه التغيرات على الدماغ تأثيراً تدريجياً فإن هذه الحالة تسمى بانحلال أو تدهور الشيخوخة إذا حدثت هذه التغيرات بصورة فجائية و كانت نوعية أو محلية فإننا نكون أمام حالة تصلب شرايين القشرة الدماغية و انسدادها وعلى ذلك يمكن تصنيف جملة الأعراض الدماغية في الشيخوخة إلى فئتين هما :

- اضطرابات ما قبل الشيخوخة: و يتناول الأشخاص من سن ٤٥ إلى ٦٠ سنة و من أكثر الأمراض شيوعاً في هذه المرحلة مرض الزهايمر لقد وصف هذا المرض لأول مرة عالم الأعصاب الألماني Alois ب الزهيمير 1907 م أي منذ 100 عاماً و يحدث في سن ما بين 40 و 6٠ عاماً و يسير بسرعة أزيد من مرض آخر

- اضطرابات الشيخوخة : من اضطرابات الشيخوخة Maladie de Pick و لقد وصفه لأول مرة عالم فيزياء من تشيكو سلوفاكيا سنة 1892 هو أرنولد بيك و ينحل أو يتفكك الجهاز العصبي المركزي حيث تحدث إصابات في الفص الجبهي و الصدغي وهو عبارة عن ضمور في الدماغ حيث يتحول من 1300 ملغ إلى أقل من 1000 ملغ و يعاني المريض من النسيان و عدم القدرة عن التفكير و يعاني من العجز في الكلام كما يبدو المريض غيبياً و غير مهتم في مظهره و يفترق إلى الوعي أو فهم حالته و يبدأ هذا الاضطراب بإيجاد صعوبة في التركيز و يبدو على المريض السرحان و شرود الذهن و عدم الراحة كما يعاني من هذات الاتهام و الاضطهاد و يميل المريض إلى لوم الآخرين، و تحدث الوفاة بعد ٠٤ إلى ٠٧ سنوات .

٤- احتياجات المسنين النفسية والاجتماعية:

ويمكن أن نستعرض حاجات المسنين فيما يلي:

١. حاجات المسنون إلى أن يفهموا أنفسهم وينبغي أن يدرك المسنون كل ما يتصل بعملية النضج في العمر حتى يمكنهم أن يدركوا معنى التغيرات التي تؤثر في قدرتهم العقلية والجسمية وبناء شخصيتهم وبالتالي تنعكس على حالتهم النفسية ومكانتهم الاجتماعية الأمر الذي يعتبر ضرورياً حتى يتقبلوا هذه التغيرات والآثار ويعترفوا بها وبذلك يتحقق لهم أقصى تكيف اجتماعي ممكن .

٢ . يحتاج المقبولون على سن التقاعد إلى التعرف على فرص العمل والتطوع بعد التقاعد . كما يحتاجون إلى التعرف على طرق المحافظة على الصحة الجيدة وإتباع أساليب معيشية تلاءم التقدم في السن وطرق تجنب الأمراض رض المزمنة والوقاية منها كما يحتاجون إلى تأمين الموارد المالية اللازمة عن طريق تنظيم صرف المعاشات والمساعدات الحكومية والرعاية الطبية.

٣ . يحتاج المهنون إلى توفير علاقات اجتماعية سواء في داخل الأسرة أو خارجها يستدعي ذلك توعية المجتمع بأمراض الشيخوخة ومشكلات المسنين ، وأن الفكرة السائدة عند بعض الأشخاص أن كبار السن فئة غير منتجة ليست لديها أي قدرات يمكن تنميتها أو يمكنها الإسهام بأي جهد، وهكذا يسخر الناس من قدرتهم على مشاركتهم في التنمية الأمر الذي يؤدي بهم إلى الغرس في أنفسهم الإحساس بالنقص والإحباط والقلق التي ينتج عنها كل اضطرابات الشخصية والأمراض النفسية والجسمانية .

وتتمثل تلك الحاجات النفسية في الاحتياجات التي يحتاجها الفرد ليعيش في أمان مع نفسه ومع الآخرين متحرراً من كل الضغوط النفسية، ومن أهم هذه الحاجات الشعور بالأمن والحاجة إلى التقدير، والحاجة إلى الشعور بالعطف والمحبة أي إشباع الجانب الوجداني للفرد ، فهو محتاج دائم إلى أن يحب ، وأن يعترف به ويحس أنه ذو نفع للجماعة وأننا في حاجة إليه بما يؤدي إلى إحساسه بكيانه وما يتعرض له المسنون من تغيير في كثير من الوظائف العقلية يجعلهم عرضة للخوف والقلق فالأمراض المزمنة التي يعانون منها وإحالتهم إلى التقاعد وافتقاد بعض الأصدقاء وعدم تحقيق التكيف الشخصي والاجتماعي على وجه سليم إضافة إلى أن المسن كثيراً ما يفقد شريك الحياة وهو ما يجعله يشعر بالعزلة وافتقاد السند أو المعين ، والتقدم في السن تصاحبه ديناميات نفسية تتصف بنقص الكفاءة الوظيفية.

وما يصاحبها من نكوص وهياج وعمليات دفاعية ، وترتبط الاحتياجات النفسية للمسن بمشكلات عدم التكيف مع وضعه الجديد وتتضح الآثار النفسية والأخلاقية في ظل زيادة وقت الفراغ في مرحلة المعاشة^١.

٥- نظريات دراسات الشيخوخة:

تختلف نظريات الشيخوخة باختلاف المنظور الذي ننظر إليها من خلاله ، فالشيخوخة عملية متعددة ومتشابكة الجوانب و الأبعاد وفيها تتم مجموعة من التغيرات البيولوجية والاجتماعية والسيكولوجية وبالتالي ظهرت مجموعة من النظريات التي تلقي الضوء وتفسر هذه التغيرات والمظاهر :

١٥- نظرية الانسحاب :

تقوم هذه النظرية على افتراض أساسه أن الأفراد حين يصلون لسن الشيخوخة فهم تدريجياً يبدوون في تقليص الأنشطة التي اكتسبوها حين كانوا في منتصف العمر ، و تقول كمنج التي تعتبر مؤسسة هذه النظرية " تبدأ مظاهر الانسحاب بالملاحظة الموضوعية ذلك أن المسن يشعر أنه بدأ يفقد ارتباطه بأوجه الحياة المحيطة به إذا ما قارن نفسه حين كان أصغر في السن وأكثر ايجابية وأكثر حركة على اعتبار أنه شخص غير مرغوب فيه و لذلك يعتبر التقاعد مظهراً للانسحاب المتبادل ، فالفرد ينعزل عن المجتمع في الوقت الذي يبدأ فيه المجتمع الانسحاب من حياة الفرد ، وقد ينسحب المسن تماماً من المجتمع و يبقى نسبياً مغلقاً عن الآخرين و قد يرافق هذا الانسحاب التام المسن من البداية ويظهر ذلك في زيادة الانشغال بنفسه و حين تكتمل عمليات الشيخوخة فإن التوازن الذي كان يوجد في منتصف العمر بين الفرد و مجتمعه يذهب ليحل محله توازن يتميز ببعد المسافة و تغيير أنماط العلاقات و تقوم نظرية الانسحاب على ثلاثة أبعاد أساسية هي :

١. أن معدل التفاعل و أبعاد سوف يقل بتقدم الإنسان في عمره.

١ و جدي محمد بركات ، ٢٠١٠ ، دمج المقيمين في دور الإيواء والمؤسسات الاجتماعية بالمجتمع التدخل المهني مع المسنين لدمجهم بالمجتمع كنموذج تطبيقي، دراسة نفسية ، أستاذ الخدمة الاجتماعية ، جامعة أم القرى ، ص ٧-٩٠٠ .

٢. أن التغيير الكمي والكيفي في التفاعل يصاحبه تغير في ادراك حجم الحياة .

٣. أن التغيير الكيفي للتفاعل يصاحبه نقص في صفة الحياة الاجتماعية حيث ينتقل المسن من الاهتمام بالآخرين إلى الاستغراق في ذاته و من الانشغال إلى الراحة.

لقد نقدت هذه النظرية حين أشار البعض إلى أن نظرية الانسحاب لا تنطبق على كل الأفراد فالذين يعملون أعمال لا تتصل بالآداب أو الفن أو أعضاء السلك الجامعي أو رجال الذين لا تنطبق عليهم نظرية الانسحاب و لذلك عدلت كمنهج من نظريتها و أشارت إلى الرضا عن الحياة قد يرتبط إيجابيا بالأنشطة لدى بعض المسنين و بالانسحاب لدى بعض الآخر ، فالشخص النشط الذي يوجه اهتماماته للعالم الخارجي سوف يكون سعيدا إذا ما استمر على ذلك خلال مرحلة التقاعد أما الآخرين أصحاب النظرة السلبية و الذين يعتبرون البيت مركزهم الرئيسي فإنهم سوف يرحبون بالانسحاب من المجتمع!

٣٥- نظرية النشاط و الفعالية :

ترى هذه النظرية أن كبار السن لا يتخلون عن أدوارهم بسهولة التي كانوا يمارسونها في منتصف العمر ، و إذا ما اضطروا لذلك فسوف يستبدلون بأدوار و أنشطة جديدة مناسبة لقد رضتهم بحيث توفر لهم الشعور بالرضا عن الذات و العواطف الاجتماعية ، و قبلت هذه النظرية بصورة واسعة و كانت ذات أهمية خاصة بالنسبة للمتخصصين بالنشاط و يمكن أن تعزى شعبية هذه النظرية بصورة خاصة إلى الطريقة التي تظهر فيها ، و تستند هذه النظرية على أساس أن المستويات العالية للنشاط ترتبط بادراك و رضا نفسي عالي عند كبار السن ، و على الرغم من ظهور نتائج دراسات ميدانية تؤيد هذه النظرية إلا أنها نقدت كونها بسيطة لا تتضمن شرحا كافيا للرضا عن الحياة في الأعمار المتقدمة ، و من محدوديتها أنها لا تأخذ بنظر الاعتبار الفروق الفردية و الشخصية في مستوى النشاط عبر مسار الحياة كما أظهرت دراسات أخرى أن النشاط الذي يكون له معنى من الناحية الشخصية يرتبط بالرضا عن الحياة في حين أن النشاط المنظم و المبني بناء عاليا لا يرتبط بالرضا عن الحياة.²

٤٥- النظرية السيكلوجية (الشخصية) :

تهدف نظريات الشخصية إلى تفسير أنماط التكيف في السنوات الأخيرة من الحياة على أساس السلوك و يرى نيوجارتين، طوال الحياة التي يجري تعميمها من خلال مصطلح الشخصية و هو أحد أقطاب هذا المذهب أن هذا المصطلح غير ضروري و يرى أن التجمع هو جزء من البيئة التي يمكن التكيف معها و التأثير عليها الاستجابة لها و لكن ليس بالضرورة التفاعل معها ، بينما يؤكد هنري على أهمية مصطلح ذاتي بمعنى عمليات الشخصية المختلفة و على هذا النحو فهي تمثل عمليات "للأنا" ذات التاريخ

التطوري و مسار واضح خاص بها و قوة ايجابية يمكن أن تؤثر على رد الفعل بالنسبة للأحداث الخارجية و اختيار الاستجابة لهم.³

^١ محمد نبيل عبد الحميد ، ٢٠٠٠. العلاقات الأسرية للمسنين و توافقهم النفسي، دار الفنية للطباعة النشر الإسكندرية، ص٥٣.

علي جاسم علكة الزبيدي ، مرجع سابق، ص٢١١.

^٢ عدي بدرجي مرسى ، ٢٠٠٧. المسنون في عالم متغير، مقدمة في علم الشيخوخة، دار الوفاء، الإسكندرية مصر، ص١٩٨.

٥٥ نظرية الأزمة :

و تؤكد هذه النظرية أهمية الدور المهني بالنسبة للفرد داخل المجتمع ، فقيام الشخص المسن بعمل ما يعد في غاية الأهمية بالنسبة له حيث يكسبه الدور المهني هويته و يملئته من وضع نفسه في علاقات مع الآخرين و يساعده على التوافق النفسي الاجتماعي .و يرى أنصار هذه النظرية أن التقاعد يمثل أزمة بالنسبة للمسنين خاصة لدى هؤلاء الأشخاص الذين يعطون للعمل أهمية كبيرة و يعتبرونه قيمة في حياتهم .و قد قسم الباحثون إزاء هذه النظرية إلى فريقين:

الفريق الأول: ويرى ممثلوه أن فقدان الفرد لعمله و تغير أدواره بعد إحالته للتقاعد يؤثر في نظرتة لنفسه ، و في علاقاته مع أسرته و المجتمع الذي يعيش فيه .

الفريق الثاني:و ينظر أصحابه إلى الإحالة إلى التقاعد على أنه ليس العامل الوحيد و الأهم في رضا المسن عن نفسه و عن حياته، فتأثير التقاعد بتوقف على عدة عوامل منها المستوى الاقتصادي والاجتماعي، وأهمية العمل بالنسبة للفرد و الحالة الصحية...الخ^١

٦ مشكلات الشيخوخة:

١٦- المشكلات الصحية: مما لا شك فيه أن أم ارض المسنين تكثر عن مختلف المراحل العمرية الأخرى للإنسان و ذلك نتيجة قلة المناعة الجسمية و ضعف الجسم و الأنسجة و عدم استطاعتها مقاومة الأمراض التي قد تكون موجودة في جسم الإنسان في مرحلة الشباب ووسط العمر، و لكن إذا كانت المناعة لديه قوية تستطيع مقاومتها، حيث أن هذه المشكلات مرتبطة بالضعف الصحي العام والضعف الجسدي و ضعف الحواس كالسمع والبصر و ضعف القوة العضلية وانحناء الظهر وجفاف الجلد والإمساك وتصلب الشرايين والتعرض بدرجة أكبر للإصابة بالمرض وعدم مقاومة الجسم.

٢٦- المشكلات النفسية والعاطفية:

لا شك أن كثير من المسنين يعانون من وحدتهم وترك الأبناء لهم لانشغالهم بأنفسهم وعائلاتهم حيث أن الاضطرابات الوجدانية تشيع بين المسنين و تزداد معدلات حدوثها كلما تقدم في العمر فالأم ارض العصبية و الذهانية من أهم أمراض الشيخوخة في المجتمع المعاصر.^٢

ومن أمثلة المشكلات النفسية :

١- مشكلة سن القعود : وهو ما يعرف عادة باسم سن اليأس ويكون مصحوبا باضطراب نفسي أو عقلي قد يكون ملحوظا أو غير ملحوظ وقد يكون في شكل الترهل والسمنة والإمساك والذبول والعصبية والصداع والاكتئاب النفسي والأرق.

٢- مشكلة التقاعد: وهو ما يشعر الفرد بالقلق على المستقبل والحاضر والخوف والانهيار العصبي وخاصة إذا فرضت عليه حياته الجديدة بعد التقاعد أسلوباً جديداً من السلوك لم يألفه من قبل ولا يجد في نفسه المرونة الكافية لسرعة التوافق

١ عبد اللطيف خليفة، المرجع السابق، ص ٣٧.

٢ جولتان حجازي و عفاف أبوغالي، ٢٠٠٩ ، مشكلات المسنين (الشيخوخة) وعلاقتها بالصلابة النفسية، دراسة ميدانية على عينة من المسنين

الفلسطينيين في محافظات غزة" مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) مجلد ٢٤ ، ص ١١٨ .

معه، وخاصة إذا لم يتهيأ لهذا التغيير وإذا شعر أو أشعره الناس أنه قد أصبح لا فائدة منه بعد أن كان يظن أنه ملء السمع والبصر.

٣- ذهان الشيخوخة : وفيه يصبح الشيخ أقل استجابة وأكثر تركاً من حول ذاته و يميل إلى الذكريات وتكرار حكاية الخبرات السابقة، وتضعف ذاكرته ويقل اهتمامه وميوله وتقل شهيته للطعام والنوم، وأيضا تضعف طاقته وحيويته و يشعر بقله قيمته في الحياة، وهذا يؤدي إلى الاكتئاب والتهيج وسرعة الاستثارة والعناد والنكوص إلى حالة الاعتماد على الغير و إهمال النظافة والملبس والمظهر وباختصار يبدي الشيخ صورة كاريكاتيرية لشخصيته السابقة.

الشعور الذاتي بعدم القيمة وعدم الجدوى في الحياة : والشعور بأن الآخرين لا يقبلونه ولا يرغبون في وجوده وما يصاحب ذلك من تصعيد وتوتر فقد يعيش البعض وكأنهم ينتظرون النهاية المحتومة.

٤- الشعور بالعزلة والوحدة النفسية : هناك حاجات انفعالية عامة تميز كبار السن منها الحزن والأسى الناتج عن الوحدة من فقد حب الآخرين، والشعور بالذنب الناتج عن الوحدة من الحوادث الماضية.

٣-٦- المشكلات الاقتصادية :

هي انخفاض دخل المسن و ذلك نتيجة إحالته إلى التقاعد عند بلوغه السن النظامية و هذا يؤدي إلى عدم تلبية العديد من الحاجات الأساسية للمسن

٧- أهمية التدخل المهني في مجال رعاية المسنين :

- من المسئول عن رعاية المسنين ؟

إن مرحلة الشيخوخة لا نعني بها مرحلة العجز و التدهور بل نقصد بها أن كل مرحلة من مراحل العمر ، بل و كل فئة من فئات الناس بحاجة إلى نوع أو آخر من أنواع الرعاية و أنه لا يمكن ترك أية مجموعة من الناس بغير ضمان الرعاية المناسبة لهم فالإنسان ارع و مرعى في نفس الوقت مهما كانت مكانته الاجتماعية و مهما كانت المرحلة العمرية التي بلغها ، و قبل أن نتطرق إلى أنواع الرعاية التي ينبغي أن نقدمها للكبار و المسنين فإننا نخرج إلى من يقوم برعاية المسنين :

١٧- مسؤولية الأبناء :

لابد للأبناء أن يساهموا في رعاية الآباء و الأمهات الذين تقدم به السن و ليس من يشك في أهمية الرعاية النفسية و التعاطف الذي يجب أن يوفره الأبناء و البنات لكبار السن ، لأن المسن لا يحس بالسعادة و الطمأنينة و الدفء النفسي إلا إذا أحس بأن أبنائه و بناته بارون به و متعلقون بشخصه و حريصون على راحته و مهتمون بصالحه .

٢٧- مسؤولية الدولة :

فعلى الدولة أن تأخذ في عاقتها رعاية الشيوخ و أن تضع النظم و اللوائح المنظمة لتلك الرعاية، و ألا تقتصر في ذلك على ما تفعله من رعاية مادية لهم بل عليها أن تمت مظلتها الرعوية للشيوخ إلى جميع المناحي التي تؤثر من قريب أو من بعيد في شخصية الشيخ و سعادته ، و يجب أن تكون تلك الرعاية تقوم على أسس سليمة حتى تضمن لنفسها النجاح^١.

^١ ميخائيل يوسف، ٢٠٠٠، رعاية الشيخوخة ، دارغرب، القاهرة، ص١٢.

٣٧ دور المؤسسات الخاصة:

إن المؤسسات الخاصة تلعب دورا مهما و أساسيا في مواجهة التحدي الذي يلقاه كبار السن من أعضائها ، فهي تعمل جاهدة أن تستوعب كل الرغبات و المهارات و المعارف و الخبرات المطلوبة لمعاونة الشخص المتقدم في السن ليعيش إلى آخر عمره، و يتطلب ذلك البحث عن إشباع حاجات المسنين و توفير الرعاية الصحية و الخدمات الإسكانية و الترويحية و الإرشادية و المساعدات المالية، و تقوم هذه المؤسسات بهذا الدور من خلال :

- الأنشطة الترويحية التي تقدم للمسنين والهوايات المختلفة.

- فرص الكسب و ذلك بالإشراف على بعض البرامج لإعادة التكيف تقديم برامج مناسبة

للمسنين حيث يجدون الفرصة لإبراز مواهبهم أو اكتشاف استعداداتهم، كما يجدون المناسبات التي يستفيدون فيها من شتى أنواع الخدمات (الرحلات و الأسفار... الخ).

-دراسة و تحسين الظروف البيئية التي تحيط بالمسنين و بعض المشكلات النفسية و الصحية و علاج الأمراض المختلفة من طرف أطباء و مختصون نفسانيون و اجتماعيون ... الخ .

فهذه المؤسسات التي تتميز ببعض الجوانب الإيجابية لا تخلو من بعض العيوب نذكر منها:

أنها تميل إلى التفوق و والانعزالية بعيدا عن الخبرات العالمية في مجال رعاية الشيخوخة.

وبعض هذه المؤسسات تبدأ بباعث إنساني و لكنها تنحدر إلى مستوى الاستغلال و الجري وراء الربح¹.

٨- أشكال الرعاية المقدمة للمسنين:

١٨ الرعاية الصحية:

لا يمثل كبار السن في العالم فئة واحدة من حيث القدرة على العمل أو الحاجة إلى الرعاية الصحية بل يمكن تقسيمهم إلى ثلاث فئات هي:

الفئة الأولى: هم الكبار في السن الذين يتجاوزون الستين من العمر و لكنهم أصحاء

و لا يحتاجون إلى مساعدة للقيام بأدوارهم الاعتيادية و قادرون على التفاعل و التعايش مع بيئاتهم الأسرية والاجتماعية.

الفئة الثانية: و هم كبار السن الذين يتجاوزون الستين من العمر و يعيشون في بيوتهم و يحتاجون إلى مساعدة في أمورهم الشخصية و الصحية.

الفئة الثالثة : و تضم الكبار السن الذين يتجاوزون الستين من العمر و لكنهم يحتاجون إلى رعاية صحية مستمرة و على مدار الساعة حيث أنهم غير قادرين على القيام بأي شيء و يحتاجون

إلى مكان دائم تقدم لهم فيه الرعاية الدائمة طالما بقوا على قيد الحياة فالمسنين الذين يندرجون ضمن الرعاية الصحية هم من الفئتين الثانية و الثالثة¹.

¹ هدى قناوي، مرجع سابق، ص ١٧٩.

٢٨- الرعاية النفسية:

تهدف الرعاية النفسية إلى تحقيق الأمن النفسي و الانفعال و التوافق الذاتي للمسنين و إشباع الحاجات و تحقيق عزة النفس للمسن، و شعوره بالحب و بأنه مطلوب و أن أهله بحاجة إليه و إقناعه بأن ما تبقى له من قوى عقلية و جسمية تكفي

لإسعاده في الحدود الجديدة التي يفرضها سنه. و سوف نتناول الرعاية النفسية للمسنين من النواحي الآتية :

الحاجة إلى إرشاد الكبار: يهدف إلى مساعدة المسنين لجعل مرحلة الشيخوخة خير سنوات العمر وذلك عن طريق مساعدة الشيخوخة على تحقيق أفضل مستوى من التوافق و الصحة النفسية .

تأثير البيئة على توافقه النفسي: تحتاج الشيخوخة النفسية إلى كثير من الجهود لخلق بيئة سيكولوجية منتقاة جيدا لتساهم في التوافق النفسي، ففي أكثر الأحوال تعمل البيئة على إظهار استجابات عاطفية عنيفة و ذلك بسبب ارتفاع درجة الحرمان الحسي الناتج عن أسباب عضوية لديهم ، لذا من الضروري فهم علاقة المسن بالعناصر البيئية حوله²

٩- تحقيق التوافق الذاتي للمسنين :

إن كبر السن عملية مستمرة تتطلب توافقا مستمرا للتغير و توقعا أبعد ، و يشير التوافق لكبر السن إلى ردود الفعل لتفاعل التغيرات البيولوجية و الاجتماعية و النفسية التي تشكل جزءا من التقدم في العمر.

أن مستوى التوافق لدى المسن يتحدد تبعاً لأدوار ثلاثة هي :

أولاً دور التوجه الفردي: و الذي يتضمن التغيرات العمرية في الحاجات و الأهداف و الميول و الاتجاهات و في تقدير السعادة و مصادر القلق ، فهي تتغير مع تقدم في العمر

ثانياً دور كفاءة الأداء و القدرات :

والتي تتضمن التغيرات العمرية في الإدراك و السمع و البصر و في القوة و المهارات الحركية و حدود المرض ، كما تتضمن التغيرات في الذكاء و التعلم و الذاكرة فالاحتفاظ بالتوافق مع البيئة الاجتماعية يعتمد على الإدراك و الاتصال و تمثل الوظائف الحسية حلقة أساسية في سلسلة الأحداث التي تؤدي إلى الاتصال ، و ثالثاً دور البيئة الاجتماعية و الثقافية حيث تتحدد آليات التوافق المتاحة للفرد ليحقق إرضاء حاجاته و أهدافه بالبيئة الاجتماعية و الثقافية التي يعيش فيها.³

يحظى المسنين بالرعاية في المجتمعات المختلفة سواء كانت رعاية تقليدية أو مستحدثة ... فإذا كان المدخل التقليدي لرعاية المسنين قائماً على مساعدة الإنسان لأخيه الإنسان، في عفوية بالغة لما يمتلكه الإنسان من خير يوزعه على الآخرين ، فإن الرعاية الاجتماعية للمسنين في المجتمعات المعاصرة أصبحت قائمة على أسس مهنية وجهود للتدخل المهني من جانب الممارسين في التخصصات والمهن المختلفة العاملة في المجتمع ، وتعتبر مهنة الخدمة الاجتماعية من المهن الرئيسية في مجال

^١ علي جاسم علكة الزبيدي، مرجع سابق، ص ٣٥٧.

^٢ هدى قانوني، مرجع سابق ، ص ١٧٩.

^٣ عبد الحميد محمد شاذلي، ٢٠٠١ ، التوافق النفسي للمسنين، المكتبة الجامعية الإسكندرية، ص ٥٤.

رعاية المسنين .. حيث تتميز بممارستها الميدانية التي تدعمت عبر تاريخها بنماذج للتدخل المهني، ويمكن لنا تعريف التدخل المهني في الخدمة الاجتماعية على النحو التالي :

١- التدخل المهني يشكل مجموعة من الأنشطة والعمليات التخطيطية والتنفيذية.

٢- يشترك في هذه الأنشطة كل من الأخصائي الاجتماعي والوحدة التي يتعامل معها في موقف الممارسة والتدخل المهني.

٣- للتدخل المهني مراحل وعمليات متتالية ومتفاعلة ومتسقة مع بعضها وصولاً لتحقيق أهداف محددة.^١

١٠- الأمراض الأكثر انتشاراً في مرحلة الشيخوخة:

مما سلف ذكره من قبل عن ضعف البنية الخلوية والبيولوجية واختلال عمل وظائف الأجهزة الفسيولوجية للإنسان عند الكبر في السن، فإنه بذلك معرض للإصابة بالأمراض بشكل كبير، وجسده يضعف عن المقاومة، هذا مع التأثيرات البيئية الخارجية على الجسد، ويمكن هنا أن نعد عدة أمراض معروفة لدى الشيخوخ يصابون بها أهمها:

١٠١- الأمراض المزمنة : هذا النوع من الأمراض يصاب بها الإنسان عادة عند الكبر وتمتاز بالديمومة وتحدث تأثيرات ضارة غير قابلة للشفاء ومصاحبة لأعراض معقدة كالاضطرابات الآلام والتعب وفقدان الشهية وضعف البصر ... إلخ ومن أهمها:

١٠٢- أمراض القلب والأوعية الدموية : هذا النوع من المرض يؤدي إلى ٩١% من أسباب الوفيات في الفئة العمرية ١ سنة فأكثر، وتساعدها في ذلك بعض الأمراض المصاحبة لها كتضييق الشرايين، من خلال ترسبات الدهون والكوليسترول المبطنة على الجدار الوعائي، وقد يزيد من خطورتها إذا صاحبه ارتفاع في الضغط الدموي ومرض السكري والسمنة وثقل الحركة والجلوس والتدخين والاستعداد الوراثي للسكتة القلبية، وقد تنعكس إلى تغيير في عضلة القلب وقدرتها على ضخ الدم إلى أجهزة الجسم المختلفة خاصة المخ، وأهم أعراض النوبة القلبية قد تكون مؤشراً لها هي ألم في الرقبة والذراع والصدر وقصور التنفس وضعف ودوار وتشنج في الساقين وما إلى ذلك.

١٠٣- ارتفاع ضغط الدم: معظم الحالات المصاب بها ارتفاع ضغط الدم غير معروفة، ولكن هناك عوامل تساعد على الإصابة بهذا المرض مثل العمر والجنس والضغطات النفسية والاستعداد الوراثي والعرق والغذاء الذي يحتوي على نسبة عالية من الملح وكذلك السمنة، ويمكن أن يؤدي ضغط الدم إلى أضرار في القلب وفي مختلف أعضاء الجسم، كما أنه يمكن الإقلال من ارتفاع الضغط بإتباع نمط حياة معين و نظام غذائي معين و الإقلال من الملح والدهون والكحول والتدخين وزيادة التمارين الرياضية^٢

ويشير المسح الوطني حول صحة الأسرة في الجزائر سنة ٢٠٠٠ أن نسبة ٣% من المسنين في الجزائر يعانون من ارتفاع ضغط الدم وترتفع هذه النسبة في الحضر منها على الريف بـ ٣% مقابل ٢٥%

١٠٤- مرض الأوعية الدموية والدماعية : من أهم ما يصاب به المعرض لهذا المرض، هو حصول سكتة دماغية أو إصابة الشرايين الدماغية بضرر، نتيجة انقطاع التزويد الدموي للدماغ بسبب تضيق الشرايين وتقلصها، ما تلحق ضرراً بالدماغ أو موت بعض خلايا الدماغ، أو خلاها وظيفياً لبعض مناطق الجسم التي تكون تابعة للمنطقة المتضررة في الدماغ، والأمراض المصاحبة لهذا المرض هي الضعف، الإغماء، أو الدوار والاضطرابات في الكلام وفي الشخصية. وهذه الحالات تعتبر السبب

^١ وجددي بركات ، مرجع سابق، ص٠٧.

^٢ علي جاسم علكة الزبيدي، مرجع سابق، ص٣٧.

الثالث الذي يقود إلى الوفاة لدى السنين، ومن أمراض الأوعية الدموية المحيطية منها تصلب الشرايين العصيدي، التهاب الوريد ألتجلطي السطحي، التهاب الوريد ألتجلطي العميق.

٤١٠ السرطان: يعد هذا المرض أو الورم الخبيث إحدى الأمراض التي انتشرت بكثرة في السنوات الأخيرة، وتعد السبب الثاني للوفاة لدى كبار السن، وتتعدد أنواع السرطانات لدى المسنين ولكن الأكثر شيوعاً هي سرطانات الرئة المنتشرة عند الرجال بسبب التدخين أو السموم البيئية والهوائية، وسرطان الثدي لدى النساء، وسرطان القولون والمستقيم والمعدة والبنكرياس والبروستاتة وسرطان الجلد.

وغالباً ما يكون أسباب هذه السرطان مختلفة من شخص لآخر، لكنها تشترك على أنها تفاعل لمواد غريبة في الجسم تؤثر على الخلايا بالجرح أو تدميرها، ما يجعل تكاثرها بشكل فوضوي وغير منتظم، مما يشكل بذلك أورام خبيثة، وقد يأتي هذا نتيجة نمط الغذاء أو التعرض لأشعة الشمس، الجلوس الكثير، السمنة وغيرها و هذه الأسباب تختلف من سرطان لآخر، ويعتبر التشخيص المبكر للسرطان والمعالجة المبكرة للسرطان هي أنجع وسيلة للإقلال من هذا المرض والشفاء، أما عن طرق العلاج فهي متعددة وأغلبها في طريق البحث وأشهرها وأنجعها هي والإشعاع الذري والكيمائي، أو التدخل بالعملية الجراحية.

٥١٠ أمراض الانسداد الرئوي: الكبر في العمر وتراجع وظائف الرئة لدى الكبار والتعرض إلى السرطانات البيئية والتدخين والقابلية الوراثية، هي أهم الأسباب التي تؤدي إلى نوبات الالتهابات النفسية الحادة كالتهاب القصبات المزمن والانتفاخ الرئوي، وتليف الرئة والربو القصبي الذي يؤدي إلى أمراض الرئة والانسدادات المزمنة، ويعد العلاج التنفسي والدوائي والتمارين الرياضية وتمارين التنفس، وتوفير البيئة الملائمة وقطع التدخين أهم طرق العلاج لهذه الأمراض .

٦١٠ مرض السكري: من أهم التغيرات التي تحدث عند الشيخوخة هي اختلال استجابة البنكرياس لإفراز الأنسولين عند زيادة نسبة السكر في الدم، وكذلك الاختلال التمثيل الغذائي السكري والذي يعتمد على الأنسولين عند زيادة نسبة السكر في الدم، وكذلك الاختلال التمثيل الغذائي للسكري ، والذي يعتمد على الأنسولين أيضاً، ويعد أسلوب الحياة والتغذية والسمنة وبعض العوامل البيئية والاستعداد الوراثي أهم أسباب هذا المرض، أما أعراضه فتتمثل:

في الشهية المتزايدة، تبول متزايد، فقدان الوزن، إعياء وتعب، عطش زائد وشفاء بطيء للجروح، ويتم الكشف عنه عن طريق فحص العين والتحليل الطبية أو دخولا للمستشفى ويمكن أن يؤدي أيضاً إلى أعراض أخرى، كالتهابات العيون وفقدان البصر والتهابات الكلى، وإلحاق ضرر بالأعصاب وخطر على الشرايين القلبية الدماغية، أما طريقة علاجه هي إتباع نوع معين من الأغذية، تجنب الأطعمة السكرية ، إتباع تمارين رياضية معينة إضافة إلى إتباع بعض الأدوية وعلاج في بعض الحالات^١.

٧١٠ التهاب المفاصل: هي تتضمن أكثر من ٤١ حالة انحلالية التهابية لأربطة و عظام جهاز الهيكل الهضمي، ما يحدث تمزق الرباط الحامي للمفصل، وتفاقم التهاب عظمة المفصل والتلف التدريجي له وأسبابها وراثية أو البدانة، الجروح... وتظهر أعراضها في تناقص في العمل الوظيفي وطققة المفاصل عند الحركة ما يتطلب التعامل مع هذا الالتهاب هو نقص الوزن وإجراء تمارين ذات ضغط ، وتعريض المفصل المصاب للحرارة ومسكنات الألم ومضادات الالتهابات ، وهناك أيضاً التهاب

^١ علي جاسم علكة الزبيدي، مرجع سابق ، ص ٢٧٧.

المفاصل الروماتيزي، وهو التهاب مزمن يعاني منه المريض بنوبات حادة واحمرار أو تورم وانتفاخ يستلزم في بعض الأحيان عملية جراحية.

١١- واقع المسنين في العالم:

هنالك عدة مؤشرات لتحليل مدى تشيخ مجموعة سكانية معينة، والرائج في الاستعمال هي نسبة تمثيل العمر الثالث ٦ سنة فما فوق) في المجموع العام للسكان، كذلك يمكن قياس تشيخ سكان مجموعة سكان ما بالسن المتوسط للسكان وهو مؤشر له أهمية كبيرة لمعرفة حركة السكان وتوزيعهم وتركيبهم وتوقعاتهم.

2-4 تطور نسب المسنين:

يقدر عدد مسنين العالم ٦٠ سنة فما فوق، في بداية القرن ٢٠٣ % بحوالي ٦٠ مليون نسمة، كما تقدر نسبة نمو هذه

الشريحة العمرية في السكان ب ٢ % في السنة وهي أكثر من نسبة النمو الطبيعي في السكان ككل، توزيع نسب المسنين

في الخريطة الديموغرافية هي غير متوازنة فنسب المسنين ترتفع في الدول المتقدمة عن الدول النامية و هذا تابع لخاصية التحول الديموغرافي التي سبقت الدول المتقدمة فيها الدول المتخلفة التي استفادت من هذا التقدم، لتلتحق بركب التحول الديموغرافي، إلا أن إحصائيات تطور نسبة المسنين أو توقعات تطور نسبيهم، تشمل كل سكان العالم حتى سنة ٢٠٥١

١٢- واقع المسنين في الجزائر:

من خلال ما تقدم به الباحثون جيلالي صاري ، و عياش وهواه حسب التقرير الذي قام به كل من CENEAP et PNUD في ٢٠٠٦ *La transition démographique et sa structure familiale* ودراسات ديموغرافيا أخرى بينت مرور الجزائر عبر مراحل التحول الديموغرافي، وفق فترات تاريخية خاصة بعد الاستقلال إلى يومنا هذا، من خلال عوامل ومؤشرات تغيرها مثل الخصوبة والوفيات العامة والوفيات الأطفال الرضع وتركيبية الأسرة الجزائرية ومعدلات النمو ... ومظاهر تنمية اجتماعية مثل درجة التحضر والتدريس و البرامج الصحية والإقبال على التمريض و استهلاك الوقاية الصحية و تطور الهياكل الصحية و تحسن الظروف المعيشية...إلخ

و من خلالها يشير المختصين في المجال إلى التوقعات المرورية والمستقبلية للحالة الديموغرافية في الجزائر، ومن أهم هذه التوقعات بالنسبة للمرحلة الآتية، هي تنامي أعداد المسنين في السكان أو شيخوخة السكان، و التي يولى لها اهتماما بالغا في الآونة الأخيرة، ليس فقط لأنها ظاهرة عالمية تمس كل المجتمعات الإنسانية عند اكتمال الدورة الديموغرافية مثلما أشرنا إلى ذلك سابقا وإنما كذلك على تداعيات هذا التطور على الاقتصاد وعلى البرامج الصحية المستقبلية ، وكذلك على هذه الشريحة العمرية بالذات والتغيرات التي تطرأ عليها اجتماعيا وأخلاقيا وضعف هذه الشريحة واستلزامها عناية خاصة واهتماما خاصا

١٣- توزيع المسنين في الجزائر :

من خلال توزيع نسب التمثيل الجنسي للمسنين في الجزائر وفق المناطق الجغرافية والولايات التي يقطنون فيها، يمكننا ملاحظة ظاهرة جديرة بالاهتمام، هي أن هنالك ولايات تستقطب المسنين الرجال أكثر من النساء، وهو ما يكون عكس

القاعدة الطبيعية العالمية في التوزيع بين الجنسين، كون النساء أكثر احتمالا للبقاء على قيد الحياة وأنهن أوفر حظا في العيش من الرجل، في حين أن هنالك بعض المناطق تستقطب المسنات أكثر من المسنين ولكن ليست بنسب حادة، باستثناء تيزي وزو التي تفوق نسبة الأنوثة عند المسنين ٩٧% وتبقى العواصم أو المدن الكبرى في الظاهر هي الأكثر استقطابا للمسنات مثل بجاية تلمسان قسنطينة وهران ومستغانم والجزائر بفارق زيادة ٢% إلى ٣% القاعدة الاستثنائية التي يظهرها التوزيع هي ارتفاع نسب الذكورة بشكل كبير في المناطق الصحراوية والتي تزيد عن ٩٢% في كل من أدرار، الأغواط، تمنراست، جلفة، وبنسب أكبر في كل من تندوف بنسبة ٩٠% وإليزي ١١% في حين تسجل نسبة ذكورة بفارق ٢% في كل من غرداية نعامة، الوادي، تسمسيلت، ورقلة، مسيلة، والملاحظ أن نسبة الذكور ترتفع كلما زدنا في العمر مع استثناء ولايات أقصى الجنوب أين تبقى نسبة الذكورة مرتفعة مثل أدرار، تمنراست، تندوف في مختلف شرائح المسنين، المسنين الشباب أو الكهول أو المسنين العجزة^١

يمكن أن ترجع هذه الظاهرة إلى عدة أسباب منها:

- أن النساء الصحراويات أقل مقاومة من الرجل الصحراوي، وترتفع نسب الموت لدى النساء

في هذه المناطق، أو العكس أن الرجال أكثر مقاومة في البقاء على الحياة.

- كما يمكن إرجاع ذلك لضعف التسجيل لدى النساء في مصالح الحالة المدنية، خاصة في المجتمعات الداخلية المحافظة التي تكون عندها عادة نسب التسجيل منخفضة، أو إلى محافظة المرأة أو إبعادها من الحياة المدنية من طرف الرجل في تلك المجتمعات الريفية.

- كما يمكن أن يرجع ذلك إلى أن الرجال يفضلون العودة إلى قراهم أو بلدانهم بعد الهجرة.

خاتمة:

تعتبر الشيخوخة المحطة الأخيرة في رحلة الإنسان الارتقائية و النمائية، ولهذا فالبعث يراها مرحلة الإشراف على النهاية، والبعث الآخر يرى فيها تبلور الحكمة وعمق التجربة والتمرس والحنكة بالحياة، أما البعض الآخر يدركها من الجانب السلبي بصفحتها مرحلة التآكل والانحلال العضوي.

قائمة المراجع:

- ١ - جعفر حسان (٢٠٠٠)، الشيخوخة سن الأمل والشباب الدائم، دار البحار، بيروت لبنان.
- ٢ - عيد بدر يحي مرسى (٢٠٠٩)، المسنون في عالم متغير، مقدمة في علم الشيخوخة، دار الوفاء، الإسكندرية مصر.
- ٣ - ميخائيل يوسف (٢٠٠٩)، رعاية الشيخوخة، دار غريب، القاهرة.
- ٤ - محمد قناوي هدى (١٩٨٠)، سيكولوجية المسنين، مركز التنمية البشرية والمعلومات، مصر.
- ٥ - وجدي محمد بركات، ٢٠١٠، دمج المقيمين في دور الإيواء والمؤسسات الاجتماعية بالمجتمع التدخل المهني مع المسنين لدمجهم بالمجتمع كنموذج تطبيقي، دراسة نفسية، أستاذ الخدمة الاجتماعية، جامعة أم القرى.
- ٦ - مساري حسن الراوي (٢٠٠٩)، سيكولوجية الشيخوخة، دار الياقوت للطباعة والنشر، عمان.

^١ بوغالي حاجي : مكانة المسن داخل الأسرة الجزائرية، رسالة ماجستير غير منشورة في علم الاجتماع العائلة والسكان جامعة الجزائر ٢٠١١، كلية العلوم الاجتماع، ص ٥١-٥٦.

- ٧- محمد السعيد أبو حلاو ، 2005، الاكتئاب لدى الأطفال و المراهقين، مدرس الصحة النفسية وعلم النفس الأطفال غير العاديين ،كلية التربية بدمهور، جامعة الإسكندرية.
- ٨- عبد الحميد محمد شاذلي(٢٠٠٠) التوافق النفسي للمسنين، المكتبة الجامعية، الإسكندرية.
- ٩- محمد نبيل عبد الحميد، ٢٠٠٠، العلاقات الأسرية للمسنين و توافقهم النفسي، دار الفنية للطباعة للنشر الإسكندرية.
- ١٠- عبد اللطيف محمد خليفة ، ب.ت، دراسات في سيكولوجية المسنين ،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة.
- ١١- علي جاسم علكة الزبيدي ، 2009 ، سيكولوجيا الكبر والشيخوخة ، مراحل ما بعد النمو في حياة الانسان، إثراء للنشر والتوزيع الأردن.
- ١٢- جولتان حجازي و عطاف أبو غالي(٢٠٠٠) ، مشكلات المسنين(الشيخوخة) وعلاقتها بالصلاية النفسية، دراسة ميدانية على عينة من المسنين الفلسطينيين في محافظات غزة" مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) مجلد٤٢ .
- ١٣- عبد الله بن ناصر السدحان، ٢٠٠٨، الشيخوخة و كيفية تعامل الإسلام مع متغيراتها، سلسلة دعوة الحق، العدد ٢٥.
- ١٤- عياش وهواه رسالة دكتوراة دولة ، التنمية والتحولت الصحية الديموغرافية في الجزائر خلال فترة ٢٠٠٣-٢٠٠٤ علم الاجتماع ، جامعة الجزائر سنة ٢٠٠٠.
- ١٥- بوغالي حاجي :مكانة المسن داخل الأسرة الجزائرية، رسالة ماجستير غير منشورة في علم الاجتماع العائلة والسكان جامعة الجزائر ٢٠٠٠، ص ٥٦٥ كلية العلوم الاجتماع.
- المراجع باللغة الأجنبية
- ١- Jacques DUPAQUIER, Le vieillissement de la population dans le monde, Bulletin du Rayonnement CNRS, N° 42, Paris, Octobre 2006.

المرأة والعمل في المجتمع الجزائري

د نادية بوضياف بن زعموش/جامعة ورقلة، الجزائر الباحث زهار جمال/جامعة ورقلة، الجزائر

ملخص :

تعتبر المرأة ركن أساسي من الأركان التي يستند عليها النظام الاجتماعي، فهي تمارس أدواراً إجتماعية ووظيفية متعددة الأبعاد والأهداف، حيث أنه لم يبق الاتجاه التقليدي للمرأة سائداً بأنها كائن بيولوجي تنحصر وظيفتها في الزواج والإنجاب والرعاية الأسرية، لأن هذه النظرة قد حددت مكانة المرأة ودورها ومركزها الفعال في المجتمع وتحررت منه.

فالمرأة اليوم إحتلت مراكز عديدة مرموقة داخل المجتمع والأسرة، حيث أصبحت رائدة في أكثر من موقع من مواقع الحياة، فقد استطاعت أن تتحدى كل الصعاب والعقبات التي تعمل على إضعاف طاقاتها وكفاءتها في العمل و حقوق الإنسان، وعلى المساواة واحترام القاعدة النسوية، لذا من الواجب أن نتوقف قليلاً لإدراك واقع عمل المرأة في المجتمع التي تعمل فيه في الجزائر .

سنتناول في هذه الدراسة ماييلي :تطور عمل المرأة في الجزائر،دوافع عمل المرأة ،الاتجاهات المختلفة لعمل المرأة ،أثار عمل المرأة.

الكلمات المفتاحية: عمل المرأة ، المجتمع الجزائري.

مقدمة:

عرف المجتمع الإنساني تحولات وتغيرات سريعة وعديدة منذ أواخر القرن الماضي إلى يومنا هذا مست جل المجتمعات الحديثة في العالم بأسره في جميع أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية...الخ.

ومن بين مظاهر هذا التطور إتاحة الفرص لتعلم المرأة ووصولها لأقصى المستويات التعليمية والذي يدفعها إلى المشاركة في تنمية المجتمع وإزدهاره ومساهمتها في العديد من الوظائف إلى جانب الوظائف التقليدية التي تؤديها، فعمل المرأة أصبح اليوم ضرورة حتمية بسبب تعقد وتفاقم مشاكل الحياة العائلية، فهو يعتبر ذا أهمية كبيرة بالنسبة لها ولأسرتها وكذا الجهة التي تعمل فيها، فهو لا يعد مشكل فحسب، وإنما يكمن في مدى الإرهاق والتعب الذي تعانيه الأم العاملة من جراء تحملها لمسؤولياتها كموظفة ملزمة باحترام دوامها الوظيفي، فعليه فأن إزدواجية أدوارها قد يؤثر في قدراتها على توفير جو أسري متزن ومستقر، مفاده علاقات إتصالية أسرية متماسكة، فهذا الوضع بالطبع سينعكس على علاقتها بأبنائها وكذا علاقتها بزوجها وبزملائها في العمل، وقد يؤثر حتى على علاقة الأبناء بعضهم البعض، لذلك ستجد المرأة نفسها في كثير من الأحيان أمام مطالب متعارضة مما يجعلها في حيرة من أمرها وسيخلق لها صراع نفسي دائم سيؤثر على صحتها الجسمية والعقلية ويضعف أداءها لجميع هذه الأدوار.

من المميزات العامة لتطور المجتمع الجزائري منذ الاستقلال حدوث تغيرات في كافة الجوانب للحياة منها التغيرات الاجتماعية التي مست الأسرة خاصة تلك المتعلقة بخروج المرأة الجزائرية إلى سوق العمل، ويظهر ذلك في مجالات كثيرة مثل التعليم، الطب، الصحافة، الإدارة والصناعة... الخ.

كما أن خروج المرأة الجزائرية إلى العمل بدوره نتج عنه تغيرات في الحياة الاجتماعية والخاصة بنسبة الأم العاملة وأهم التغيرات هو ازدواجية مسؤولياتها المهنية والتربوية وهذا أصبحت الأم العاملة تقوم بوظيفة مزدوجة، فهي تعمل خارج البيت وفي الوقت نفسه تقوم بتربية ورعاية الصغار، ومن هنا كان الدور المزدوج للأم يمثل أحد المكونات الأساسية في الصراع بين الأدوار لدى المرأة العاملة حيث تمتد آثار هذا الصراع لدى الأم العاملة إلى جميع الأطراف الداخلة في قطاع الدور، بحيث يحتل الأطفال مكانة هامة بين هذه الأدوار.¹

أولا: تطور عمل المرأة في الجزائر:

أ/ عمل المرأة قبل الاحتلال:

إن المرأة الجزائرية كباقي نساء العالم تتأثر بالأوضاع المجتمعية والتغيرات التي تحدث داخل المجتمع، نظرا للأوضاع التاريخية التي مر بها المجتمع الجزائري فالالاقتصاد الجزائري إبان الحكم العثماني كان يتميز بنظام اقتصادي ريفي عائلي ولهذا كان عمل المرأة في المجتمع الجزائري التقليدي مكملا للعمل الزراعي وهذا العمل المتمثل في تربية الأبناء والاهتمام بشؤون المنزل بالإضافة لأشغال النسيج ورعاية المواشي وغيرها من مهام أخرى كصناعة والفخار... الخ.

إن تقسيم الأدوار بين الرجل والمرأة خلق توازن داخل المجتمع الجزائري وبهذا تمتعت المرأة الجزائرية بمكانة لاثقة تتمتع بالاحترام وتحظى بعناية ورعاية مختلفة لمركز أساسي في الأسرة تصلح بصلاحتها وتفسد بفسادها فكانت تشارك الرجل في مكافحة الحياة الريفية وذلك لمساهمتها في كل أعماله الشاقة كالحرث والزراعة والحصاد... الخ.²

ب / عمل المرأة أثناء الاحتلال:

بدخول المستعمر إلى أرضنا حطم الاقتصاد العائلي الجزائري فقام بمصادرة جميع الأراضي الجزائرية ونزعها من أصحابها بالقوة فأصبحت معظم للعائلات دون أراضي والمأوي إذ بمجيء الاستعمار بدأت مرحلة جديدة في مجال العمل حيث تغير النظام الاقتصادي الريفي للعائلة الجزائرية، فاضطر الجزائريين للعمل عند المستعمر بأجور زهيدة لتوفير لقمة العيش لهم ولأبنائهم وأصبح الفلاح الجزائري عبدا بعدما كان سيئا لأرضه.

ويعد قيام الثورة المجيدة انظم معظم الشباب لصفوف جبهة التحرير الوطني تاركين ورائهم زوجات وأطفال بدون عائل فلم يبقى بوسع المرأة الجزائرية إن تقف مكتوفة الأيدي والأطفال يموتون جوعا فخرجت تبحث عن العمل لسد حاجات أطفالها فبدخول المرأة الجزائرية لسوق العمل أثناء ثورة التحرير الكبرى لم يكن المفهوم الذي هو عليه اليوم لكن الفقر والجوع أرغم المرأة على ترك بيتها ورغم تلك الظروف القاسية التي عاشتها المرأة إبان الاحتلال من فقر وتشرد وغياب عائل البيت إلا أنها استطاعت أن تحافظ على بيتها من الزوال، فكانت مصدر القوة والقيمة وأداة الضبط الاجتماعي التي تمارسه على أطفالها حفاظا على هويتهم وثقافتهم وكرامتهم بالإضافة إلى أنها أصبحت مصدرا اقتصاديا يلبي حاجات أسرته الضرورية

¹ رزيقة علي، تولى المرأة للوظائف الإشرافية و تأثيرها على مكانتها وأدوارها داخل الأسرة، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، البلدة، 2008، ص 17 .

² إحصائيات وزارة العمل والتشغيل والتضامن الاجتماعي، الجزائر، 2001.

وكذلك لم يمنعهما من المشاركة في الثورة التحريرية إلى جانب الرجل جذور المناضلة والمجاهدة كحسيبة بن بو علي وجميلة بوحيرة، ووريدة مداد.. وغيرهن، فمنهن الأخت والام والزوجة فعملت كجامعة الأدوية والذاخر وممرضة وطهايات وغاسلات وخياطات وممرضات ومقاتلات ومستولات اتصال.

ج/ عمل المرأة الجزائرية بعد الاستقلال:

خرج المجتمع الجزائري من الثورة التحريرية محطم على جميع مستوياته وأبنيته المجتمعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسة ومن أجل أن يسترجع مكانته وضعت الدول مجموعة من البرامج والمخططات التنموية لرفع المستوى الاقتصادي للمجتمع فتحت أبواب التعليم أمام جميع فئات المجتمع وكافة طبقاته دون أدنى تمييز بين هذه الفئات لا من حيث الجنس والانتماء ولا الطبقة التي ينتمون إليها مادام الجزائري فله الحق في التعليم المجاني والدخول المدرسي والجامعات التي تتيح لهم فيها بعد الالتحاق بسوق العمل إلا أنه بقيت مشاركة المرأة ضعيفة في هذا المجال ففي إحصائيات 1966 بلغت نسبة اليد العاملة السنوية 1%.

كما ارتبط خروج المرأة الجزائرية لميدان العمل بالعديد من العوامل التي كان لها أثر في تحديد مجال عملها ومن أبرز العوامل نجد البيئة الجغرافية عامل السن، الوضعية الأسرية والمستوى الثقافي

إذ فيها يخص عامل البيئة الجغرافية وتأثيره في توزيع اليد العاملة النسوية إحصائية سنة 1974م إذ نجد نسبة الإناث الآتي تعمل بالمناطق الحضرية 5.9% مقابل 36% من الذكور أما في الريف فنسبة العاملات 1% مقابل 34% رجال من خلال هذه النسبتين قلة اليد العاملة النسوية بالمقارنة مع اليد العاملة الذكورية ومنه الأخيرة هي متقاربة في جميع المناطق عكس الإناث التي تتفاوت من منطقة إلى أخرى إلا في المناطق الحضرية التي استفادت من المشاريع الاقتصادية التي أنجزتها الحكومة الجزائرية في جميع المجالات الصناعية والتعليمية¹.

كذلك يلعب السن دورا بالغا في تحديد مشاركة المرأة في ثورة العمل في أي بناء اجتماعي إذ تشير إحصائيات سنة 1988م من أن أعلى نسبة لمشاركة النساء في العمل خارج البيت كانت في فئة السن 2925 وفتة 242، لأن النساء في هذه الفئة العمرية يكن عازبات أو حديثات زواج، مما يسمح لهن بمزاولة العمل وتأتي بعد هاتين الفئتين الفئة العمرية 343 و393 وفي هذه المرحلة يعملن النساء لسببين إما لرفع مكانتهن في المجتمع أو لمساعدة الزوج².

إن المرأة الجزائرية في وقتنا الحالي تختلف عن المرأة الجزائرية بعد الاستقلال حيث نجدها التحقت بالتعليم وبمستويات مرتفعة وباتت مشاركتها في القوى العاملة أمر لا بد منه إذ نجد نسبة النساء أو الإناث في الجزائر حوالي 49.4% مقابل 50.5% بالنسبة للذكور وهذا حسب إحصائيات 200م، فلقد ارتفع المستوى التعليمي للمرأة الجزائرية ارتفاعا ملحوظا مقارنة بما كان عليه غداة الاستقلال حيث بلغت نسبة تدرّس الإناث في سن 156 سنة حوالي 90% مقابل 94% لدى الذكور حسب إحصائيات 20م.

أما الفئة العمرية 1916 سنة فنجدها عند الإناث 39% مقابل 34% عند الذكور حسب إحصائيات 20م مما يوضح الانخفاض المستمر للأمية في وسط الإناث منذ سنة 196م إلى يومنا هذا فالأمية قدرت حوالي 85% سنة 196م وأصبحت 35% في سنة 20م، وقد بلغت نسبة حصول الإناث على الشهادات الجامعية العليا حوالي 6.5% حيث إحصائيات 20-

إحصائيات وزارة العمل والتشغيل والتضامن الاجتماعي، الجزائر، 2001¹

إحصائيات وزارة العمل والتشغيل والتضامن الاجتماعي، الجزائر، المرجع نفسه، 2001²

٢٠٠١ م مما يساعد المرأة على دخول سوق العمل إلا أنه رغم هذا المستوى التعليمي العالي الذي تحصلت عليه الإناث إلا أن عمل النساء يمثل سوئاً ١٨% من مجموع السكان الفاعلين. وتتنوع نسبة ١٥% في المدن و ٧.٩% في الريف. وإننا نجد أعلى نسبة لعمل المرأة تتمركز في قطاع الخدمات والإدارة، ففي هذه الأخيرة نسبة العاملات بها وصلت ٤٨% أما الخدمات فبلغت ٦١% وقد انقسمت نسبة عمل النساء في الإدارة إلى ٢٢.٩% وموظرات ٤٧.٣% متحكّمات في السلطة ٣٠.٩% منفذات، أما فيما يخص قطاع.

ثانياً: دوافع عمل المرأة:

إن ظاهرة خروج المرأة للعمل لم تظهر عشوائياً بل كان نتيجة عوامل عديدة ومتداخلة دفعت المرأة دفعا قويا إلى الشغل، لأن خروج المرأة إلى العمل خارج المنزل لقاء أجره مدلوله السياسي والاجتماعي والاقتصادي وهي كلها عوامل متشابكة بعضها ببعض ولقد ركزنا هنا على العوامل الأساسية التي تدفع المرأة للخروج إلى ميدان العمل الخارجي وتتمثل أساساً فيما يلي:

أ / الدافع الاقتصادي:

وقد بينت الدراسات في هذا المجال أن أهم دوافع خروج المرأة للعمل هو الحاجة الاقتصادية، فخروج المرأة للعمل ضرورة استلزمت الحاجات المتزايدة للمجتمع الصناعي الحديث إذ أن أعباء المعيشة وغلائها من جهة والتطلع إلى المستوى أفضل للحياة، دفع بالمرأة إلى الخروج عن إطارها التقليدي والممائل في دور المنجبة والمربية والراعية لشؤون أسرتها، ففي دراسة قام بها (هيبر Heyer) عن دوافع خروج المرأة إلى ميدان العمل المهني ظهر أن النساء من الطبقة الدنيا يعملن من أجل المادة¹.

وفي عام ١٩٥٥ م أجرى استفتاء في الولايات المتحدة الأمريكية يسمى استفتاء (بيدجون Bidjoun) على ٣٨٠ سيدة يعملن في الاتحادات فتيبن من خلال ذلك أن ¼ المجموعة يعملن أساساً من أجل إعالة الأسرة، وهناك دراسة أخرى أجرتها تماضر زهري حسون حول تأثير المرأة العاملة على التماسك الأسري وتوصلت إلى أن الرغبة في زيادة دخل الأسرة بتحسين المستوى المعيشي كان السبب الرئيسي الذي دفع أغلبية السيدات المزاولة عمل مأجور خارج المنزل، خاصة اللواتي ينتمين إلى طبقات الدخل المنخفض والمتوسط بنسبة تفوق ٨٨%².

ب/ الدافع الذاتي :

تأكيد الذات والمكانة الاجتماعية وكذلك حب الظهور، وتحقيق المنفعة الشخصية هي دوافع أخرى لخروج المرأة للعمل حيث تبين في دراسة لفرديناند زويج F.Zweig إن المرأة تخرج للعمل تحت إلحاح الضغط الانفعالي لشعورها بالوحدة أكثر من خروجها إلى العمل تحت ضغط الحاجة الاقتصادية¹، وذلك لتأكيد وإبراز شخصيتها كفرد في مجتمع له حقوق وواجبات باعتبار أن هذا العمل الخارجي وسيلة لاكتسابها مكانة هامة في المجتمع عامة والأسرة خاصة، فهناك من السيدات يزاوّلن عملهن حتى بعد الزواج لا حاجة الأسرة إليه ولا لحلجتها لذلك، بل العمل ذاته والخروج من جدران البيت وفي هذا الصدد ترى الباحثة حلومة شريف "إن العمل وسيلة لتحسين الوضعية المادية للمرأة وفي الوقت نفسه وسيلة للخروج من البيت والإنفاق بمعنى أنه يوسع المجال الاجتماعي حيث يخرجها إلى مكان حضاري جديد".

محمد علي البار، عمل المرأة في الميزان، بدون دار النشر، ١٩٨١، ص ٢١٥

محمد علي البار: المرجع نفسه، ص ٢١٦

كما بينت أيضا دراسة (كلير Klidjer) أن هناك عددا كبيرا من الأمهات يعملن من أجل لذة العمل وما يحققه من إشباع نفسي أكثر من أولئك الذين يعملن لأسباب اقتصادية.

ج) الدافع السياسي:

أيضا هناك دافع آخر وراء عمل المرأة لا يقل أهمية عن الدوافع السابقة الذكر بحيث جاءت الدساتير والقوانين التي تنص على المساواة بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات وانعقدت مؤتمرات في مكسيكو والقاهرة ودول أخرى لمعالجة أوضاع المرأة في الأسرة والمجتمع خاصة المجال السياسي والوصول إلى السلطة وقد هاجمت ماري ريان فكرة التبعية الاقتصادية للنساء وطالبت بحق المرأة في العمل فالنساء في نظرها يجب أن يقتحمن كل الوظائف الصناعية والسياسية من أجل لا تبقى في مكانة وضعية وهامشية لأن بخروجها للعمل يمكنها أن تشارك في القرار السياسي للدولة.

د) الدافع التعليمي:

نجد أن الأسرة قد أولت اهتمام كبيرا وجهودا معتبرة بالنسبة للتعليم المرأة وتكوينها حيث أصبح تعليمها حتمية لا مفر منها لخارجها من بؤرة الأمية ولهذا كان انتشار التعليم على نطاق واسع اثر مباشر في قلب المعايير التي كانت سائدة من قبل، فاندفعت المرأة إلى المشاركة في مختلف الميادين جنبا إلى جنب للرجل وهكذا يجدر الإشارة إلى القول أن عمل المرأة يرتبط بتعليمها بهذا الصدد تقول الباحثة سيمون بوفوار "انه بالتعليم استطاعت المرأة أن تحقق النجاح في الالتحاق بالعمل خارج البيت حيث يسمح لها أن تؤكد إنسانيتها وبحصولها على شهادات تعليمية فتحت لها أبواب المهن الأساسية.

و) الدافع الاجتماعي:

بالنسبة للدافع الاجتماعي هو الآخر من بين الدوافع الأساسية التي جعلت المرأة تخرج إلى ميدان العمل الخارجي، فمنه يسمح لها بالمشاركة في اتخاذ القرارات الأسرية وإبداء آراءها المختلفة ومن ثم فرض وجودها في المجتمع مما يسمح لها أن يكون لديها سلطة كما ان الشعور بالمسؤولية لدى المرأة العاملة وفرض ذاتها اجتماعيا يظهر جليا في مشتريات البيت وذلك حتى تمثلت دورها في الحياة الأسرية ذلك مساهمة في وعيها والنمو الثقافي لديها وارتفاع مستواها العلمي واتخاذ القرارات وتحسن ظروف الحياة الاجتماعية للأسرة.¹

ثالثا : سمات المرأة السيكولوجية على ضوء دوافع العمل:

مع الاعتراف بحقيقة مفادها، أن المرأة دخلت ميدان العمل نتيجة التغيير التكنولوجي والأيدولوجي الذي طرأ على المجتمعات، إلا أن هناك دوافع أخرى- داخلية وخارجية- لعملها، فالمرأة دخلت هذا الميدان بدوافع إقتصادية- إجتماعية ونفسية بأن معاً، ولا يمكننا تقديم دافع على آخر بسبب تركيبة المجتمع الذي تعيش فيه المرأة وظروفه، لذا يمكن تلخيص دوافع العمل عندها بما يلي:²

١ - احترام الذات التي غالباً ما تسعى لتحقيق طموحات المرأة العاملة.

٢ - ضرورة الحصول على مكانة إجتماعية من خلال العمل المبذول.

^١ محمد على البار: المرجع السابق، ص ٢١٧ .

^٢ إيمان أحمد ونوس: حقوق المرأة ومساواتها الكاملة في كافة المجالات).

٣- الشعور بالمسؤولية والفخر بالمهنة، وتقديم شيء مفيد.

٤- الإحساس بالقيمة الاجتماعية التي تتحقق من خلال كون العاملة عنصراً فاعلاً في المجتمع.

ويرى علماء النفس والاجتماع بأن أهم العناصر المرتبطة بالحاجات النفسية الاجتماعية داخل المؤسسة الإنتاجية هي: زملاء العمل، الروح المعنوية التي تخلقها حالة العمل بشكل عام).

من هنا نقول بوجود علاقة تناسبية بين الروح المعنوية والعمل، حيث أن ارتفاع هذه الروح يزيد مدة البقاء في العمل ومستوياته المختلفة، وأن أهم العوامل من حيث شدة تأثيرها في الروح المعنوية، هو الشعور بالأمن في العمل، التعويض، فرص الترقى، الفوائد المالية كالتأمين، كما تبين أن هناك علاقة بين مستوى الإنتاج والروح المعنوية، فكلما ارتفعت الروح المعنوية، ارتفع مستوى الإنتاج، والعكس صحيح، وهذا ما يؤثر على الالتزام الفعلي بالتواجد الدائم، وعدم التغيب عن العمل إلا لظروف القاهرة.

كما أن الروح المعنوية لا ترتبط عند العاملات دائماً بنوعية ومكان العمل، والظروف المادية في هذا المكان، وإنما ترتبط إلى حد ما بللعلاقة الطيبة والإيجابية مع الرؤساء والزملاء، والثقة المتبادلة بينهم.

من هنا نجد أن الظروف الجيدة لمكان العمل، قد تدعم الروح المعنوية والتي ستؤدي لزيادة الإنتاج، ولكنها في حد ذاتها لا تخلق هذه الروح، وإنما تلك العلاقات الإيجابية بين العاملة ورئيسها وزملائها، والدافع الداخلي الإيجابي للقيام بهذا العمل.

وفيما يتعلق بدوافع المرأة العاملة على الصعيد الاجتماعي وإرتباطه في تحسين مستوى الإنتاج أكثر من إرتباطه بالشروط المادية، فإن هذا الموقف الاجتماعي وهذا المنظور، له علاقة طيبة الأثر في نفس العاملة وارتفاع مستوى أداءها لعملها من حيث الثقة المتبادلة والحرية في العمل، من هنا نرى أن الدوافع الحقيقية للعمل، هي دوافع إجتماعية أكثر منها مادية.

رابعاً: الاتجاهات المختلفة لعمل المرأة:

اصطدم خروج المرأة للعمل لمجموعة من آراء بعض الفقهاء و المجتهدين من المسلمين وغير المسلمين، إلا أنه لم يتم الاتفاق على رأي واحد سواء في البلد الواحد أو بين الدول العربية، لهذا برزت ثلاث إتجاهات نحو عمل المرأة هي:

أ: الاتجاه المؤيد لعمل المرأة:

إن الاتجاه المؤيد لعمل المرأة يطلق العنان لها و يحررها من القيود الاجتماعية التي تفرضها العادات والتقاليد، ويرى أن العمل حق من حقوق المرأة، و به تستطيع المرأة أن تحقق استقلالها الاقتصادي، و ترفع مكانتها داخل الأسرة و المجتمع، وتعد الحركات النسوية و بعض المفكرين و الكتاب من نادوا بضرورة تحرير المرأة من قيود المجتمع و إعطائها مساواة العاملة مع الرجل في العمل و التفكير و الإنتاج.

و أخذت الدعوات إلى تحرير المرأة تتزايد في مطلع القرن العشرين، مؤكدة على أن تحرير المرأة يعتمد على محاور عديدة، وليس فقط على تعليم المرأة، حيث أظهر في هذا الموضوع، كتابات قاسم أمين حيث يقول: "لا نهضة لمجتمع نساؤه قاعدات محتجبلت و كان يدعو لتحرير المرأة و التصدي لهيمنة المختلفين ما بين تقليديين و رجعيين لا يرون في المرأة إلا اللذة¹.

¹قاسم أمين، تحرير المرأة، موقع للنشر، الجزائر، ٢٠١٠، ١٩٩٠، ص ١٣.

كما عملت هدى الشعراوي التي كان دأبها في النضال من أجل تحرير المرأة ورفع شأنها، تحديد سن زواج البنت و مساواة الجنسين في التعلم و الوظائف الحكومية لذوات الكفاءة و الاختصاص كما كان تلح في أن تأخذ المرأة حقوقها السياسية حيث كان توجيهها و جهادها يشمان نساء العروبة و كل أرض¹، و يرى أصحاب هذا الاتجاه أن تخلف المجتمع العربي، يعود لكون المرأة عضوا، غير فعال و منتج في هذا المجتمع و هؤلاء يطالبون بفتح الأبواب أمام المرأة في التعليم و التدريب و العمل بمختلف أنواعه.

ب: الاتجاه المعارض لعمل المرأة:²

حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن المكان الطبيعي للمرأة هو المنزل و تكمن وظيفتها في تربية الأجيال الذي هيأ الله لها، و لا يجوز أن يشغلها في أداء هذه الرسالة شغل آخر، و اعتب المرأة كائن ضعيف يجب حمايته، و أن دورها يتمثل في الإنجاب و الأمومة و خدمة الزوج، فهم بهذا يدعون إلى التقسيم التقليدي للعمل بين الجنسين، و من أصحاب هذا الاتجاه الراض لعمل المرأة خارج المنزل، الشيخ المفتي عبد العزيز بن باز: الذي يرى في الاختلاط بين الجنسين مفسدة للمجتمع و يتعارض مع تقاليدنا الإسلامية قوله: " أن تزول المرأة للعمل إلى جانب الرجل في ميدان الرجال، المؤدي إلى الاختلاط سواء كان ذلك على جهة التصريح بحجة أن ذلك من مقتضيات الحضارة أمر خطير جدا، و ثمرات عواقبه و خيمة"³، و استبدل بآيات من القرآن الكريم في قوله تعالى: " و قرن في بيوتكن و لاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى"، وبقوله تعالى: " الرجال قوامون على النساء"⁴، و تتمثل هذه القوامة في المسؤولية المسندة إليه مع وجوب الاتفاق على الأسرة و حمايتها و تحقيق كل مصالحها و غير ذلك، هذه الفتوى لاقت موافقة بعض العلماء و يتحدث الدكتور محمد علي البار بمصطلح جديد هو الجنس الثالث الذي اعتبره، نتيجة من نتائج خروج المرأة للعمل، حيث قال أن هناك أن هناك تغيرات فيزيولوجية تطرأ على المرأة العاملة تفقدنا أنوثتها، و ذلك بانصرافها عن وظيفتها الأساسية و هي وظيفة الأمومة.

كما لقي عمل المرأة، خارج المنزل المعارضة من رجال و نساء غير المسلمين و نوهوا لمساوي الاختلاط و مفسده و المتاعب التي تلقاها الأسرة و المجتمع من عمل المرأة و في هذا الشأن تقول إيديدايلين: " أن سبب الأزمت العائلية في أمريكا و سر كثرة الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة، فزاد الدخل و انخفض مستوى الأخلاق ثم قالت أن التجارب أثبتت أن عودة إلى المنزل هو الطريقة الوجيهة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذي يسير فيه".

و حسب أصحاب هذا الاتجاه أن عمل المرأة هدم البيوت و زاد من انحلال الأخلاق، وفك الروابط العائلية و ألقى بالأطفال إلى زاوية الانحراف، يقول سامويل سمايلس الإنجليزي: " أن النظام الذي يقتضي بتشغيل المرأة في المعامل نشأ عنه من الثروة بالبلاد، فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية، لأنه هاجم هيكل المنزل و مزق الروابط الاجتماعية، فإنه يسلب الزوجة من زوجها و الأولاد من أقاربهم⁵.

¹وداد سكايني، تماطر توفيق، نساء شهيرات من الشرق و الغرب، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، القاهرة، نيويورك، ١٩٥٩، ص ٨٦.

²نور الدين تابلت، المرأة بين العمل خارج البيت و التنشئة الاجتماعية للأبناء، دكتورا دولة في علم الاجتماع، معهد علم الاجتماع، الجزائر، ٢٠٠٧-٢٠٠٨، ص ٨٥.

³محمد علي البار، عمل المرأة في الميزان، بدون دار النشر، ١٩٨١، ص ٢١٥.

⁴سورة النساء، الآية ٣٤.

⁵عبد العزيز عبد الله بن باز، خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله، بدون سنة، ب ط، ص ١٣.

ج:الاتجاه السامح لعمل المرأة بشروط:

يقر أصحاب هذا الاتجاه بعمل المرأة لكن بشروط معينة، مستدلين بأن هذه المرونة تستوعب الاستثناءات التي قد تصنعها ظروف الفرد أو تفرضها مصلحة الجماعة فيجوز للمرأة انطلاقاً من ظرف خاص أو ثبوية مصلحة عامة أن تخرج لممارسة بعض الوظائف التي تمكنها أو تمكن المجتمع من التغلب على هذه الطوارئ¹.

إن الضرورة القصوى كموت الزوج أو غياب العائل تجيز للمرأة العمل، كما أن حاجة المجتمع لعمل المرأة كتطبيب النساء و ترميضهن، و تعلين البنات و نحو ذلك من كل ما يخ ص المرأة، فالأولى أن تتعامل التي يقدرها ولا يصبح قاعدة ثابتة، و إذا أجز عمل المرأة فقط بعدة شروط نذكر منها:²

● أن تلتزم بأخلاق الإسلام إذا خرجت من بيتها في الزي و المشي و الكلام.

● أن يكون عملها على حساب واجبات أخرى، لا يجوز إهمالها، كواجبها نحو زوجها و أولادها و هو واجبها الأول وعملها الأساسي.

● أن يكون العمل في ذاته مشروعاً، و لا تشوبه شائبة، فلا يجوز لمسلمة أن تعمل في ملهى أو مرقص أو سكرتيرة خاصة لرجل يقتضي عملها الخلوة بها متى شاء.

ومما ورد في السنة دليلاً على جواز خروج المرأة للعمل ضرورة، ما قاله جابر ابن عبد الله رضي الله عنه: قال طلقت خالتي، فأرادت أن تجد نخلها (أي تقطع ثمرها) فزجرها رجل أن تخرج، فأنت النبي صلى الله عليه و سلم فقال: "بلى فجدي نخلك فانك عسى أن تصدقي، أو تفعلين معروفا"³

يشير هذا الحديث إلى أن خروج المرأة للعمل مشروط و ليس ضرورة، يقول الإمام النووي هذا الحديث دليل لخروج المعتدة البائن للحاجة لكن خروج المرأة للعمل يشترط فيه أن تخرج في كامل حشمتها و حجابها تتجنب الاختلاط بالرجال و تبتعد عن مواقع الفتنة و الشر و الفساد.⁴

واجه انخراط المرأة في سوق العمل عراقيل أعاقت ومازالت تعيق عملها في مؤسسته التي تنعي إليها ومن أهم هاته العراقيل والمعوقات التي سنتحدث عنها، التقسيم الجنسي للعمل القيادة النسائية وعراقيلها وكذا الصراع التنظيمي وثقافة المؤسسة وكذا سنتحدث عن مشكل يواجه المرأة العاملة والذي يعبر من الطابوهات ألا وهو التحرش الجنسي.

-خامسا : آثار عمل المرأة وصراع أدوارها:

إن خروج المرأة للعمل واكتسابها لدور العاملة ، مع احتفاظها في ذات الوقت بأدوارها الطبيعية كزوجة و ربت بيت وما لديه من مسؤوليات عديدة و متنوعة جعلها عرضة أكثر من غيرها لعمليات التضارب بين مختلف المتطلبات وأكثر معاشة من

¹ هنري غرام، المرأة العربية والعمل، نقلا عن مركز الدراسات الوحدة العربية، المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، ط ١، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٧٠.

^٢ حسن علي، مصطفى حمدان، مكانة المرأة في الاسلام، دراسة في علم اجتماع العائلة، شركة الشهاب، الجزائر، بدون سنة، ص ١٦٥.

صحيح مسلم، كتاب الطلاق: باب جواز خروج المعتدة البائن، الجزء الثاني، ص ١١٢١

خالد بن عبد الرحمان العك، شخصية المرأة المسلمة في ضوء الرقن والسنة، دار المعارف، ط ٢، بيروت، ١٩٩٠، ص ٤١٣-٤١٤.

الصراعات بين أدوارها (قديمها وحديثها) كالزوج والأبناء (في ما يتعلق بالأسرة) والزملاء والرؤساء (داخل العمل) أو العمل بشكل عام وتتجلى هذه الآثار على ما يلي:

- الآثار على العلاقة الزوجية: من الأسئلة التي تتردد أحيانا هل يزداد حدوث تغيير في العلاقة الزوجية على الأسرة التي تعمل فيها الزوجة ومن بين الأسر التي لا تعمل فيه الزوجة خارج البيت ؟ بعبارة أخرى هل يزداد الخلاف والشجار بين الزوجين عندما تكون الزوجة عاملة مقارنة بحالة الزوجة غير العاملة ففي إحدى الدراسات "لكويرز" ظهر أن أصحاب الأعمال في أمريكا لا يرغبون في تشغيل الأمهات بسبب الصراعات التي تعاني منها الأمهات العاملات في مؤسساتهم بالفعل أجابوا بأنها تدور حول محورين:
_ مشاكل رعاية الأطفال الصغار.

مشكلات التكيف مع الزوج¹

وقد ذكر أصحاب الأعمال بان هناك خلافات بين بعض العاملات لديه وبين أزواجهن وصلت إلى حد الصدمات وان هناك حالات وصلت إلى ساحة المحكمة وفي دراسة أخرى تناول الباحث " ايفان ناي" هذه المسألة مع مسائل أخرى هي التفاعل الزوجي واعتبر أن مقدار الجدل و الخلافات ودرجة الشجار والمنازعات بين الزوجة العاملة وزوجها دالة على وجود صراع للدور لديها وكان الفرض : أن الصراع يزداد بين الزوجين حينما تكون الزوجة عاملة كل الوقت أكثر مما تكون الزوجة غير العاملة أما أداة القياس فكانت عبارة عن مقياس تقدير للحصول على استجابات تكرر الخلافات أو المنازعات حول الموضوعات الآتية:

-الأطفال - الترفيه. - النواحي المالية.

- الراديو والتلفزيون. - البيت والأثاث.

- مسائل أخرى.

وقد تضمنت العينة¹⁹ زوجة عاملة كل الوقت و ٤٠% زوجة غير عاملة وتثبت بقية المتغيرات المتعلقة بالعوامل الاجتماعية والثقافية المختلفة وجاءت النتائج التي توصل إليها محققة للفرض الذي بدأ به فقد وجد فروقا دالة بين النسب في جميع أنماط الخلافات بين الأم العاملة وغير العاملة كذلك بالنسبة إلى المنازعات والشجار كل الفرق بين العنتين دالا في اتجاه تحقيق فرض الصراع لدى المرأة العاملة إضافة إلى ذلك فإن التوافق بين الأزواج ونقص الصراعات والشجار بينهم قد يستمد موضوعيته ومرجعيته إلى تنشئة الزوج وتصوراته لعمل المرأة واتجاهاته الراضية لهذا العمل والذي يقبوله الارتباط بزوجة عاملة قد أملت معطيات مادية وظرفية وبمجرد وجوده وجها لوجه مع وضع المرأة العاملة تطفو إلى السطح كل الترسيبات الاجتماعية والعادات الموروثة لتجابه مع حقيقة عمل الزوجة وتتحول بعد ذلك إلى مصدر نزاع وجدال.

وتم تسجيل نتائج أخرى صمن دراسات أجنبية ثم جمعها وحصرها وهي المناقشات كانت أكثر حدوثا بين الزوجات والأزواج في الأسر التي تعمل فيها المرأة.

¹ نوال حمداش: الإجهاد المني لدى الزوجة العاملة الجزائرية واستراتيجيات التعامل معه، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري بقسنطينة، ٢٠٠١.

- وجود فرق طفيف وإن كان له دلالة في مقياس التوافق الزواجي وهذا الفرق يوضح أن غير المشتغلة أكثر توافقا من المشتغلة.

- لم تكن هناك فروق بين المجموعتين في تسجيلهم ورضاهم بحياتهم الزوجية.

- عدم وجود فروق بين الأمهات والمشتغلات وغير المشتغلات وأزواجهن فيما يخص التوافق الجنسي والعاطفي.

فالمسؤوليات العديدة للمرأة الجزائرية العاملة يدفع بالزوج إلى طلب من زوجته سواء ترك العمل أو الطلاق ويشير هنا إلى أن الزوجة الجزائرية العاملة أصبح لديها تمسك كبير بدورها الجديد وعلى هذا فإن فكرة التخلي غير مقبولة¹.

- الآثار على العمل:

في الكثير من الأحيان نلاحظ أن الزواج ومسؤولية تربية الأبناء وتسيير شؤون البيت، تؤثر وترمي بمتطلباتها والتزامها على طموح المرأة المهني وتقلل منه وفي هذا الصدد توصلت "هدى زكريا" في دراسة حول الزواج والطموح في العمل وسألت الزوجات العاملات هل قلل الزواج من طموحك في العمل لمجرد الزواج إلا إننا وجدنا أن أعلى النسب بين اللواتي قل طموحهن بدرجة كبيرة كانت بين الجامعيات (١٧%) ومتوسطات التعليم (٣٠.١%) بينما ذكرت زوجة فقط من بين الحاصلات على مؤهلات فوق المستوى الجامعي (٢٨ زوجة) أن طموحها قد قل بدرجة كبيرة بعد الزواج وواضح أن المرأة التي استطاعت أن تشق طريقها نحو مستويات تعليمية أعلى تستطيع أن تتغلب على كثير من الصعوبات التي تواجهها سواء في العمل أو في البيت وبذلك يفسح الطريق أمام تحقق إمكانيتها وبلوغ أهدافها أي أن قيام المرأة بدور العاملة وتعرضها في الوقت نفسه إلى ضغوط متطلبات دورها التقليدي (العناية بالأطفال، الاهتمام بشؤون الزوج...) وكذلك ضغوط توسيع حركتها المهنية (التعرض داخل العمل إلى نفس الظروف المادية والانفعالية للرجال وتحملها نفس المسؤوليات المهنية...) له انعكاسات على كافة مستويات المرأة منها العلائقية (مع زوجها و أولادها داخل الأسرة ومع رؤوسها وزملائها داخل العمل) ومنها الاستجابات المختلفة التي تطغى عليها الصبغة المرضية (ارتفاع ضغط الدم ، أمراض الأوعية القلبية، العصبية المفرطة).

وما يتعلق بالجانب المهني: ضعف الأداء المهني وقلة الإنتاج وحوادث العمل وإذا استمرت وضعية الضغط والصراع هذه لدى المرأة العاملة فإن الإجهاد المهني على اختلاف استجابته قد يكون احد أهم النتائج وتقل الاستجابة هو عن طريق الجسم.

خاتمة:

واقع عمل المرأة في المجتمع الجزائري مازال لم يصل إلى المستوى المطلوب، وهذا لن يتأتى دون حجر الزاوية لبناء أي مجتمع والمتمثل في المكون البشري، والأدوار المسندة إليه، كما هو الحال بالنسبة للمرأة العاملة في الجزائر التي تعددت أدوارها وتزايدت مطالبها وتنوعت مسؤولياتها، هذا التعدد الذي قد يحمل لها التفوق والنجاح، وقد يجلب لها الصراع بين الأدوار ويتسبب فيه، فتسعى المرأة العاملة (المتزوجة وغير متزوجة) لحله إما:

- بالتعديل في أداء الأدوار.

- أو بتغيير البيئة التي تعمل معها ومن خلالها.

¹ كاميليا عبد الفتاح، سيكولوجية المرأة العاملة، دار النهضة العربية، ١٩٨٤، بيروت، لبنان ص ٦٣.

- أو بتعديل إتجاهات الآخرين وسلوكياتهم.

ومن ثم قد تنجح في إيجاد المصالحة بين أدوارها، وقد يحدث أن تفشل في هذا ليستقر الصراع وتتوغل آثاره في نفسياتها وعلاقتها وأدائها.

قائمة المراجع:

- ١- إحصائيات وزارة العمل و التشغيل والتضامن الاجتماعي ، الجزائر؛ ٢٠٠٩
- ٢- إيمان أحمد ونوس، حقوق المرأة ومساواتها الكاملة في كافة المجالات، www.ahewar.org ، (٢٠١٣) (٢٠٠٩).
- ٣- هنري غرام، المرأة العربية و العمل، نقلا عن مركز الدراسات الوحدة العربية، المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، ط١ ، بيروت، ١٩٨٠
- ٤- وداد سكاكيني، تماطر توفيق، نساء شهيرات من الشرق و الغرب، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، القاهرة، نيويورك، ١٩٥٩
- ٥- قاسم أمين، تحرير المرأة، موقع للنشر، الجزائر، ط١، ١٩٩٠.
- ٦- نور الدين تابلت، المرأة بين العمل خارج البيت و التنشئة الاجتماعية للأبناء، دكتورا دولة في علم الاجتماع، معهد علم الاجتماع، الجزائر، ٢٠٠٠: ٢٠٠١
- ٧- محمد علي البار، عمل المرأة في الميزان، بدون دار النشر، ١٩٨٠.
- ٨- عبد العزيز عبد الله بن باز، خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله، بدون سنة، ب ط.
- ٩- حسن علي، مصطفى حمدان، مكانة المرأة في الاسلام، دراسة في علم اجتماع العائلة، شركة الشهاب، الجزائر، بدون سنة.
- ١٠- صحيح مسلم، كتاب الطلاق: باب جواز خروج المعتدة البائن، الجزء الثاني.
- ١١- خالد بن عبد الرحمان العك، شخصية المرأة المسلمة في ضوء الرقان و السنة، دار المعارف، ط١، بيروت، ١٩٩٠.
- ١٢- نوال حمداش: الإجهاد المهني لدى الزوجة العاملة الجزائرية واستراتيجيات التعامل معه رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة منتوري بقسنطينة؛ ٢٠٠٩.
- ١٣- كاميليا عبد الفتاح؛ ١٩٨٠، سيكولوجية المرأة العاملة، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان.

نظرية العقل عند الأطفال المصابين بالتوحد دراسة ميدانية في ضوء بعض المتغيرات

يوب زهرة، طالبة دكتوراه/جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر

ملخص :

يستهدف هذا البحث دراسة الفروق بين أداء الأطفال المصابين بالتوحد لمهام نظرية العقل تبعاً لمتغيرين هما: درجة التخلف العقلي و المستوى اللغوي حيث يقدر عددهم بـ ٤ طفلاً (١ بنت و ٣ ولد). لتحقيق أهداف هذا البحث تم تطبيق تصميم تجريبي من أربعة مهام لنظرية العقل. أجريت هذه الدراسة بجمعية التوحد بولاية تلمسان، مدرسة الصم و البكم (قسم الأرففونيا) والمركز الطبي البيداغوجي للمتخلفين عقلياً بولاية سيدي بلعباس، حيث أسفرت نتائجها على وجود فروق دالة إحصائية بين درجة التخلف العقلي، المستوى اللغوي والأداء في مهام نظرية العقل لدى الأطفال المصابين بالتوحد. و على ضوء هذه النتائج قدمنا بعض الإقتراحات و التوصيات.

الكلمات المفتاحية: نظرية العقل، التوحد، درجة التخلف العقلي، المستوى اللغوي.

مقدمة:

يشير التراث العلمي المعاصر إلى تعدد الأطر النظرية المهتمة بالتوحد¹، إذ تبرز من بينها نظرية العقل (Theory of mind) التي أخذت على عاتقها تفسير اضطراب التوحد. فقد برز "Baron-cohen" كأهم الباحثين الذين اعتنوا بدراستها عند المصابين بالتوحد. حيث يعد ثلوث التوحد والمتمثل في قصور النمو الاجتماعي، وفي التواصل وكذا في اللعب الرمزي، ما هو في الحقيقة إلا محصلة لعجز في تطور قراءة الحالات العقلية أي قصور في نظرية العقل. و حسب نظريته (la théorie modulaire)، يعتبر أن هذا القصور مرتبط باضطراب التوحد وهو مستقل عن التخلف العقلي². لكن و بالنظر الى بعض الملاحظات العيادية الميدانية، نكتشف أنه من بين حالات الأطفال المصابين بالتوحد هناك من أظهر تجاوبا وفهما لبعض الإشارات الاجتماعية مثل: وداعا، أحذر، وإشارة للأشياء...، التي تُعد مؤشرات هامة في عملية التواصل وهي بدورها إحدى أبعاد نظرية العقل³.

من هذا المنطلق تبلورت فكرة هذا البحث، بغرض فهم جملة من المتغيرات التي يمكن أن تحدث فلوقا في أداءهم لمهام نظرية العقل، و عليه تبنت الدراسة الحالية الإجابة على أسئلة عامة و أخرى فرعية كما يلي:

¹ Bouvet, L. (2012). *traitement musical dans les troubles du spectre autistique : déficit du traitement global ou surfonctionnement des traitements perceptifs?*. thèse de doctorat soutenue publiquement, université de Grenoble, France, p13

² Baron-Cohen, S., Leslie, a M., & Frith, U. (1985). Does the autistic child have a "theory of mind"? *Cognition*, 21, p. 37-46

³ Lenoir, P. (2006). *Aspects psychopathologiques des troubles envahissants du développement Psychopathological features in the pervasive developmental disorders*. *Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence*, 54, p. 327.

السؤال العام :

اعتبارا للمسار النمائي الخاص بالأطفال المصابين بالتوحد في الميادين الهامة : العقلية ، التواصلية و الحسية ، هل بإمكانهم النجاح في مهام نظرية العقل ؟

الأسئلة الفرعية:

١. هل توجد فروق بين أداء مهام نظرية العقل عند الأطفال المصابين بالتوحد تبعا لدرجة التخلف العقلي ؟

٢. هل توجد فروق بين أداء مهام نظرية العقل عند الأطفال المصابين بالتوحد تبعا للمستوى اللغوي ؟

الفرضية العامة:

يُفسَّرُ أداء مهام نظرية العقل تبعا لخصائص الأطفال المصابين بالتوحد الإكلينيكية و المتمثلة في: درجة التخلف العقلي ، والمستوى اللغوي.

الفرضيات الفرعية:

الأطفال المصابين بالتوحد ذوي درجة التخلف العقلي الطفيفة، يتفوقون في مهام نظرية العقل على باقي الأطفال ذوي التخلف العقلي المتوسط و العميق.

الأطفال المصابين بالتوحد ذوي المستوى اللغوي المتوسط، يتفوقون في مهام نظرية العقل على باقي الأطفال ذوي المستوى اللغوي القريب من المتوسط و الضعيف.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة الحالية الى:

-الكشف عن الفروق في أداء مهام نظرية العقل لدى الأطفال المصابين بالتوحد، تبعا للمتغيرات التالية: درجة التخلف العقلي- التواصل و المستوى اللغوي.

-إدراج نتائج الدراسة الحالية في برامج تربوية الموجهة للأطفال المصابين بالتوحد التي تقوم على مبادئ تعليم الحالات الذهنية للآخرين، بهدف تنمية المهارات الاجتماعية لدى هذه الشريحة من الأطفال.
أهمية الدراسة:

تبحث هذه الدراسة في نظرية العقل عند فئة الأطفال المصابين بالتوحد ذوي التخلف عقلي، و الذين لم تظهروا الكثير من الدراسات الغربية على حد علمنا، مقارنة مع غيرهم من ذوي الذكاء عادي أو العالي.لذا نطمح أن يكون هذا العمل إضافة مهمة للمكتبة العربية خاصة فيما يتعلق بدراسة نظرية العقل عند المصابين بالتوحد.

منهج الدراسة :

تعتمد الدراسة الحالية على المنهج التجريبي لتناسبه وأهدافها، باعتباره أكثر المناهج موضوعية و دقة¹، حيث استوفت هذه الأخيرة كل خطواته بدءا بصياغة المشكلة وفرضياتها ثم تحديد متغيراتها المستقلة (درجة التخلف العقلي، المستوى اللغوي) و التابعة (أداء في مهام نظرية العقل)، بالإضافة الى اقتراح تصميم تجريبي يخدم أغراض الدراسة الحالية، الذي يُطبق على عينة الأطفال المصابين بالتوحد.تمت المعالجة الإحصائية لنتائج هذه الدراسة بواسطة spss نسخة ٢.

¹ Dépelteau ,F,(2000). **La démarche d'une recherche en sciences humaines : De la question de départ à la communication des résultats** .DeBoek Université ,p.251-254

التعاريف الاجرائية لمصطلحات الدراسة:

١. نظرية العقل: Theory of mind

تُعرف نظرية العقل حسب أهم روادها¹ (Premack et Woodruff، Wimmer et Perner² و³ Baron-cohen). أنها قدرة الفرد على إسناد الحالات العقلية (المعتقدات، الرغبات، المقاصد والانفعالات) لنفسه ولغيره، هذه القابلية على إدراك التفكير الحدسي تَسمح له توقع أوتكهن ما سيفعله الآخريين في وضعية معينة.

أما إجرائيا فتعرّف أنها المجموع الكلي للدرجات المحصل عليها في المهام الأربعة (مهمة الاعتقاد الخاطئ، مهمة التعرف على الحالة الانفعالية للآخرين، مهمة التعرف على مقاصد الآخريين و مهمة التعرف على تعابير الوجه)، و الذي يصنف أداؤها إلى ثلاثة مستويات :

-مستوى ضعيف: من ٧٠ درجات.

-مستوى متوسط: من ١٥٨ درجة.

-مستوى جيد : من ٢١٦ درجة.

٢. التوحد:

يُعرف التوحد حسب التصنيف الدولي للأمراض CIM₁₀ الذي نشرته منظمة الصحة العالمية (OMS) سنة 1994 أنه: "اضطراب نمائي شامل، يتميّز فيه النمو بالشذوذ أو القصور، يبدأ مُبكراً قبل ثلاثة سنوات بمعدّل ٣ إلى ٤ أولاد لكل بنت واحدة. يُعدّ خلاا وظيفيا مُميّزا في المجالات الثلاثة التالية: التفاعل الاجتماعي، التواصل (اللفظي و غير اللفظي)، السلوك المحدود و التكراري". يضمّ خمس مجموعات: تناذر أسبرجر، تناذر ريت، الاضطراب التّفككي الطفولي، الاضطراب النمائي الشّامل غير المحدّد و التوحد الذي يُعدّ أكثر هذه الاضطرابات شيوعاً، حسب ما ورد في الدليل التشخيصي و الإحصائي للاضطرابات العقلية⁴.

و إجرائيا يُعرّف بتوفر ما مجموعه ستة^٦ تظاهرات (فقرات) على الأقل من بين ١ و ٢ و ٣، تظاهرين على الأقل من ١ وتظاهر واحد من ٢ و ٣ قبل السن الثالثة حسب الدليل التصنيفي التشخيصي و الإحصائي للاضطرابات النفسية و العقلية في طبعته الرابعة (DMS_٤).

حدود الدراسة:

تمّ الحصول على نتائج الدراسة الحالية بالأدوات المستخدمة في ضوء الحدود التالية:

¹ Premack, D. et G. Woodruff. 1978. « Does the chimpanzee have a theory of mind? ». Behavioral and Brain Sciences, 4, p. 515-526.

² Wimmer, H., & Perner, J. (1983). Beliefs about beliefs: Representation and constraining function of wrong beliefs in young children's understanding of deception. Cognition, 13, 103-128.

^٣ Baron-Cohen و آخرون. (١٩٨٥): مرجع سابق تم ذكره.

⁴ American Psychiatric Association. In: Mini DSM-IV. Critères diagnostiques (Washington DC, 1994). Paris: Masson; 1996. p. 58-59 (Traduction française par J-D Guelfi et al.)

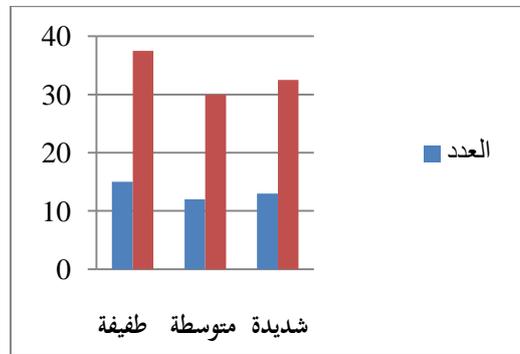
١ - الحدود المكانية والبشرية: اقتصرَت الدراسة الحالية على عينة ٤٠ طفلاً مصاباً بالتوحد والتي جُمعت من: جمعية التوحد بتلمسان (AAT)، مدرسة الصمّ و البكم (قسم الأَرطفونيا) والمركز الطبي البيداغوجي للمتخلفين عقلياً بسيدي بلعباس.

٢- الحدود الزمنية: امتدت فترة الدراسة من مارس 2014 إلى بداية شهر جوان ٢٠١١.

عينة الدراسة:

عينة البحث الحالي مكونة من ٤ طفل مصاب بالتوحد (١ بنت و ٣ ولد)، تراوحت أعمارهم من ٩٤ سنوات توزعوا حسب الخصائص الإكلينيكية المراد دراستها والموضحة في الرسوم البيانية التالية:

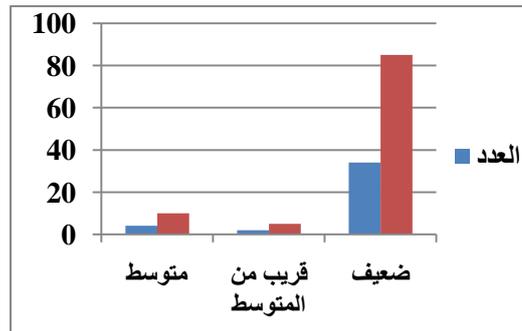
- حسب درجة التخلف العقلي:



الشكل (١): رسم بياني لتوزيع الأطفال المصابين بالتوحد حسب درجة التخلف العقلي

تُبين الأعمدة البيانية أن درجات التخلف العقلي لدى الأطفال المصابين بالتوحد تتوزع بنسب متقاربة بين الدرجة المتوسطة (30%) و العميقة (30.5%)، بينما الدرجة الطفيفة (37.5%) كانت أكبر بقليل من سابقتها (الشكل ١).

- حسب المستوى اللغوي:



الشكل (٢): رسم بياني لتوزيع أطفال المصابين بالتوحد حسب مستواهم اللغوي.

يكشف الرسم البياني أعلاه عن ضعف المستوى اللغوي لدى غالبية أفراد العينة (85%)، بينما تتوزع النسب المتبقية بين المستوى المتوسط (10%) و القريب من المتوسط (5%)، كما لا نسجل وجود أطفال بمستوى لغوي جيد (الشكل ٢).

أدوات الدراسة: تستخدم الدراسة الحالية الأدوات التالية:

١- أدوات التشخيص Outils de diagnostique، و التي تتمثل في ما يلي:

- مقابلة تشخيص التوحّد: Autism Diagnostic Interview – Revised (ADI-R) يعتبر أداة لتشخيص التوحّد و الاضطرابات ذات الصلة، وُضعت من طرف Lord وآخرون¹ سنة ١٩٨٩، ارتبط بناءها بالموصفات التشخيصية الواردة في الدليل التشخيصي DSM 4 و في التصنيف العالمي للأمراض CIM 10 .

يستغرق تمرير الـ ADI-R من ٢ - ٤ ساعات خلال مقابلة نصف مقننة مع أولياء الطفل أو مرافقه. تستكشف هذه الأداة مجال التواصل، التفاعل الاجتماعي المتبادل، السلوكيات التكرارية و النمطية وكذلك وتيرة تطور الإختلالات النمائية. أثناء التقييم تُمنح الدرجات حسب شدة السلوكيات الموصوفة حيث يمثل:

٠: غياب السلوك المحدد في التقييم .

١: وجود السلوك من النوع المحدد، لكن ليس بالخطورة الكافية او المتكررة لكي يستوفي مواصفات رقم ٢

٢: وجود تشوه واضح.

٣: وجود تظاهرة خطيرة جدا بالنسبة لرقم ٢.

٤: تشوه واضح في الميدان العام لكن ليس من النوع المحدد.

٥: غير قابلة للتطبيق.

٦: لا يعلم

في نهاية التقييم، تلخص النتائج التي تسمح بالوقوف على وجود التوحّد الطفولي من عدمه كالآتي:

٠: موجود، ٣-٢ مجالات تستوفي معدلات العتبة.

١: غير موجود، ٤ مجالات تستوفي معدلات العتبة.

– جدول الملاحظات لتشخيص التوحّد: Schedule Autism Diagnostic Observation (ADOS)

طوّر Lord وآخرون سنة²، هذا المقياس الذي يُستخدم كأداة مكملة إلى جانب ADI-R في تشخيص الأطفال و البالغين الذين يُشبه في إصابتهم بالإضطراب التوحدي، هو أداة تقييم نصف مقننة للأطفال ابتداء من عمر سنتين و البالغين (حسب الوحدات). يستغرق تطبيق كل وحدة من ٣ + ٤ دقيقة، يتم خلالها التركيز على مجالات معينة: التفاعل الاجتماعي، التواصل، اللعب والاستعمال الرمزي للأدوات. يُقدم المختص نشاطات محددة للطفل برفقة أوليائه في وضعيات مختلفة تُعنى بالمجالات السابقة الذكر، كما و تسجل مجريات الحصة في شريط فيديو الذي يساعد على تحليل النتائج بصورة مفصلة. في

¹ Lord, Rutter et LeCouteur Lord, C., M. Rutter, et al. (1994). "Autisme Diagnostic Interview – Revised – a revised version of a diagnostic interview for caregivers of individuals with possible pervasive developmental disorders". Journal of Autism and Developmental Disorders , vol.24, (5), p. 659-685.

² Lord, C., Rutter, M., Goode, S., Heemsbergen, J., Jordan, H., Mawhood, L., & Schopler, E. (1989). **Autism Diagnostic Observation Schedule: A standardized observation of communicative and social behavior**. Journal of Autism and Developmental Disorders, 19, 185–212

نهاية التقييم، يتم ترميز النتائج و تفسيرها بدلالة العتبة التي تقابل تشخيص التوحد و الاضطرابات النمائية الشاملة حسب النموذج المشابه لـ DSM4 أو CIM10. تُمنح الدرجات من ٠-٣ لكل فقرة حيث يُمثل:

٠: غياب أي خلل مرتبط و الاضطرابات النمائية الشاملة.

١: ظهور اضطراب طفيف للسلوك.

٢: يرتبط بالسلوك المضطرب.

٣: يرتبط بالسلوك الشديد الإضطراب.

مقياس كارس: Childhood Autism Rating Scale (CARS)

يُعد من الأدوات المساعدة على تشخيص التوحد عند الأطفال، تم تطويره من طرف Shopler ومساعدته¹، يسمح بقياس شدة الاضطراب التوحدي من خلال الملاحظات السريرية لسلوك الطفل، يستغرق تطبيقه من ٥٠ و٦٠ دقيقة ويطبق على الأطفال ابتداءً من ٢٤ شهر فما فوق. يقوم هذا المقياس بتقييم^١ مجالاً محدداً: العلاقات الاجتماعية، التقليد، الاستجابات الانفعالية، استخدام الجسد، استعمال الأشياء، التأقلم مع التغيير، الاستجابات البصرية، الاستجابات السمعية، الذوق، الشم و اللمس (الاستجابات وكيفية استخدامها)- الخوف و القلق - التواصل اللفظي-التواصل غير لفظي-مستوى النشاط- المستوى الفكري و تناسق الوظيفة الفكرية- الانطباع العام لدرجة التوحد.

يقيم كل مجال على السلم من ١ إلى ٤ نقاط، حيث يمكن منح ½ نقطة في الحالات البينية:

١. سلوك طبيعي و مناسب مع سن الطفل.

٢. سلوك مضطرب بدرجة طفيفة.

٣. سلوك مضطرب بدرجة متوسطة.

٤. سلوك مضطرب بدرجة شديدة.

بعد الإجابة الدقيقة على كل الأسئلة المقدمة لأولياء الطفل أو المربي(ة)، تجمع العلامات المحصلة عليها و التي يتراوح مجموعها ما بين ١٥ و ٦٠ و التي تُفسر كالاتي :

٢٩.٥-٥١: يشير إلى بداية تشخيص حالة توحد خفيف.

٣٠-٣٦.٥: يشير إلى حالة توحد معتدل.

٣٧-٦٠: يشير إلى حالة توحد شديد

٢ - أدوات القياس القبليّة Outils de mesures

¹ Roger, B. (1989) Adaptation Française de l'échelle d'évaluation de l'autisme infantile (C.A.R.S). Issy-les-Moulineaux : Editions d'Applications psychotechniques.,

استخدامت الأدوات الأتية بغرض تحديد خصائص عينة الأطفال المصابين بالتوحد ، حسب ما تتطلبه الدراسة الحالية كما يلي :

مقياس فاينلاند للسلوك التكيفي Vineland Adaptive Behavior Scale

أعد هذا المقياس سنة ١٩٨٨ من قبل (Sparrow و أخرون)^١، كمنسوخة مُطورة للنسخة التي أعدها دُول (Doll) عام ١٩٦٣، التي اشتملت على الصورة المختصرة، الصورة المعيارية (forme standard) والصورة المسحبة. أما الدراسة الحالية فقد استخدمت الصورة الأخيرة و التي تُقيم مهارات الطفل في أربعة ميادين: ميدان التواصل - ميدان الاستقلالية - ميدان التنشئة الاجتماعية - ميدان الحركة. يُمرر المقياس مع أولياء الطفل في مقابلة نصف مقننة تُتيح التعرف على قدرات الطفل في الوسط الأسري، حيث تعتمد البداية في التقييم على عمره الزمني أثناء المقابلة و يستغرق تمريره من ٢٠ و ٦٠ دقيقة. يُستخدم هذا المقياس ابتداءً من سن الميلاد حتى الثامنة عشر، ماعدا ميدان الحركة الذي يُخصص للأطفال الأقل من ٥ سنوات. هذا المقياس ليس أداة تشخيص وهو غير مخصص للتوحد، لكن الوصاية العليا للصحة بفرنسا (HAS, 2010) أوصت باستخدامه فهو يهدف الى تقييم قدرات الطفل في الميادين السابقة الذكر خاصة السلوك التكيفي .

تسمح المعدلات المحصل عليها بحساب العمر النمائي للطفل في كل ميدان ، كما يمكن و بعد حساب المجموع التركيبي (total composite) استنتاج درجة الانحراف المعياري و ما يقابلها من درجة التخلف العقلي ولهذا الغرض استخدم في الدراسة الح الية حيث:

- درجة انحراف معياري واحدة يقابلها درجة تخلف عقلي طفيف.

- درجتى انحراف معياري يقابلها درجة تخلف عقلي متوسط.

- ثلاثة درجات انحراف معياري يقابلها درجة تخلف عقلي عميق.

اختبار المفردات أو الكلمات المصوّرة: (Test de vocabulaire en images) (vocim)

يُعد هذا الاختبار نسخة مكيفة للاختبارات الكلاسيكية التي تُعنى بالمفردات. تم تطويرها سنة ١٩٧٧ من طرف (LEGE, Y et DAGUE, P)²، وهو مُوجه أساسا للأطفال العاجزين عن إعطاء أجوبة شفوية أثناء قياس ذكاءهم العام بسبب إعاقة معينة. يهدف أساسا إلى قياس الذكاء اللفظي للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.

يحتوي هذا اختبار على شكلين متوازيين أ و ب ، يسمح باستعراض بعدي لتقييم الآثار المترتبة على التعلم أو التأهيل ، حيث نقدم للطفل عدة رسومات و نطلب منه إظهار الرسم الذي يعبر أكثر عن المفردة في لوحة تحوي أربعة رسومات ، كل شكل يحتوي على ١٠ كلمة (أسماء، أفعال، صفات). هذا الاختبار مصمم ليُستعمل مع الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٦٣ سنوات من فئات مختلفة مثل: ذوي إعاقات حركية مثل: الشلل الدماغي العضلي (I.M.C)، الأطفال الصُم ، الأطفال المصابين بالتخلف العقلي، الأطفال الذين يعانون تأخر في الكلام و الأطفال المصابون بالتوحد. يتم تمريره بشكل فردي. يستغرق حوالي ٣٠ دقيقة و هذه المدة تختلف حسب الأعمار والصعوبات المحتمل ظهورها أثناء اختبار، حيث يُمكن من تصنيف مستوياتهم اللغوية إلى خمسة أقسام مقارنة مع أقرنائهم الأسوياء كالاتي:

¹ Sparrow S.; Balla D.; Achetti D. Vineland adaptative behaviour scales, articles Rines. MN : American Guidance Service, 1984.

² LEGE, Y et DAGUE, P (2007). Manuel : test de vocabulaire en images .Algerie : creapsy.p.5-46

القسم الأول: ممتاز.

القسم الثاني: جيد.

القسم الثالث: متوسط.

القسم الرابع: قريب من المتوسط.

القسم الخامس: ضعيف.

٣- قياس أداء نظرية العقل: Évaluation de la Théorie de l'esprit

يعتمد البروتوكول التجريبي للدراسة الحالية على تصميم تجريبي مستوحى من الدليل التطبيقي لتعليم الأطفال المتوحدين فهم تفكير الآخرين¹. وقد أُدخلت تعديلات شكلية على بعض أجزائه حسب متطلبات الدراسة و خصوصيات العينة. يتألف التصميم التجريبي أساساً من صور و بطاقات، تُعرض تدريجياً على الأطفال في شكل سلسلة من المهام بغرض تقييم أداءهم في نظرية العقل.

يستغرق تمرير المهام الأربعة التالية من ٣٥٢ دقيقة، و تختلف هذه المدة حسب خصوصية كل طفل وسرعة استجابته، فقد الأمر يتطلب أحياناً أكثر من حصة واحدة أو خلال أوقات مستقطعة :

١ مهمة الاعتقاد الخاطئ *épreuve de Fausses croyances*

٢ مهمة التعرف على الحالة الانفعالية للآخرين *épreuve de Reconnaissance des états émotionnels de l'autrui*

٣ مهمة التعرف على مقاصد الآخرين *épreuve de Reconnaissance des intentions de l'autrui*

٤ مهمة التعرف على تعابير الوجه *épreuve de Reconnaissance des expressions faciales*

النتائج و تفسيرها :

١ أداء مهام نظرية العقل ودرجة التخلف العقلي عند الأطفال المصابين بالتوحد

مستويات الأداء في مهام نظرية العقل						درجة التخلف العقلي	العدد
%	أداء جيد	%	أداء متوسط	%	أداء ضعيف		
-	-	١٥.٣٩	٠.٢	٨٤.٦١	١١	عميقة	١٣
-	-	٥٨.٣٤	٠.٧	٤١.٦٦	٠.٥	متوسط	١٢
٥٣.٣٣	٠.٨	٢٦.٦٧	٠.٤	٢٠.٠٠	٠.٣	طفيفة	١٥

الجدول ١: مستويات الأداء في مهام نظرية العقل تبعا لدرجة التخلف العقلي.

¹ Baron-cohen, S., Hardwin, J., Howlin, P. (2010). *Apprendre aux enfants autistes à comprendre la pensée des autres. Guide pratique*. Bruxelles : De Boeck

يظهر الجدول أعلاه وجود اختلاف في مستويات أداء الأطفال المصابين بالتوحد لمهام نظرية العقل تبعاً لدرجات التخلف العقلي، حيث سجل الأطفال ذوي درجة التخلف العقلي العميقة نسبة أداء ضعيفة قدرت (٨٤.٦٪)، بينما سجل ذوي درجة التخلف العقلي الطفيفة أداء جيد بلغت نسبته (٥٣.٣٪).

المجموع العام للمهام الأربعة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
بين المجموعات	648,269	٢	324,134	14,724	,000
داخل المجموعات	814,506	37	22,014		
الإجمالي	1462,775	39			

جدول (٢): نتائج اختبار تحليل التباين أحادي الاتجاه (One Way Anova)

بعد إختبار اعتدالية توزيع البيانات في كافة فئات درجات التخلف العقلي (طفيفة، متوسطة، عميقة) و التأكد من وجود تجانس التباينات، طبقنا اختبار تحليل التباين أحادي الاتجاه (One Way Anova) الذي كشفت نتائجه أن قيمة $p = 0.000$ وهي أقل من عتبة الدلالة المعنوية $\alpha = 0.05$ كما يوضحه الجدول (٢)، وعليه نرفض الفرضية الصفرية و نقبل الفرضية البديلة التي تفيد بوجود فروق بين درجة التخلف العقلي والأداء في مهام نظرية العقل عند الأطفال المصابين بالتوحد.

المجموع العام للمهام الأربعة Variable dépendante

Bonferroni

درجة التخلف العقلي (I)	درجة التخلف العقلي (J)	Différence de moyennes (I-J)	Erreur standard	Significati on	Intervalle de confiance à 95%	
					Borne inférieure	Borne supérieure
طفيفة	متوسطة	5,417*	1,817	,015	,86	9,97
	عميقة	9,590*	1,778	,000	5,13	14,05
متوسطة	طفيفة	-5,417*	1,817	,015	-9,97	-,86
	عميقة	4,173	1,878	,097	-,54	8,88
عميقة	طفيفة	-9,590*	1,778	,000	-14,05	-5,13
	متوسطة	-4,173	1,878	,097	-8,88	,54

*. La différence moyenne est significative au niveau 0.05.

الجدول (٣): نتائج المقارنات المتعددة لدرجات التخلف العقلي.

الفروق بين المتوسطات الحسابية	درجة طفيفة	درجة متوسطة
درجة متوسطة	5,417*	---
درجة عميقة	9,590*	غير دالة 4,173

*الفروق في المتوسطات ذات دلالة عند مستوى ٠.٥.

جدول (٤): المقارنات البعدية للمتوسطات الحسابية حسب درجات التخلف العقلي بطريقة Post Hoc Tests

ومن أجل معرفة درجات التخلف العقلي التي يوجد بينها فروق (الجدول ٣)، قمنا بعدها بإجراء المقارنات البعدية للمتوسطات الحسابية حسب درجات التخلف العقلي بطريقة Post Hoc Tests الجدول (٤)، والذي بين وجود فروق ذات دلالة عند مستوى ٠.٥ بين الدرجة الطفيفة و الدرجة المتوسطة بقيمة (5,417) و الدرجة الطفيفة و الدرجة العميقة بقيمة (9,590).

٢ أداء مهام نظرية العقل والمستوى اللغوي عند الأطفال المصابين بالتوحد.

مستويات أداء مهام نظرية العقل						المستوى اللغوي	العدد
أداء %	أداء %	أداء %	أداء %	أداء %	أداء %		
جيد	متوسط	ضعيف	جيد	متوسط	ضعيف		
١٠٠%	٤	.	-	.	-	متوسط	٠٤
١٠٠%	2	.	-	.	-	قريب من المتوسط	٠٢
٥.٨٨	2	٣٨.٢٢	13	٥٥.٨٨	١٩	ضعيف	٣٤

الجدول (٩): مستويات الأداء في مهام نظرية العقل حسب المستوى اللغوي.

يكشف الجدول أعلاه عن وجود اختلاف في أداء الأطفال المصابين بالتوحد لمهام نظرية العقل تبعاً لمستواهم اللغوي، حيث سجل الأطفال ذوي المستوى اللغوي المتوسط و القريب من المتوسط أداء جيداً، بينما الأطفال ذوي المستوى اللغوي الضعيف توزعت نسب مستويات أداءهم كالآتي:

الأداء الضعيف (٥٥.٨%)، بينما (٣٨.٢%) للأداء المتوسط و (٥.٨٨%) الجيد (الجدول ٩).

Rangs

	المستوى اللغوي	N	Rang moyen
المجموع العام للمهام الأربعة	متوسط	4	37,88
	قريب من المتوسط	2	36,00
	ضعيف	34	17,54
	Total	40	

Test^{a,b}

	المجموع العام للمهام الأربعة
Khi-deux	14,621
ddl	2
Signification asymptotique	,001

a. Test de Kruskal Wallis

b. Critère de regroupement: المستوى اللغوي

الجدول ٦: نتائج اختبار Kruskal-Wallis

بعد معاينة البيانات تبين أنها لا تتبع التوزيع الإعتدالي في كافة الفئات (متوسط، قريب من المتوسط، ضعيف)، لذا طبقنا الاختبار الابرامتري المناسب Kruskal-Wallis الذي يقوم على مقارنة وسيط الفئات الثلاثة للمستوى اللغوي الذكورة سابقا. حيث تبين من خلال نتائج (الجدول ٦)، من خلال قيمة Khi-deux التي تساوي 14,621 عند درجة الحرية ٢ ومستوى الدلالة يساوي ٠.٠٠ وهو أصغر من ٠.٠٠٥، وهذا يدل على وجود فروق دالة إحصائية بين وسيط الفئات الثلاثة (متوسط، قريب من المتوسط، ضعيف) أي قبول الفرضية البديلة. وهذه الفروق هي لصالح الفئتين ذوي المستوى اللغوي المتوسط والقريب من المتوسط.

المناقشة:

١ - درجة التخلف العقلي و الأداء لمهام نظرية العقل:

كشفت تحليل نتائج مقارنة عن وجود اختلاف بين أداء الأطفال المصابين بالتوحد لمهام نظرية العقل للأطفال تبعاً لدرجات التخلف العقلي: العميقة، المتوسطة و الطفيفة. وهذه النتائج تتعارض مع ما توصلت إليه دراسة (Baron-Cohen et al, 1985) التي انتهت إلى أن الخلل في نظرية العقل عند الأطفال المصابين بالتوحد هو مستقل عن التخلف العقلي و هو خاص بالمتوحدين فقط.

لكن ما يدعم نتائج البحث الحالي هو ما خلصت إليه دراسة (Happé, 1995)² بوجود علاقة ايجابية ذات دلالة بين النجاح في مهام نظرية العقل و العمر العقلي، ودراسة (Buitelaar, et al 1999)³ التي أوضحت إحدى نتائجها أن مستوى الذكاء (QI) هو مؤشر جيد لأداء نظرية العقل. و كذلك دراسة (Bedard, 2006)⁴ التي انتهت إلى أنه، كلما زاد معدل الذكاء لدى الأطفال المصابين بالاضطرابات النمائية الشاملة زادت فرصهم للنجاح في مهام نظرية العقل.

أما دراسة (Benson, et al 1993)⁵ والتي شارك فيها مراهقين أسوياء و آخرون مصابون بالتخلف العقلي توصلت إلى وجود فروق بين أداء المجموعتين في مهام نظرية العقل، بالرغم أن هذه الدراسة التي لم يشارك فيها المصابون بالتوحد لكنها تسمح وحسب الباحثين بطرح إمكانية وجود علاقة بين القدرات العقلية و النجاح في مهام نظرية العقل.

١ Baron-Cohen و آخرون، (١٩٨٥): مرجع سابق تم ذكره.

² Happe, F. G. E. (1995). The Role of Age and Verbal Ability in the Theory of Mind Task Performance of Subjects with Autism. *Child Development*, 66(3), 843-855.

³ Buitelaar, J. K., Wees, M. Van Der, Swaab-barneveld, H., & Gaag, R. J. Van Der. (1999). Verbal Memory and Performance IQ Predict Theory of Mind and Emotion Recognition Ability in Children with Autistic Spectrum Disorders and in Psychiatric Control Children, 40(6), 869-881.

⁴ Bédard, K. (2006). Impact des retards intellectuels sur la réussite aux épreuves de la théorie de l'esprit chez les enfants présentant un trouble envahissant du développement. p.49.

⁵ Benson, G., 1. Abbeduto, K. Short, J.B. Nuccio et F. Maas. 1993. « Development of theory of mind in individuals with mental retardation ». *American Journal on Mental Retardation*, 98, p. 433-472.

لكن يبقى بعض من الأطفال المصابين بالتوحد يشككون حالات خاصة بسبب عدم تجانس نتائجهم مع باقيه الأطفال، فمثلا نجد: ثلاثة أطفال ذوي تخلف عقلي طفيف، مستوى أداءهم ضعيف، بينما خمسة أطفال ذوي تخلف عقلي المتوسط لكن أداءهم ضعيف. لذا يمكن اعتبار هذه الحالات شاذة تأتي أن تندرج ضمن دائرة التعميم لا لشيء إلا لأن وظائفها العقلية تعمل بطريقة فريدة و مغايرة عن باقي الاطفال المصابين بالتوحد على اعتبار أن كل طفل يمثل شكل معين من التوحد ضمن ما اصطلح عليه بعدم تجانس الأعراض في الطيف التوحدي (le continuum du spectre autistique). أو أن خصائصهم الإكلينيكية تسير وفق مسار نمائي مختلف تماما عن البقية. وهذا ما قد يتناسب مع ما طرحه (Mottron) في مقاله بعنوان "The power of autism" الصادر في ٢٠٠٠، الذي شكك فيه من فعالية و صدق أدوات قياس الذكاء المطبقة على المتوحدين، فهو يرفض فكرة العامل العام للذكاء (facteur g) التي جاء بها "Gardner"، و التي تفيد أن النجاح في إحدى الاختبارات الفرعية لإخبار الذكاء يمثل فرص قوية للنجاح في باقي الاختبارات. كما يشكك أيضا حتى في نسبة الأطفال المتوحدين المصابين بالتخلف العقلي فهو يرى أن التوحد هو الحالة النمائية-العصبية الوحيدة (Neurodéveloppementale) التي تملك امتيازات معرفية، حيث يوجد 10% فقط من المتوحدين الذين لديهم خلل عصبي بيولوجي يمس ذكاءهم. و في دراسة عالمية حديثة أنجزت في كوريا الجنوبية (٢٠٠٠) قدرت نسبة 59% من المصابين بالطيف التوحدي لديهم تخلف عقلي، لكن يجب الحذر في التعامل مع هذا الرقم، لأن هذا المجال يحتاج إلى المزيد من الأبحاث للكشف عن نسبة الأطفال المتوحدين الذين لديهم تخلف عقلي¹.

٢- المستوى اللغوي و أداء مهام نظرية العقل:

أظهر تحليل النتائج وجود اختلاف أداء الأطفال المصابين بالتوحد لمهام نظريتي العقل تبعاً للمستويات اللغوية، هذا و قد حقق الأطفال ذوي المستوى اللغوي المتوسط و القريب من المتوسط أحسن أداء مقارنة مع ذوي المستوى الضعيف. و هي نتيجة متفقة مع دراسات (Happé, 1993², 1995³) التي توصلت إلى احتمالية وجود علاقة سببية (السبب-النتيجة) بين القدرات اللغوية و القدرة على تمثيل الحالات العقلية (نظرية العقل)، وكذا وجود روابط وثيقة بين الفهم الاجتماعي و القدرات التواصلية عند الأطفال المصابين بالتوحد. و قد أفادت دراسة⁴ (Yirmiya, 1996) أن العمر العقلي اللفظي هو العامل الوحيد الدال الذي يسمح بالتنبؤ للأداء في نظرية العقل بالنسبة للأفراد المتوحدين المشاركين في الدراسة. و نجد من الباحثين^{5,6}، من إعتبر أن تمثيل الحالات العقلية لا يرتبط بالضرورة باللغة، وأن العلاقة بين مستوى نظرية العقل ومستوى العملية التواصلية ليست آليا عند الأطفال المصابين بالتوحد.

¹ Heurtevent, D., (٢٠١١), Réaction: Quand Le Monde exploite les positions de Laurent Mottron

<http://www.soutenonslemur.org>.

² Happé, F. G., & Happé, G. E. (1993). Communicative competence and theory of mind in autism: a test of relevance theory. *Cognition*, 48(2), 101-19.

³ Happe, F. G. E. (1995). The Role of Age and Verbal Ability in the Theory of Mind Task Performance of Subjects with Autism. *Child Development*, 66(3), 843-855.

⁴ Yirmiya, N., Solomonica-Levi, D., Cory Shulman, C., Pilowsky, T. (1996). Theory of Mind Abilities in Individuals With Autism, Down Syndrome, and Mental Retardation of Unknown Etiology: The Role of Age and Intelligence. *Journal of Child Psychology and Psychiatry*. Vol. 37: 1003-1014.

⁵ Plumet, M. H. & Tardif, C. (2003): Théorie de l'esprit et communication chez l'enfant autiste: une approche fonctionnelle développementale. In: *Cahiers d'Acquisition et de Pathologie du Langage*, 23, 121-141.

⁶ Plumet, M. (2008). Développement des interactions sociales et théorie de l'esprit: fonctionnement et dysfonctionnements., 9-28.

أما إذا تفحصنا أداء بعض الأطفال المصابين بالتوحد نكتشف وجود طفلين ذوي مستوى لغوي ضعيف لكن أداءهم للمهام كان جيدا فقد نجحنا على الأقل في مهمتين من المهام الأربعة (الإعتقاد الخاطئ، التعرف على تعابير الوجه)، في هذا الصدد تشير احدي نتائج دراسة (Colle et al., 2003)¹ أن عملية الفهم في مهمة الاعتقاد الخاطئ مستقلة الى حد ما عن القدرات العقلية.

و من المرجح ان التدريب على التواصل باستخدام *PECS ضمن برنامج التكفل كان له أثر في تحسين أداءهم لمهام نظرية العقل، و من جهة أخرى قد يكون أسلوب التواصل باستخدام الصور و البطاقات و هو نفس المبدأ الذي يعتمد عليه تطبيق التصميم التجريبي الخاص بهذه الدراسة قد ساهم في فهمهم و نجاحهم لأداء المهام. لكن يحتاج هذا التفسير الى إثبات علمي من خلال دراسات لاحقة.

الاستنتاج و الآفاق المستقبلية:

سمحت لنا الدراسة الحالية بالإجابة على التساؤل الأساسي و أفادت بوجود قصور في أداء الأطفال المصابين بالتوحد لمهام نظرية العقل. كما أن درجة التخلف العقلي، المستوى اللغوي هي متغيرات يمكنها إحداث فروق في أداء نظرية العقل، لكنها تبقى غير كافية لشرح التناقض الذي سجلته بعض نتائج حالات الدراسة. وهذا قد يعود الى عدم تجانس الإعتلالات التي يعاني منها المصابين بالتوحد، وهي الميزة التي أولها الباحثين الكنديين (Mottron و فريقه) اهتماما و تركيزا كبيرين في محاولتهم شرح التوحد.

كما و يتيح لنا هذا العمل البحثي تقديم رؤية مستقبلية من خلال تقديم بعض الاقتراحات البحثية و العملية المتعلقة باكتساب نظرية العقل عند الأطفال المصابين بالتوحد و التي نوجزها كما يلي :

يتطلب تقييم الأداء في اكتساب نظرية العقل انجاز دراسات طويلة تنبعية لحالات أطفال مصابين بالتوحد، لأن هذا أسلوب البحثي يعد مصدر ثري يوفر معلومات هامة حول القدرات الخاصة بهؤلاء الأطفال. و من جهة أخرى فالنجاح في المهام التجريبية المحدودة زمنيا لا يعني النجاح في الحياة اليومية لأن مسألة التعميم هي رهان حقيقي لاكتساب نظرية العقل عند هؤلاء الأطفال.

مراعاة القدرات الخاصة (Sur-Habilités) للأطفال المصابين بالتوحد في تسطير برامج فردية لتعليم نظرية العقل، فتأخر اللغة يكون مصحوب بقدرة إدراكية سمعية- بصرية عالية أو تكون مرافق للتفكير المنطقي غير لفظي العالي.

على المربون تشجيع أولياء الأطفال المصابين بالتوحد على الاستمرار في استخدام لوسيلة التواصل (Pecs) مع أبنائهم في باقي الأوقات، فهي من الوسائل القليلة التي تساعد المتوحد على التواصل مع الآخر.

قائمة المراجع :

1. American Psychiatric Association. In: Mini DSM-IV. Critères diagnostiques (Washington DC, 1994). Paris: Masson; 1996. (Traduction française par J-D Guelfi et al.)
2. Baron-Cohen, S., Leslie, a M., & Frith, U. (1985). Does the autistic child have a “theory of mind”? *Cognition*, 21.

¹ Colle, L., Baron-Cohen, S., & Hill, J. (2007). **Do children with autism have a theory of mind? A non-verbal test of autism vs. specific language impairment.** *Journal of Autism and Developmental Disorders*, 37, 716–723

* PECS : نظام التواصل بتبادل الصور يساعد على اكتساب مهارات التواصل غير لفظي وهو يعتمد على المدعمات البصرية.

3. Baron-cohen,S.,Hardwin,J.,Howlin,P. (2010).Apprendre aux enfants autistes à comprendre la pensée des autres.Guide pratique.Bruxelles :De Boeck
4. Bédard, K. (2006). Impact des retards intellectuels sur la réussite aux épreuves de la théorie de l'esprit chez les enfants présentant un trouble envahissant du développement.Récupéré sur <http://www.archipel.uqam.ca/1787/1/M9295.pdf>
5. Benson, G., 1. Abbeduto, K. Short, J.B. Nuccio et F. Maas. (1993). « Development of theory of mind in individuals with mental retardation ». American Journal on Mental Retardation, 98.
6. Bouvet,L. (2012). traitement musical dans les troubles du spectre autistique :déficit du traitement global ou surfonctionnement des traitements perceptifs?.thèse de doctorat soutenue publiquement,université de Grenoble, France,p13
7. Buitelaar, J. K., Wees, M. Van Der, Swaab-barneveld, H., & Gaag, R. J. Van Der. (1999). Verbal Memory and Performance IQ Predict Theory of Mind and Emotion Recognition Ability in Children with Autistic Spectrum Disorders and in Psychiatric Control Children, 40(6), 869–881.
8. Colle et al .,2003 Colle, L., Baron-Cohen, S., & Hill, J. (2007). Do children with autism have a theory of mind? A non-verbal test of autism vs. specific language impairment. Journal of Autism and Developmental Disorders, 37.
9. Dépelteau ,F,(2000). La démarche d'une recherche en sciences humaines : De la question de départ à la communication des résultats .DeBoeck Université .
10. Happe, F. G. E. (1995). The Role of Age and Verbal Ability in the Theory of Mind Task Performance of Subjects with Autism. Child Development, 66(3).
11. Happe, F. G. E. (1995). The Role of Age and Verbal Ability in the Theory of Mind Task Performance of Subjects with Autism. Child Development, 66(3).
12. Happé, F. G., & Happe, G. E. (1993). Communicative competence and theory of mind in autism: a test of relevance theory. Cognition, 48(2)
13. Heurtevent, D., (٢٠١١), Réaction : Quand Le Monde exploite les positions de Laurent Mottron <http://www.soutenonslemur.org/wp-content/themes/TheWall/glide.css>
14. LEGE,Y et DAGUE,P (2007).Manuel : test de vocabulaire en images .Algerie :creapsy
15. Lenoir,P. (2006). Aspects psychopathologiques des troubles envahissants du développement Psychopathological features in the pervasive developmental disorders. Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence ,54.
16. Lord, C., M. Rutter, et al. (1994). “Autisme Diagnostic Interview – Revised – a revised version of a diagnostic interview for caregivers of individuals with possible pervasive developmental disorders”. Journal of Autism and Developmental Disorders , vol.24, n°5.
17. Lord, C., Rutter, M., Goode, S., Heemsbergen, J., Jordan, H., Mawhood, L., & Schopler, E. (1989). Autism Diagnostic Observation Schedule: A standardized observation of communicative and social behavior. Journal of Autism and Developmental Disorders, 19.
18. Plumet, M. (2008). Développement des interactions sociales et théorie de l'esprit: fonctionnement et dysfonctionnements.
19. Plumet, M. H. & Tardif, C. (2003): Théorie de l'esprit et communication chez l'enfant autiste: une approche fonctionnelle développementale. In: Cahiers d'Acquisition et de Pathologie du Langage, 23 .



20. Premack, D. & Woodruff, G. (1978). « Does the chimpanzee have a theory of mind? ». Behavioral and Brain Sciences, 4 .
21. Roger, B.(1989) Adaptation Française de l'échelle d'évaluation de l'autisme infantile (C.A.R.S). Issy-les-Moulineaux : Editions d'Applications psychotechniques,.
22. Sparrow ,S.; Balla D.; Achetti D. (1984)Vineland adaptative behaviour scales, articles Rines. MN : American Guidance Service.
23. Wimmer, H., & Perner, J. (1983). Beliefs about beliefs: Representation and constraining function of wrong beliefs in young children's understanding of deception. Cognition, 13.
24. Yirmiya,N., Solomonica-Levi,D.,Cory Shulman,C., Pilowsky,T. (1996). Theory of Mind Abilities in Individuals With Autism, Down Syndrome, and Mental Retardation of Unknown Etiology: The Role of Age and Intelligence. Journal of Child Psychology and Psychiatry. Vol. 37.

الخصائص النفسية والاجتماعية للأحداث الجانحين واستراتيجيات إعادة تأهيلهم في الجزائر أ.سامية شينار/جامعة باتنة ١، الجزائر

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى القاء الضوء على ظاهرة جنوح الأحداث وتشريحها نفسيا واجتماعيا كظاهرة استفحلت في مختلف المجتمعات خاصة مجتمعنا الجزائري، وباعتبارها من أهم المشاكل التي تواجه الأسرة والمجتمع، والتناول النظري لهذه الظاهرة مهم في تفسيرها ولا بد منه، غير أن هذا التناول لا بد أن يحظ باستيفاء كل الجوانب الفاعلة والمؤثرة فيها. وفي هذه المداخلة سوف نسلط الضوء على أنواع الأحداث الجانحين وخصائصهم النفسية والعوامل المساهمة في انحرافهم، إضافة إلى التطرق إلى حجم ظاهرة الجنوح في الجزائر وما سطرته الدولة من برامج واستراتيجيات وحتى مؤسسات لرعاية هذه الفئة والتكفل بهم وإعادة تأهيلهم، إضافة إلى توضيح السبل الوقائية للحد من تفشي هذه الظاهرة.

الكلمات المفتاحية: الخصائص النفسية والاجتماعية، إعادة التأهيل، الأحداث الجانحون.

مقدمة:

الجنوح هو تعبير يعني عادة انتهاك الأحداث (الصبية الذين لم يتجاوزوا سن الرشد الجنائي) للقانون، ويشمل تلك الأفعال التي تعتبر جرائم إذا قام بارتكابها البالغون، وأيضًا تلك الأفعال التي تعتبر غير الأوبئة قانونية فقط للأحداث دون سن الرشد الجنائي، مثل شراء المشروبات الكحولية في البلاد التي لا تمنع قوانينها تعاطي المشروبات الكحولية للكبار. ويستخدم معظم الناس تعبير جنوح الأحداث ليشمل أي شيء يقوم بها الأحداث يتعارض مع معايير المجتمع وقيمه المتعارف عليها، بغض النظر عن كونه قانونيًا أو غير قانوني⁽¹⁾

والأحداث الجانحون هم أشخاص رفضوا الانتماء الاجتماعي، وتكروا للقيم الأخلاقية والثقافية التي أقرها المجتمع خلال سياقه التاريخي، ويتميز هؤلاء بالفقر الوجداني، وعقم الضمير حيث لا يشعرون بالذنب على ما يقومون به من مخالفات وجرائم بحق الآخرين، تقودهم اللذة في كل ما يفعلون ويتميزون بالكذب ولا يشعرون بالخجل⁽²⁾.

ومشكلة جنوح الأحداث ظاهرة عرفت المجتمعات البشرية قديما وحديثا، ورغم التباين في المستوى الاقتصادي والاجتماعي للدول، إلا أنها متفشية في البلاد النامية مثل البلاد المتقدمة⁽³⁾، ومع ذلك فإن كل بلاد تفر محددات السلوك

(1) مصطفىاوي، محمد (٢٠٠٨): مقال منشور في موقع:

<http://www.djelfa.info/vb/forumdisplay.php?s=1e775b98d253413bd163bd7acf70a4a0&f=97>

(2) ميّزاب، ناصر (٢٠٠٥): "سيكولوجية الجنوح": محددات-تناولات نظرية-استراتيجيات-وقاية وعلاج". ط ١، القاهرة: عالم الكتب، ص ٣٧.

(3) شازال، جان (١٩٦٢): "جناح الأحداث". ترجمة: القفاص، عبد السلام، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ص ٦.

الجانب لديها وفقا لتشريعاتها وقوانينها الاجتماعية الخاصة بها، وبالتالي يختلف السلوك الجانح باختلاف المجتمع الذي يقع فيه هذا السلوك، فما يعد سلوكا جانحا أو منحرفا في مجتمع ما، قد لا يعد كذلك في مجتمع آخر. وبوجه عام يمكن الاحتكام إلى ثلاث محكات رئيسية لا بد من توافرها لنقول أن السلوك جانح، وهي:⁽⁴⁾

-مدى توافر شروط الخطورة في السلوك.

-مدى استمرار السلوك وتكراره.

-مدى وجود الاتجاه العدواني في السلوك نحو المجتمع.

وعلى هذا فلا يمكننا الحكم على سلوك ما بأنه جانح ما لم تتوافر فيه الخطورة على الفرد وعلى المجتمع، وأن يكون هذا السلوك متكرر ومستمر على مدى زمني واضح.

والعديد من الدراسات حاولت تفسير جنوح الأحداث وفق رؤى نظرية متنوعة، وبحثت في العوامل المؤدية اليه سواء كانت خاصة به أو ببيئته، وكذا الخصائص والسمات المميزة للسلوك الجانح.

ويبقى السلوك الجانح سلوك لا سوي انحرافي، تسعى الدراسات والأبحاث إلى الكشف عن جميع عناصره من أجل الحد منه أو تشخيصه مبكرا للحيلولة دون انتشاره في المجتمع.

مشكلة الدراسة: جاءت هذه الدراسة لتجيب عن التساؤلات التالية:

-ما المقصود بالأحداث الجانحين؟ وما هي أنواعهم؟

-ما هي الخصائص النفسية المميزة للأحداث الجانحين؟

-ما هي العوامل المساهمة في جنوح الأحداث؟

-كيف تتم الرعاية النفسية وإعادة التأهيل بالنسبة للأحداث الجانحين في الجزائر؟

أهمية الدراسة: تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية الموضوع الذي تناوله، فهي تسعى إلى تقديم نظرة تشريحية حول فجنوح الأحداث يعد من أكبر المشاكل التي تواجه المجتمعات باختلاف حضاراتها وثقافتها نظرا لأنه يمس بلبنة مهمة من البناء الاجتماعي وهم النشء المعول عليه مستقبلا في عملية التطور والتنمية، هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فتعتبر هذه الدراسة لبنة تساعد في تأسيس وتسطير برامج علاجية وحتى وقائية لاختزال كل الجوانب السلبية المهددة للحدث وفق خلفية ثقافية تناسب بيئته وخصائصه النفسية والاجتماعية.

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف التالية:

-توضيح مفهوم الأحداث الجانحين وأنواعهم.

-التعرف على الخصائص النفسية المميزة للأحداث الجانحين.

-توضيح العوامل المساهمة في جنوح الأحداث.

-توضيح سبل الرعاية النفسية وإعادة التأهيل المقدمة للأحداث الجانحين في الجزائر.

(4)الهمشري، محمد علي قطب وآخرون(١٩٩٧): "مشكلة الجانحين"، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ص ١١.

١ - مفهوم الأحداث الجانحين وأنواعهم:

الجنوح في اللغة الفرنسية *Délinquance* واللغة الانجليزية *Delinquency* معناه سلوك منحرف ومذنب، ويدل في معظم الكتابات على السلوك الإجرامي.^(١)

واصطلاحا جنوح الأحداث هو خروج الحدث عن الطريق السوي، وإقدامه على ممارسة أحد أنماط السلوك غير الاجتماعي والإجرامي الذي يتعارض مع المعايير الاجتماعية والقانونية المعمول بها دون بلوغ السن القانونية التي تتيح محاكمته ومساءلته.^(١)

وهو عموما تعبير عن عدم التكيف الناشئ عن عوامل مختلفة مادية ونفسية، تحول دون الإشباع الصحيح لحاجات الحدث.^(٢)

وفيما يلي نورد بعض التعاريف للحدث الجانح حسب وجهات النظر الآتية:

● مفهوم الحدث الجانح في الشريعة الإسلامية:

يقصد بالجنوح في الشريعة الإسلامية الخروج عن طاعة ومنهج الله سبحانه وتعالى وهو الدين الذي ارتضاه للناس بما يتضمن من أوامر ونواهي تنظم للناس أمور حياتهم.^(٣)

وجنوح الأحداث هو "المحظورات الشرعية التي يرتكبها الأحداث في سن حداثتهم، والتي إذا اقترفها البالغون عدت جرائم يعاقبون عليها بالحدود والقصاص والتعزير".^(٤)

● مفهوم الحدث الجانح في علم النفس:

الحدث الجانح هو ذلك الفرد الذي يرتكب فعلا يخالف أنماط السلوك المتفق عليه للأسوياء في مثل سنه وفي بيئته، نتيجة معاناته لصراع نفسي لا شعوري ثابت نسبيا، يدفعه لا إراديا لارتكاب هذا الفعل الشاذ كالسرقة أو العدوان أو الكذب أو التبول اللاإرادي أو قضم الأظافر أو الانطواء.^(٥)

والحدث الجانح يعبر عن عدم التكيف الناتج من عوامل مختلفة مادية ونفسية تحول دون الإشباع الصحيح لحاجات الحدث.

كما يرى أنصار مدرسة التحليل النفسي أن الحدث الجانح هو الذي تتغلب عنده الدوافع الغريزية والرغبات على القيم والتقاليد.^(٦)

(١) عبد اللطيف، رشاد أحمد (٢٠٠٧): "انحراف الصغار مسؤولية من؟"، ط ١، القاهرة: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ص ١٤.

(١) جبل، فوزي محمد (٢٠٠٠): "الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية"، الإسكندرية: المكتبة الجامعية، ص ٤١١-٤١٢.

(٢) قواسمية، محمد عبد القادر (١٩٩٢): "جنوح الأحداث في التشريع الجزائري"، ط ١، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ص ٦٣.

(٣) سعيد العجبي، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٤) الديدب محمد (١٩٩٧): "الخدمة الاجتماعية في محيط نزلاء السجون والأحداث"، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٢٦٦.

(٥) عبيد، ماجدة بهاء الدين السيد (٢٠٠٨): "الضغط النفسي ومشكلاته وأثره على الصحة النفسية"، ط ١، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ص ٢٧٥.

(٦) محمد قواسمية، مرجع سابق، ص ٦٣-٦٤.

● مفهوم الحدث الجانح في علم الاجتماع:

الحدث الجانح هو ضحية ظروف سيئة اجتماعية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية أو حضارية.⁽⁷⁾ وترى صوفيا روبيسون Sofia Robison أن الجانح يقوم بسلوك يعارض مصلحة الجماعة في زمان ومكان معينين بصرف النظر عن كشف هوية الفاعل وبصرف النظر عن تقديم الفاعل إلى المحكمة.

ورأى بلنور وشيلدون Blenor & Scheldon بأن الحدث يجنح حين يشعر بسوء التكيف مع النظام الذي يعيش فيه.⁽¹⁾ ويعتبر الحدث الجانح ضحية ظروف سيئة اجتماعية كانت أو اقتصادية أو ثقافية أو حضارية، إذ يعرفه بأنه من يعاني من خلل في بنائه القيمي بحيث تسيطر عليه قيم الانحراف والجريمة واللامبالاة وكراهية المجتمع، وضعف الانتماء للأسرة والبيئة المحيطة.⁽²⁾

● مفهوم الحدث الجانح في القانون:

إن علماء القانون أشاروا إلى أن مفهوم جناح الأحداث يحمل نفس معنى السلوك الإجرامي لدى البالغ، والفرق بين السلوك الجانح والسلوك الإجرامي يتحدد حسب السن القانوني للمجتمع الذي يعيش فيه الفرد.

ويتفق علماء الجريمة على أن الجريمة هي كل فعل أو امتناع يعاقب عليه القانون.⁽³⁾ ويطلق الجنوح على الحدث الذي يخالف القوانين أيضا، بارتكابه جريمة أو جنحة أو مخالفة تؤدي إلى إدانته.⁽⁴⁾

والحدث الجانح هو الفرد الذي يعتدي على حرية القانون، ويرتكب فعلا نهى عنه في سن معينة، ولو أتاه البالغ لوقع تحت طائلة العقاب، سواء كان هذا الفعل مخالفة أو جنحة أو جنائية.⁽⁵⁾

وهناك من رأى أن الصغير الذي يقل عمره عن سن معينة وهو سنة يعد جانحا فقط إذا حكمت محكمة الأحداث عليه بهذا.⁽⁶⁾

وقد عرف أيضا بأنه "كل شخص لم يتم الثامنة عشر من عمره ارتكب فعل يعاقب عليه القانون، وصدر بحقه حكم بالإدانة".⁽⁷⁾

وعموما يمكن القول أن الحدث الجانح هو "الصغير الذي أتم السن التي حددها القانون للتمييز، ولم يتجاوز السن التي حددها لبلوغ الرشد، ويقدم على ارتكاب فعل يعتبره القانون جريمة كالسرقة أو القتل أو الإيذاء أو الاغتصاب أو أي فعل

(7) ماجدة عبيد، مرجع سابق، ص ٢٧٥.

(1) محمد قواسمية، مرجع سابق، ص ٦٣-٦٤.

(2) سعد، أسعد نصيف (١٩٩٧): "إعداد برنامج في اللعب الجماعي لتعديل السلوك اللاتوافقي لدى الأحداث الجانحين"، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ٣٣.

(3) سعيد العجبي، مرجع سابق، ص ٣٤.

(4) حسن، محمد علي (١٩٧٠): "علاقة الوالدين بالطفل وأثرها في جناح الأحداث"، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٢٠.

(5) ماجدة عبيد، مرجع سابق، ص ٢٧٥.

(6) الجميلي، حبري خليل (١٩٩٨): "السلوك الانحرافي في إطار التقدم والتخلف"، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ص ١١٧.

(7) عكاشة، أحمد (١٩٩٢): "الطب النفسي المعاصر"، القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية، ص ١٥.

آخر يعاقب عليه القانون لمساسه بسلامة المجتمع وأمنه، مما يعتبر انحرافا حادا أو بعبارة أدق انحرافا جنائيا⁽⁸⁾. وقد اختلف الباحثون باختلاف اتجاهاتهم في تمييز أنواع الأحداث الجانحين، منهم من اتفق على بعض الأنواع ومنهم من اختلف كلياً في تقسيماته لأنواع الأحداث الجانحين. وفيما يلي عرض لبعض أنواع الأحداث الجانحين:

● حدث العصابة:

ويسمى جنكيز وهيويك^{١٩٤} هذا النوع بالجانح المطبع اجتماعياً، وهو النوع السائد بين الأحداث الجانحين، الذي لا يقوم بنشاطه إلا ضمن جماعة من المنحرفين مثله. وهو في العادة لا يحتمل الوحدة، وعلى استعداد للقيام بأي عمل من أجل الجماعة التي ينتهي إليها، إذ أن معايير الجماعة عنده أهم من أي معايير أخرى، لذلك كان هذا النوع من أصعب حالات الجنوح لحاجته الدائمة إلى الجماعة المنحرفة التي يصعب عزله منها.

وتتخذ المعايير التالية لتحديد هذا النمط:

- الصداقة مع أمثاله من الجانحين ممن لهم احتكاك برجال الأمن.
- يقوم بدور إيجابي في الجماعة المنحرفة.
- يقوم بالأعمال الإجرامية مع جماعته، وأحياناً قليلة قد يقوم بها منفرداً.
- يكتسي بمظهر وطباع الجانحين من جماعته، ويتكلم بالطريقة التي يتكلمون بها.
- يتردد على دور اللهو وأحيائها.

● الإعتدائي اللا اجتماعي:

رأى رادل ووينمان Radel & Winman أن الاعتدائي الاجتماعي هو الحدث الممتلئ بالكراهية من ذوي الأنا الضعيف. وقد وضع معايير لتحديد هذا النمط وهي:

- العزلة عن الأصدقاء.
- القيام بنشاطه منفرداً.
- العجز عن الانتماء لأي جماعة.
- لا يوجد له أصدقاء حميمون مقربون.
- يتميز بالخجل والانسحاب.
- غير محبوب عند الآخرين.
- تغيب عنه صفات القيادة.

(8) شحاتة، محمد وآخرون (١٩٩٤): "علم النفس الجنائي"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢٠٧.

• الجانح العرضي:

رأى واتنبرج^(١) ١٩٦٦ أن هذا النمط ينحرف ويقبض عليه لارتكابه ما يخالف القانون نتيجة لسوء تقديره للموقف أو لمشاكل اعترضت طريق نموه السوي. أي أن يكون عادة سويًا في تكوينه النفسي، غير أنه لم يقدر خطورة ما قام به، ولعله قام بما قام به لأنه رأى كل من حوله يقومون بنفس الفعل، أو لعله قام به لاعتقاده أن هذا عمل يدل على الشجاعة، وتكون المخالفة التي يرتكها هذا الجانح أحيانًا خطيرة من ناحية نتائجها لا من ناحية القصد فيها.

• الجانح العصابي:

أشار واتنبرج إلى أن هناك حالات يكون فيها الجنوح نتيجة لصراع يتم التعبير عنه بسلوك انحرافي. والجانحون من هذا النمط من أبناء الطبقات الممتازة اجتماعيًا ولا يمكن أن يعزى انحرافهم إلى الأسباب الاجتماعية المعروفة كال فقر مثلا.^(١) ويعزى هذا النمط من الجنوح إلى صراع نفسي ناشئ عن المعاملة الوالدية والأسرية الخاطئة فيقوم بالتعبير عن صراعاته بشكل منحرف. وعادة يقبض عليهم ويعترفون بجريمتهم اعترافًا صريحًا، لإحراج أوليائهم ولجذب انتباههم أو تعجيرا لهم عن معاملتهم القاسية التي يعاملونهم بها.^(٢)

• الحدث المشرد:

وهو الذي يحترف أعمالًا تحط من قدر الإنسان أو لا تليق بكرامته، كاحتراف مهنة التسول في الشوارع العامة، أو بيع بعض الأشياء البسيطة وخاصة بين السيارات في الشوارع المكتظة وعند إشارات المرور، وهذه الفئة بحاجة إلى الرعاية والحماية والتربية والتوجيه المهني.

• المعرض للانحراف:

وهو الذي يتواجد برفقة أحد المنحرفين أو المشردين، أو الأطفال غير الشرعيين أو اليتامى أو الذين يعيشون حياة البؤس (فقدان امسكن أو فقدان الولي أو المعيل...)، ويتطلب الوضع هنا عمليات الإعانة والمساعدة والحماية ورعاية مكاتب الخدمات الاجتماعية، وتتقدم في هذه الحالة وسائل الوقاية على وسائل العلاج.^(٣)

• النمط المختلط:

ليس من السهل تصنيف السلوك الجانح طبقًا لأي نمط، لأن الواقع يبين أن قليلًا من الأفراد يمكن تحديد نمطهم بينما الغالبية قد ينطبق عليها أكثر من نمط. فقد يوجد بين نمط العصابة من يتصف سلوكه بالاعتداء، وقد يكون في هذا النمط المنسحب المتزوي. فالسلوك الجانح سلوك معقد قد تتداخل فيه عدة عوامل متفاعلة فيما بينها يصعب عزلها عن بعضها. ففي الطفل الواحد قد تلعب عوامل كالذكاء والتكوين الجسماني والآباء والمدرسة والأصدقاء دورها في سلوكه، ما

(١) جلال، سعد (١٩٦٦): "أسس علم النفس الجنائي"، الإسكندرية: دار المطبوعات الجديدة، ص ٢٧٣-٢٧٦.

(٢) فوزي جبل، مرجع سابق، ص ٤١٣.

(٣) شكور، جليل وديع (١٩٩٨): "أمراض المجتمع: الأسباب- الأصناف- التفسير- الوقاية- العلاج"، ط ١، بيروت: الدار العربية للعلوم، ص ٦٠-٦١.

يحتم دراسة كل حالة على حدى، طبقا لظروفها، وقد يساعد هذا على الفهم اشتراك أكثر من متخصص واحد لفهم سلوكه.⁽⁴⁾

٢- الخصائص النفسية المميزة للأحداث الجانحين:

أشار مصطفى حجازي^(١) ١٩٨ من خلال دراسة قام بها على عينة من الأحداث الجانحين المودعين بمؤسسات إعادة التأهيل، الى أن البنية النفسية لشخصية الحدث الجانح تتصف بعدة خصائص تزيد من احتمالية الإقدام على ارتكاب الفعل الجانح، كما تزيد من صعوبة التكيف، فهي تتنوع من حيث شدتها وعددها من حالة لأخرى، كما أنها تتفاعل بدرجات متفاوتة مما يعطي الشخصية طابعها الخاص في كل حالة. ومن بين السمات الأكثر وضوحا وتكرارا وتأثيرا، والتي تم ملاحظتها ملاحظتها من خلال العمل العلاجي والتربوي مع الجانحين ما يلي:

- التجاذب الوجداني ودورية المزاج، فالجانح كائن متقلب المزاج ما بين النشوة والفرح والتفاؤل والإقدام من جهة، وبين الاكتئاب والحزن والتشاؤم والتخاذل من جهة أخرى، بحيث أن حياته النفسية ونشاطه تحكمهما هذه الدورية مما يجعل استقراره أمرا صعبا وتوجيهه الحياتي متعثرا.

- التسرع في اتخاذ القرارات والتردد وصعوبة الاختيار.

- تبرير الجانح لحالته المزاجية بارجاعها الى تأثيرات المحيط وصعوبات التأقلم معه، الا أن الملاحظة الدقيقة والمتابعة الطويلة تكشف أن الأمر داخلي وذاتي وأن المحيط لم يكن في كثير من الأحيان الا مثيرا لما هو كامن.

- الجانح متصلب الرأي مفتقر إلى المرونة، يلح على تحقيق طلبه بأسرع فرصة، لا يستطيع الانتظار ويتقبل ضرورة مراعاة بعض الاعتبارات الحياتية.

- عاجز عن التبصر بالمستقبل أو الاحتياط له أو تقدير النتائج لأفعاله وما تسببه من ضرر، كما أنه يهتم فقط بالرغبة الراهنة وضرورة اشباعها أو بالصعوبة الآنية وضرورة تجاوزها. ولقد أطلق البعض على هذه الحالة اسم النزوية أو قصور الضبط الداخلي، نزويته هذه تجعله عاجزا في كثير من الأحيان عن استخلاص العبر من تصرفات الآخرين أو حتى من تجاربه الذاتية كموجه وضابط لسلوكاته سواء في الحاضر أو المستقبل.

- يشير Fritz Redl في مؤلفه تفكك الأنا وقصوره، إلى أن الجانح لا يستطيع تصور الممكن والمحتمل والبديل، كما يتصف الجانح بالقصور في التفكير المجرد وفي القدرة على التعامل بالرموز، وهذا ما يؤدي به الى التمرکز حول الذات والنزوية وانعدام القدرة على التسامي، وكلها سمات تجعل التكيف مع الواقع وتحمل احباطاته أمرا صعبا ومعقدا، كما تخلق صعوبات واضحة أمام عملية التعلم المدرسي.^(١)

- يعاني الجانح من صعوبة إقامة حوار هادئ مع شخص خاصة أمثاله من الجانحين، حيث نلاحظ أنه بداية يحاول أن يدافع عن موقفه بشكل منظم، لكن سرعان ما يتدهور الحوار من التعبير اللغوي العقلاني الى التعبير الانفعالي من غضب وشتم وتعد وهروب، مما يترجم عجزا واضحا عن التعبير عن انفعالاته وقصوره عن صياغة تجربته المعاشة من حزن وألم أو فرح وتفاؤل.^(١)

(4) سعد جلال، مرجع سابق، ص ٢٧٧.

(1) حجازي، مصطفى (١٩٩٥): "الأحداث الجانحون"، ط٢، بيروت: دار الطليعة، ص ص ٤١٥-٤١٦.

(1) نفس المرجع، ص ٤١٩.

- يلاحظ لدى الجانح فيض لغوي وسهولة لفظية كبيرة، إلا أنها تتميز بالسطحية المفرطة، فاللغة تخلو تماما من السياق الانفعالي والوجداني الذي يرافق الأفكار عادة.

- الجانح يعاني من اضطراب أو اختلال الوحدة الجدلية للديمومة، وهو يتأثر بالماضي بلا شك لكنه يهرب منه، يبالغ في اظهار آلامه ويفرط في تخيل سعادته، وهو اما أن يكبت هذه الآلام لعدم استطاعته اهمالها فنجده يعممها على الحاضر ويضفي عليها طابعا مفرطا من المأساوية والبؤس، أما المستقبل فهو صعب التصور.⁽²⁾

وقد لخص بيناتيل (Pinntel) (١٩٦٣) خصائص الشخصية الجانحة والتي تتكرر غالبا لدى الأحداث الجانحين في:

- الأنوية: وهي مسؤولة عن مشاعر الغيظ والشعور بالإحباط والحساسية، تبرير الأفعال، الحسد والغيرة وانعدام القدرة على مراعاة الآخرين.

- الميوعة الوجودية: وتتخذ طابع الميل نحو عدم الاستقرار والتذبذب العاطفي والمزاجي، ضعف الإرادة، قلة مقاومة المغريات والبحث عن الاشباع الآني.

- العدوانية: وهي لا تحتاج الى تبرير، فكل فعل جانح يتضمن بالضرورة عدوانا على الآخرين وعلى الذات.

- اللامبالاة العاطفية: وتتخلص في انعدام الحساسية اتجاه الأفراد إضافة الى انعدام مشاعر التعاطف والغيرة.⁽³⁾

وقد لاحظ حامد عبد السلام زهران أن قلة من الجانحين يتسمون بالذكاء فأغلبيتهم ضعاف العقول، أما الصحة النفسية العامة للجانحين فهي أقل من المتوسط، إضافة الى مجموعة من العيوب الجسمية وكثرة التعرض للحوادث، ويضيف بيترسون وآخرون (Peterson et al) (١٩٦٦) الى هذه الخصائص النشاط الحركي الزائد ونقص التعاون، إضافة الى الأنانية والمخاطرة ومناورة السلطة.⁽⁴⁾

٣- العوامل المؤدية لجنوح الأحداث:

نشأ عن تعدد النظريات والدراسات المفسرة لجنوح الأحداث أنواع متعددة من عوامل الانحراف والجنوح، منها ما يتعلق بجسم الإنسان وعناصره وصفاته، وما يتصل بالجانب التكويني الداخلي نفسيا كان أو عقليا، ومنها ما يتصل بالجانب الوراثي، إضافة إلى العوامل الاجتماعية والثقافية. وفيما يلي أبرز العوامل:

١.٣ العوامل الداخلية لجنوح الأحداث:

وهي العوامل الخاصة بشخص الحدث سواء النفسية أو البيولوجية، وهي:

١.١.٣- العوامل النفسية:

تعرضت مدارس علم النفس المعاصرة لتحليل و دراسة مراحل تطور الإنسان منذ طفولته محاولة تفسير السلوك البشري الطبيعي و الجانح ، فقد درس الطفل علماء نفس مشاهير أمثال : فرويد وأدلر ويونج وماكدوجال وايكهورن.^(١) و قد أسفرت دراسات " BRONNER-HEALY " عن الأحداث الجانحين، أن جنوحهم يرجع إلى سوء تكوين الذات العليا

(2) نفس المرجع، ص ٤٢١.

(3) نفس المرجع، ص ٤٧٣.

(4) زهران، حامد عبد السلام (١٩٩٧): "الصحة النفسية والعلاج النفسي"، ط٢، القاهرة: عالم الكتب، ص ص ٥١٠-٥١١.

(1) محمد قواسمية، مرجع سابق، ص ٨٠.

عندهم فلم تكون هناك صلات عاطفية قوية تربطهم بشخص يتصف بالسلوك الاجتماعي السليم و لم يتسر لهم أن يتقمصوا شخصية أحد الوالدين الصالحين و ذلك لعدم إعجابهم بأسرهم أو لانعدام صلاتهم العاطفية بها.⁽²⁾ كما و قد يصيب الطفل أمراض نفسية، تلجأ إليها شخصيته لحماية نفسها عندما يتعذر عليها التوافق كالهستيريا والقلق، والنوراستينيا والوسواس وغيرها. والأمراض النفسية تختلف عن الأمراض العصبية التي تعود أسبابها إلى إصابات في المخ ، لذلك أمنت التشريعات الحديثة أثر العوامل النفسية في الجنوح فألزمت القضاة بالتحقق من الدافع النفسي للحدث قبل أن يقولوا كلمتهم في شأنه.⁽³⁾

٢١٣ العوامل البيولوجية:

فيما يخص العوامل البيولوجية للجنوح فقد كان للطبيب و عالم الإجمام "سيزار لمبروزو" الأساس الأول للنظريات البيولوجية لأنها عزت السلوك الإجرامي إلى سمات وصفات تكوينية في الأفراد تقطع على أن مثل هؤلاء الأشخاص ما ولدوا إلا لكي يصبحوا فيما بعد من الجانحين أو المجرمين ، ومن بين العوامل البيولوجية المؤدية للجنوح:

-الضعف العقلي:

يقصد به خلل في القدرة العقلية ناجم عن سوء تكوين خلقي، كالتوقف في النمو العقلي أو التأخر في نمو الملكات العقلية . فالضعف العقلي هو النقص في درجة الذكاء و في أغلب الأحيان يكون وراثيا ومن نتائجه عدم القدرة على التكيف الاجتماعي. ولقد أثارت العلاقة بين التكوين العقلي والإجمام اهتمام الباحثين في الولايات المتحدة الأمريكية فأروا أن ثمة ارتباط بين التكوين العقلي والإقدام على ارتكاب الجرائم فمعظم المنحرفين يكون لديهم نقص في التكوين العقلي بدرجات متفاوتة.⁽⁴⁾

وعلى العموم فالعلاقة بين الذكاء والانحراف بوجه عام ليست حاسمة، ولكن هناك علاقة بين نوع الجريمة أو الانحراف وبين الذكاء، فالأشخاص أصحاب الذكاء العالي يرتكبون الجرائم التي تتطلب قدرة عقلية عالية مثل جرائم النصب والاحتيال والغش والسرقات المدبرة تديرا محكما أو التزييف، أما الأحداث أرباب الذكاء المنخفض، فإنهم يتورطون في جرائم السرقة التافهة والضرب والقتل.⁽¹⁾

وكلما انخفض ذكاء الجانح كانت جريمته أقرب إلى القسوة والتحطيم ، ويسهل على رؤساء العصابات تسخيرهم لترويج المخدرات، وأغلب انحرافات ناقصي العقل من الإناث تتجه إلى الانحرافات الجنسية.⁽²⁾

-اضطراب الغدد الصماء:

جسم الإنسان مزود بعدد من الغدد كالغدة الدرقية والنخامية والتناسلية وتعرف هذه الغدد بالصماء لأنها تصب إفرازاتها في قنوات خاصة بحيث تساعد إفرازاتها(الهرمونات)على النمو، واضطراب الغدد الصماء الناشئ عن زيادة أو نقصان إفرازات هذه الغدد يؤدي في جميع الأحوال إلى اضطرابات سلوكية فعلى سبيل المثال "عدم انتظام إفرازات الغدة

(2) أبو الخير، طه والعصرة، منيرة (١٩٦١): "انحراف الأحداث في التشريع العربي والمقارن"، ط١، الإسكندرية: منشأة المعارف، ص ١٠٠.

(3) محمد قواسمية، مرجع سابق، ص ٨٣.

(4) جعفر، محمد علي (دس): "الأحداث المنحرفين: دراسة مقارنة"، لبنان: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ص ٣٥.

(1) السيد، رمضان (١٩٩٣): "إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال انحراف الأحداث"، الإسكندرية: دارالمعرفة الجامعية، ص ١٤٥.

(2) محمد الديب، مرجع سابق، ص ١٤٧.

الدرقية يؤدي إلى زيادة السلوك العدواني لدى الأفراد كما أنه يمكن تفسير بعض أنواع الانحرافات الجنسية إلى اضطراب الغدد التناسلية وتحديداً زيادة الهرمون الجنسي الذكري⁽³⁾.

وهكذا فقد يكون النمو الجنسي المبكر للأطفال حافزا للانزلاق إلى خبرات جنسية مبكرة، كما أنه قد يتأخر النمو الجنسي أو يختلف عند المراهق أو المراهقة مما قد يؤدي إلى أن تظهر الفتاة بمظهر يتسم بالرجولة، أو يظهر الفتى بمظهر يتسم بالأنوثة، وعموماً فمن بين القائمة المحتوية على المتغيرات السلوكية والتي تؤثر فيها الوراثة: اضطراب الجينات الجنسية، والنشاط الزائد، والميل للذهان، والسلوك العدواني⁽⁴⁾.

-العجز الجسمي والعاهات:

تشير الدراسات إلى أن العاهات والنقائص الجسمية تكون ذات تأثير بالغ على الشخصية، فمثلاً قصر القامة بشكل غير عادي ولون البشرة والعرج والكساح وضعف البصر والعمى والصمم. كل هذه مناقص تلعب دوراً هاماً في حياة الأفراد المصابين بها في فترة ما من فترات حياتهم، وأحياناً يؤدي السلوك التعويضي الذي يلجأ إليه المصاب لكي يعوض عن نقصه إلى السلوك لانحرافي⁽⁵⁾.

٣-١٣ الجنس :

أكدت الدراسات الجنائية أن انحراف الذكور أكثر من انحراف الإناث رغم اختلافها في تقدير ما يرتكبه كل جنس من جرائم حيث أمتد الخلاف الجنسي حتى شمل أنواع الجرائم. ويرى لمبروزو أن هذا الاختلاف في نسبة الإجمام بين الجنسين سببه التكوين البيولوجي الخاص عند الإناث فنسبة الإجمام عند المرأة أقل لأن شخصيتها تعتمد على تكوينها البيولوجي فتميل دائماً إلى أن تكون محافظة⁽¹⁾.

وقد أجريت دراسة في ولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية على عينة من الأحداث ذكور (بين ١ و ١٨ سنة) وإناث (بين ١ و ٢ سنة) فمعظم جرائم الإناث كانت جنسية وهروب من المنزل بينما كانت معظم جرائم الذكور من أعمال السطو والسرقعة⁽²⁾.

٤-١٣ السن

يعتبر هذا الأخير عاملاً بيولوجياً مهماً في تفسير السلوك البشري، ومراحل التطور المختلفة للإنسان وما يصاحبه من تغيير في التكوين العضوي وما يتبعه من تغيير في البيئة له تأثيره في ظاهرة الإجمام. و أطوار السن المختلفة يصاحبه تغيرات عضوية تؤثر في التكوين النفسي، و بالتالي في الأفعال الإجرامية للشخص نفسه، و عليه فالسن يصاحبه تطور داخلي في التكوين العضوي والنفسي، و تطور خارجي يتمثل في البيئة المحيطة بالشخص.

إن الفترة الممتدة من الطفولة حتى سن البلوغ تتميز بوجود تعارض بين التكوين النفسي للشخص و بين العوامل الخارجية تعارضاً من شأنه أن يدفع الحدث إلى الإتيان بتصرفات إجرامية ففي هذه الفترة يشتد حبه للمغامرة، و يزداد نموه البدني و نمو طاقته و بالتالي قد يدفعه ذلك إلى أفعال العنف ضد أي عائق اجتماعي يقف حياله فيقع الحدث في هذه

(3) باظة، آمال (١٩٩٧): "الشخصية والاضطرابات السلوكية والوجدانية"، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٨٧.

(4) الطرشاوي، خليل عبد الرحمن (٢٠٠٢): "أزمة الهوية لدى الأحداث الجانحين مقارنة بالأسوياء في محافظة غزة في ضوء بعض

المتغيرات"، رسالة ماجستير، قسم علم النفس، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، ص ٤٥.

(5) السيد رمضان، مرجع سابق، ص ١٤٤.

(1) محمد قواسمية، مرجع سابق، ص ٩٥.

(2) محمد جعفر، مرجع سابق، ص ٤٠.

الفترة أسير أهوائه و نزواته الشخصية التي تدفعه إليها أوهام و خيالات معينة من أجل تحقيق رغباته فيرتكب جرائم السرقة البسيطة ضد الأموال. وشعوره بطاقته البدنية يجعله ينفر من أي قيد يحد من تصرفاته وحرية ومن ثم يثور على أول عائق يقف أمامه ومنه يلجأ إلى الضرب والعراك⁽³⁾.

٢٣ العوامل الخارجية لجنوح الأحداث :

من بين أهم العوامل الخارجية المؤثرة في جنوح الأحداث ما يلي:

١٢٣ العوامل الاجتماعية: والتي تتضمن :

- الأسرة: والتي يتضح تأثيرها من خلال:

- التفكك أو التصدع الأسري والانفصال بين الزوجين أو انحراف سلوك أحدهما أو وفاته أو غياب الأب لمدة طويلة عن المنزل وترك السلطة المنزلية في يد الأم بالنسبة لعملية الإشراف على أبنائها.

- سوء عملية التنشئة الاجتماعية التي تمثل حجر الزاوية في تقويم سلوك الأطفال.

- الإشراف في القسوة مع الطفل، وذلك عن طريق إنزال العقاب به بصورة مستمرة، وصدده أو زجره كلما أراد أن يعبر عن نفسه، أو الإشراف في تدليله والإذعان لمطالبه مهما كانت غريبة أو شاذة، أو التذبذب بين الشدة واللين، بمعنى أن يعاقب الطفل مرة في موقف ويثاب مرة أخرى في نفس الموقف، مما يؤدي به إلى عدم معرفة الصواب من الخطأ.

- سوء علاقة الأب بالطفل، لأن للأب دوراً مهماً في تشكيل وتكوين النواحي النفسية باعتباره مثلاً يقتدي به الطفل.

- اختلاف وجهات النظر في تربية الطفل بين الأب والأم، كأن يؤمن الأب بالصرامة والشدة بينما تؤمن الأم باللين والتدليل، أو العكس⁽¹⁾.

- عدم وعي الوالدين بخصائص مرحلة المراهقة خاصة الرغبة الشديدة للمراهق على تأكيد ذاته واستقلاله والتمتع بحريته الشخصية، مما يولد صراعاً بينه وبين والديه قد يحتدم ليكون منبع ضغط على المراهق يدفعه للانحراف⁽²⁾.

- حرمان الحدث من إشباع حاجاته الأساسية، فالحدث بحاجة إلى أن يحب ويحب، إلى الشعور بالأمان، وكذلك بأن ينمو ويفرض نفسه، وهذه الحاجات تترجم في ألوان من التعبير النفسي، كثيرة التنوع لكن جذورها العميقة تظل جسدية بيولوجية. فالحدث المحروم حين يحاول التخلص من حالة فقدان الاتزان العاطفي لا يكتشف في لا وعيه أكثر من إمكانيتين: الانحراف أو العصبيية، بحسب ما تنقاد نفسه إلى الميول أو إلى قوى الكبت⁽³⁾.

- القيم الأخلاقية للعائلة، حيث أنه من الثابت أن معرفة الطفل بما هو خطأ أو صواب، وموقفه من الخطأ والصواب، يتأثر إلى حد كبير بمعرفة وموقف والديه بهذا الخصوص مما يؤكد أهمية المستوى الخلقي للوالدين وأثره على شخصية وسلوك الطفل، فإذا وجد الطفل في بيئة عائلية جانحة يشجع فيها السلوك الجانح أو الجريمة أو عدم احترام النظام والقانون، فهو في هذه الحالة لا يجد ما يعصمه من تقليد ما يحيط به من أنماط سلوكية جانحة، لا سيما وأنها تأتي من أشخاص على درجة كبيرة من الصلة والقربان، مما ييسر الجنوح ويرسخه في شخصية الطفل⁽⁴⁾.

(3) محمد قواسمية، مرجع سابق، ص ٩٢.

(1) إبراهيم، محمد أعبيد الزنتاني (٢٠٠٨): "الهجرة غير الشرعية والمشكلات الاجتماعية"، الإسكندرية: المكتب العربي الحديث، ص ٤٠.

(2) الدايري، صالح حسن (٢٠٠٨): "أساسيات التوافق النفسي والاضطرابات السلوكية والانفعالية: الأسس والنظريات"، ط ١، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ص ٢٥٣.

(3) جان شازال، مرجع سابق، ص ٣٤.

(4) نشأت، حسن أكرم (٢٠٠٨): "علم الأنثروبولوجيا الجنائي"، ط ١، عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص ١١٧.

-كبر حجم الأسرة وضيق المسكن وعدم ملاءمته، وارتفاع معدل كثافة الأطفال بالمنزل، وكذلك تقدم الوالدين في السن وإصابتهما بالضعف أو الوهن.

-تدهور الحالة الاقتصادية للأسرة حيث يسعى كل فرد لإشباع حاجاته، فإذا وجد ما يعوق أو يحول دون هذا الإشباع تحقق الحرمان الذي يهدد الشخصية، ويخل بالشعور بالأمن مما يؤدي إلى اضطرابات شخصية الفرد خاصة إذا كان حدثاً لم يتدرب بعد على تحمل القدر الكافي من هذا الحرمان.⁽⁵⁾

-المدرسة: تلعب المدرسة دوراً مهماً في حياة الفرد لا يقل عن دور الأسرة، حيث أنه لا يقتصر دورها على نقل الثقافة والتراث والعلوم للأفراد، بل تسهم في توفير الظروف المناسبة لنمو الفرد أخلاقياً واجتماعياً ونفسياً، فإذا ما اقتصر دور المدرسة على التعليم دون الاهتمام بباقي النواحي بسبب كثرة الأعباء على المعلمين أو عدم تأهيلهم التأهيل المناسب، أو بسبب نقص الأجور (انعدام الرضا الوظيفي) الذي يؤدي لاستخدام العقاب بشكل غير منطقي، التعامل بالأسلوب الدكتاتوري الاستبدادي... فتصبح المدرسة موقع طرد أكثر منها مكان جذب للتلاميذ. ويؤدي كل ذلك إلى نفور الطلاب من المدرسة والفشل إذ أن المدرسة تعتبر بشكل معين معزز للفشل وتعمل على تهيمش عدد لا بأس به من الطلاب عن بقية المجتمع، فيحاول النجاح كمنحرف لتعويض فشله.⁽¹⁾ ويؤدي كذلك إلى هروب التلاميذ وتسربهم من المدارس، حيث يعتبر الهروب من المدرسة كما يقول بيرت هوم "روضة أطفال الجريمة، إذ أنه يفتح أمامهم أبواب الجريمة.

-جماعة الرفاق: تتسع دائرة الفرد-خاصة مع بداية المراهق- فيلجأ للبحث عن رفقة جديدة تتفق وميوله ورغباته وتشبع شهواته، وتعتبر هذه الجماعات من أشد الجماعات تأثيراً على الشخصية وعلى تكوين أنماط السلوك. وفي هذه المرحلة لا يستطيع الشباب التفريق بين الأسوياء والمنحرفين، ويقع فريسة سهلة لرفقاء السوء، الذين يلبوا له تلك الرغبات التي تسيطر عليه، خاصة في ظل عدم وجود رقيب أو محاسب، وقد تكون أول خطوة بخطوها الشاب نحو الانحراف كما تعتبر جماعة "رفاق السوء" همزة الوصل بين المبتدئين في طريق الانحراف وبين محترفي الجريمة.⁽²⁾

-الحي السكني: حاول بعض العلماء تحديد عناصر الحي الفاسد والتي تلعب دوراً في الجناح ومنها:

- الحي المزدهم بسكانه الفقراء التي تنتشر فيه الرذيلة.
- الحي الفقير الذي تحدث فيه السرقات البسيطة كجزء من الحياة اليومية فيه.
- الحي المغلق طبيعياً الذي توجد فيه فوارق طبيعية.
- الحي الذي يسكن أفراداً غير متزوجين وغير متجانسين ومن أقلية متعددة.
- الحي الذي تسكنه الأقليات (مع أنه ليس شرطاً لحدوث الجناح).
- الحي الذي تكثر فيه الجرائم الجنسية وطرق الابتزاز.
- الحي الذي يستخدمه المجرمون كملجأ لهم.

ومن هنا يتبين لنا كيف أن الحي السكني المتدني في تنشئة الفرد يساعد على إيجاد البيئة الملائمة لسلوك الجناح.⁽³⁾

(5) محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص ٤١.

(1) خليل الطرشاوي، مرجع سابق، ص ٤٩.

(2) السيد رمضان، مرجع سابق، ص ١٤٩-١٥٠.

(3) الطخيس إبراهيم (١٩٨٥): "دراسات في علم الاجتماع الجنائي"، الرياض: دار العلوم، ص ١٣٧.

٢٢٣ العوامل الثقافية: ومن أهمها:

- وسائل الإعلام والترفيه :

تلعب وسائل الإعلام - على اختلاف صورها- دورا مهما في تشكيل السلوك الإنساني خاصة في ظل التطور التكنولوجي الذي ساهم في سرعة وسهولة انتقال المعلومات، لكن غياب الرقيب يجعل وسائل الإعلام تؤثر تأثيرا سلبياً حيث تساهم في نشر الانحراف.⁽⁴⁾

فإن ما تلجأ إليه السينما والصحافة وباقي وسائل الإعلام المختلفة بما فيها من عوامل الإثارة وما تعرضه من مظاهر الانحراف والانحلال يدفع "الطفل إلى التقليد ونسج عالم خاص لنفسه من الخيال مع عدم قدرته على التمييز بين الواقع والخيال مما قد يؤدي إلى الانخراط في تيار الانحراف".⁽¹⁾ وبالتالي فإن وسائل الإعلام على اختلافها إن لم تخضع لرقابة على أسس تربوية تتوافق مع المعايير الاجتماعية والعقائد الدينية، فإنها تكون عاملاً فاعلاً من عوامل انحراف الأحداث، لاسيما في ظل الثورة التكنولوجية وسهولة الاتصالات.

- الصراع الحضاري والتغير الثقافي:

لعل ما يميز المراهقة خاصة على الصعيد الاجتماعي هو ما يعرف بصراع الأجيال، ويعني التنافر بين مفاهيم وتصرفات ومواقف كل من المراهقين والمعنين بتربيتهم لاسيما الأهل. فالثقافة التي هي مجموع التقنيات والعلاقات والمعايير والأهداف والعقائد التي تسود جماعة ما، تعد عنصر تنظيم وتوجيه حياة أفراد هذه الجماعة.

وتتأثر الثقافة كثيرا عند اختلاف الوسط الذي يتعامل معه الفرد، لاسيما عند الهجرة لما تتضمنه من تحولات في الحاجات والعلاقات والمثل العليا ومعايير السلوك، إلا أن المشكلة ليست في التغير بحد ذاته وإنما في السرعة والعمق . وتفاعل ذلك مع التنوع السكاني الكبير يجعل الثقافة تفقد الكثير من حيويتها وجاذبيتها وتصبح بالتالي غامضة وضعيفة التأثير، وينشأ عن هذه الوضعية الكثير من حالات الصراع بين القديم والجديد، والواحد والمتعدد مما يفقد الفرد أطر التوجه السلوكي ومعايير ووقوعه في حالة من التخبط تؤدي به إلى سوء التكيف والانحراف.⁽²⁾

وقد تصطدم ثقافة المدرسة بثقافة الأسرة خاصة عندما تتميز ثقافة الأسرة بالقوة ، وحينها قد تصل إلى حد سلب المدرسة دورها في تغيير ثقافة المنزل، فإذا تعود التلميذ على تقبل السلوك الجانح، واعتبرته الأسرة سلوكا عاديا، فإن قوة الثقافة الأسرية الجانحة قد تحول دون ترسيخ الثقافة المدرسية السوية، وهذا يؤدي إلى أن يتخذ التلميذ موقفا انعزاليا، بحيث لا يشارك في الحياة المدرسية، أو عدائياً فيقوم بتحطيم التجهيزات المدرسية وسرقتها، أو يتخذ موقفاً هروبياً بحيث يميل إلى التغييب أو الهروب من المدرسة، وذلك للبحث عن نموذج للشخصية، قد يجده في شخص أحد المنحرفين.⁽³⁾

وقد ينشأ الصراع في نفس الفرد بين ما يلقاه من تربية وأنماط من الاتجاهات والميول وبين ما يراه أو يسمعه في الإذاعة والتلفزيون، فيقع فريسة لذلك التناقض، وقد يستغل مواهبه في التقليد مما يدفعه إلى الانحراف. هذا الصراع عادة ما يكون مصاحباً للتغير الاجتماعي في المجتمع، ويترك هذا التغير أثارا في الجوانب النفسية للأفراد ، فيقع الصراع بين القديم والحديث، وقد يقع البعض فريسة لهذا الصراع وبالتالي ضحية للانحراف وسوء التوافق في صوره وأشكاله المختلفة.⁽⁴⁾

(4) خليل الطرشاوي، مرجع سابق، ص ٥١.

(1) السيد رمضان، مرجع سابق ، ص ١٥١.

(2) مصطفى حجازي، مرجع سابق، ص ٩٨.

(3) السيد رمضان، مرجع سابق، ص ٩٤.

(4) محمد الديب، مرجع سابق، ص ٣٧٤.

٤ - استراتيجيات الرعاية النفسية وإعادة تأهيل الأحداث الجانحين في الجزائر:

إن الوضع في مؤسسات مخصصة لرعاية الأحداث الجانحين من أنجع وأقدم الأساليب التي طبقت على الأحداث لأن لها اتجاه تربوي تقويي ويهدف إلى إصلاح الأحداث الجانحين وتأهيلهم من الناحية الاجتماعية، وتقويمهم من الناحية الشخصية، فسار الاتجاه قديماً إلى استخدام هذه المؤسسات الإصلاحية لحماية المجتمع وذلك بحسب المذنبين فيها، أما الاتجاه الحديث فهدف وضع هذه المؤسسات هو تأهيل الجانحين وحمايتهم وتعليمهم.⁽¹⁾

وكانت أول مؤسسة أنشئت لرعاية الأحداث في روما سنة ١٧ وقد أسسها البابا "كليمنت الحادي عشر" وأطلق عليها مضيضة سان ميشيل، وكان هدفها إصلاح الأحداث المنحرفين وذلك عن طريق تعليمهم الحرف والنظام وإسماعهم التراتيل الدينية والمواعظ. أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد أنشئت أول مؤسسة إصلاحية خاصة بالصغار في ولاية نيويورك سنة ١٩٢٠ وعرفت باسم بيت الملجأ، ولكن رغم ما حققته هذه المؤسسات الإصلاحية من حيث تصنيف المجرمين وتفريد العقاب فإن طابع الردع والتأنيب كان غالباً على طابع التهذيب والإصلاح وهذا ما أثار حملة على هذه المؤسسات مما أدى بها إلى التطور باتجاه الغاية التي أنشئت من أجله، فأصبح الحدث يتمتع بنوع من الاطمئنان والاستقرار والثقة بنفسه وبمن حوله.⁽²⁾

أما في التشريع الجزائري، فلقد اهتمت الجزائر بالطفل وتم إصدار مجموعة من النصوص التشريعية والتنظيمية الخاصة بالأحداث إذ نجد أول نص اهتم بالطفل الدستور سواء الأول أو المعدل في استفتاء ٢٨ نوفمبر ١٩٩٩ إذ نجد أنه ينص " يمارس كل واحد حرياته في إطار احترام الحقوق المعترف بها للغير لاسيما احترام الحق في الشرف والستر في الحياة و حماية الأسرة و الشبيبة و الطفولة كما ينص الدستور على أن القانون يجازي الآباء على القيام بواجبات تربية أبنائهم ورعايتهم".

ولقد صادقت الجزائر على اتفاقية حقوق الطفل التي وافقت عليها الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩٨٩ بالمرسوم الرئاسي رقم ٤٦/٨٢ المؤرخ في ١٩/٢١/١٩٩٢ و هذه المصادقة كانت مصحوبة بتصريحات تفسيرية، كما صادقت كذلك على الاتفاقية ١٨ بشأن أسوأ أعمال و أشكال عمل الأطفال والإجراءات الفورية للقضاء عليها، و هي المكملة بالتوصية رقم ١٩ المعتمدين خلال المؤتمر الدولي للعمل في دورته ٨٧ بجنيف يوم ١٧/١٩/١٩٩٧.

وقبل هذه الاتفاقيات نرى أن الجزائر كانت السبابة في حماية الطفل، إذ نجد نصوص قانونية ترجع إلى ما قبل اتفاقية حقوق الطفل، نجد منها الأمر ٠٢/٢٢ المؤرخ في ١٩/٢١/١٩٧٠ المتعلق بحماية الطفولة و المراهقة، والأمر ٢٦/٧٥ المؤرخ في ١٩٧٥/٠٩/٢٦ المتعلق بقمع السكر العمومي و حماية القصر من الكحول، وكذلك الأمر ٦٤/٧٥ المؤرخ في ١٩٧٥/٠٩/٢٦ المتضمن إحداث المؤسسات و المصالح المكلفة بحماية الطفولة و المراهقة، وكذلك الأمر ٦٥/٧٥ المؤرخ في ١٩٧٥/٠٩/٢٦ المتعلق بحماية أخلاق الشباب، والمرسوم ١/٨٤ المتضمن القانون الأساسي النموذجي لحماية الطفولة و المراهقة، والمرسوم ١٠/٧٦ المتضمن أحداث لجنة الوقاية و حماية الطفولة و المراهقة، والمرسوم ٢٦/٨٧ المؤرخ في ١٩٨٧/٠٩/٢٠ المتضمن إنشاء مراكز متخصصة في إعادة التربية و تعديل قوائم المراكز المتخصصة في حماية الطفولة و المراهقة، والمرسوم التنفيذي ٥/٨٩ المؤرخ في ١٩٨٩/٠٩/٢٦ المتضمن إنشاء المراكز المتخصصة في إعادة التربية المكملة للقائمة المحددة في المرفق الأول من المرسوم ٢٦/٨٧.

(1) محيسن، إبراهيم حرب (١٩٩٩): "إجراءات ملاحقة الأحداث الجانحين في مرحلة ما قبل المحاكمة استدلالاً وتحقيقاً"، عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص ٥٣.

(2) عثمان، أحمد سلطان (٢٠٠٢): "المسؤولية الجنائية للأطفال المنحرفين"، القاهرة: المؤسسة الفنية للطباعة والنشر، ص ٢١.

،والقرار الوزاري المشترك المؤرخ في ١٩٧٦/٧٠/٨ المتضمن تحديد المادة ٢١ من الأمر 75/26 المتعلق بقمع السكر العمومي وحماية الأحداث من الكحول، والقرار الوزاري المؤرخ في ١٩٩٠/١٢/٣ المتضمن النظام النموذجي للمراكز المتخصصة للحماية والمراكز المتخصصة لإعادة التربية، والقرار الوزاري المؤرخ في ١٩٩٧/٦٠/٧ المتضمن النظام القانوني الداخلي لمراكز إعادة تأهيل الأحداث.

وطبقا للأمر المذكور أعلاه فإن المؤسسات المكلفة بحماية الطفولة والمراهقة تتوزع على أربعة أصناف والتابعة حاليا إلى وزارة العدل ووزارة التضامن، وهي كالآتي:

أولاً: المراكز المختصة بإعادة التربية.

ثانياً: المراكز المتخصصة في الحماية.

ثالثاً: المراكز المتعددة الاختصاصات لحماية الشبيبة.

رابعاً: مصالح الملاحظة والتربية في الوسط المفتوح.

وسنتعرض إلى كل واحد من هذه الأصناف لتوضيح أهدافها التربوية وخصائص عملها:

١٥ المراكز المتخصصة في إعادة التربية C.S.R:

يعود أصل هذه المؤسسات إلى عهد الاستعمار الفرنسي حيث كانت في بادئ الأمر تابعة لوزارة العدل، وبموجب اتفاقية عقدت بين وزارة الشبيبة والرياضة آنذاك ووزارة الحماية الاجتماعية حالياً ووزارة العدل أصبحت تابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية.

تعد المراكز المتخصصة لإعادة التربية، مؤسسات داخلية مخصصة لإيواء الأحداث الذين لم يكملوا سن ١٨ سنة من عمرهم بقصد إعادة تربيتهم والذين كانوا موضوع أحد التدابير المنصوص عليها في المادة ٤٤ من الأمر رقم ١٥/٨ المؤرخ في ١٨ صفر عام ١٣٨ الموافق لـ ٨ يوليوز ١٩٦٦ والمعدل والمتمم والمتضمن قانون الإجراءات الجزائية. كما أن هذه المراكز لا تقبل الأحداث المتخلفين بدنياً أو عقلياً.

وتعد المراكز المختصة بإعادة التربية مؤسسة عمومية ذات طابع إداري وشخصية معنوية متمتعة باستقلال مالي حيث تخضع في قيامها بمهامها لأحكام الأمر ٦٤٧ المؤرخ في ٢٦ سبتمبر ١٩٧٧ والمتضمن إحداث المؤسسات والمصالح المكلفة بحماية الطفولة وذلك بالتعاون القائم بين وزارة الحماية الاجتماعية ولجنة العمل التربوي المنصوص عليها في المادتين ١٧، من الأمر رقم ٠٢٧٢ المتعلق بحماية الطفولة والمراهقة. وتقوم لجنة العمل التربوي بدراسة تطورات كل حدث موضوع بالمؤسسة واقتراح ما يجب اقتراحه من التدابير التي تخدم مصلحة الحدث الجانح.

تحتوي المراكز المختصة بإعادة التربية على ثلاث مصالح:

- مصلحة الملاحظة:

تقوم هذه المصلحة بمراقبة ومتابعة الحدث ودراسة شخصيته وتجرى عليه الفحوص الطبية والعقلية والنفسية لأن المركز لا يقبل كل حدث متخلف ويعاني قصوراً من الناحية البدنية والعقلية وهو ما جاءت به المادة ٨ الفقرة الثانية من الأمر ٦٤٧.

كما تقوم هذه المصلحة بمباشرة التحقيقات على سلوك الحدث وتطور شخصيته من أجل اختيار التدابير المثلى في تربيته وإصلاحه.

كما أن مدة بقاء الحدث في مصلحة الملاحظة لا يجب أن تقل عن ٣ أشهر ولا تتجاوز ٦ أشهر وبعد انتهاء المدة التي يقضيها الحدث في هذه المصلحة يتم تحرير تقرير يتضمن حالة الحدث وتطور سلوكه يرسل لقاضي الأحداث المختص وكذلك إبداء الملاحظات واقتراح التدبير النهائي الذي يتلاءم وشخصية الحدث.

- مصلحة إعادة التربية:

تقوم هذه المصلحة بإعداد الحدث إعداداً تربوياً وتكوينياً، وهذا عن طريق الدراسة والتعليم، وإن لم يتيسر ذلك يوجه إلى التمهين بما يتناسب وشخصيته، إضافة إلى التنمية الفكرية والرعاية الأخلاقية. وتعمل المراكز على خلق الجو الملائم لذلك عن طريق وضع الآليات والوسائل الضرورية لذلك مثل وضع مكتبة تقدم فيها حصص إجبارية بصفة دورية وتخصيص معلمين ومكونين لتقديم الدروس لهم بالإضافة إلى تحفيزهم على ممارسة الرياضة المتنوعة وذلك طبقاً للبرامج الرسمية المعدة من وزارة الحماية الاجتماعية وهذا كله بغرض إعادة دمج الحدث اجتماعياً وهو ما جاء في المادة ١ من الأمر رقم ٦٤٧.

كما تحرر تقارير سداسية عن تطور حالة الحدث وسلوكه وترسل إلى قاضي الأحداث المختص.

- مصلحة العلاج البعدي:

تقوم هذه المصلحة بمهمة ترتيبهم الخارجي في انتظار ماهية ونوع التدبير النهائي المتخذ شأنهم، وهذه المصلحة مكلفة بإعادة إدماج الأحداث اجتماعياً طبقاً لنص المادة ١ من الأمر رقم ٦٤٧.

وعلى مدير مؤسسة إعادة التربية أن يرفع إلى قاضي الأحداث المختص تقريراً سداسياً يتضمن تطور حالة كل حدث موضوع بالمؤسسة وهو ما جاء في نص المادة ٢ من الأمر رقم ٦٤٧.

٢٥ المراكز المتخصصة في الحماية C.S.P :

تعد المراكز المتخصصة للحماية مؤسسات داخلية مخصصة لإيواء الأحداث الذين لم يكملوا ٢ سنة من عمرهم بقصد تربيتهم وحمايتهم، والذين كانوا موضوع إحدى التدابير المنصوص عليها في المواد ٦، ١١ و ١٠ من الأمر ٢٧٢ المؤرخ في ١٠ فيفري ١٩٧، ولا تختص هذه المراكز بقبول الأحداث المتخلفين بدنياً وعقلياً. ويجوز لهذه المراكز أن تستقبل أيضاً الأحداث الذين سبق وضعهم في المراكز المتخصصة لإعادة التربية، والذين استفادوا من تدبير إيوائهم للعلاج البعدي.

تشتمل المراكز المتخصصة للحماية على المصالح التالية، أو حسب الأحوال على البعض منها:

- مصلحة الملاحظة:

والتي تقوم بدراسة شخصية الحدث وإمكانياته وأهليته، بواسطة الملاحظة المباشرة لسلوكه أو عن طريق الفحوص والتحقيقات المختلفة، ولا يمكن أن تقل الإقامة في مصلحة الملاحظة عن ٣ أشهر أو تزيد على ٦ أشهر. وعند انتهاء هذه المدة يوجه تقرير إلى قاضي الأحداث المختص مشفوعاً باقتراح يرمي لإبقائه أو اتخاذ تدبير أنفع له.

-مصلحة التربية:

والتي تكلف بتزويد الحدث بالتربية الأخلاقية والوطنية والرياضية، والتكوين المدرسي والمهني، بقصد دمج الاجتماعي، وذلك طبقا للبرامج الرسمية المعدة من طرف الوزارات المعنية، وأن التكوين المدرسي والمهني يمكن أن يتم خارج المؤسسة.

-مصلحة العلاج البعدي:

والتي تبحث عن جميع الحلول التي تسمح بالدمج الاجتماعي للأحداث القادمين من مصلحة التربية أو من مركز متخصص لإعادة التربية. وبيت قاضي الأحداث المختص في نقل الحدث بناء على اقتراح مدير المؤسسة المعنية.

٣٥ مصالح الملاحظة والتربية في الوسط المفتوح S.O.E.M.O :

تعد مصالح الملاحظة والتربية في الوسط المفتوح مصالح تابعة للولاية، تأخذ على عاتقها الأحداث الموضوعين تحت نظام الحرية المراقبة، ويكون هؤلاء الأحداث من الشبان الجانحين أو الشبان ذوي الخطر الخلفي أو خطر الاندماج الاجتماعي. ويجوز لمصالح الملاحظة والتربية في الوسط المفتوح التعاون مع المراكز المتخصصة لإعادة التربية والمراكز المتخصصة للحماية، في العمل التربوي للعلاج البعدي، ويقوم فضلا عن ذلك بجميع الأبحاث والأعمال ضمن إطار الوقاية من عدم تكيف الأحداث.

وتحتوي مصالح الملاحظة والتربية في الوسط المفتوح على المصالح التالية:

-مصالح الملاحظة والتربية في الوسط المفتوح:

والتي تكلف بالسهر على سلامة الأوضاع المادية والمعنوية لحياة الأحداث المعهود بهم إليها، وذلك بإبقائهم على وضعهم الاعتيادي من العيش، وتراقب على وجه الخصوص صحة الأحداث وتربيتهم وعملهم وحسن استخدام أوقات فراغهم.

-قسم المشورة التوجيهية والتربية:

والذي يقوم بمختلف الفحوص والتحقيقات للوقوف على خصوصية الأحداث وذلك بقصد تحديد الطريقة الملائمة لإعادة التربية أو الترتيب. ويوجه الأحداث إلى هذا القسم بطلب قاضي الأحداث أو الجهة القضائية الخاصة بالأحداث أو المصالح المختصة بالوزارة.

٤٥ المراكز المتعددة الاختصاصات لرعاية الشبيبة C.P.S.J :

وهي مراكز أنشأت خصيصا للمناطق النائية بحيث تحتوي على ثلاث مصالح في هيكل واحد، وهي:

-مصلحة إعادة التربية.**-مصلحة حماية الطفولة.****-مصلحة الملاحظة والتربية في الوسط المفتوح.****خاتمة:**

إن جنوح الأحداث يطرح مسألة السلوك الإنساني في أعلى درجات تعقيده، فهو بلا شك نتاج لبعض التغيرات التي أصابت عمق القيم والمعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع، فجنوح الأحداث كظاهرة اجتماعية سلبية مازالت -رغم كل

المحاولات- آخذة طريقها في النمو والازدياد، لذا يجب العمل والتركيز على الدور الهام الذي تلعبه الأسرة، ووسائل الاعلام، والمسجد، بالتوافق فيما بينها على رؤية متكاملة واضحة تنطلق من معرفتنا بشخصية المراهقين والأحداث، وما نريده منهم، بحيث يضطلع كل طرف بأداء دوره المنطلق من اختصاصه، وبشرط ان يكون هناك تقييما مستمرا لما تحقق. واضعين نصب اعيننا ان هناك مجموعة من العوامل النفسية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية، وان الثغرات المتسارعة في نمط الحياة هي التي تؤثر في تنامي ظاهرة انحراف الأحداث وجنوحهم. لذا وجب لجم مظاهر جنوح الأحداث، والحد منها قدر الإمكان لما تشكله من أخطار ذات بعد مستقبلي تطال بمداهم الأسرة والمجتمع ككل، كما أنه لا بد من التأكيد على ضرورة الاهتمام ببرامج الرعاية والتكفل التي تعتبر من أهم البرامج التي يتوجب تعزيزها علميا لإعادة تأهيل الأحداث الجانحين بهدف إعادة دمجهم بالمجتمع من جديد.

قائمة المراجع:

- ١- إبراهيم، محمد أعبيد الزنتاني^٨(٢٠٠٩): "الهجرة غير الشرعية والمشكلات الاجتماعية"، الإسكندرية: المكتب العربي الحديث.
- ٢- أبو الخير، طه والعصرة، منيرة^٦(١٩٦٦): "انحراف الأحداث في التشريع العربي والمقارن"، ط١، الإسكندرية: منشأة المعارف.
- ٣- الجميلي، حبري خليل^١(١٩٩٦): "السلوك الانحرافي في إطار التقدم والتخلف"، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- ٤- الدايري، صالح حسن^٨(٢٠٠٩): "أساسيات التوافق النفسي والاضطرابات السلوكية والانفعالية: الأسس والنظريات"، ط١، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- ٥- الديب محملا^١(١٩٩٦): "الخدمة الاجتماعية في محيط نزلاء السجون والأحداث"، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- ٦- السيد، رمضان^٣(١٩٩٦): "إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال انحراف الأحداث"، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- ٧- الطخيس إبراهيم^٨(١٩٨٨): "دراسات في علم الاجتماع الجنائي"، الرياض: دار العلوم.
- ٨- الطرشاوي، خليل عبد الرحمن^٢(٢٠٠٩): "أزمة الهوية لدى الأحداث الجانحين مقارنة بالأسوياء في محافظة غزة في ضوء بعض المتغيرات"، رسالة ماجستير، قسم علم النفس، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة.
- ٩- العجمي، سعيد رفعان^٥(٢٠٠٩): "علاقة بعض سمات الشخصية بانحراف الأحداث في مدينة الرياض"، رسالة ماجستير منشورة رعاية وصحة نفسية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
- ١٠- الهمشري محمد علي قطب وآخرون^١(١٩٩٦): "مشكلة الجانحين"، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان.

- ١١ - باظة، أمال (١٩٩): "الشخصية والاضطرابات السلوكية والوجدانية"، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- ١٢ - جيل، فوزي محمد (٢٠٩): "الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية"، الإسكندرية: المكتبة الجامعية.
- ١٣ - جلال، سعد (١٩٦): "أسس علم النفس الجنائي"، الإسكندرية: دار المطبوعات الجديدة.
- ١٤ - جعفر، محمد علي (دس): "الأحداث الفجرفين: دراسة مقارنة"، لبنان: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.
- ١٥ - حجازي، مصطفى (١٩٩): "الأحداث الجانحون"، ط٢، بيروت: دار الطليعة
- ١٦ - حسن، محمد علي (١٩٧): "علاقة الوالدين بالطفل وأثرها في جناح الأحداث"، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- ١٧ - زهران، حامد عبد السلام (١٩٩): "الصحة النفسية والعلاج النفسي"، ط٢، القاهرة: عالم الكتب
- ١٨ - سعد، أسعد نصيف (١٩٩): "إعداد برنامج في اللعب الجماعي لتعديل السلوك اللاتوافقي لدى الأحداث الجانحين"، رسالة ماجستير غير منشورة.
- ١٩ - شازال، جان (١٩٦): "جناح الأحداث"، ترجمة: القفاص، عبد السلام، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.
- ٢٠ - شحاتة، محمد وآخرون (١٩٩): "علم النفس الجنائي"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٢١ - شكور، جليل وديع (١٩٩): "أمراض المجتمع: الأسباب- الأصناف- التفسير- الوقاية- العلاج"، ط١، بيروت: الدار العربية للعلوم.
- ٢٢ - عبد اللطيف، رشاد أحمد (٢٠٩): "انحراف الصغار مسؤولية من؟"، ط١، القاهرة: دار الوفاء لندنيا للطباعة والنشر.
- ٢٣ - قواسمية، محمد عبد القادر (١٩٩): "جنوح الأحداث في التشريع الجزائري"، ط١، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- ٢٤ - عبيد، ماجدة بهاء الدين السيد (٢٠٩): "الضغط النفسي ومشكلاته وأثره على الصحة النفسية"، ط١، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- ٢٥ - عثمان، أحمد سلطان (٢٠٩): "المسؤولية الجنائية للأطفال المنحرفين"، القاهرة: المؤسسة الفنية للطباعة والنشر.
- ٢٦ - عكاشة، أحمد (١٩٩): "الطب النفسي المعاصر"، القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية.
- ٢٧ - محيسن، إبراهيم حرب (١٩٩): "إجراءات ملاحقة الأحداث الجانحين في مرحلة ما قبل المحاكمة استدلالاً وتحقيقاً"، عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- ٢٨ - مصطفىاوي، محمد: مقال منشور في موقع:

- ٢٩- ميزاب، ناصر (٢٠١٥): "سيكولوجية الجنوح: محددات-تناولات نظرية-استراتيجيات-وقاية وعلاج"، ط١، القاهرة: عالم الكتب.
- ٣٠- نشأت، حسن أكرم (٢٠١٥): "علم الأنثروبولوجيا الجنائي"، ط١، عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- ٣١- الأمر رقم ٥٣٧ المؤرخ في ١٠ فيفري ١٩٧٧ المتضمن حماية الطفولة والمراهقة
- ٣٢- الأمر رقم ٦٤٧ المؤرخ في ٢٦ سبتمبر ١٩٧٧ يتضمن إحداث المؤسسات والمصالح المكلفة بحماية الأمومة والطفولة.

الشباب الجامعي وهاجس البطالة

-دراسة ميدانية بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة جيجل-

أ.بوعموشة نعيم/جامعة محمد الصديق بن يحي-جيجل

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على تأثير هاجس البطالة على طموحات الشباب الجامعي، ولتحقيق هذا الهدف تمت الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- هل الطالب الجامعي الذي مازال يزاول دراسته واع بمشكلة البطالة؟.

- هل تساهم بطالة خريجي الجامعة في الحد من رغبة الطالب الجامعي في مواصلة دراسته الجامعية؟.

- هل تساهم بطالة خريجي الجامعة في الحد من الأهداف الدراسية للطالب الجامعي؟.

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي، وأداة الاستمارة لجمع البيانات من المبحوثين الذين قدر عددهم بـ ٧ مفردة من الشباب الجامعيين بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة محمد الصديق بن يحي - جيجل.وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن هاجس البطالة يؤثر تأثيرا سلبيا على تطلعات وأفاق ورغبات الطالب الجامعي، إذ تقف عائقا أمام رغبته في مواصلة الدراسة وكذا أهدافه الدراسية. ويرجع ذلك لوعي الطلبة الجامعيين بمشكلة البطالة واطلاعهم على إحصائيات البطالة في صفوف خريجي الجامعات، إضافة لاحتكاكهم بالطلبة خريجي الجامعة العاطلين عن العمل. وكذا اطلاعهم على الإجراءات الحكومية الأخيرة فيما يخص التوظيف والتي حملت معها رياح التغيير في سوق العمل، وهو ما أزم الوضع أكثر وقضى على آمال الكثيرين في الحصول على منصب عمل خاصة الطلبة المقبلين على التخرج.

الكلمات المفتاحية: البطالة - الشباب الجامعي.

مقدمة:

يلعب العمل دورا مهما وأساسيا في حياة الفرد إذ يعد وسيلة لإشباع حاجاته المادية والمعنوية، فهو يضيف على حياة الفرد الشعور بالطمأنينة والأمان والاستقرار. وبالتالي فإن الحرمان من العمل والدخل يؤثر سلبا على حياة الفرد في جميع النواحي. وعليه فإن التشغيل يعد من المقومات الرئيسية للتنمية المستدامة في مختلف مفاهيمها الاجتماعية والبشرية والاقتصادية، كما أنه المدخل الرئيسي لمكافحة البطالة وضمان الاندماج وتحقيق السلام الاجتماعي، ومن هذا فإن نجاح أي إستراتيجية أو خطة تنموية يتوقف إلى حد بعيد على مدى اهتمامها بأوضاع القوى العاملة وإيجاد المناصب المستقرة لها.

فقد أصبح موضوع التشغيل يمثل عبئا كبيرا على الدولة ومصدر قلق للشباب المقبلين على سوق العمل، فالشباب الجزائري وجد نفسه يدفع فاتورة التقلبات السياسية والاقتصادية الحاصلة في الجزائر في ظل اقتصاد منهك تتلاعب به رياح التغيير. إذ غدت البطالة مؤشرا مهما من المؤشرات الدالة على بداية انحدار النظام الاقتصادي إلى منزلق خطير حيث تنتظره العديد من الآفات والأمراض التي تعمل على إضعاف مناعته وبالتالي مناعة المجتمع بأكمله الأمر الذي يؤدي إلى ظهور مشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية لا حصر لها، وقد يخرج الوضع عن السيطرة فيما لو تجاهلت الدولة ذلك.

ولم تتوقف تأثيرات البطالة عند هذا الحد فحسب، بل أصبحت محل انشغال الطلبة الذي لم يتخرجوا بعد وما زالوا على مقاعد الدراسة، ذلك بالنظر إلى ما يعيشه من سبقوهم إلى التخرج. خاصة وأن سياسة التشغيل المعمول بها في الجزائر ليست قائمة على إستراتيجية اقتصادية بقدر ما هي مبنية على اعتبارات اجتماعية، وهو ما لم يسمح بتحقيق أي نوع من التقدم، فالبنية الاقتصادية الهشة سرعان ما انهارت أمام أول صدمة، كون الاقتصاد الجزائري ريعي وليس منتجا.

وثنائية الشباب والشغل تعد مسألة جوهرية في الدراسات السوسولوجية، وليس غريبا أن تشكل هذه الثنائية حقل بحث تجتمع فيه عديد التخصصات البحثية، فرغم ثراء الحقل الاقتصادي بهذا النوع من الدراسات إلا أن الحقل السوسولوجي ما زال لم يعط هذا الموضوع القدر الذي يستحقه من الدراسة. وعليه جاءت هذه الدراسة لكشف الستار عن جانب مهم من جوانب هذا الموضوع من خلال إبراز تأثير هاجس البطالة على طموحات الشباب الجامعي الجزائري.

المحور الأول: الإطار المفاهيمي للدراسة:

أولا: إشكالية الدراسة:

تستند الهيكلية الديمغرافية للمجتمعات البشرية عادة على قسم هام من المجتمع تحتله شريحة الشباب الذين تستند عليهم مختلف الاستراتيجيات والبرامج، ليس فقط لكونهم قوة اقتصادية وثروة منتجة، بل لأنهم يحملون خصائص القوة الاجتماعية متى تم استغلال عناصر هذه القوة بالشكل الصحيح. غير أنه وفي ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي أصبحت تتخبط فيها المجتمعات المعاصرة وبالأخص تلك التي تعاني ظروفًا اقتصادية واجتماعية غير مستقرة كالجزائر، تجد هذه الفئة نفسها أمام وضع أقل ما يقال عنه أنه صعب والخيارات فيه تكاد تكون معدومة، خاصة أمام ضغط الأزمات والانعكاسات الاقتصادية من جهة، والضغط الديموغرافي الرهيب من جهة أخرى. فقد ولدت كل هذه التحولات حالة من الللاستقرار واللاتوازن على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي، في ظل بطء وتيرة النمو وشح مصادر الإيرادات.

فرغم الإجراءات والآليات التي بدلتها الدولة الجزائرية للتموقع في المكان الصحيح لمواجهة ظاهرة البطالة إلا أن الوضع لم يتحسن كثيرا، إذ لم تصمد السياسات المتبعة من طرف الحكومة طويلا أمام عواصف الأزمات المالية الاقتصادية التي مست هزاتها الارتدادية سوق الشغل وعملت على زعزعة وقلب توازنه، خاصة وأن الاقتصاد الوطني ريعي وليس منتجا، وبقيت مستويات البطالة في ارتفاع يصعب التحكم فيه.

وتعرف ظاهرة البطالة انتشارا وتزايدا واسعا وتصيب بالدرجة الأولى عنصر الشباب غير مستثنية بذلك فئة الخريجين الجامعيين التي كانت ولمدة طويلة غير معنية بهذا المشكل بحكم شهادتها العلمية التي تعد تأشيرة لدخول عالم الشغل. ولكن التزايد المستمر للأعداد الكبيرة من المتخرجين الجامعيين ومتطلبات السوق الحديثة التي تفضل الأيدي العاملة الخبيرة المتمرس، مترددة بذلك في توظيف المتخرجين الجامعيين الذين لا يملكون سوى معارف نظرية، جعل من المتخرج الجامعي يواجه صعوبات كبيرة في مسيرة بحثه عن منصب العمل الذي يسعى لأن يكون في مجال تخصصه، مما

يكسبه شعورا بأنه حقق مجهود سنوات دراسية وحقق توقعات عائلته التي انتظرت لسنوات نتائج استثمارها التعليمي له وما تخللته هذه السنوات من رعاية مادية ومتابعة معنوية.

فإذا كان خريج الجامعة يعاني من تأثيرات البطالة على جميع النواحي فإن الطالب الجامعي الذي لم يتخرج بعد ليس بمنأى عن هذا التأثير زيادة على المشاكل اليومية التي تواجهه في حياته الجامعية. فكثيرا ما تتردد على أفواه طلبتنا هذه الجملة "ماذا بعد الجامعة؟" والتي تحمل دلالات كثيرة فهي تعبر عن مستقبل غامض ومجهول. فالطالب يقضي معظم عمره على مقاعد الدراسة لاكتساب التكوين من أجل أن يستفيد منه من خلال شغل منصب عمل. إلا أنه يفاجئ بمصيره فهو ليس إلا نسخة من آلاف الشباب مثله بلا عمل، مما يجعل القيمة الذاتية في نظر الشخص ذاته قيمة ضئيلة واهنة ومهتزة لا تبعث في النفس الثقة.

وفي ظل ذلك يعاني البطالين الجامعيين مشاكل نفسية وفكرية وجسمية على اعتبارهم شباب، والشباب معاناة وطموح، ولن يتحقق هذا الطموح إلا بالعمل، وليس من الضروري أن تظهر مشاكل الجامعيين مباشرة بعد التخرج كنتيجة حتمية لبطالتهم، فقد تظهر أثناء مزاوتهم لدراساتهم، لأن هاجس البطالة بكل أبعادها النفسية والاجتماعية تشكل وضعية ضغط وصراعا كبيرين في حياة المتخرج الجامعي. إن هذه المعاناة التي يعيشها الطلبة ليست إلا نتيجة للثرة التوقعات السلبية وسوء النظرة لسوق العمل، والنتيجة بدورها عن عدم التنسيق بين الجامعة ومختلف المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية، في ظل الأعداد الهائلة من البطالين الذين يضافون إلى قائمة البطالين كل سنة.

وعلى هذا الأساس تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة على التساؤل الرئيسي التالي: هل يؤثر هاجس البطالة على طموحات الشباب الجامعي؟.

ويندرج تحت هذا التساؤل التساؤلات الفرعية التالية:

- هل الطالب الجامعي الذي مازال يزاول دراسته واع بمشكلة البطالة؟.
- هل تساهم بطالة خريجي الجامعة في الحد من رغبة الطالب الجامعي في مواصلة دراسته الجامعية؟.
- هل تساهم بطالة خريجي الجامعة في الحد من الأهداف الدراسية للطالب الجامعي؟.

ثانيا: فرضيات الدراسة:

١- الفرضية الرئيسية:

يؤثر هاجس البطالة سلبا على طموحات الشباب الجامعي.

٢- الفرضيات الفرعية:

- الطالب الجامعي الذي مازال يزاول دراسته واع بمشكلة البطالة.
- تساهم بطالة خريجي الجامعة في الحد من رغبة الطالب الجامعي في مواصلة دراسته الجامعية.
- تساهم بطالة خريجي الجامعة في الحد من الأهداف الدراسية للطالب الجامعي.

ثالثا: أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة من أهمية مرحلة الشباب التي لها سماتها وخصائصها النفسية والاجتماعية التي تميزها عن غيرها من الفئات العمرية الأخرى، وذلك نتيجة العديد من التناقضات والتغيرات التي تمر بها المجتمعات في جميع مناحي الحياة خاصة الاقتصادية، والتي تلقي بظلالها على خصائصهم الشخصية في اتجاه الإحباط والخوف من المجهول. كما تنبع أيضا أهمية الدراسة من أهمية سياسة التشغيل وعلاقتها بالتنمية المستدامة في المجتمع، نظرا للعلاقة الوثيقة التي تربط خريجي الجامعة بأنظمة التشغيل، بغية تقليص البطالة المتنامية في صفوف الشباب الخريجين من الجامعات الجزائرية. ويسعى الباحث أيضا من خلال هذه الدراسة إلى الكشف عن تأثير هاجس البطالة على طموحات الشباب الجامعي، هذه الفئة التي تعد طاقة بشرية هامة ومؤثرة في كيان المجتمع، كونها تحمل في طياتها الأمل في بناء المستقبل الزاهر للأمة.

رابعا: أهداف الدراسة:

إن لكل بحث مهما كان ميدانه أهداف ومساعي يعمل للوصول إليها. وموضوع بحثنا كغيره من المواضيع يهدف إلى فهم واستقصاء الحقائق الجوهرية حول تأثير هاجس البطالة على طموحات الشباب الجامعي. كما تسعى إلى تحقيق الأهداف الفرعية التالية:

- التعرف على مستوى وعي الطالب الجامعي الذي مازال يزاوّل دراسته بمشكلة البطالة.
- معرفة مدى مساهمة بطالة خريجي الجامعة في الحد من رغبة الطالب الجامعي في مواصلة دراسته الجامعية.
- معرفة مدى مساهمة بطالة خريجي الجامعة في الحد من الأهداف الدراسية للطالب الجامعي.
- التوصل إلى نتائج وتوصيات توضح الأثر الذي يتركه هاجس البطالة على الشباب الجامعي.

خامسا: مفاهيم الدراسة:

١ - البطالة:

تعرف البطالة بأنها "عدم توافر العمل لشخص راغب فيه مع قدرته عليه نظرا لحالة سوق العمل"¹. ويقصد بالبطالة أيضا "حالة عدم الاستخدام التي تشير إلى الأشخاص القادرين على العمل والذين ليست لديهم فرص سانحة للعمل"². ويقصد بالبطالة أيضا "توقف عن استعمال موارد العمال ورأس المال، مما يؤدي إلى تدني الخرج الفعلي للاقتصاد عن الناتج القومي الإجمالي. ويقاس معدل البطالة بالقوة العاملة الإجمالية التي ليس لديها عمل في الوقت الحاضر"³.

¹ أنور حافظ عبد الحليم: مشاكل البطالة والإدمان، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص ١٤.

² عبد الرحمن محمد وآخرون: المعجم الشامل لترجمة مصطلحات علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي، ط ١، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١٣، ص ٦٠٣.

³ صالح الصقور: موسوعة الخدمة الاجتماعية المعاصرة، دار زهران، عمان، ٢٠٠٩، ص ٢٩٠.

كما تتمثل البطالة في "وجود أشخاص في مجتمع معين قادرين على العمل، ومؤهلين له بالنوع والمستوى المطلوبين وراغبين فيه، وباحثين عنه، وموافقين على الولوج فيه في ظل الأجور السائدة، ولا يجدونه خلال فترة زمنية معينة"⁴. وقد قدمت منظمة العمل الدولية تعريفاً للبطالة بأنها "الحالة التي يكون فيها الفرد قادراً على العمل وراغباً فيه، وبيحث عنه، ويقبله عند مستوى الأجر السائد ولكن دون جدوى"⁵. ومن خلال التعاريف السابقة، يمكن تعريف البطالة بأنها "عدم توافر العمل لشخص راغب فيه مع قدرته عليه في مهنة تتفق مع استعداداته".

٢- الشباب الجامعي:

الشباب "مرحلة من مراحل العمر تقع بين الطفولة والشيخوخة وهي تتميز من الناحية البيولوجية بالاكتمال العضوي ونضوج القوة، كما تتميز من الناحية الاجتماعية بأنها المرحلة التي يتحدد فيها مستقبل الإنسان سواء مستقبله المهني أو مستقبله العائلي"⁶.

بينما يرى علماء النفس "أن مرحلة الشباب ترتبط باكتمال البناء الدافعي والانفعالي للفرد في ضوء استعداداته واحتياجاته الأساسية، واكتمال نمو كافة جوانب شخصيته الوجدانية والمزاجية والعقلية بشكل يمكنه من التفاعل السوي مع الآخرين في المجال الاجتماعي"⁷.

ويعرف "محمد علي محمد" الشباب الجامعيين بأنهم "جماعة أو شريحة من المثقفين في المجتمع بصفة عامة، إذ يتركز المئات والآلاف من الشباب في نطاق المؤسسات التعليمية"⁸.

ويعتبر الشباب الجامعي "هم الصفوة المثقفة والأكثر وعياً بالواقع الاجتماعي وبالتحولات الاجتماعية والاقتصادية التي يتعرض لها المجتمع، بالإضافة إلى ذلك فهم الأكثر إمكانية من حيث تناول العلمي، فضلاً عن ذلك فهم يعدون أكثر إدراكاً لطبيعة التفاعل الاجتماعي والإيديولوجي السائد في المجتمع"¹.

التعريف الإجرائي:

يقصد بالشباب في هذه الدراسة طلبة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل والذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٣ سنة.

الجور الثاني: الإطار النظري للدراسة:

⁴ علي عبد الوهاب نجا: مشكلة البطالة، الدار الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٤.

⁵ مصطفى خلف عبد الجواد: علم اجتماع السكان، ط ١، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٩، ص ٢٩٣.

⁶ فرد ميلسون: الشباب في مجتمع متغير، ترجمة يحي مرسى عيد بدر، ط ١، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٥.

⁷ محمد سيد فهد: العولة والشباب من منظور اجتماعي، ط ١، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٨٧.

⁸ محمد علي محمد: الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٦.

¹ طاهر محمد بوشلوش: التحولات الاجتماعية والاقتصادية وأثرها على القيم في المجتمع الجزائري ١٩٩٧-١٩٩٩ دراسة ميدانية تحليلية لعينة من الشباب الجامعي، ط ١، دار بن مرابط للنشر والطباعة، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ٦٠.

أصبحت مظاهر العجز والعزلة وفقدان معنى الحياة وغموض المستقبل، من أبرز السمات السائدة في الحياة الإنسانية في عالم اليوم. وفي مقدمة العوامل التي كانت وما تزال وراء بروز هذه المشاعر التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية القهساعة التي كان لها الأثر الكبير في تزايد المشكلات الحياتية وتنامي الضغوط التي قيدت حرية الانسان وشلّت إرادته.

وتعد مشكلات الشباب أحد التحديات الكبيرة التي تواجه علماء التربية والنفوس والاجتماع، الذين يبحثون في أوضاع هذه الفئة الاجتماعية. فالشباب هم القوة الحيوية في المجتمع ويشكلون الذات التاريخية الفاعلة والقادرة على إحداث التغيير والحراك الاجتماعي. وقد تزايد الاهتمام اليوم بالشباب وبالمشكلات التي تواجههم في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، لا سيما وهم يعيشون هذه الأيام أزمة بل أزمتا تمتد جذورها بعيدا في أعماق المجتمع. ومن هذه الأزمتا هاجس البطالة الذي صار يأرق كافة الأطراف.

ومن أجل فهم الشباب واحتياجاته هناك بعض الحقائق الأساسية المتعلقة بالشباب الذي يمثل رأسمال الأمة وعدتها وعماد قوتها ورمز عزتها، والتي يجب أن نضعها في الاعتبار، ومن أهمها:²

- "أن مكان الشباب في العالم قد تغير وأنه بدأ يظهر ككيان متميز إلى الحد الذي يمكن أن يعتبر فيه قوة اجتماعية قائمة بذاتها تجمع بين أفرادها علاقات معينة وتجمعهم مصلحة مشتركة، ألا وهي الرغبة في الحصول على مكانهم في المجتمع المحلي والعالمي وهذا يشير إلى ضرورة إحداث تغييرات ملموسة في هذه المؤسسات الشبابية بحيث تقابل هذه الرغبة وتستفيد منها.

- إذا كان الشباب يتسم في جميع الأوقات بالطاقة والحيوية الدافقة والاندفاع والسرعة والقلق وعدم الرضا والحماس، فإن هذه السمات تزداد حدة في العصر الحديث بوجه عام وفي المجتمعات النامية بوجه خاص، ولا ينبغي أن نعتبر هذه السمات ضارة بل يجب الاستفادة منها إلى أقصى حد".

إن مشكلة بطالة خريجي الجامعة تتميز بأنها تمس شريحة من المجتمع يحمل أفرادها تأهيلا عاليا لا يؤهلهم للمشاركة في تطوير المجتمع وحسب بل أيضا في قيادة عمليات التغيير والتنمية. حيث ساهم التوسع غير المخطط للتعليم الجامعي في خلق مشكلات لا تقل خطورة عن تلك التي ساعد في علاجها، منها:

- فقدان الثقة في التعليم الجامعي سواء من الأفراد أو قطاعات الإنتاج.

- ارتفاع طموحات خريجي الجامعات وصعوبة تحقيقها.

- عدم التوافق نوعا وكما بين مخرجات الجامعات وقدرة سوق العمل على الاستيعاب.

- عادة ما يصاحب التوسع غير المدروس في التعليم التضحية بالجودة فيكون الاهتمام منصباً على الكم دون الكيف فيزداد عدد الخريجين ذوو المستويات الهزيلة فتقل قيمة الشهادات في سوق العمل.

وتتميز مشكلة البطالة في الجزائر أنها غير قاصرة على فئة بعينها ولكن يعاني منها الكل على حد سواء، حيث يعاني منها المتعلم والأمي، المهندس وصاحب الحرفة. وتعتبر بطالة خريجي الجامعة أكثر خطرا وأعصى حلا من بطالة الفئات الأخرى نتيجة ارتفاع تكلفة التعليم الجامعي مقارنة بالمستويات التعليمية الأخرى، كما أن طموحات خريجي التعليم الجامعي

² محمد سيد فهد، مرجع سابق، ص 103.

أعلى من طموحات غيرهم. وعلى الرغم من الوعود الحكومية بحل هذه المشكلة باستمرار إلا أن الواقع العملي يشير حتى الآن إلى فشل الحكومة في الوصول إلى حلول إستراتيجية لتلك الأزمة.

وتأخذ البطالة أشكالاً متعددة طبقاً لمسبباتها، مما يترتب عليه اختلاف إجراءات مواجهتها. غير أنه يمكن التمييز بين نوعين رئيسيين للبطالة هما البطالة السافرة والبطالة المقنعة، ويندرج تحتها أنواع فرعية متعددة.

١- البطالة السافرة (الصريحة):

تتمثل البطالة السافرة في "وجود أفراد قادرين على العمل ولا يشغلون أية وظائف، وبالتالي يكون وقت العمل بالنسبة لهم صفراً وإنتاجيتهم صفراً. وتمثل البطالة السافرة أكثر أشكال البطالة ذبوعاً بوصفها الصورة الواضحة للبطالة"¹. ويمكن التمييز بين نوعين للبطالة السافرة هما: البطالة الإجبارية والبطالة الاختيارية.

١.١- البطالة الاختيارية: وهي كما يشير مسماتها بطالة اختيارية بمعنى "عمل الفرد لبعض الوقت والتوقف بعض الوقت الآخر. وقد يحدث هذا الخيار بين العمل ووقت الفراغ عندما يحقق الفرد مستوى مرتفعاً من الدخل. وغالباً ما يحدث ذلك في المجتمعات التي حققت نمواً متقدماً في الاقتصاد"².

١.٢- البطالة الإجبارية: يتضمن هذا النوع من البطالة السافرة "الأفراد القادرين على العمل، والراغبين فيه ويبحثون عنه ولا يجدون فرص عمل متاحة لهم في ظل الأجور السائدة. وهذا هو الشكل الظاهر للبطالة ذلك الذي لا يمكن للعين أن تخطئه، أي أنه يتمثل في فائض العرض في سوق العمل من الأفراد الراغبين في العمل والقادرين عليه"³. ويمكن التمييز هنا بين عدة أشكال للبطالة الإجبارية وذلك وفقاً للأسباب المؤدية إلى كل منها، وهي:

أ- البطالة الاحتكاكية: تشير البطالة الاحتكاكية إلى "وجود أفراد قادرين على العمل، ويبحثون للمرة الأولى عن وظيفة مناسبة أو يبحثون عن وظيفة أفضل من السابقة عليها علماً بأن هناك وظائف تناسب خبراتهم وأعمارهم ومهاراتهم، إلا أنهم لم يلتحقوا بها بسبب عدم معرفتهم بهذه الوظائف وأماكن وجودها، هذا في الوقت الذي يحاول فيه أصحاب الأعمال البحث عن العمالة البديلة للمتقاعدين لديهم أو لشغل الوظائف المترتبة على توسع المنشآت الخاصة بهم. ويمكن التمييز بين نوعين من البطالة الاحتكاكية هما البطالة أثناء فترة البحث عن عمل وبطالة فترة الانتظار"⁴.

ب- البطالة الهيكلية: "تظهر البطالة الهيكلية في منطقة معينة عندما تؤدي التغيرات في أنماط الطلب إلى عدم التوافق بين المهارات المطلوبة والمعروضة فيها، أو عندما تتسبب هذه التغيرات في عدم التوازن بين المطلوب والمعروض من العمال فيما بين المناطق المختلفة. ويمكن التمييز بين بعدين لهذا النوع من البطالة ويتمثلان في: عدم التوافق بين مؤهلات العاطلين وخبراتهم وبين متطلبات الوظائف الشاغرة، عدم التوافق الجغرافي بين أماكن الوظائف الشاغرة وأماكن الباحثين عنها.

¹ علي عبد الوهاب نجا، مرجع سابق، ص ١٧.

² محمد محمود الجوهري، عدلي محمود السمري: المشكلات الاجتماعية، ط ١، دار المسيرة، عمان، ٢٠١١، ص ٢٥٨.

³ علي عبد الوهاب نجا، المرجع نفسه، ص ١٨.

⁴ المرجع نفسه، ص ١٨.

وتنشأ البطالة الهيكلية لأسباب متعددة لعل أهمها: التغيرات في هيكل الطلب، التقدم الفني المطرد، التغير في الهيكل العمري للسكان وزيادة نسبة صغار السن والإناث في القوة العاملة".¹

ج- البطالة الدورية: يعتبر البطالة الدورية بطالة إجبارية ترتبط بتقلبات النشاط الاقتصادي حيث تظهر في حالة الانكماش أو الركود، أو بمعنى آخر البطالة التي "تنتج عن الدورات الاقتصادية التي تتسبب في ركد (تسريح) العاملين أثناء فترات الكساد وإعادة تشغيلهم في فترات الرخاء".²

د- البطالة الموسمية: تنشأ البطالة الموسمية بسبب قصور الطلب على العمال في مواسم معينة، "وهي ناتجة عن تباين الأنماط المناخية، فعادة ما تزداد البطالة نسبيا في الشتاء مقارنة بالصيف، كما تتأثر بصورة خاصة في مجال الزراعة حيث تكون الأعمال المزرعية مرتبطة بمواسم معينة".³

٢- البطالة المقنعة:

تعريف البطالة المقنعة بأنها "ذلك الجزء من العمال التي يمكن سحبها من اليد العاملة من المزرعة أو المصنع أو المكتب الحكومي أو غيرها دون أن ينخفض الإنتاج، ويعتبر هذا النوع من البطالة سمة من سمات الدول المتخلفة".⁴ فالبطالة المقنعة هي الحالة التي يعمل الانسان فيها بعمل معين، ويتقاضى اجرا غير أنه لا يسهم مساهمة جدية في الإنتاج الفعلي. فالاستغناء عن هذا الانسان لا يؤثر على العملية الإنتاجية، ويتمثل ذلك في استخدام عدد كبير من العاملين والموظفين أكثر مما يحتاجه العمل، فتراهم جالسين على أبواب المكاتب أو يتسكعون في أروقة المصالح والمؤسسات. ويلاحظ أن البطالة المقنعة تمثل تبديدا لجزء مهم من القوة العاملة، حيث تستنزف هذه الطاقات في أعمال لا تفيد الاقتصاد ولا يترتب عليها إضافات مهمة إلى الناتج الوطني، ومن ثم تمثل البطالة المقنعة أخطر أنواع البطالة لأنه من الصعب حصرها، ويصعب التعامل معها وعلاجها، وذلك أنه لا سبيل لعلاجها إلا بخلق مجالات جديدة للإنتاج يصاحبها فرص عمل حقيقية تستوعب فائض العمل في الأعمال المنتجة وذلك من خلال تغيير بنیان الاقتصاد الوطني والتنوع في هيكله.

ومما سبق يمكن أن نعتبر البطالة ظاهرة مرضية اقتصاديا واجتماعيا، ويعود هذا أساسا للآثار التي يمكن أن تخلفها سواء على الفرد وعلى المجتمع، والتي أصبحت تشكل هاجسا للعام والخاص خاصة في ظل التحديات التي تواجه الشباب.

تفيد الإحصائيات العلمية أن للبطالة آثارها السيئة على الصحة النفسية كما أن لها آثارها على الصحة الجسدية، وأن نسبة كبيرة من العاطلين عن العمل يفتقدون تقدير الذات ويشعرون بالفشل وأهم أقل من غيرهم. فالشباب العاطل عن العمل لا يشعر بالانتماء إلى المجتمع حيث يشعر بالظلم وهو ما قد يدفعه إلى أن يصبح ناقما على المجتمع، فاقدا للانتماء له، عرضة لأي استدراج قد يصنع منه عنصرا من عناصر الهدم مع أن التعليم يعد الفرد للبناء لا الهدم، هذا إلى جانب عدم الشعور بالأمان واللامبالاة وعدم تحمل المسؤولية. وتزداد مشكلة فقدان الشعور بالانتماء وعدم الرضا

¹ علي عبد الوهاب نجا، مرجع سابق، ص.ص ٢١-٢٢.

² مح مد نبيل جامع: البطالة قنبلة موقوتة فك شفراتها وحديث مع الشباب، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص.٧.

³ المرجع نفسه، ص.٧.

⁴ حسين عبد الحميد رشوان: المشكلات الاجتماعية دراسة في علم الاجتماع التطبيقي، المكتب الجامعي

الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٩، ص.٢٢٢.

خطورة عندما يجد الشاب نفسه أمام فئة من الأفراد يحصلون على أعمال هو أحق بها، فيزداد سخطه ويضعف انتماءه للمجتمع. وتقول الدكتورة عزة كريم أستاذة علم الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية: "أن البطالة تولد عند الفرد شعورا بالنقص بالإضافة إلى أنه يورث الأمراض الاجتماعية الخطيرة كالرذيلة والسرقة والنصب والاحتيال، وبضيق أن الفرد العاطل يشعر بالفراغ وعدم تقدير المجتمع فتنشأ لديه العدوانية والإحباط، والبطالة تحرم المجتمع من الاستفادة من طاقة أبنائه".¹

ولعل من أهم الانعكاسات والنتائج الاجتماعية لمشكلة البطالة "ارتفاع معدل الجريمة بين العاطلين والشعور بالاغتراب والإحباط، فالواقع المؤلم لهؤلاء الشباب المتمثل في عدم وجود أمل في فرصة للعمل لسد حاجاتهم والإنفاق على مطالب الحياة المختلفة واستنفاد طاقتهم تدفع الشباب إلى ارتكاب الجرائم والانحراف".²

ويرى بعض الباحثين أن الشباب البطلال الذي تبوء محاولته الأولى في البحث عن منصب عمل بالفشل يمر بثلاثة مراحل: الأولى؛ وهي الفترة التي يلقي فيها البطلال اللوم على نفسه، إذ يرى أنه المسؤول ذاتيا عن بطالته التي يعاني منها، في الوقت الذي تكون فيه البطالة مرتبطة أصلا بعوامل خارجة عن إرادته. المرحلة الثانية؛ يبدأ البطلال بإلقاء اللوم على المجتمع، إذ يفسر وضعيته تلك كنتيجة لرفض المجتمع تقديم يد المساعدة له لإنقاذه من شبح البطالة، وهذه المرحلة في تكامل مع المرحلة الثالثة التي يكون فيها للبطلال الخيار أمام سلوكين: إما أن يسلك سلوك العزلة بانطوائه على نفسه ويتحول بذلك إلى عضو خامل حيادي لا يكثر بما يحصل من حوله في مجتمعه، أو أن يختار سلوك التمرد بحيث يثور على مجتمعه فبدلا من أن يصبح عضوا لبناء مجتمعه يحاول تهييمه بشتى الوسائل والطرق أبسطها الهجرة، وبالتالي تضييع طاقة شبانية فعالة.

المحور الثالث: الإجراءات المنهجية للدراسة:

أولا: مجالات الدراسة:

- 1- المجال المكاني: هو المكان الذي تمت فيه الدراسة الميدانية للبحث، ويتمثل في جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل.
- 2- المجال البشري: يتمثل في عينة من طلبة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل، حيث تم تطبيق الاستمارة على ٧٠ طالباً (٥).

ثانيا: المنهج المتبع في الدراسة:

يلعب المنهج دورا هاما وأساسيا في الكشف عن مختلف الظواهر التي من خلالها يمكن للباحث فهم ما يحيط به، وارتأينا استعمال المنهج الوصفي لارتباطه بموضوع الدراسة الراهنة للكشف عن هاجس البطالة لدى الشباب الجامعي. حيث تكمن أهمية المنهج الوصفي في قدرته على اكتشاف كافة المتغيرات الخاصة بالظاهرة. فهو يهدف لفهم الظاهرة كونه

¹ مجدي أحمد محمد عبد الله: أزمة الشباب ومشاكله بين الواقع والطموح، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٣، ص ٨٢.

² أنور حافظ عبد الحلیم، مرجع سابق، ص ٤٣.

"طريقة لوصف الظاهرة المدروسة وتصويرها كميًا عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة".³

ثالثًا: أداة البحث

تم استخدام الاستمارة في هذه الدراسة وهذا راجع لطبيعة عينة الدراسة والمتمثلة في عينة من الطلبة الجامعيين بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة جيجل الذين أجريت عليهم الدراسة، وتعتبر استمارة البحث من أكثر أدوات جمع البيانات شيوعًا واستخدامًا في البحوث الاجتماعية، وهي وسيلة أساسية تستخدم في جمع البيانات المتعلقة بموضوع الدراسة، تتضمن مجموعة من الأسئلة توجه إلى المستجوبين، وهم أفراد العينة التي استخرجها الباحث بغرض التحقق من فرضيات البحث، وينتظر من المبحوثين أن يقدموا إجابات حول مسائل مرتبطة بأهداف الدراسة.

وتعرف الاستمارة بأنها "تقنية مباشرة لطرح الأسئلة على الأفراد وبطريقة موجهة، ذلك لأن صيغ الإجابات تحدد مسبقًا، هذا ما يسمح بالقيام بمعالجة كمية بهدف اكتشاف علاقات رياضية وإقامة مقارنات كمية".¹

رابعًا: عينة الدراسة:

تعتبر عملية اختيار العينة من أهم المراحل في البحث العلمي، لأن صحة نتائج الدراسة ودقتها تتوقف على اختيار العينة، فقد تختلف حسب اختلاف المواضيع التي هي قيد الدراسة. وتعتبر العينة "مجتمع الدراسة الذي تجمع منه البيانات الميدانية وهي تعبير جزء من الكل، أو بمعنى آخر هي جزء معين أو نسبة معينة من أفراد المجتمع الأصلي، ثم تعمم نتائج الدراسة على المجتمع كله".²

وتم تطبيق أداة البحث المتمثلة في الاستمارة بطريقة قصدية على ٧٠ طالب (ة) بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة محمد الصديق - جيجل. وفيما يلي وصف مفصل لهذه العينة.

الجدول رقم ١: يمثل توزيع المبحوثين حسب البيانات الشخصية

النسبة المئوية	التكرار		
٦٨.٥٧%	٤٨	ذكر	الجنس
٣١.٤٣%	٢٢	أنثى	
٢٧.١٤%	١٩	٢١-١٨ سنة	السن
٤٤.٢٩%	٣١	٢٥-٢٢ سنة	
٢٨.٥٧%	٢٠	٣٠-٢٦ سنة	
٦٧.١٤%	٤٧	ليسانس	الشهادة العلمية المحضر لها
٣٢.٨٦%	٢٣	ماستر	

المحور الرابع: نتائج الدراسة الميدانية:

³ عمار بوحوش، محمد محمود الدينيات: مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ط ٢، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٩، ص ١٤.

¹ موريس أنجريس: منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية تدريبات عملية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، ط ٢، دار القصة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٦، ص ٢٠٤.

² رشيد زرواتي: تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٢، ص ١٩٧.

من خلال الدراسة الميدانية وتحليل البيانات الموجودة في الاستمارة عن طريق تفرغها في جداول، تم التوصل إلى جملة من النتائج، هي كالتالي:

أولاً: وعي الطالب الجامعي بمشكلة البطالة:

الجدول رقم ٢: يمثل توزيع المبحوثين حسب آرائهم حول الاحتكاك بخريجي الجامعة البطالين.

الاختيار	التكرار	النسبة المئوية
نعم	٦١	%٨٧.١٤
لا	٠.٩	%١٢.٨٦
المجموع	٧٠	%١٠٠

من خلال الجدول رقم ٢ يتضح أن أغلب المبحوثين يقرون بأنهم يحتكون بخريجي الجامعة البطالين، وذلك حسب ٨٧.١٤% من المبحوثين، في المقابل نجد أن نسبة ١٢.٨٦% من المبحوثين يقرون بأنهم لا يحتكون بخريجي الجامعة البطالين. ويرجع ذلك لمحاولة الطلبة الذين لم يتخرجوا بعد الاطلاع والتعرف على الواقع الذي يعيشه خريجي الجامعة، وماذا ينتظرهم بعد التخرج من الجامعة، كما يرجع ذلك أيضاً إلى تخوف المبحوثين من هاجس البطالة الذي أصبح بمثابة عائق أمام طموحاتهم المستقبلية.

الجدول رقم ٣: يمثل توزيع المبحوثين حسب درجة اطلاعهم على الإحصائيات المتعلقة بخريجي الجامعة العاطلين عن العمل.

الاختيار		التكرار		النسبة المئوية	
نعم	مرتفعة جداً	٥٤	١٠	%٧٧.١٤	%١٨.٥٢
	مرتفعة		٢٤		%٤٤.٤٤
	متوسطة		١٧		%٣١.٤٨
	منخفضة		٠.٣		%٠.٥٥٦
	منخفضة جداً		٠.٠		%٠.٠
لا		١٦	%٢٢.٨٦		
المجموع		٧٠	%١٠٠		

من خلال الجدول رقم ٣ يتضح أن أغلب المبحوثين يقرون بأنهم على اطلاع بالإحصائيات المتعلقة بخريجي الجامعة العاطلين عن العمل وذلك حسب ٧٧.١٤% من المبحوثين، حيث يرى ٤٤.٤٤% منهم بأن هذه النسب والأرقام مرتفعة، بينما ترى نسبة ٣١.٤٨% من هؤلاء المبحوثين بأن نسب وأرقام بطالة خريجي الجامعة العاطلين عن العمل متوسطة، أما ١٨.٩% منهم فيرون بأن هذه النسب والأرقام مرتفعة جداً، في حين أن ٠.٥% منهم فيرون بأن هذه النسب والأرقام منخفضة. في المقابل نجد أن نسبة ٢٢.٨٦% من المبحوثين يقرون بأنهم غير مطلعين على الإحصائيات المتعلقة بخريجي الجامعة العاطلين عن العمل.

ويرجع سبب اطلاع الباحثين على الإحصائيات المتعلقة بخريجي الجامعة البطالين من أجل جس نبض سوق الشغل، ومعرفة السياسات التي تنتهجها الدولة في توظيف خريجي الجامعة.

الجدول رقم ٤: يمثل توزيع الباحثين حسب آرائهم إن كانت مشكلة البطالة تمس خريجي الجامعات أكثر من غيرهم من فئات المجتمع.

الاختيار		التكرار		النسبة المئوية
نعم	طول المسار الجامعي	١٣	٥٣	%٢٤.٥٣
	عدم تناسب تخصصاتهم مع الوظائف المعروضة في سوق العمل	١٠		%١٨.٨٧
	غياب الجانب التطبيقي أو التكويني للطالب الجامعي	٠٥		%٠٩.٤٣
	الاعتماد على العلاقات الشخصية في التوظيف	٢٥		%٤٧.١٧
لا		١٧		%٢٤.٢٩
المجموع		٧٠		%١٠٠

من خلال الجدول رقم ٤ يتضح أن أغلب الباحثين يرون بأن مشكلة البطالة تمس خريجي الجامعات أكثر من غيرهم من فئات المجتمع وذلك حسب ٧٥.٧% من الباحثين، حيث يراى ٤٧.١% منهم بأن ذلك راجع للاعتماد على العلاقات الشخصية في التوظيف، بينما يراى ٢٤.٥% منهم بأن ذلك راجع لطول المسار الجامعي، في حين أن ١٨.٨% منهم فيرجعون ذلك لعدم تناسب التخصصات الجامعية مع الوظائف المعروضة في سوق العمل، أما نسبة ٠٩.٤% من هؤلاء الباحثين فيرجعون سبب ارتفاع نسبة البطالة في أوساط الخريجين الجامعيين إلى غياب الجانب التطبيقي أو التكويني للطالب الجامعي. في المقابل نجد أن نسبة ٢٤.٢% من الباحثين يرون بأن مشكلة البطالة لا تمس خريجي الجامعات أكثر من غيرهم من فئات المجتمع.

الجدول رقم ٥: يمثل توزيع الباحثين حسب آرائهم إن كان ارتفاع نسبة المتخرجين من الجامعة العاطلين عن العمل يؤثر على طموحاتهم المستقبلية.

الاختيار	التكرار	النسبة المئوية
نعم	٦٦	%٩٤.٢٩
لا	٠٤	%٠٥.٧١
المجموع	٧٠	%١٠٠

يتضح من خلال الجدول رقم ٥ أن أغلب الباحثين يقرون بأن ارتفاع نسبة المتخرجين من الجامعة العاطلين عن العمل يؤثر على طموحاتهم المستقبلية وذلك حسب ٩٤.٢% من الباحثين، في المقابل نجد أن ٠٥.٧% من الباحثين يقرون بأن ارتفاع نسبة المتخرجين من الجامعة العاطلين عن العمل لا يؤثر على طموحاتهم المستقبلية. وهذا راجع لاطلاع الباحثين على الإحصائيات الخاصة بخريجي الجامعة العاطلين عن العمل، وكذا احتكاكهم بالخريجين الجامعيين العاطلين عن العمل.

وهو ما يجعلهم يتأثرون بالواقع الذي يعيشه سابقوهم إلى التخرج مما يقلل من طموحاتهم ورغباتهم ربما في مواصلة الدراسة، أو حتى التقدم الدراسي.

ثانيا: بطالة خريجي الجامعة وأثرها على رغبة الطالب الجامعي في مواصلة دراسته الجامعية

الجدول رقم ٦: يمثل توزيع المبحوثين حسب آرائهم إن كانت الحاجة المادية تدفعهم لترك الدراسة والبحث عن منصب عمل.

الاختيار	التكرار	النسبة المئوية
نعم	٤١	%٥٨.٥٧
لا	٢٩	%٤١.٤٣
المجموع	٧٠	%١٠٠

من خلال الجدول رقم ٦ يتضح أن أغلب المبحوثين يقرون بأن الحاجة المادية تدفعهم لترك الدراسة والبحث عن منصب عمل وذلك حسب ٥٨.٥٧% من المبحوثين. في المقابل نجد أن ٤١.٤٣% من المبحوثين يقرون بأن الحاجة المادية لا تدفعهم لترك الدراسة والبحث عن منصب عمل. ويرجع ذلك ربما لانخفاض المستوى المعيشي للمبحوثين، فالدراسة الجامعية تتطلب مصاريف كثيرة، والمنحة الجامعية تعجز عن تغطية ولو جزء بسيط منها، وهو ما يضطر بعض الطلبة لمغادرة مقاعد الدراسة مبكرا والبحث عن عمل لتغطية احتياجاتهم واحتمالات عائلاتهم، فبالنسبة لهم مواصلة الدراسة قد يستنزف إمكانيات مادية إضافية وقد يعقد الوضع المعيشي لعائلاتهم.

الجدول رقم ٧: يمثل توزيع المبحوثين حسب آرائهم إن كان يسيطر عليهم هاجس الخوف من البطالة مستقبلا

الاختيار	التكرار	النسبة المئوية
نعم	٦٢	%٨٨.٥٧
لا	٠٨	%١١.٤٣
المجموع	٧٠	%١٠٠

من الجدول رقم ٧ يتضح أن أغلب المبحوثين يقرون بأن هاجس الخوف من البطالة مستقبلا يسيطر عليهم وذلك حسب ٨٨.٥٧% من المبحوثين، في المقابل نجد أن نسبة ١١.٤٣% من المبحوثين يقرون بأن هاجس الخوف من البطالة مستقبلا لا يسيطر عليهم. ويرجع ذلك لكون الطلبة المبحوثين جزءا من المجتمع الجزائري الذي يعرف انتشارا رهيبا لمشكلة البطالة، وبالتالي فإن هاجس البطالة يبقى يطارد هؤلاء المبحوثين أو الطلبة الذين لم يتخرجوا بعد، إضافة إلى اطلاعهم على واقع غيرهم من الجامعيين المتخرجين والعاطلين عن العمل، وكذا نسب وأرقام البطالة المرتفعة في وسط خريجي الجامعة. كل هذه المؤشرات تشكل هاجسا حقيقيا أمام الطلبة الذين لم يتخرجوا بعد خوفا من الالتحاق بقائمة البطالين.

الجدول رقم ٨: يمثل توزيع المبحوثين حسب آرائهم إن كانت الشهادة التي سيتحصلون عليها ستلبي طموحاتهم المستقبلية.

الاختيار	التكرار	النسبة المئوية
نعم	٥٢	%٧٤.٢٩
لا	١٨	%٢٥.٧١
المجموع	٧٠	%١٠٠

من خلال الجدول رقم ٨ يتضح أن أغلب المبحوثين يرون بأن الشهادة التي سيتحصلون عليها ستلبي طموحاتهم المستقبلية وذلك حسب ٧٤.٢٩% من المبحوثين، في المقابل نجد أن ٢٥.٧١% من المبحوثين يرون بأن الشهادة التي سيتحصلون عليها لن تستطيع تلبية طموحاتهم المستقبلية. ويرجع ذلك لطموح المبحوثين في الحصول على منصب عمل بعد التخرج.

الجدول رقم ٩: يمثل توزيع المبحوثين حسب آرائهم إن كان للبطالة دورا في الحد من رغبة الطالب في مواصلة دراسته الجامعية

الاختيار	التكرار	النسبة المئوية
نعم	٤٧	%٦٧.١٤
لا	٢٣	%٣٢.٨٦
المجموع	٧٠	%١٠٠

من خلال الجدول رقم ٩ يتضح أن أغلب المبحوثين يرون بأن للبطالة دورا في الحد من رغبة الطالب في مواصلة دراسته الجامعية وذلك حسب ٦٧.١٤% من المبحوثين، في المقابل نجد أن ٣٢.٨٦% من المبحوثين يرون بأن البطالة لا تلعب دورا في الحد من رغبة الطالب في مواصلة دراسته الجامعية. ويرجع ذلك لكون هاجس البطالة عائقا يقف أمام رغبات الطلبة ويعيق تطلعاتهم الدراسية، خاصة وأنهم على اطلاع بالواقع الذي يعيشه غيرهم من حاملي الشهادات الجامعية العاطلين عن العمل.

الجدول رقم ١: يمثل توزيع الباحثين حسب آرائهم إن كانوا يفكرون في الانقطاع عن الدراسة مبكرا، وسبب الانقطاع عنها

النسبة المئوية		التكرار		الاختيار	
٤٢.٨٦%	٤٠%	١٢	٢٨	الرغبة في ولوج عالم الشغل مبكرا	
٢٥%		٠٧		إيقانك بأنك لن تتحصل على عمل يتوافق وتخصصك مستقبلا	
٢١.٤٣%		٠٦		إيقانك بأنك لن تتحصل على عمل في حال مواصلتك للدراسة	
١٠.٧١%		٠٣		لأن أدائك العلمي ضعيف في مجال تخصصك	
٦٠%		٤٢		لا	
١٠٠%		٧٠		المجموع	

من خلال الجدول رقم ١ يتضح أن أغلب الباحثين يقرون بأنهم لا يفكرون في الانقطاع عن الدراسة مبكرا وذلك حسب ٦٠% من الباحثين. في المقابل نجد أن ٤٠% من الباحثين يقرون بأنهم يفكرون في الانقطاع عن الدراسة مبكرا، حيث يرجع ٤٢.٨٦% منهم سبب تفكيرهم في الانقطاع عن الدراسة رغبة منهم في ولوج عالم الشغل مبكرا، في حين أن ٢٥% منهم فيرجعون سبب تفكيرهم في الانقطاع عن الدراسة لإيقانهم بأنهم لن يتحصلوا على عمل يتوافق وتخصصهم مستقبلا، بينما يرجع ٢١.٤٣% منهم سبب تفكيرهم في الانقطاع عن الدراسة لإيقانهم بأنهم لن يتحصلوا على عمل في حال مواصلتهم للدراسة، أما نسبة ١٠.٧١% من هؤلاء الباحثين فيرجعون سبب تفكيرهم في الانقطاع عن الدراسة لأدائهم العلمي الضعيف في مجال تخصصهم.

الجدول رقم ١: يمثل توزيع الباحثين حسب آرائهم إن كانت نسبة البطالة تتوقف على المستوى التعليمي للأفراد، ودرجة حظوظ خريجي الجامعة في الحصول على عمل

النسبة المئوية		التكرار		الاختيار	
١٥.٦٩%	٧٢.٨٦%	٠٨	٥١	كبيرة جدا	
٢٧.٤٥%		١٤		كبيرة	
٤٣.١٤%		٢٢		متوسطة	
١١.٧٦%		٠٦		ضعيفة	
٠.١.٩٦%		٠١		ضعيفة جدا	
٢٧.١٤%		١٩		لا	
١٠٠%		٧٠		المجموع	

من خلال الجدول رقم ١ يتضح أن أغلب المبحوثين يرون بأن نسبة البطالة تتوقف على المستوى التعليمي للأفراد وذلك حسب ٧٢.٨% من المبحوثين، حيث يرى ٤٣% منهم بأن حظوظ خريجي الجامعة في الحصول على عمل متوسطة، في حين يرى ٢٧.٤% منهم فيرون بأن حظوظ خريجي الجامعة في الحصول على عمل كبيرة جداً، أما نسبة ١٧.٦% من هؤلاء المبحوثين فيرون بأن حظوظ خريجي الجامعة في الحصول على عمل ضعيفة، بينما تمثل نسبة ١.٠% المبحوثين الذين يرون بأن حظوظ خريجي الجامعة في الحصول على عمل ضعيفة جداً. في المقابل نجد أن ٢٧.١% من المبحوثين يرون بأن نسبة البطالة لا تتوقف على المستوى التعليمي للأفراد. ومنه يتضح أن حصول الطالب على شهادة جامعية قد يمنحه فرصة أكبر من غيره من ذوي المستويات التعليمية الأخرى في الحصول على عمل.

الجدول رقم ٢: يمثل توزيع المبحوثين حسب آرائهم عن شعورهم في حالة عدم حصولهم على منصب عمل في المستقبل

الاختيار	التكرار	النسبة المئوية
القلق والعصبية	٠٤	٥.٧١%
الإحباط	٢١	٣٠%
الندم على التعليم	٣٥	٥٠%
فقدان الثقة بالنفس	٠٧	١٠%
السخط على المجتمع	٠٣	٤.٢٩%
المجموع	٧٠	١٠٠%

من خلال الجدول رقم ٢ يتضح أن أغلب المبحوثين يقرون بأنه في حالة عدم حصولهم على منصب عمل في المستقبل فإنهم سيشعرون بالندم على التعليم وذلك حسب ٥٠% من المبحوثين، في حين أن ٣٠% من المبحوثين يقرون بأنه في حالة عدم حصولهم على منصب عمل في المستقبل فإنهم سيشعرون بالإحباط، بينما يقر ١٠% من المبحوثين بأنهم سيفقدون الثقة بالنفس في حالة عدم حصولهم على منصب عمل في المستقبل، أما ٥.٧١% من المبحوثين فيقرون بأنهم سيشعرون بالقلق والعصبية في حالة عدم حصولهم على منصب عمل في المستقبل، بينما يقر ٤.٢٩% من المبحوثين بأنه في حالة عدم حصولهم على منصب عمل في المستقبل فإنهم سيشعرون بالسخط على المجتمع. ويرجع ذلك لأهمية منصب العمل بالنسبة لخريج الجامعة، فكل طالب يطمح أن تتوج سنوات دراسته الطويلة بمنصب عمل دائم يوفر له احتياجاته المادية.

ثالثاً: بطالة خريجي الجامعة وأثرها على الأهداف الدراسية للطلاب الجامعي

الجدول رقم ٣: يمثل توزيع المبحوثين حسب آرائهم حول الإجراءات الأخيرة المتخذة من قبل الحكومة فيما يخص التوظيف

الاختيار	التكرار		النسبة المئوية
	نعم	لا	
نعم	٥٩	٢٣	٨٤.٢٩%
لا	٣٦	٣٨.٩٨%	
لا	١١		١٥.٧١%
المجموع	٧٠		١٠٠%

من خلال الجدول رقم ١٣ يتضح أن اغلب المبحوثين يقرون بأنهم اطلعوا على الإجراءات الأخيرة المتخذة من قبل الحكومة فيما يخص التوظيف وذلك حسب ٨٤.٢% من المبحوثين، حيث يقر ٦١.٠% منهم بأن ذلك لم يؤدي إلى زيادة الأمل لديهم في الحصول على عمل مستقبلا، في حين أن ٣٨.٩% منهم فيقولون بأن ذلك أدى إلى زيادة الأمل لديهم في الحصول على عمل مستقبلا. في المقابل نجد أن ١٥.٧% من المبحوثين يقرون بأنهم لم يطلعوا على الإجراءات الأخيرة المتخذة من قبل الحكومة فيما يخص التوظيف. ومنه يتضح أن الشغل الشاغل للطلبة الجامعيين الظفر بمنصب عمل، وهو ما يحتم عليهم الاطلاع على كل السياسات والبرامج المتبعة من قبل الحكومة للقضاء على البطالة وتوفير مناصب العمل، لكن يبقى أمل الجامعيين في الحصول على منصب عمل مستقبلا ضئيلا خاصة وأن الاقتصاد الجزائري يعرف عواصف وأزمات ترمي بثقلها على سوق العمل وهو ما يأزم الوضع أكثر خاصة بعد انهيار أسعار النفط الذي يعد أساس الدخل الوطني وهو ما دفع بالحكومة لتجميد التوظيف خلال السداسي الأول من سنة ٢٠١٥ في بعض القطاعات، إضافة إلى عدم ثقة الشباب الجامعيين في وعود الحكومة وبرامجها الرامية للحد من البطالة وتوفير مناصب شغل والتي تبقى مجرد كلام يصعب تجسيده في الواقع، نظرا للأعداد الهائلة لخريجي الجامعة العاطلين عن العمل.

الجدول رقم ١٤: يمثل توزيع المبحوثين حسب آرائهم إن كانت لديهم معرفة مسبقة بنوع الوظيفة التي سوف يشغلونها أو العمل الذي سيمارسونه بعد التخرج

الاختيار	التكرار	النسبة المئوية
نعم	٤٤	٦٢.٨٦%
لا	٢٦	٣٧.١٤%
المجموع	٧٠	١٠٠%

من الجدول رقم ١٤ يتضح أن أغلب المبحوثين يقرون بأن لديهم معرفة مسبقة بنوع الوظيفة التي سوف يشغلونها أو العمل الذي سيمارسونه بعد التخرج وذلك حسب ٦٢.٨% من المبحوثين، في المقابل نجد أن ٣٧.١% من المبحوثين يقرون بأنهم لا يعرفون نوع الوظيفة التي سوف يشغلونها أو العمل الذي سيمارسونه بعد التخرج. ويرجع ذلك لتفاوت الطلبة المبحوثين في الحصول على منصب عمل بعد تخرجهم يتناسب وتخصصهم الجامعي، أو ربما لاطلاعهم المسبق على الوظائف التي تتلاءم وتخصصاتهم الدراسية، والذي يمكن أن يكون سببا في اختيارهم للتخصص الدراسي.

الجدول رقم ١٥: يمثل توزيع المبحوثين حسب آرائهم إن كان هاجس البطالة أثر على اختيارهم لتخصصهم الدراسي

الاختيار	التكرار	النسبة المئوية
نعم	٥٧	٨١.٤٣%
لا	١٣	١٨.٥٧%
المجموع	٧٠	١٠٠%

من الجدول رقم ١٥ يتضح أن أغلب المبحوثين يقرون بأن هاجس البطالة قد أثر على اختيارهم لتخصصهم الدراسي وذلك حسب ٨١.٤% من المبحوثين. في المقابل نجد أن ١٨.٥% من المبحوثين يقرون بأن هاجس البطالة قد أثر على اختيارهم لتخصصهم الدراسي. ويرجع ذلك لاحتكاك المبحوثين بغيرهم من حاملي الشهادات الجامعية في نفس تخصصاتهم الجامعية ولم يجدوا بعد منصب عمل، وهو ما يدفعهم لاختيار تخصص يتوافق واحتياجات سوق العمل، خوفا من الانضمام لقائمة خريجي الجامعة العاطلين عن العمل.

الجدول رقم ١٦: يمثل توزيع المبحوثين حسب آرائهم إن كان التخصص الذي يزاولون دراستهم به مطلوب في سوق العمل

النسبة المئوية		التكرار		الاختيار	
١٩.٠٥%	٩٠%	١٢	٦٣	كبيرة جدا	نعم
٣١.٧٥%		٢٠		كبيرة	
٢٦.٩٨%		١٧		متوسطة	
١٧.٤٦%		١١		ضعيفة	
٤.٧٦%		٣		ضعيفة جدا	
١٠%		٧		لا	
١٠٠%		٧٠		المجموع	

من خلال الجدول رقم ١٦ يتضح أن أغلب المبحوثين يرون بأن التخصص الذي يزاولون دراستهم به مطلوب في سوق العمل وذلك حسب ٩٠% من المبحوثين، حيث يرى ٣١.٧% منهم أن درجة الطلب على تخصصهم كبيرة في سوق الشغل، في حين أن ٢٦.٩٨% منهم فيرون بأن درجة الطلب على تخصصهم متوسطة في سوق الشغل، بينما يرى ١٩.٠% منهم بأن تخصصهم مطلوب في سوق العمل بدرجة كبيرة جدا، أما ١٧.٤% منهم فيرون بأن درجة الطلب على تخصصهم ضعيفة، في حين يرى ٤.٧٦% منهم بأن درجة الطلب على تخصصهم في سوق العمل ضعيفة جدا. في المقابل نجد أن نسبة ١٠% من المبحوثين يرون بأن التخصص الذي يزاولون دراستهم به غير مطلوب في سوق العمل. ويرجع ذلك لاطلاع المبحوثين على التخصصات المطلوبة في سوق العمل، والتي يتخذونها معيارا في حالات كثيرة لاختيار تخصصاتهم الدراسية وليس على حسب رغباتهم، وذلك بغية الحصول على منصب عمل عند التخرج من الجامعة.

الجدول رقم ١٧: يمثل توزيع المبحوثين حسب آرائهم إن كانت التخصصات الجامعية المختلفة تتلاءم وحاجة سوق العمل كما ونوعا

النسبة المئوية		التكرار		الاختيار	
٣٥.٧%		٢٥		نعم	
٦٤.٤%	٦٤.٢%	٢٩	٤٥	نعم	لا
٣٥.٥%		١٦		لا	
١٠%		٧٠		المجموع	

من خلال الجدول رقم ١٧ يتضح أن أغلب المبحوثين يرون بأن التخصصات الجامعية المختلفة لا تتلاءم وحاجة سوق العمل كما ونوعاً وذلك حسب ٦٤.٢% من المبحوثين، حيث يرى ٦٤.٤% منهم بأن ذلك راجع لغياب التواصل بين الجامعة وسوق العمل، في حين أن ٣٥.٥% فأجابوا بالنفي أي أن عدم ملائمة التخصصات الجامعية لحاجة سوق العمل لا يرجع لغياب التواصل بين الجامعة وسوق العمل. في المقابل نجد أن ٣٥.٧% من المبحوثين يرون بأن التخصصات الجامعية المختلفة تتلاءم وحاجة سوق العمل كما ونوعاً. ويرجع ذلك لوجود أعداد كبيرة من خريجي الجامعة مقابل سوق العمل المحدودة، وكذا تزايد أعداد الخريجين من الأقسام النظرية مقابل الأعداد القليلة لخريجي الأقسام التطبيقية، وعدم توافق التخصصات الجامعية مع احتياجات سوق العمل المتاح لخريجي الجامعة، وكلها مؤشرات تدل على عدم وجود تنسيق بين الجامعة وسوق العمل، مما يدل على وجود عجز في المؤسسات الجامعية على توفير احتياجات سوق الشغل من يد عاملة مؤهلة.

الجدول رقم ١٨: يمثل توزيع المبحوثين حسب آرائهم إن كانوا سيشغلون أي وظيفة في حالة لم يجدوا منصب عمل في تخصصهم عند تخرجهم

الاختيار	التكرار	النسبة المئوية
نعم	١٦	٢٢.٨٦%
لا	٢٠	٢٨.٥٧%
حسب الظروف	٣٤	٤٨.٥٧%
المجموع	٧٠	١٠٠%

من خلال الجدول رقم ١٨ يتضح أن أغلب المبحوثين يقرون بأنهم سيشغلون أي وظيفة في حالة لم يجدوا منصب عمل في تخصصهم عند تخرجهم حسب الظروف وذلك حسب ٤٨.٥% من المبحوثين، في حين أن ٢٨.٥% من المبحوثين يقرون بأنهم لن يشغلوا أي وظيفة في حالة لم يجدوا منصب عمل في تخصصهم عند تخرجهم، بينما يرى ٢٢.٨% من المبحوثين بأنهم سيشغلون أي وظيفة في حالة لم يجدوا منصب عمل في تخصصهم عند تخرجهم. ويرجع ذلك لكون المبحوثين مقتنعين بأن حصولهم على منصب عمل لائق أهم من البحث عن منصب عمل يتماشى مع تخصصهم الدراسي، وهو ما يدل على الحاجة الملحة للمبحوثين (الطلبة الجامعيين) في الحصول على منصب عمل خوفاً من البطالة.

النتيجة العامة للدراسة:

مما سبق عرضه من نتائج يمكن القول أن الفرضيات المقترحة في بداية الدراسة قد تحققت في ميدان البحث، ومنه نستنتج أن هاجس البطالة يؤثر على طموحات الشباب الجامعي. حيث يؤثر هاجس البطالة تأثيراً سلبياً على تطلعات وأفاق ورغبات الطالب الجامعي، إذ تقف عائقاً أمام رغبته في مواصلة الدراسة وكذا أهدافه الدراسية. ويرجع ذلك لوعي الطلبة الجامعيين بمشكلة البطالة واطلاعهم على إحصائيات البطالة في صفوف خريجي الجامعات، إضافة لاحتكاكهم بالطلبة خريجي الجامعة العاطلين عن العمل. وكذا اطلاعهم على الإجراءات الحكومية الأخيرة فيما يخص التوظيف والتي حملت

معها رياح التغيير في سوق العمل، نظرا لتجميد التوظيف خلال السداسي الأول من سنة ٢٠١٦ بسبب انهيار أسعار النفط الذي يعد مصدر الدخل الوطني، وهو ما أزم الوضع أكثر وقضى على آمال الكثيرين في الحصول على منصب عمل خاصة الطلبة المقبلين على التخرج، وهو ما سيؤثر بالتالي على آفاق وطموحات الطلبة الجامعيين الدراسية والمهنية مستقبلا.

توصيات الدراسة:

بناء على النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يوصي الباحث بما يلي:

- ضرورة توعية الطلبة الجامعيين وخاصة المقبلين منهم على التخرج بحجم مشكلة البطالة، وسبل معاشتها والتكيف معها وعدم الاعتماد الكلي على الدولة في خلق مناصب عمل، وإنما يجب عليهم البحث عن عمل والسعي وراء كسب الرزق الحلال.

- إعادة النظر في البرامج الجامعية من حيث النوع والكيف، والتغيير فيها بما يتماشى وسوق العمل.

- على الجامعات أن تأخذ في الاعتبار إعداد الكوادر البشرية التي يحتاجها سوق العمل من حيث التخصص والمهارة.

- خفض نسبة القبول في التخصصات الجامعية التي تشبع منها سوق العمل.

- التنسيق وفتح باب الحوار بين مختلف القطاعات وخاصة بين التعليم وسوق العمل.

واستكمالا للفائدة المرجوة من هذه الدراسة يقترح الباحث إجراء دراسات أخرى يتم من خلالها استطلاع آراء عينات أخرى حول هاجس البطالة وأثره على طموحات الشباب الجامعي.

خاتمة:

إن تحقيق التنمية المستدامة يمر عبر معالجة المسائل الاجتماعية وبالأخص مشكلتي التشغيل والبطالة. فالتشغيل في الجزائر لا يزال رهين الحسابات السياسية والتلاعب بالأرقام على حساب فئة كبيرة من الشباب. لذا على الدولة أن تراعي المشاكل التي يعاني منها الشباب خاصة الطلبة الجامعيين، وذلك من خلال مراعاة احتياجات الأعداد الهائلة من الطلبة الجامعيين المقبلين على التخرج وذلك بتوفير مناصب عمل لهذه الفئة حتى يتقلص حجم البطالين في صفوف خريجي الجامعة، ولا ينتقل هاجس البطالة إلى الطالب الذي ما زال يزاوّل دراسته. وبالتالي ينصب اهتمام هذا الأخير على الدراسة والتحصيل فحسب، ثقة منه بأنه عندما يتخرج سيجد فرصة للعمل يخدم من خلالها مجتمعه.

وتجدر الإشارة إلى أن من أهم مقومات فهم الشباب كفئة فعالة ونشيطة في المجتمع إجراء دراسات تتسم بالشمول الهادف إلى وصف وتشخيص اتجاهات الشباب نحو مختلف القضايا ذات الصلة بالتنمية الاجتماعية، إذ تشكل نتائج هذه الدراسات ركيزة تعتمد عليها سياسات توجيه الشباب ورعايته واستثمار طاقته الايجابية لخدمة المجتمع.

قائمة المراجع:

١- أنج رس موريس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية تدريبات عملية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، ط٢، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٦.

٢- بوحوش عمار، الدنيبات محمد محمود: مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ط٢، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٩.

- ٣- بوشلوش طاهر محمد: التحولات الاجتماعية والاقتصادية وأثرها على القيم في المجتمع الجزائري ١٩٩٩-١٩٩٩ دراسة ميدانية تحليلية لعينة من الشباب الجامعي، ط١، دار بن مرابط للنشر والطباعة، الجزائر، ٢٠٠٨.
- ٤- جامع محمد نبيل: البطالة قنبلة موقوتة فك شفراتها وحديث مع الشباب، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٨.
- ٥- الجوهرى محمد محمود، السمري عدلي محمود: المشكلات الاجتماعية، ط١، دار المسيرة، عمان، ٢٠١٠.
- ٦- رشوان حسين عبد الحميد: المشكلات الاجتماعية دراسة في علم الاجتماع التطبيقي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٩.
- ٧- زرواتي رشيد: تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٩.
- ٨- الصقور صالح: موسوعة الخدمة الاجتماعية المعاصرة، دار زهران، عمان، ٢٠٠٩.
- ٩- عبد الجواد مصطفى خلف: علم اجتماع السكان، ط١، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٩.
- ١٠- عبد الحلیم أنوار حافظ: مشاكل البطالة والإدمان، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٩.
- ١١- عبد الرحمن محمد وآخرون: المعجم الشامل لترجمة مصطلحات علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي، ط١، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١١.
- ١٢- عبد الله مجدي أحمد محمد: أزمة الشباب ومشاكله بين الواقع والطموح، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١١.
- ١٣- عبد الوهاب نجا علي: مشكلة البطالة، الدار الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٩.
- ١٤- فهيم محمد سيد: العولمة والشباب من منظور اجتماعي، ط١، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٩.
- ١٥- محمد علي محمد: الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥.
- ١٦- ميلسون فرد: الشباب في مجتمع متغير، ترجمة يحي مرسى عيد بدر، ط١، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٩.

إسهامات مظفر شريف في علم النفس الاجتماعي التجريبي تجربة "أثر الحركة الذاتية" في تكوين المعايير نموذجًا د.بوفولة بوخميس/جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز إسهام واحد من رواد علم النفس الاجتماعي التجريبي و هو مظفر شريف في تقدم البحوث في مجال ظهور المعايير عند الأفراد داخل الجماعة. لقد صمم شريف عدة تجارب في غاية الأهمية ساهمت في فهم السيرورات الاجتماعية خاصة كيفية نشوء المعايير الاجتماعية و الصراعات داخل الجماعات. وسيتناول هذا المقال بالتفصيل واحدة من تجارب شريف الهامة في مسار علم النفس الاجتماعي وهي تجربة "أثر الحركة الذاتية".
الكلمات المفتاحية: مظفر شريف، علم نفس اجتماعي تجريبي، تجربة، تكوين المعايير، أثر الحركة الذاتية.

تمهيد :

تعد تجربة "أثر الحركة الذاتية" من أهم التجارب التي نظرت لكيفية تشكيل المعايير الاجتماعية داخل الجماعة و بفضلها تمكن شريف من تتبع كيف تساهم المعايير في تكوين الجماعات و تفاعلها و علاقاتها مع الالتزام الذاتي.

نبذة عن حياة مظفر الشريف :

اسمه الحقيقي مظفر سيرف باسوقلو (Muzaffer Serf Basoglu)، ولد في ٢٩ جويلية ١٩٠٩، و هو تركي-أمريكي، اختص في علم النفس الاجتماعي و بالأخص علم النفس الاجتماعي التجريبي. كان ينتمي إلى عائلة تركية ثرية. درس في معهد أزمير الأمريكي و جامعة اسطنبول، و تحصل على دبلومها سنة ١٩٢٢، ثم سافر إلى أمريكا و درس في جامعة هافارد و تحصل سنة ١٩٣٣ على دبلوم ثاني، ثم سجل في جامعة كولومبيا و تحصل منها سنة ١٩٣٣ على شهادة الدكتوراه، وكان موضوع الأطروحة: "بعض العوامل الاجتماعية للإدراك". رجع شريف إلى تركيا و سجن هناك لمعاداته النازية، ثم عاد سنة ١٩٤٠ إلى أمريكا و تزوج سنة ١٩٤٥ مع الأخصائية النفسية الاجتماعية كارولين وود (Karolyn Wood)، و كانا يعملان معا. توفي شريف بسكتة قلبية، في عمر ٨٢ سنة، في يوم ١٦ أكتوبر ١٩٨٨ بفيربانكس (Fairbanks)، وهي إحدى أقاليم ولاية ألاسكا¹.

1 a - Effet Auto-cinétique et Construction de Norme, in, www.psychologie-sociale.com

b-The Unknown Muzaffer Sherif, in, http://The Psychologist.bps.org.UK/Volume27/edition-11/unknown-muzaffer-scherif

c-http://raihuraljaber.wordpress.com/2013/03/12/328/

(عنوان المقال: سمو الشيخ جابر المبارك للصمص مظفر شريف)

d-Sherif M., 1936, Group Norms and

Conformity, in, www.intropsych.com/ch15_social/Sherif_1936_group_norms_and_conformity.html

الاهتمامات البحثية لمظفر شريف:

مظفر شريف هو رائد من رواد علم النفس الاجتماعي التجريبي، الذي يتناول تجريبيا الارتباط بين ما هو فردي و ما هو جماعي و يهدف إلى إبراز الكيفية التي بواسطتها يشكل الأفراد واقعا اجتماعيا و العكس كيفية تأثير التنظيم الاجتماعي على الأفراد.

اشتهر شريف ببحوثه العديدة في مجال علم النفس الاجتماعي التجريبي حول: "أثر الحركة الذاتية". انطلق شريف من مفهوم "المعيار الاجتماعي و تمكن بفضل تجاربه المتعددة من تصور نموذجا يسمح بدراسة نشأة المعايير¹. لقد اشتهر شريف بعدة تجارب أهمها: تجربة "أثر الحركة الذاتية"، و هي موضوع مقالنا، و تجربة "كهف اللصوص".

سيرورات التأثير الاجتماعي:

يؤدي التفاعل مع الآخرين إلى تغيير إدراكنا لما حولنا. و تتم سيرورات التأثير هذه وفق ثلاث كيفيات²:

الامتثالية: يعتقد البعض أن التأثير الاجتماعي هو شكل من المتثالية.

ففي الامتثالية يوجد معيار غالب (سائد) و أن الأفراد يحبون نسق السلوك المحبذ (المفضل) في هذا المعيار.

وعلى العموم هناك صنف اجتماعي يجسد المعيار و صنف اجتماعي آخر يمثل له.

الابتكار والتجديد (Innovation): هنا يحدث العكس فيكون التأثير ناتج عن أقلية عديمة السلطة لكن تمتاز بسلوك منضبط و مسؤول و بسلوكها هذا تستطيع تغيير نسق سلوك الأغلبية و استبداله بنموذج سلوكي آخر.

المعايرة (Normalisation): تخص الوضعيات التي ينعدم فيها وجود معيار و يمارس الأفراد في هذه الحالة تأثير متبادل فيما بينهم و يميلون نحو معيار مشترك.

تكوين المعايير:

يعرف شريف المعيار بأنه: "سلم مرجعي أو تقييمي بإمكانه تحديد هامش السلوكات و الاتجاهات و الآراء المقبولة نوعا ما"³، و لتوضيح هذا التعريف يعطي مثلا بمعيار اجتماعي نصادفه في حياتنا اليومية و يتمثل في الوصول في الموعد، فنحن نملك هامش تغاير، فقد نصل في الموعد و قد نتقدم أو نتأخر عنه ببضع الدقائق و هذا أمر مقبول منا و من الآخرين. لكن التأخر لمدة طويلة يصبح غير مقبول و لا يسمح به. ويرى شريف أن المعيار قد يكون فرديا، يخص الشخص، و قد يكون جماعيا، يتقاسمه مع الآخرين و قد يصحب أو لا يصحب بهامش حرية، كما ينتج أو لا ينتج عن مخالفته عقاب حقيقي أو رمزي.

و لقد انتقد كثير من العلماء فكرة المعيار الفردي الذي قال به شريف و من هؤلاء نيوكومب و زملائه (Newcomb et al, 1970)، و حسب هذا الأخير مفهوم المعيار يستوجب بالضرورة تقاسم اجتماعي (Partage social) و وبالتالي فلن يكون المعيار إلا جماعيا و في المقابل بإمكان الفرد أن يصمم معاملة الخاصة التي تؤدي إلى بعض الاستقرار والثبات في ردود أفعاله.

e-http://en.wikipedia.org/wiki/Muzafer_Sherif

¹ N. Sillamy, Dictionnaire Usuel de Psychologie. Paris, Bordas, 1983, p.634

² W. Doise, J.C. Dechamp, G. Mugny, Psychologie Sociale Expérimentale. Paris, Armand Colin, 1991, p.87.

³ E. Drozda-Senkowska, Psychologie Sociale Expérimentale. Paris, Armand Colin, 1999, p.36.

كما حدد شريف ثلاثة أنماط كبرى من المعايير الاجتماعية¹: معايير تتجه نحو الاستجابة المتوسطة، وتلك التي تتجه نحو استجابة فرد معين و أخيرا تلك التي تتجه نحو الاستجابة الجديدة والمبتكرة. و يفسر هذه الأنماط الثلاث من المعايير، التي تتشكل في وضعية الجماعة، الفكرة الجشططية التي يتبناها شريف وعلماء نفس اجتماعيين آخرين ومفادها أن "الجماعة أكثر من مجرد جمع بسيط لأفرادها"، فالعمل داخل جماعة يؤدي إلى ظهور خصائص جديدة وفوق فردية.

ميكانيزمات تكوين الهايير:

توصل شريف بفضل تجربته التي ستلي في هذا البحث إلى إعطاء ثلاث تفسيرات مختلفة لكن متكاملة لميكانيزمات تكوين المعايير²، حيث خصص التفسيرين الأول والثاني للفرد والسيرورات داخل فردية، والتفسير الثالث لتفسير العلاقات بين الأفراد.

التفسير الأول: و سماه إزالة الارتباب، حيث رأى شريف أن الشخص الذي لا يعرف تجربته، يبحث عن إطار مرجعي لإزالة ارتبابه. فهو أي الشخص، متنبه لكل المعلومات التي تساعد على ذلك. ومن هذه المعلومات تقديرات الآخرين التي يكون لها دورا وأهمية كبرى لديه.

التفسير الثاني: و سماه احترام النزعة المركزية، حيث رأى دي مونمولان (De Montmollin (1965,1966) و فلامون (Flament,1958) أن الشخص يهتم بتوزيع التقديرات التي يقترحها الآخرون ويبحث عن النزعة المركزية، فيحذف التقديرات التي تنحرف كثيرا عن القيمة المتوسطة. وقد يخفي هذه السلوك فكرة أن النزعة المركزية تعكس موقفا أو رأيا متفق عليه نسبيا ويمكن الاعتماد عليه أو اعتباره معلما.

التفسير الثالث: و هو تفادي الصراع ، حيث رأى ألبورت (1962) أن العمل ضمن جماعة يولد استجابات متباعدة وإذا استمرت طويلا أدت إلى ظهور صراع. ويحاول الأفراد تفادي هذا الصراع بواسطة تنازلات متبادلة. أن تكوين استجابات مشتركة يصبح ممكنا إذا قبل كل أفراد الجماعة تقدم تنازلات.

إن تكوين معيار يساعد على تفادي الصراع بين أفراد الجماعة وذلك بواسطة تسيير الاختلافات الابتدائية بين الأفراد. بينت تجربة شريف، كما سيلي، أن تكوين المعايير ممكن ولو في وضعية تفاعلية دنها.

تجربة مظهر الشريف حول أثر الحركة الذاتية (Effet Autocinétique):

يلعب الاتصال دورا كبيرا في تكوين المعايير داخل الجماعة وهذا ما توصل إليه شريف في تجربته الشهيرة حول أثر الحركة الذاتية، ولقد انطلق من عدة أسئلة³:

ما هو تأثير الآخرين على الفرد في حالة التفلعل فيما بينهم؟ وكيف يعالجون المعلومات التي يستقبلونها من الآخرين؟

ماذا يفعل الفرد لما يكون في وضعية غير محددة موضوعيا بحيث لا يكون هناك أي أساس للمقارنة؟ وماذا سيفعله عندما يكون الإطار الخارجي للمرجع محذوف؟ هل سيبنى أحكام خاطئة، أم سيضع نقطة مرجعية خاصة به؟

¹ E. Drozda-Senkowska, op. cit. p.36.

² Ibid. P.39.

³ W.Doise, J.C. Dechamp, G. Mugny, Op. Cit., pp.88-91.

- ما الشيء الذي تقوم به مجموعة أفراد لما تكون مجموعة في وضعية غامضة (غير محددة) ؟ وهل سيضع هؤلاء إطار مرجعيا جماعيا لهم؟

تعليمات و شروط التجربة¹:

لكي يجيب مظفر الشريف على أسئلته وضع نموذج لتجربة شهيرة اعتمد فيها على ما يعرف بالأثر الحركي الذاتي أو أثر الحركة الذاتية، ويتمثل هذا الأثر في الإحساس المتوهم في الظلام بحركة نقطة ضوئية ثابتة. أن أثر الحركة الذاتية ظاهرة معروفة منذ القدم وخاصة في مجال علم الفلك، فالفرد الذي يوضع في مكان مظلم كليا وتقدم له نقطة ضوء ثابتة، سيراه يتحرك وتختلف طبيعة حركة هذه النقطة ومداهما من فرد إلى آخر وعند الفرد ذاته وذلك حسب نوع هذه النقطة المقدمة.

اعتقد شريف أن أثر الحركة الذاتية يظهر عند كل الأفراد سواء كان ذلك داخل حجرة مغلقة أو في الهواء الطلق، ويسمح هذا الأثر بخلق ظرف يساعد الشخص على إعطاء حكما في وضعية غير محددة موضوعيا أي وضعية تفتقر إلى معلما معيننا. أجريت هذه التجربة سنة ١٩٣٣ في جامعة كولومبيا، وطبقت على عينة من الطلبة الذكور فقط، حيث وضعوا في غرفة مظلمة، عرضها ٣ متر، وتبعد عن النقطة الضوئية بمسافة تقدر بـ ٥ أمتار، وتأتي نقطة الضوء من مصباح ضعيف الشدة في صندوق مثقوب (ثقب بحجم رأس دبوس)، و يقدم الضوء (نقطة الضوء) للمفحوص وبعد فترة زمنية يزيل الفاحص المصدر الضوئي ويطلب من الأفراد أن يعطوا، شفويا، المسافة التي تحركت بها النقطة الضوئية، ويقوم الفاحص بتسجيل مباشر للاستجابات المفحوصين. و يجري كل فرد عدة سلاسل من ١٠ تقدير توزع على عدة أيام، ويمكن للفرد أن يختار واحدة من الطريقتين الممكنتين في تجربة شريف.

الطريقة الأولى للتجربة²:

تتم التجربة هنا على عدة مراحل.

يجب المجيء ٤ مرات متتالية (٤ أيام).

في اليوم الأول:

• يكون المفحوص لوحده غرفة التجربة يطلب منه تقدير المسافة التي تتحرك بها النقطة الضوئية وتجرى لهذه الغاية ٤ محاولات متتالية.

• عند الانتهاء من المحاولة الرابعة لليوم الأول يطلب من العميل (المفحوص) أن يوضع لتقديراته هامش تغير (Marge de variation) لمحاولاته الأربعة ثم يجد متوسط لها (مثالا: ٥ سم).

• يصبح هذا المتوسط هو معلم المفحوص (Repère).

في اليوم الثاني:

• يكون المفحوص مع مفحوصين اثنين آخرين (كل واحد منهما أجرى البارح نفس ما قام به المفحوص الأول).

• لا يتغير شيء في المنهجية المتبعة في اليوم الأول لكن هذه المرة كل مفحوص يعطي المسافة التي قدرها لحركة النقطة الضوئية بصوت عال، على مسمع المفحوصين الآخرين.

في اليوم الثالث: نفس ما تم في اليوم الثاني.

¹ W.Doise, J.C. Dechamp, G. Mugny, Op.Cit., pp.88-91.

-See Also : E. Drozda-Senkowska. Op.Cit, p.33.

² - W.Doise, J.C. Dechamp, G. Mugny, Op.Cit., pp.88-91.

في اليوم الرابع: نفس ما تم في اليوم الثاني والثالث.

شارك في هذه الطريقة^١ فردا.

الطريقة الثانية للتجربة^١:

تتبع نفس الشروط الواردة في الطريقة الأولى من حيث الغرفة، وطريقة تسجيل الاستجابة، والنقطة الضوئية وعدد المحاولات يوميا لكن يكون هنا اختلاف في عدد الأفراد.

-اليوم الأول:

• يكون المفحوص مع مفحوصين آخرين.

• كل واحد من المفحوصين الثلاث يرى النقطة الضوئية لأول مرة.

• يطلب من كل واحد تحديد تقديرات بصوت عال (الواحد تلوي الآخر).

-اليوم الثاني: نفس الشيء.

-اليوم الثالث: نفس الشيء.

-اليوم الرابع: يكون المفحوص هذه المرة بمفرده ويطلب منه تقديم تقديراته بمفرده.

شارك في هذه الطريقة الثانية^٤ ٤ فردا توزعوا على مجموعات:

• ٨ مجموعات زوجية (فيها فردان)، و في المجموع نجداً ١ فردا.

• ٨ مجموعات ثلاثية (فيها ٣ أفراد)، و في المجموع نجدة ٢ فردا.

شروط التجربة :

لا بد أن تتوفر بعض الشروط التي تجعل كل الأفراد متساوين وظيفياً، أي لهم نفس الوزن في تكوين معيار اجتماعي معين. و بدون هذه الشروط لا يمكن أن تنجح التجربة و هي كالتالي:

• محيط فيزيائي غامض.

• الوضعية غير مبنية (غير مهيكلية).

• الوضعية جديدة على الأفراد وغريبة عن عاداتهم السلوكية المعتادة.

• لا توجد إجابات "جيدة" وإجابات "سيئة".

• لا تكون الإجابات أكيدة (يقينية).

• يمكن اعتبار الفرد غير معني بالإجابات.

• لا يعرف الأفراد بعضهم البعض قبل التجربة.

نتائج التجربة والتعليق عليها

أدرك كل المفحوصين وجود حركة للنقطة الضوئية الثابتة. كما تغيرت تقديراتهم بحسب الوسط الذي يكونون فيه (بمفردهم أو مع الجماعة). تؤدي الأحكام التي يشكلها الأفراد عن الواقع إلى نشأة معايير فردية و معايير جماعية.^١

^١ W.Doise,J.C. Dechamp,G. Mugny,Op.Cit.,pp.88-90.

-نتائج الطريقة الأولى: أظهرت النتائج التي توصل إليها شريف وغيره من العلماء تكون معيار أو معلم للجماعة، أن التقديرات الفردية وهوامش التغيير تتجه نحو معيار وهامش جماعي.

يدرك الأفراد حركة النقطة الضوئية دون أي إطار مرجعي خارجي ومع مرور الوقت يتكون معيار ذاتي فردي (Normalisation subjective individuelle) ففي غياب معيار أو نقطة مرجعية خارجية يحدد كل فرد "انحراف تغير" (Ecart de variation) خاص به ونقطة مرجعية ذاتية (معيار) ضمن حدود انحراف التغير هذا. ويتم كل تقدير متتابع نسبيا داخل حدود هذا الانحراف وهذه النقطة المرجعية.

عندما يرى الأفراد، لمرات عديدة متتالية، حركة بدون إطار مرجعي خارجي فإنهم سيضعون، كلما تدرجوا في التجربة، نقطة مرجعية داخلية أو معيار. ولما يوضع هذا المعيار ذاتيا سيستعمل كنقطة مرجعية لتقدير مختلف الحركات المقبلة وذلك داخل "انحراف التغير" الخاص بكل فرد. إن سيروورة المعايير (تكوين المعايير) تجعل الجماعة تميل إلى المتوسط، و تدفع عناصرها إلى تعديل مواقفهم و صياغة اتفاق و تسوية²

-نتائج الطريقة الثانية: تقوم الجماعة بوضع تقدير جماعي "وهامش تغير" جماعي. ومن المحتمل جدا أن يحتفظ الأفراد بالتقدير (المعيار) وهامش التغير الذي توصلت إليه الجماعة.

إن المعيار الذي وضعتة الجماعة هو معيار قوي وثابت ويبقى النقطة المرجعية للأفراد ولو بعد تفرقهم. إن نتائج مظفر الشريف أساسية وهي تشهد على أن حدوث اتصال وتفاعل بين فردين أو أكثر يعيد نفس الطرق يولد سيروورات اجتماعية معرفية قوية وهذه الأخيرة تؤدي إلى ظهور نقاط معلمية مشتركة، أي معايير خاصة بكل جماعة. المعيار هنا ليس قيمة مركزية أو معدل لمواقف فردية بل هو قيمة مختلفة خاصة بكل جماعة وهو مرتبط بتنظيم و دينامية الجماعة وبالتالي يدل على خصوصياتها وسيرووراتها.

وفي هذا الإطار يقول شريف أيضا كون المعيار المشكل خاص بالجماعة فهذا يعني أن هناك أساسا نفسيا واقعيًا لما أكده علماء النفس الاجتماعيين وعلماء الاجتماع الذين يرون أن هناك خصائص جديدة وفوق فردية (Supra-individuelles)، تتجاوز الأفراد، وتظهر في مواقف ووضعيات الجماعة. إذا كان بروز المعايير داخل الجماعة يتطلب سيروورات أساسية لأدائها فإن تفسير هذه السيروورات مازال موضع خلاف. ولقد اكتشف ألبورت، منذ ١٩٦٢، ظاهرة مشابهة لما جاء به مظفر الشريف عن تأثير الجماعة في الفرد وكان اكتشافه في مجال الحكم على الأوزان والروائح. لما يكون الفرد في جماعة فهو ينزع في استجاباته إلى الاعتدال، كما تستتر (تخفي) الاستجابات المتطرفة فيظهر تقارب في الحكم على الأشياء³. ويفسر ألبورت هذه الظاهرة بالخوف من ظهور عدم الاتفاق داخل الجماعة فيؤدي إلى بروز الصراعات فيها.

ويرى العلماء أن التفاعل داخل الجماعة يتم على أساس التنازلات المتبادلة (Concessions réciproques).

وفي مقاربة مشابهة فسر موسكوفيسي و ريكاتو (Moscovici et Ricateau, 1972) ظاهرة "التأثير" كسيروورة مساعدة على تفادي الصراعات داخل الجماعة. وقد تكون المعايير الجماعية وسيلة لضمان السير الداخلي الحسن للجماعة، كما تساعد هذه الأخيرة على البقاء. فالمعيار يختزل الصراع ويسيره كما يكون حكما له. إن المعيار هو من العناصر الأساسية لدينامية

¹ G-N. Fischer, La Psychologie sociale. Paris, Editions du Seuil, 1997, p.36.

² J-P. Citeau, B. Engelhardt-Bitrian, Introduction à la Psychosociologie ; concepts et études de cas. Paris, Armand Colin, 1999, p.203.

³ V. Aebischer, D. Oberlé, Le Groupe en Psychologie Sociale. Paris, Dunod, 1998, p.69.

الجماعة. إن ظهور المعيار في وضعية التفاعل الدنيا، المتمثلة في الحكم على الحركة الذاتية (في تجربة الشريف)، يعزز وجهه النظر هذه. لقد بينت النتائج وجود دينامية لتكوين معيار خاص بالجماعة التجريبية (الجماعة التي تكونت لغرض التجربة).¹ أن ظهور اتصال و لو في مستواه الأدنى بين فردين يواجهان نفس المهمة سيولد سيوروات اجتماعية-معرفية قوية تؤدي إلى نشأة نقاط مرجعية مشتركة وهي المعايير.²

النقد الموجه لهذه التجربة :

لعل أكبر نقد وجه لهذه التجربة هو عدم تحكمها في المتغيرات الطفيلية أو المتغيرات الوسيطية التي تدخل في إطار الفروق الفردية وهي: الانتباه، الذاكرة، القدرة على التجريد، القدرة على التخيل، شخصية الأفراد (قابلية الإحياء- المعارضين- المنطويين- الحصريين- الخوفيين- الوسواسيين... الخ).

خاتمة :

تهتم تجربة مظفر شريف الموسومة "أثر الحركة الذاتية" والتي أجراها سنة ١٩٣٠، مهمة جدا لفهم كيفية ظهور المعايير داخل الجماعات و كيف تساعد أفرادها على التوافق و تفادي الصراعات.

قائمة المراجع :

1 -Effet Auto-cinétique et Construction de Norme,in,www.psychologie-sociale.com

-see also :

a -The Unknown Muzafer Sherif,in,http://The Psychologist.bps.org. UK/Volume27/ edition-11/unknown-muzafer-scherif

b-http://raihuralijaber.wordpress.com/2013/03/12/328/.

(عنوان المقال: سمو الشيخ جابر المبارك للصوص لمظفر شريف)

c-Sherif M.,1936 ,Group Norms andConformity, in,www .intropsych.com/ch15_social/Sherif_1936 _group_norms_and _conformity.html.

2-N. Sillamy,Dictionnaire Usuel de Psychologie.Paris,Bordas,1983.

3-W.Doise,J.C. Dechamp,G. Mugny,Psychologie Sociale Expérimentale.Paris,Armand Colin,1991.

4-E. Drozda-Senkowska, Psychologie Sociale Expérimentale. Paris , Armand Colin, 1999 .

11- G-N. Fischer,LaPsychologie sociale.Paris,Editions du Seuil,1997.

12- J-P. Citeau,B. Engelhardt-Bitrian,Introduction à la Psychosociologie ;concepts et études de cas.Paris, Armand Colin,1999.

13- V. Aebischer, D. Oberlé, Le Groupe en Psychologie Sociale.Paris,Dunod,1998.

14- A. Cerclé,A. Somal, Manuel de Psychologie Sociale.Paris,Dunod,1999.

^١ A. Cerclé,A. Somal, Manuel de Psychologie Sociale.Paris,Dunod,1999,p.125.

^٢ J-C. Abric, La Psychologie de la Communication ;théories et méthodes.Paris,Armand Colin,1999,p.118.



15- J-C. Abric, La Psychologie de la Communication, théories et méthodes. Paris, Armand Colin, 1999.

ملحق: مؤلفات مظفر شريف:

- (1) Sherif M. (1936), the psychology of social norms, New York, Harper & Row.
- (2) Sherif M. and Sherif C.W. (1953), Groups in harmony and tension, New York. Harper and Row.
- (3) Sherif M. (1965), Influences du groupe sur la formation des normes et des attitudes, in, Lévy A. (Ed), psychologie sociale, Textes fondamentaux. Tome I, Paris, Dunod.
- (4) Sherif M. (1966), In Common predicament, New York, Houghton Mifflin.
- (5) Sherif M. and Sherif C.W. (1979), les relations intra et inter groupes : analyse expérimentale. in, Doise W. (Ed), Expériences entre groupes. Paris, Morton
- (6) Sherif M. (1937), An Experimental Approach to the Study of Attitudes. in, Sociometry, 1937, 1, 90-98.

استراتيجية مقترحة لتنمية مهارات التعبير الشفوي باللغة العربية لدى الطلبة الماليزيين

جاكاريجا كيتا، طالب دكتوراه/جامعة السلطان زين العابدين، ماليزيا د.محمد زيد إسماعيل/جامعة السلطان زين
العابدين، ماليزيا

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى اقتراح استراتيجية لتنمية مهارات التعبير الشفوي باللغة العربية لدى طلبة كلية الدراسات الإسلامية المعاصرة بجامعة السلطان زين العابدين في ماليزيا؛ ولتحقيق أهداف البحث استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، معتمدين على البحوث والدراسات العلمية التي تناولت تنمية مهارات التعبير الشفوي خاصة، وتوصل الباحثان إلى أن استراتيجية التعلم التعاوني استراتيجية مناسبة لتنمية مهارات التعبير الشفوي باللغة العربية لدى الطلبة الماليزيين؛ إذ أظهرت أكثر الدراسات العلمية التي تناولت استراتيجيات تدريس التعبير الشفوي فعالية هذه الاستراتيجية في تنمية مهارات التعبير الشفوي باللغة الأجنبية أو الثانية، ويمكن عزو أسباب فعاليتها في تنمية مهارات التعبير الشفوي لدى الطلبة إلى أنها استراتيجية تقوم على تجزئة المهارة الكلية إلى مهارات جزئية؛ حيث إن الطلبة يتعاملون مع مهارة جزئية بسيطة، ثم ينتقلون إلى مهارة جزئية أخرى وصولاً لتحقيق المهارة الكلية، وهذا يسهل عليهم فهم المهارة، وإتقانها، وبالتالي إذا كانت الأنشطة التدريسية مرتبطة بواقع حياة الطلبة، أو بما يشاهدونها، وهو ما يجعل لتلك الأنشطة معنى لديهم.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، التنمية، المهارة اللغوية، التعبير الشفوي.

مقدمة:

إن اللغة تعتبر وسيلة الإنسان في الإفصاح عن أفكاره، وهي منظومة متكاملة من المهارات تتمثل في الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة، وبها يتمكن الإنسان من التواصل مع غيره، والتفاعل معهم تفاعلاً إيجابياً بما يزيد من كفاءته في التعامل، والتفاعل مع المواقف الحياتية.

واللغة العربية تحتل مكانة عالية بين اللغات العالمية، فهي تجمع بين أبناء الأمة الإسلامية في وعاء لغوي واحد؛ لأنها لغة القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وتكمن أهميتها في ضرورتها لفهم القرآن الكريم، والحديث النبوي؛ فكل علوم الإسلام قائمة على اللغة العربية، وإتقانها ضرورة لفهم الشرائع، والأحكام؛ لذا على المسلمين الاهتمام بها، من حيث نشرها بين الأقطار الإسلامية وغيرها.

وتعدّ اللّغة العربيّة مادةً دراسيّةً مهمّةً في مدارس ماليزيا وجامعاتها، وذلك لأسباب كثيرة أبرزها: لأتّها لغة العبادة، والعلوم الإسلاميّة، بالإضافة إلى عالميّتها؛ إذ أضحت لغة عالميّة ذات قيمة تجاريّة واتّصاليّة؛ لذا تسعى الحكومة الماليزيّة إلى تزويد سكانها منذ الصّغر بهذه اللّغة؛ لتوفير المتّمكّنين منها لتلبية احتياجاتها المختلفة في الأسواق المحليّة والعالميّة¹.

والتّعبير باللّغة العربيّة شفوياً يعتبر ذا أهمية بالغة في المجتمعات الإسلاميّة بالذّات في هذا العصر؛ لكونه وسيلة الاتّصال الأساسيّة بين مختلف أفراد المجتمع المسلم، ومن خلاله تظهر ثقافة الإنسان، وما لديه من أفكار، فللتّعبير الشّفوي مهارة تُكشف شخصيّة المتكلّم، وتعطي مؤشراً على نضجه العقليّ، وقدرته على العرض، والشرح، والتّفسير، فالتّعبير الشّفوي جزء حيويّ من حياة النّاس اليوميّة، وبدونه لا تقوم صلات فعّالة بين جماعات المجتمع².

وتظهر أهمية تنمية مهارات التّعبير الشّفوي باللّغة العربيّة لدى المتعلّمين في الدّراسات الإسلاميّة بالذّات في أنّها تؤثر في المهارات اللّغويّة الأخرى؛ إذ كلّما توقّرت لدى المتعلّم ثروة لغويّة كان أقدر على التّعبير عن أفكاره بشكل فعّال.

وإذا كانت مهارات التّعبير الشّفوي بهذه الأهمية؛ فإنّه ينبغي أن تكون العناية بها على قدر تلك الأهمية من العمل الجاد على تنميتها لدى المتعلّمين؛ ليكونوا قادرين على التّعبير عن آرائهم، وأفكارهم بشكل مقبول.

ونظراً لأهمية التّعبير الشّفوي فقد حظي باهتمام كبير من قبل الباحثين؛ إذ أجريت العديد من الدّراسات التي تناولته سواءً من حيث التّعرف على استراتيجيات مناسبة لتدريس مهاراته، أو تنميتها، كدراسة كلّ من³ Holguin، و عرفان⁴، والعجارمة⁵، و⁶ Zuheer.

على الرّغم من أنّ اللّغة العربيّة تحتل مكانة عالية في قلب الشّعب الماليزي المسلم؛ حيث إنّ هنالك علاقات وثيقة بينها وبين لغة الملايو لفترة طويلة، إلّا أنّ استخدامهما لدى الشّعب الماليزي قليل جدّاً حتى في مجال تعليم الدّراسات الإسلاميّة وتعلّمها في المؤسسات التّعليميّة⁷.

وقد أشار إسحاق إلى أنّه من الملاحظ في عمليات التّعليم بالمدارس الثّانويّة الدّينية بهنّاج أنّها لا تزال تعاني من مشكلات عديدة، وأبرزها: التّركيز الشّديد أثناء عمليّة التّعليم على مهارة الكتابة، وإهمام مهارة التّحدّث باللّغة العربيّة، ممّا أدّى إلى

¹ وان أحمد، وان أزورا؛ وأحمد حسين، نصر الدّين إبراهيم؛ ومحمد زين العابدين، أحمد فاز الله. (٢٠١١م). تنمية الثروة اللّغويّة والثّقة بالنفس لدى الطّلبة الماليزيين في ضوء تدريس علم البديع من القرآن الكريم. بحث مقدّم في المؤتمر الدولي لتعليم اللّغة العربيّة: آفاق وتحديات ماليزيا والصّين. كلية اللّغة العربيّة، جامعة الدّراسات الأجنبيّة ببيكين: الصّين. ص ٨٤٧.

² عطية، جمال سليمان؛ وأبولين، وجيه المرسي. (٢٠١٢م). برنامج قائم على المدخل التّفواضي في تنمية مهارات التّعبير الشّفوي لدى تلاميذ المرحلة المتوسطة بالمدينة المنورة. مجلة كلية التربية (جامعة بنها) - مصر، مج ٢٣، ع ٩١، ص ٣٩٥-٤٣٦.

³ Holguin, C. (1997). "A study of cooperative learning as an organizational design in the acquisition of a second language in third grade bilingual classroom", Diss. Abs. Int., New Mexico State University, P. 366.

⁴ عرفان، خالد. (٢٠٠١م). أثر التفاعل بين طريقة التّعليم ونمط الاختبار على مستوى الأداء اللغوي الشّفهي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر.

⁵ العجارمة، أحمد موسى. (٢٠٠٦م). فاعليّة استراتيجيّتي التّعلم التعاوني والعصف الذّهني في اكتساب مهارات التّعبير الشّفوي والاتّجاه نحوه لدى طلبة الصّف العاشر الأساسي في الأردن. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عمان العربيّة للدّراسات العليا، الأردن. ص ٢٠.

⁶ Zuheer, K. (2008). The effect of using a program based on cooperative learning strategy on developing some oral communication skills of student at English department. Retrieved Dec 21, 2009, from: <http://www.eric.ed.gov/PDFS/ED502845.pdf>.

⁷ إسحاق، أمير الدّين. (٢٠١١م). فاعليّة استراتيجيات الاتّصال في الدّورة المكثفة للغة العربيّة: بحث خاص. بحث مقدّم في المؤتمر الدولي لتعليم اللّغة العربيّة: آفاق وتحديات ماليزيا والصّين. كلية اللّغة العربيّة، جامعة الدّراسات الأجنبيّة ببيكين: الصّين. ص ٦٥.

ضعف التّواصل، والتّفاعل باللّغة العربيّة بين المعلّمين والطلّبة باستخدام لغة الملايو، وأدّى ذلك إلى ضعف الطّلبة في مهارة التّحدّث باللّغة العربيّة، ولا تختلف حال بقية المدارس الماليزية، فالجامعات عن تلك إلا في التّفصيل¹.

وتوصل عبد الله في دراسته إلى أنّ الطّلبة الماليزيين يعانون من ضعف شديد في ممارسة اللّغة العربيّة شفويّاً؛ لذا فقد أوصى بإعطائهم فرصة كافية لتطوير مهاراتهم الكلامية داخل القاعة الدّراسية وخارجها².

ولقد ناشدت بنت عبد الرحمن المعلّمين في ماليزيا بأن يكونوا مثلاً أعلى للطلّبة في استخدام اللّغة العربيّة شفويّاً، مشيرةً إلى أنّ الطّلبة لا يستطيعون أن يقرّوا ألسنتهم على لسان عربي صحيح؛ لعدم اعتيادهم الاستماع إلى النّطق الصّحيح، والفصح لهذّة اللّغة؛ ولذا فقد أوصت المدرّسين باستخدام اللّغة العربيّة أثناء عمليات التّدريس استخداماً صحیحاً، وفصيحاً مع مراعاة النّبر، والتّنغيم، وبصوت واضح، مؤكّدة أنّ ذلك يساعد الطّلبة على الامتثال المباشر بالاستماع، ثمّ المحاكاة، ثمّ الحفظ، ثمّ الإلقاء التلقائي³.

مشكلة البحث:

إنّ مهارة التّعبير الشّفوي نمط من أنماط النّشاط اللّغوي، فالطلّبة بأمس الحاجة إليها؛ لأنّها أداة تكسيهم المعرفة، وتعيّنهم على تحقيق حاجاتهم، وقد أوضح Holguin أهمية التّعبير الشّفوي في تنمية معارف الطّلبة، وتزويدهم بأفكار ملائمة لمستواهم العقلي، وتساعد على تحديد مشكلاتهم الاتصالية ومعالجتها، وتدريبهم على استخدام المفردات، والتراكيب استخداماً صحیحاً بوضعها فيما يناسبها من سياق الكلام، ومقتضى الحال⁴.

على الرّغم من أهمية التّعبير الشّفوي لدى المتعلّمين، ودوره في تنمية المهارات اللّغوية الأخرى، وأثره في تشكيل قدراتهم العقلية، إلّا أنّ الملاحظ لواقع أكثر الطّلبة الماليزيين الذين في تخصصات إسلامية بالذّات، يجد فيهم ضعفاً شديداً عند ممارستهم مهارة التّعبير الشّفوي باللّغة العربيّة مقارنة بمهارة القراءة، والكتابة؛ لذا فقد أوصت بنت عبد الرحمن بالتركيز على مهارة التّحدّث عند تعليم المتعلّمين الماليزيين اللّغة العربيّة باستخدام أساليب واستراتيجيات تدريسية مختلفة، ويتطلب ذلك من المسؤولين عن تعليم اللّغة العربيّة بذل المزيد من الاهتمام بمهارة التّحدّث، وتنميتها لدى الطّلبة عبر مواقف حيّة؛ ليصبحوا قادرين على التّعبير عن آرائهم، وأفكارهم باللّغة العربيّة الفصحى⁵.

ويستنتج الباحثان ممّا سبق أنّ هناك حاجة ملّحة إلى اقتراح استراتيجية تعليمية مناسبة؛ للإفادة منها في تنمية مهارات التّعبير الشّفوي لدى الطّلبة الماليزيين، وعلى ذلك يمكن تحديد مشكلة البحث في الإجابة عن السّؤال التّالي: "ما الاستراتيجية المقترحة لتنمية مهارات التّعبير الشّفوي باللّغة العربيّة لدى الطّلبة الماليزيين؟"

¹ إسحاق، أمير الدّين. (٢٠١١م). المرجع السابق، ص ٦٧.

² عبد الله عبد الله، محمد بخير الحاج. (٢٠١٢م، فبراير). الضعف اللّغوي لدى متعلّمي اللّغة العربيّة بجامعة الإنسانيّة: أسبابه وعلاجه. مجلة الدراسات اللّغوية والأدبية. الجامعة الإسلاميّة العالمية بماليزيا. (عدد خاص)، ص ٢٦٩-٢٨٥.

³ بنت عبد الرحمن، أسماء. (٢٠٠٩م). طرق تدريس اللّغة العربيّة المثلّي وجودة التعليم: تجربة ماليزيا. المؤتمر الدولي السابع (التعليم في مطلع الألفية الثالثة: الجودة-الإتاحة-التعلم مدى الحياة)-مصر، مج ١، القاهرة: جامعة القاهرة. معهد الدراسات التربوية، ص ٥٩٤-٦٢٨.

⁴ Holguin, C. (1997). «مرجع سابق. P. 366.

⁵ بنت عبد الرحمن، أسماء. (٢٠٠٩م). مرجع سابق، ص ٥٩٤.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى اقتراح استراتيجية تدريبية؛ لتنمية مهارات التعبير الشفوي باللغة العربية لدى الطلبة الماليزيين الدارسين في كلية الدراسات الإسلامية المعاصرة بجامعة السلطان زين العابدين في ماليزيا.

أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث فيما يلي:

1. أهمية اللغة العربية ذاتها؛ إذ إنها لغة تجمع بين أبناء الأمة الإسلامية في وعاء لغوي واحد.
2. يكشف هذا البحث أهمية تنمية مهارات التعبير الشفوي، ودورها في تنمية المهارات اللغوية الأخرى.
3. يقترح هذا البحث استراتيجية تعليمية يمكن أن تسهم في تنمية مهارات التعبير الشفوي لدى الطلبة الماليزيين.
4. تمكن عدد من الباحثين لإجراء بحوث أخرى حول موضوعات مرتبطة بتنمية المهارات اللغوية الأخرى.

حدود البحث:

يقصر هذا البحث على الحدود التالية:

- الحدود الموضوعية: اقتراح استراتيجية لتنمية مهارات التعبير الشفوي باللغة العربية لدى الطلبة الماليزيين.
- الحدود المكانية: اقتصر هذا البحث على كلية الدراسات الإسلامية المعاصرة بجامعة السلطان زين العابدين في ماليزيا.
- الحدود الزمنية: أُعد هذا البحث في الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (٢٠١٥م-٢٠١٥م).

منهجية البحث

لتحقيق أهداف البحث استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، معتمدين على البحوث والدراسات العلمية التي تناولت تنمية المهارات اللغوية عامة، ومهارات التعبير الشفوي خاصة.

مصطلحات البحث:

الاستراتيجية: عرّفها جابر، والشيخ، وزاهر بأنها "مجموعة من الخطوات، والممارسات التي يتبناها المعلم داخل الفصل، بحيث تساعده على تحقيق أهداف المقرر، وتشتمل على عدة عناصر من بينها، التمهيد للدرس؛ ليثير دافعية الطلاب، وتحديد تتابع الأنشطة التعليمية، والوقت المخصص لكل منها، ونوع التفاعل الذي يمكن أن يحدث داخل الفصل، والطريقة التي يتبناها المعلم أثناء الدرس، وأساليب التقويم".^١

ويعرّفها الباحثان بأنها هي الأساليب والوسائل التي يتخذها مدرّسو كلية الدراسات الإسلامية المعاصرة بجامعة السلطان زين العابدين أثناء تدريسهم لموادهم التخصصية؛ لتنمية قدرة الطلبة الماليزيين على التعبير الشفوي باللغة العربية.

^١ جابر، عبد الحميد؛ والشيخ، سلمان؛ وزاهر، فوزي. (١٩٨٢م). مهارات التدريس. دار النهضة العربية. القاهرة. ص ١٤١.

التّسمية: عزّفتها فيليه، وعنده الزكيب أنّها "تعني انبثاق، ونموّ كلّ الإمكانيات، والطّاقات الكامنة في كيان معين بشكل كاملٍ وشاملٍ ومتوازن سواءً كان هذا الكيان هو فرد أو جماعة أو مجتمع".¹

ويعرّفها الباحثان بأنّها هي محاولة تفجير الإمكانيات الكامنة لدى الطّلبة المميزين للاستفادة منها بأكبر قدر ممكن.

المهارة: عزّفتها مصطفى بأنّها " القدرة على تنفيذ أمر ما بدرجة إتقان مقبولة، وتتحدّد درجة الإتقان المقبولة تبعاً للمستوى التّعليمي للمتعلم، والمهارة أمر تراكمي تبدأ بمهارات بسيطة تبني عليها مهارات أخرى".²

ويعرّفها الباحثان بأنّها هي الأداء الشّفوي المعقد، والذي يقوم وفق خطوات محدّدة يؤدّيها المتعلّم، ويعتمد في أدائها على الخبرات السّابقة، والتّعلّم، والممارسة بهدف تحقيق هدف لغوي محدّد يمكن ملاحظته وقياسه.

التّعبير الشّفوي: هو الكلام الذي يعبر به المتحدّث عمّا في نفسه من أفكار، ومعان، وأحاسيس نحو موقف ما من خلال استخدام الصّوت المعبر، والنطق الصّحيح، واستخدام الإشارات؛ لتوضيح المعنى.³

ويعرفه الباحثان إجرائياً بأنّه هو قدرة الطّلبة المميزين على التّحدّث باللّغة العربية عمّا يجول في أذهانهم، وخواطرهم من مشاعر، وأفكار شفويّاً، مصوّغاً بأسلوب سليم في اللفظ والمعنى.

أدبيات البحث والدراسات السّابقة:

أ. أهمية التّعبير الشّفوي:

أشار يونس إلى أنّ التّعبير الشّفوي والتّحريري، يمثلان الغاية الأسمى، والهدف الشّامل من دراسة أيّة اللّغة، انطلاقاً من مبدأ أنّ اللّغة عملية إنسانية اجتماعية، غايتها تحقيق التّواصل مع الآخرين، بيد أنّ التّعبير الشّفوي أسبق مهارات اللّغة في الوجود، وأكثرها استعمالاً في مواقف الحياة من التّعبير التّحريري؛ لذا فقد ظلّت اللّغة فترةً طويلةً من الزّمن تستخدم للتّواصل الشّفوي بين البشر، حدّدها بعض العلماء بحوالي أربع آلاف مليون سنة، أمّا التّواصل الكتابي، فلا يزيد عمره عن ستة آلاف سنة، وذلك حينما بدأ قدماء المصريين في ترجمة الصّور التي كانوا يستخدمونها على جدران المعابد، والأهرامات إلى رموز تكوّنت منها أبجدية اللّغة الهيروغليفية.⁴

والجدير بالذّكر أنّ التّعبير الشّفوي ازدادت أهميته في العصر الحاضر، وذلك لعوامل عديدة، أجملها يونس في خمسة عوامل جوهرية، يمكن إيجازها فيما يلي:

١. أهمية التّواصل الشّفوي داخل المؤسسات التربوية كضرورة من ضرورات التّعليم والتّعلم.

٢. الثّورة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات، وما أحدثته من تقارب، وتفاعل بين النّاس.

٣. اتجاه معظم شعوب العالم نحو الديمقراطيّة، وزيادة مساحة الحوار بين النّاس.

¹ فيليه، فاروق؛ وعنده الزكي، أحمد. (٢٠٠٤م). معجم مصطلحات التربية لفظاً واصطلاحاً. دار الوفاء. الإسكندرية، ص ١٣٤.

² مصطفى، عبد الله. (٢٠٠٢م). مهارات اللغة العربية. دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة: عمان، ص ٤٣.

³ عبد الله، عبد الحميد. (٢٠٠١م). تقويم مستويات الأداء في التعبير اللغوي لدى طلاب المرحلة الثّانوية. مجلة القراءة والمعرفة، جامعة عين شمس، ع (٩)، ص ٢٠٧-٢٢٤.

⁴ يونس، فتحي علي. (٢٠٠١م). استراتيجيات تعليم اللغة العربية في المرحلة الثّانوية. القاهرة، كلية التربية جامعة عين شمس. ص ١٨٣.

٤. شيوع اللّغة الشّفوية داخل المجتمعات الإنسانية، بحيث شكلت نسبة ٩٥% من التّواصل اللّغوي.

٥. عناية الدّين الإسلامي بالكلمة المنطوقة، والمسموعة، والشّواهد على ذلك كثيرة^١.

ب. مهارات التّعبير الشّفوي:

يقصد بمهارات التّعبير الشّفوي في المجال التّربوي قدرة المتعلّم على التحدّث في شتى المجالات، والمواقف الكلامية وفقاً لمستواه العلمي، والثّقافي، والاجتماعي وغيرها، على أن يكون حديثه بلغة عربية فصيحة، خالية من اللّحن، مراعية لمخارج الحروف، ومواضع الوقف والوصل، ممثلة للمعنى المراد باستغلال نبرات الصّوت حسبما يتطلب الموقف، مستخدماً لغة البدن بما تنضوي عليه من إشارات، وحركات، بحيث تعمل لغة المتعلّم على استثارة انتباه السّامع، وجذبه للحديث، وتفاعله من أجل إقناعه بفكرة معينة، أو اتجاه معين، أو رأي معين، أو تزويده بمعلومات جديدة^٢.

وعليه، فإنّ تحديد مهارات التّعبير الشّفوي في المجال التّعليمي أمر يحتاج إلى جهود علميّة، ودراسات ميدانية عديدة من أجل الوصول إلى قوائم بتلك المهارات تغطي مراحل التّعليم المختلفة، ثمّ يحتاج الأمر - من بعد ذلك - إلى دراسات أخرى لترجمة تلك المهارات الشّفويّة اللّغوية إلى مهارات تدريسيّة نوعيّة، تصمم في ضوءها برامج إعداد معلّمي اللّغة العربية في كليات التربية.

وقد أكّد Lindsa & Dockrell على أنّ مهارات التّعبير الشّفوي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بغيرها من المهارات اللّغوية كالاستماع، والقراءة، والكتابة، وتظهر بصورة متفاعلة متداخلة بين أركان الجسم اللّغوي، فكلّ مهارة تؤنّب بالأخرى، وفي الوقت ذاته تتأثر بها، بل بعضها يتطلب سابق لغيرها، فلا يتمّ الكلام دون استماع، ولا تتمّ القراءة دون كلام، ولا تتمّ الكتابة دون قراءة، وهكذا فهي عملية متشابكة معقدة تعمل فيها كلّ مهارة على تطوير بقية المهارات بشكل تفاعلي، ومن ثمّ تستمد هذه المهارة أهمّيّتها من أهمية اللّغة ذاتها، بل عدّها بعضهم أهمّها على الإطلاق، كونها المؤشر الحقيقي والمعيار الصّادق على ما لدى الفرد من مهارات لغوية، وما يمتلكه من أفكار، فضلاً عن أنّها وسيلة في الإقناع، والإفهام، فهي بذلك كلّها النّشاط اللّغوي الذي يتيح للفرد فرصة التّواصل مع الآخرين لتلبية رغباته الدّهنية، واللّغوية في إيصال ما يريد، والوصول إلى مبتغاه^٣.

وأما يونس فقد أشار إلى أنّ "النّمو اللّغوي يؤثّر في النّمو الفكري، وبمقدار نموّ اللّغة لدى الفرد تنمو عملية التّفكير لديه، وذلك بما يتضمنه التّعبير لديه من تخير للألفاظ، وانتقاء التّراكيب، وترتيب الأفكار، وحسن الصّيغة، وتنسيق الأسلوب، واختيار الأدلة، والبراهين كما أنّ كفاءة الطّالب في التّعبير تحدّد قوة تفكيره، والتّفكير، والتّعبير عمليتان لا يمكن فصلهما"^٤.

^١ يونس، فتحي علي. (٢٠٠١م). المرجع السابق. ص ١٨٦-١٩٣.

^٢ الثنيان، هند عبد الله. (٢٠٠٧م). فاعلية برنامج مقترح لتنمية مهارات تدريس التعبير الشفوي لدى طالبات قسم اللغة العربية بكليات التربية للبنات، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات الأقسام الأدبية بالرياض. ص ٥٢.

^٣Lindsa, G; Dockrell, J. (2002). Meeting the Needs of Children with Speech and Communication Needs: A Critical Perspective on Inclusion and Collaboration. Child Language Teaching and Therapy, 18 (2), p. 91-101.

^٤ يونس، فتحي علي. (١٩٩٧م). تعليم اللّغة العربية للمبتدئين. (الصغار والكبار). مطبعة الكتاب الحديث. القاهرة: مصر. ص ٣٤.

ج. تنمية مهارات التعبير الشفوي:

تهدف تنمية مهارات التعبير الشفوي إلى تمكين الطلبة من المهارات السابقة، للتحدث بلغة سليمة، ومفهومة بعيدة عن الغموض، والتعقيد، وأن يكون الطالب قادرًا على التحدث بجرأة وطلاقة عن موضوعات، وفي مواقف متصلة بحياته نابعة من أحاسيسه، وتلبي رغباته، واحتياجاته.

إذا كانت لتنمية مهارات التعبير الشفوي هذا الهدف العالي الشأن، فإنه ينبغي أن تكون العناية بها على قدر هذا الهدف، وتدريب الطلبة على ممارستها، وتعرضهم لمواقف حقيقية لتنميتها، وهذا يتطلب جهدًا كبيرًا وعناءً في التطبيق؛ لذا يجب على المعلم أن يدرك أهمية التعبير الشفوي في الحياة، وأهمية إكساب الطلبة للمهارات الفرعية المرتبطة به، سواءً أكان ذلك من حيث الكيفية، وعمليات تقليد الأداء الصوتي التي يجب أن يمارسها المتكلم قبل التكلم وأثنائه، أم من حيث الناتج وهو اللغة الشفوية المنتجة حول موضوع التحدث ومستواها من حيث الكم، والنوع.

لذلك كله يعد امتلاك الطالب - ومن قبله المعلم - مهارات التعبير الشفوي أمرًا مهمًا، وإنجازًا لغويًا عظيمًا؛ لأنه يساهم في إيجاد الشخصية المتزنة، القادرة على التفكير فيما تقول، المؤثرة فيمن يستمع إليها، ولذلك فإن تحديد مهارات التعبير الشفوي لكل من المعلم والمتعلم يعد خطوة جوهرية في برنامج الإعداد، ومنهج التدريس؛ فمتى ما أتقن المعلم مهارات التعبير الشفوي استطاع أن يكسبها لطلابه، إذا ما استعان بالأساليب، والتقنيات اللازمة لذلك، وقبل هذا إذا ما استطاع ترجمة تلك المهارات اللغوية إلى مهارات تدريسية خاصة أو نوعية، وهذا أمر قد يصعب على أكثر المعلمين القيام به بمن فيهم معلم اللغة العربية، مهما أتي من كفاءة وخبرة، وحتى إن قام به، يظل عملاً فرديًا محدودًا قائمًا على خبرته الشخصية، لا يمكن تعميمه، أو الوثوق به¹.

د. استراتيجية التعلم التعاوني :

عرّف Johnson and Johnson استراتيجية التعلم التعاوني بأنها: "استراتيجية تدرستتضمن وجود مجموعة صغيرة من الطلاب يعملون سويًا بهدف تطوير الخبرة التعليمية لكل عضو فيها إلى أقصى حدٍ ممكن"².

وعرفها نوحًا بأنها "نوع من التعلم الذي يأخذ مكانه في حجرة الدراسة، حيث يعمل الطلاب سويًا في مجموعات صغيرة مختلفة، فيقسمون الأفكار، والمهارات فيما بينهم، ويعملون بطريقة تعاونية تجاه إنجاز مهام أكاديمية مشتركة ومحددة"³.

وتعد هذه الاستراتيجية من أهم استراتيجيات التدريس التي زاد الاهتمام بها في السنوات الأخيرة، مع العلم أنّ فكرة التعاون في العمل ليست حديثة؛ إذ حث القرآن الكريم على التعاون في البرّ، قال تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ). سورة المائدة، الآية (٢). وكما تُفهم أهمية التعاون من قول النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه". رواه مسلم.

¹ الخليفة، حسن جعفر. (٢٠١١م). مهارات تدريس التعبير الشفوي للطلاب المعلمين وطلاب الدبلوم التربوي المتخصص في اللغة العربية بكلية التربية جامعة الملك عبد العزيز: دراسة تقويمية مقارنة. مجلة القراءة والمعرفة - مصر، ع ١٢٢، ص ١٩-٧٤.

² Johnson, D, and Johnson, D. W. (1992). Implementing Cooperative Learning, in Contemporary Education, Vol. 63 – P16.

³ نوح، محمد مسعد. (١٩٩٣م). دراسة تجريبية لأثر التعلم التعاوني في تحصيل الصف الثاني الإعدادي للمهارات الجبرية. المجلة التربوية. كلية التربية: جامعة الكويت، مج ٧، ع ٢٧، ص ٤١.

وقد أشار Antil إلى أنّ هذه الاستراتيجيات يمكن استخدامها في تدريس الموضوعات الدراسيّة، وفي مختلف المستويات التعليميّة، فيعمل الطلبة مع بعضهم بعضاً¹، وأكد نوافلة على أنّ هذه الاستراتيجيات تخدم المتعلّمين كمصدر لتعليم بعضهم بعضاً، وتعتمد على أنّ كلّ مجموعة تزوّد الأخرى بالمعلومات، فضلاً عن تكوين علاقات اجتماعية فيما بينهم².

وأفادت الرفاعي أنّ التعلّم التعاوني يستند إلى نظريات تعليمية متعددة، فنظرية التعلّم الاجتماعي، ونظرية التعلّم المعرفي، ونظرية التعلّم السلوكي، جميعها عبارة عن منظور نظري ذو أبعاد متنوّعة نسبية، تقود البحث العلمي في التعلّم التعاوني، فالتعلّم التعاوني يعتمد على التعلّم الاجتماعي؛ حيث إنّ العمل في مجموعة عبارة عن عمل ديناميكي ذوي تفاعل مستمر، ومشاركة متنوّعة، ونظرية التعلّم المعرفي لها نصيب في التعلّم التعاوني؛ حيث إنّ بياجيه اعتقد أنّ اكتساب القيم، واللّغة، والقوانين، والنّظم، والأخلاق يتمّ من خلال التفاعل مع الآخرين، مؤكّداً أنّ التعلّم، والتّطور عند الفرد ينتجان عن التّعاون الجماعي مع الأقران؛ إذ يعمل الطالب أثناء التفاعل ضمن المجموعة كموصل، ومستلم للتعليمات، والمعلومات، وهذا التفاعل يودّي إلى تنمية مهارات الاستماع، والتواصل، ممّا يساعد على غرس المهارات اللّازمة؛ لبناء الفرد. وتشترك هذه الاستراتيجيات مع نظرية التعلّم السلوكي كذلك في تأكيدها على أهمية المكافأة، والتّعزيز؛ إذ تفترض نظرية التعلّم السلوكي أنّ العمل المصحوب بمكافأة سوف يتكرر³.

ويؤدّي المعلّم في هذه الاستراتيجيات دوراً نشطاً، ومهمّاً لنجاحها، لهذا تجد أنّ هناك مهمات عليه القيام بها، منها: تحديد الأهداف المراد تحقيقها مسبقاً، وتوزيع الطلبة في المجموعات، وتنظيم البيئة التعليميّة، وطرح الأسئلة، وتقديم التّغذية الراجعة، والتّوجيهات الإرشادية، والمكافآت اللّازمة. وفي هذه الاستراتيجيات يعمل المعلّم على جعل مفهوم العمل في مجموعات مهارة حياتية ذات قيمة لدى الطلبة⁴.

وقد أظهرت دراسات عديدة فعّالية هذه الاستراتيجيات في تنمية مهارات التعبير الشّفوي لدى المتعلّمين، ومن أبرزها: دراسة كلّ من Holguin التي هدفت إلى معرفة أثر استخدام استراتيجيات التعلّم التعاوني في زيادة الكفاءة في اللّغة الشّفوية، وتنمية المهارات الاجتماعية، وتقدير الذات لدى تلاميذ الصّف الثالث الابتدائي⁵. ودراسة عرفان التي سعت إلى معرفة أثر استخدام استراتيجيات الألعاب التعاونية، والطريقة الوظيفية في تنمية مهارات الأداء اللّغوي الشّفوي لدى تلاميذ الصّف الخامس الابتدائي وكان من أهمّ نتائج الدراسة، تفوّق طريقة الألعاب التعاونية على الطريقتين الوظيفية والتقليدية، في تنمية مهارات الأداء اللّغوي الشّفوي⁶. ودراسة العجارمة التي هدفت إلى معرفة فعّالية استراتيجيات التعلّم التعاوني والعصف الذّهني في اكتساب مهارات التعبير الشّفوي، والاتجاه نحوه لدى طلبة الصّف العاشر الأساسي في الأردن⁷. ودراسة Zuheer التي سعت

¹Antil, L. Jenkins, J.; Wayne, S. & Vadasy, P.F. (1998). Cooperative Learning: Prevalence, Conceptualizations, and the Relation between Research and Practice. American Educational Research Journal, V. 35, P419.

²نوافلة، محمد. (٢٠٠٠م). أثر استخدام طريقة التعلّم والتعليم التعاوني في التّحصيل ومفهوم الذات العلمي لدى طلاب الصف الثامن الأساسي. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة اليرموك. إربد-الأردن (ملخص الدراسة ص ك).

³الرفاعي، عالية علي. (٢٠٠٧م). أثر استخدام استراتيجيات التعلّم التعاوني في تحصيل الطلبة الصم في الرياضيات وتفاعلاتهم الاجتماعية. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية: الجامعة الأردنية. الأردن. ص ٣٩.

⁴الذيابلت، محمد. (٢٠٠٢م). أثر طريقة التعلّم التعاوني في تنمية مهارات القراءة الإبداعية عند طلبة الصف العاشر الأساسي. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة اليرموك. الأردن. ص ٤٨.

⁵Holguin, C. (1997). "مرجع سابق" P. 366.

⁶عرفان، خالد. (٢٠٠١م). مرجع سابق، ص ١٣٣.

⁷العجارمة، أحمد موسى. (٢٠٠٦م). مرجع سابق، ص ٧٥.

إلى معرفة أثر استخدام برنامج قائم على استراتيجية التّعلم التّعاوني في تطوير بعض مهارات الاتّصال الشّفوي لطلبة دائرة اللّغة الانجليزية في كلية التربية بجامعة صنعاء¹.

نتائج البحث وتوصياته ومقترحاته:

للإجابة عن سؤال البحث، وحقوا: "ما الاستراتيجية المقترحة لتنمية مهارات التّعبير الشّفوي باللّغة العربية لدى الطّلبة الماليزيين؟"

أطلع الباحثان على العديد من البحوث والدّراسات العلمية ذات العلاقة باستراتيجيات تنمية المهارات اللّغوية عامة، ومهارات التّعبير الشّفوي خاصة؛ وذلك للتّعرف على استراتيجية تدريسية مناسبة لتنمية مهارات التّعبير الشّفوي باللّغة العربية لدى الطّلبة الماليزيين.

وبعد دراسة تحليلية مستفيضة توصل الباحثان إلى أنّ استراتيجية التّعلم التّعاوني استراتيجية مناسبة لتنمية مهارات التّعبير الشّفوي باللّغة العربية لدى الطّلبة الماليزيين؛ وذلك نظرًا إلى ما سبق في أدبيات البحث، وبناءً على نتائج بحوث ودراسات علمية عديدة؛ إذ أظهرت نتائجها التجريبية فعالية هذه الاستراتيجية لتنمية مثل هذه المهارة اللّغوية، وبالذّات مهارات التّعبير الشّفوي باللّغة الأجنبية أو الثّانية، ومن تلك البحوث والدّراسات دراسة كلّ من (Holguin, 1997)، وعرّفان (٢٠٠٦م)، ودراسة العجارمة (٢٠٠٦م)، ودراسة (Zuheer, 2008).

ويعزو الباحثان أسباب فعاليتها في تنمية مهارات التّعبير الشّفوي لدى الطّلبة أنّها استراتيجية تقوم على تجزئة المهارة الكلّية إلى مهارات جزئية؛ حيث إنّ الطّلبة يتعاملون مع مهارة جزئية بسيطة، ثمّ ينتقلون إلى مهارة جزئية أخرى وصولاً لتحقيق المهارة الكلّية، وهذا يسهّل عليهم فهم المهارة، وإتقانها، وقد أشار إلى ذلك Holguin، وبالذّات إذا كانت الأنشطة التّدرسية مرتبطة بواقع حياة الطّلبة، أو بما يشاهدونها، وهو ما يجعل لتلك الأنشطة معنى لديهم؛ فيشاركون فيها بجدّ وفعالية؛ إذ تستجيب لحاجاتهم الحقيقيّة فيرغبون في تعلّمها، وإتقانها².

ويضاف إلى ذلك أنّ هذه الاستراتيجية تتيح للطّلبة أكبر فرص للتّفاعل اللفظي، ولعلّ ذلك من أهمّ أسباب فعّاليتها لتنمية مهارات التّعبير الشّفوي؛ لأنّ الطّلبة في المجموعة الواحدة يستمعون إلى بعضهم بعضاً، ويتشاورون في كيفية الإجابة عن الأنشطة المطروحة، ثمّ يقوم كلّ طالب بالاستجابة شفوياً مستفيداً من زملائه الذين يتقنون تلك المهارة؛ ممّا تساعدهم على تنمية مهاراتهم الشّفوية؛ لأنّ للقدوة أثراً كبيراً في المحاكاة، والتّقليد.

وقد أكّد العجارمة في دراسته على أنّ ما تقوم عليه هذه الاستراتيجية من العناصر المهمّة، تؤثر في تشكيل مهارات التّحدث وتنميتها، كان من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى تحسن أداء الطّلبة الشّفوي؛ حيث يشعر كلّ طالب عند استخدام الاستراتيجية بأنّ عليه أن يعمل بجدّ ونشاط؛ لإنجاز المهمّات المطلوبة؛ الأمر الذي يتطلب منه أن يتفاعل مع الآخرين، ويتواصل معهم سواءً في المجموعة الواحدة أم في المجموعات الأخرى؛ لينفذ النّشاطات اللّغوية المطلوبة منه، ويزيد ذلك من فرص ممارسة المهارات اللّغوية الشّفوية موضع البحث والدّراسة؛ ممّا جعل الطّلبة أقدر على التّحدث؛ لأنّه كلّما زادت ممارسة الفرد للمهارة، زاد نموّها، وتحسنت لديه³.

1. Zuheer, K. (2008). مرجع سابق ١٥٥٠.

2. Holguin, C. (1997). «مرجع سابق» 366. P.

3. العجارمة، أحمد موسى. (٢٠٠٦م). مرجع سابق، ٧٨.

من خلال هذه الاستراتيجية يقوم المدرّس بتنظيم طلبته على هيئة مجموعات صغيرة من اثنين إلى ستة طلبة في كلّ مجموعة، وتقوم كلّ مجموعة بترشيح قائد لها، وتختار اسمًا مناسبًا لها كأسماء الصّحابة الكرام (رضوان الله عليهم أجمعين) للذكور، وأسماء الصّحابات (رضوان الله عليهن)، ويستحسن تسجيل أسماء المجموعات في مكان مناسب على السّبورة لتسجيل الدّرجات التي تحصل عليها كلّ مجموعة، وذلك من أجل العمل على تعزيز الطّلبة، وتشجيعهم على المشاركة، وكما يستطيع المدرّس من خلال هذه الاستراتيجية أن ينظّم أنشطة أو مهارات تعليمية مختلفة ككتابة أو قراءة نصّ، وحلّ الأسئلة التّابعة لها، وأن يصيغ ذلك على هيئة مسابقات تعليمية بين الطّلبة والتي من شأنها أن تزيد نسبة المتعة والتّشويق حيث يكون دور الأستاذ هو المساعد والمسّهل للعملية التّعليمية متنقلًا بين المجموعات التّعاونية لمساعدة الطّلبة الذين يحتاجون إلى المساعدة، ومراقبًا كيفية استيعابهم للنّشاط أو المهارة التي يؤدّونها، والتّركيز على الطّلبة الذين هم دون المستوى المطلوب في التّحصيل الدراسي، قادرًا على توفير التّغذية الرّاجعة المناسبة لكلّ مجموعة.

ويحسن الإشارة إلى أمر في منتهى الأهمية عند استخدام هذه الاستراتيجية لتنمية مهارات التّعبير الشّفوي لدى الطّلبة الماليزيين، يجب أن يلتزم المدرّسون باستخدام الطّريقة المباشرة في تعليم المواد التّخصصية، وذلك لأنّ عامل الاحتفاظ بعربية جوّ الدّروس في الفصول، أو قاعات التّعليم من أهمّ العوامل التي تساعد الطّلبة الأجنبيّة على معايشة جوّ اللّغة العربية، والتّأثر بخواص هذه اللّغة نطقًا، واستعمالًا في أرضية واقعيّة، ولهذا يجب أن تكون الطّريقة التي يقوم عليها تدريس مواد العلوم الإسلاميّة في كلية الدّراسات الإسلاميّة المعاصرة بجامعة السّلطان زين العابدين هي الطّريقة المباشرة بأن تكون لغة التّخاطب، والتّعليم بين المدرّس والطّلبة هي اللّغة العربيّة فقط دون الالتجاء إلى التّرجمة.

ومما سيساعد المدرّسين على استخدام الطّريقة المباشرة في تعليم المواد التّخصصية، أنّ جميع المقرّرات الدّراسية، والمصادر، والمراجع المعتمدة في الكلية مراجع عربيّة أصيلة، ولا شك أنّ ذلك قد يكون من أهمّ العوامل المساعدة على التّزامهم باستخدام الطّريقة المباشرة في التّعليم.

وتظهر قيمة هذه الطّريقة ماثلة أمام أعيننا؛ لأنّه كلّما طبّق المعلّم نظام الطّريقة المباشرة تكون النّتيجة اعتماد الطّالب الأجنبي (الماليزي) في الفهم، والمناقشة مع المدرّس على اللّغة العربيّة نفسها، فيستذكر الكلمات المحفوظة في ذاكرته، ويدرب نفسه على التقاط النّطق، والأصوات اللّغوية الصّحيحة مباشرة من فم المدرّس، وباستخدام هذه الطّريقة سيصبح الطّالب الماليزي الذي تعود لسانه على لغة الملايو أكثر تأثرًا وأشدّ اتّصالًا بخواص اللّغة العربيّة.

توصيات البحث:

وبناءً على نتائج البحث يوصي الباحثان بما يلي:

1. ضرورة الاهتمام بتنمية مهارات التّعبير الشّفوي باللّغة العربيّة لدى الطّلبة الماليزيين.
2. ضرورة استخدام استراتيجية التّعلم التّعاوني في تنمية مهارات التّعبير الشّفوي باللّغة العربيّة لدى الطّلبة الماليزيين.
3. ضرورة التزام المدرّسين بالطّريقة المباشرة في تعليم الطّلبة الماليزيين المواد التّخصصية.
4. تدريب مدرّسي الدّراسات الإسلاميّة على استخدام استراتيجية التّعلم التّعاوني لتنمية مهارات التّعبير الشّفوي باللّغة العربيّة لدى الطّلبة الماليزيين.

دراسات وبحوث أخرى مقترحة:

استكمالاً لهذا البحث يقترح الباحثان إجراء البحوث التالية:

١. بناء برنامج مقترح لتنمية مهارات التعبير الشفوي باللغة العربية لدى الطلبة المميزين.
٢. فعالية استراتيجية التعلم التعاوني في تنمية مهارات التعبير الشفوي والكتابي باللغة العربية لدى الطلبة المميزين.
٣. إجراء بحث؛ لمعرفة دور أساتذة الجامعات الماليزية في تنمية مهارات التعبير الشفوي باللغة العربية لدى الطلبة.

قائمة المراجع:

١. إسحاق، أمير الدين (٢٠١٠م)، فعالية استراتيجيات الاتصال في الدورة المكثفة للغة العربية: بحث خاص، بحث مقدّم في المؤتمر الدولي لتعليم اللغة العربية: آفاق وتحديات ماليزيا والصين، كلية اللغة العربية، جامعة الدراسات الأجنبية ببيكين: الصين.
٢. بنت عبد الرحمن، أسماء (٢٠٠٩م)، طرق تدريس اللغة العربية المثلى وجودة التعليم: تجربة ماليزيا، المؤتمر الدولي السابع (التعليم في مطلع الألفية الثالثة: الجودة-الإتاحة-التعلم مدى الحياة)-مصر، مج ١، القاهرة: جامعة القاهرة، معهد الدراسات التربوية؛ ٦٢٨٥٩.
٣. الثنيان، هند عبد الله (٢٠٠٩م)، فعالية برنامج مقترح لتنمية مهارات تدريس التعبير الشفوي لدى طالبات قسم اللغة العربية بكليات التربية للبنات، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات الأقسام الأدبية بالرياض.
٤. جابر، عبد الحميد؛ والشيخ، سلمان؛ وزاهر، فوزي (١٩٨٠م)، مهارات التدريس، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر.
٥. الخليفة، حسن جعفر (٢٠١٠م)، مهارات تدريس التعبير الشفوي اللازمة للطلاب المعلمين وطلاب الدبلوم التربوي المتخصص في اللغة العربية بكلية التربية جامعة الملك عبد العزيز: دراسة تقييمية مقارنة، مجلة القراءة والمعرفة - مصر، ١٢٤١٩١٢٤.
٦. الزيادات، محمد (٢٠٠٩م)، أثر طريقة التعلم التعاوني في تنمية مهارات القراءة الإبداعية عند طلبة الصف العاشر الأساسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن.
٧. الرفاعي، عالية علي (٢٠٠٩م)، أثر استخدام استراتيجية التعلم التعاوني في تحصيل الطلبة الصم في الرياضيات وتفاعلاتهم الاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية: الجامعة الأردنية، الأردن.
٨. عاشور، راتب؛ ومقداي، محمد فخري (٢٠٠٩م)، المهارات القرائية والكتابية، طرائق تدريسها واستراتيجيتها، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان: الأردن.
٩. عبد الله، عبد الحميد (٢٠٠٩م)، تقويم مستويات الأداء في التعبير اللغوي لدى طلاب المرحلة الثانوية، مجلة القراءة والمعرفة، جامعة عين شمس، ع (٩) ٢٠١٠: ٢٢-٥٢.
١٠. عبد الله، محمد بخير الحاج (٢٠٠٩م، فبراير)، الضعف اللغوي لدى متعلمي اللغة العربية بجامعة الإنسانية: أسبابه وعلاجه، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، (عدد خاص) ٢٨٥٦٩.
١١. العجارمة، أحمد موسى (٢٠٠٩م)، فعالية استراتيجيتي التعلم التعاوني والعصف الذهني في اكتساب مهارات التعبير الشفوي والاتجاه نحوه لدى طلبة الصف العاشر الأساسي في الأردن، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الدراسات التربوية العليا: جامعة عمان العربية للدراسات العليا، الأردن.

١٢. عرفان، خالد؛ (٢٠٠٩م)، أثر التفاعل بين طريقة التعليم ونمط الاختبار على مستوى الأداء اللغوي الشفهي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر.
١٣. عطية، جمال سليمان؛ وأبو لبن، وجيه المرسي؛ (٢٠٠٩م)، برنامج قائم على المدخل التفاوضي في تنمية مهارات التعبير الشفوي لدى تلاميذ المرحلة المتوسطة بالمدينة المنورة، مجلة كلية التربية (جامعة بنها)-مصر، مج٢٣، ع٣٩٥٩ - ٤٣٦.
١٤. فيليه، فاروق؛ وعبد الزكي، أحمد؛ (٢٠٠٩م)، معجم مصطلحات التربية لفظاً واصطلاحاً، دار الوفاء، الإسكندرية.
١٥. مصطفى، عبد الله؛ (٢٠٠٩م)، مهارات اللغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة: عمان.
١٦. نوافلة، محمد؛ (٢٠٠٩م)، أثر استخدام طريقة التعلم والتعلم التعاوني في التحصيل ومفهوم الذات العلمي لدى طلاب الصف الثامن الأساسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد-الأردن.
١٧. نوح، محمد مسعد؛ (١٩٩٣م)، دراسة تجريبية لأثر التعلم التعاوني في تحصيل الصف الثاني الإعدادي للمهارات الجبرية، المجلة التربوية، كلية التربية: جامعة الكويت، مج٧، ع١٢٣، ١٦٦١.
١٨. وان أحمد، وان أزورا؛ وأحمد حسين، نصر الدين إبراهيم؛ ومحمد زين العابدين، أحمد فاز الله؛ (٢٠٠٩م)، تنمية الثروة اللغوية والثقة بالنفس لدى الطلبة الماليزيين في ضوء تدريس علم البديع من القرآن الكريم، بحث مقدّم في المؤتمر الدولي لتعليم اللغة العربية: آفاق وتحديات ماليزيا والصين، كلية اللغة العربية، جامعة الدراسات الأجنبية ببيكين: الصين.
١٩. يونس، فتحي علي؛ (١٩٩٩م)، تعليم اللغة العربية للمبتدئين. (الصغار والكبار)، مطبعة الكتاب الحديث، القاهرة: مصر.
٢٠. يونس، فتحي علي؛ (٢٠٠٩م)، استراتيجيات تعليم اللغة العربية في المرحلة الثانوية، القاهرة، كلية التربية جامعة عين شمس.
21. Antil, L. jenkins, j.; Wayne, S. & Vadasy, P.F. (1998). Cooperative Learning: Prevalence, Conceptualizations, and the Relation between Research and Practice. American Educational Research journal, V. 35, P419.
22. Holguin, C. (1997). "A study of cooperative learning as an organizational design in the acquisition of a second language in third grade bilingual classroom", Diss. Abs. Int., New Mexico State University, P. 366.
23. Johnson, D, and Johnson, D. W. (1992). Implementing Cooperative Learning, in Contemporary Education, Vol. 63 – 3.
24. Lindsa, G; Dockrell, J. (2002). Meeting the Needs of Children with Speech and Communication Needs: A Critical Perspective on Inclusion and Collaboration. Child Language Teaching and Therapy, 18 (2), pp. 91-101.
25. Zuheer, K. (2008). The effect of using a program based on cooperative learning strategy on developing some oral communication skills of student at English department. Retrieved Dec 21, 2009, from: <http://www.eric.ed.gov/PDFS/ED502845.pdf>.

دور الأخصائي النفسي الاجتماعي في تحسين جودة العملية الاتصالية في المنظمات

أ.بوعطيط جلال الدين/جامعة ٢ أوق ١٩٥٥، سكيكدة، الجزائر

ملخص :

إن أدوار الأخصائي النفسي والاجتماعي في المنظمات متعددة، وتصب كل هذه الأدوار في تهيئة المناخ اللازم لعملية الإنتاج ، وتنمية العلاقات الإنسانية بين الفاعلين في التنظيم وباعتبار أن الاتصال التنظيمي ركيزة التنظيم في الإبقاء على سيرورة عملياته ووظائفه ، ومحور بناء العلاقات المهنية داخل التنظيم يجعل من الاهتمام بجودة هذه العملية الاتصالية وتشخيص معوقاتها احد أهم ادوار الأخصائي النفسي الاجتماعي في المنظمات على اعتبار أن فعالية العملية الاتصالية يضمن للتنظيم الاستمرارية والنمو.

الكلمات المفتاحية: أدوار الأخصائي النفسي الاجتماعي، العملية الاتصالية، المنظمات.

مقدمة:

إن علم النفس التنظيمي الذي هو من تطبيقات علم النفس قد اكتسح جميع الميادين الحيوية من مؤسسات إنتاجية وخدمية، حيث عمل على تطوير انساق العمل كما استطاع أن يجدد في أدواته وان ينوع في مجالات تدخلاته ومناهجه إلى درجة انه أصبح ينافس كثيرا من التخصصات مثل الإدارة العليا وغيرها. ومن هذا المنظور كان للأخصائي الاجتماعي النفسي دور هام في المنظمات بمختلف أشكالها وأهدافها من خلال تطبيقه لمناهج وتطبيقات علم النفس في تهيئة المناخ اللازم لعملية الإنتاج، وذلك بالعمل على إشباع الحاجات النفسية للفاعلين في التنظيم وحل مشكلاتهم، بالإضافة إلى تنمية العلاقات الإنسانية الجيدة داخل المنظمة بما يخدم في تحقيق الأهداف المسطرة من طرف التنظيم.

ومما يتفق عليه أن الاتصال التنظيمي داخل المنظمات يعد بمثابة قلب الحياة النابض في جسم المنظمة والرادار الذي يتحسس ما يدور خارج هذا الجسم التنظيمي من وقائع ومستجدات بهدف تحقيق التكيف السريع، والاستجابة الأولية اللازمة لحياة التنظيم جماعة و أفرادا. كما انه يسهم في بناء علاقات إنسانية جيدة من خلال المنظومة الاتصالية الناجعة التي تضمن صيرورة القرارات والمحافظة على تدفق وانسياب العمل.

وهذه العملية الاتصالية داخل التنظيم تواجه في غالب الأحوال العديد من العوائق التي تحد من فعاليتها وتؤدي إلى عدم تحقيق المنظمة لأهدافها المسطرة، وهنا يكون للأخصائي الاجتماعي النفسي دور هام وكبير من خلال تشخيصه للعملية الاتصالية ومحاولة الوصول إلى وضع آليات ناجعة تساعد على التقليل من تلك المعوقات أو الحد منها إلى حد ما، من خلال تطبيق أساليب وتقنيات ومناهج علم النفس بما يساعد على جودة العملية الاتصالية الناجحة داخل التنظيم، مما ينعكس إيجابا على تحقيق الأهداف المسطرة للمنظمة.

١ / مفهوم الاتصال التنظيمي: لقد اختلفت وتباينت الآراء والمفاهيم بشأن الوصول إلى مفهوم دقيق واضح وشامل للاتصال التنظيمي، إلا أن هناك إجماع شامل حول الإطار الضمني لمفهوم الاتصال . ويمكن أخذ بعض التعريفات:

- يعد الاتصال وسيلة هادفة من الوسائل الرئيسية التي تستخدمها المنظمة في تحقيق أهدافها إذ أن كافة الأفراد العاملين في المنظمة يتعاملون مع بعضهم من خلال وسائل الاتصال المختلفة من أجل تسيير كافة النشاطات المراد تحقيقها، إذ أن الاتصال بمثابة الوسيلة الاجتماعية التي يحقق من خلالها الأفراد سبل التفاهم والتفاعل البناء في إطار تحقيق الأهداف المبتغى إنجازها^١.

- كما يمكن تعريفه " هو ذلك الاتصال المتواجد في المؤسسة ، وينحدر من السلطات ويشارك في تسيير الأفراد ، بمعنى على التأثير على دافعية الأفراد والتماسك الاجتماعي للمؤسسة ، وتستعمل في هذه الاتصالات العديد من الوسائل كالسجلات الداخلية ولوائح الإعلانات"^٢. فالإتصال يعتبر من العوامل التوجيهية الهامة لأنه يشكل الجهاز العصبي لكل تنظيم أو إدارة. فمن خلاله تنقل جميع المعلومات من مختلف نقاط جهاز التنظيم أو الإدارة إلى مركز اتخاذ القرار وبواسطته أيضا تنقل جميع المعلومات إلى مراكز التنفيذ. ففعالية التنظيم والإدارة تتوقف بدرجة كبيرة على سلامة نظام الاتصالات الموجودة بها^٣. إذن يمكن أن نقول أن الاتصال التنظيمي هو نقل رسالة من شخص إلى آخر في المنظمة سواء يتم ذلك من خلال استخدام اللغة أو الإشارات أو المعاني بغية التأثير على السلوك.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الاتصال بين الأفراد والجماعات داخل المنظمات على درجة عالية من الأهمية، إذ أن الدراسات والأبحاث العلمية تشير إلى أن نشاط الاتصالات يشكل أكثر من ٧٥ بالمائة من أنشطة المنظمات، فهي بمثابة الدم الدافق بالحياة في شرايين المنظمة يضمن لها سبل الاستمرار والبقاء ضمن عالم المنظمات.

٢ / أهمية وأهداف الاتصال التنظيمي :

إن نجاح أي منظمة في تحقيق أهدافها يتوقف على نظام الاتصالات بها ، وهذا يعني أن الاتصالات التنظيمية لا ينبغي النظر إليها على أنها عملية مستقلة قائمة بذاتها ، وإنما عملية تعتمد عليها كافة العمليات الإدارية في المنظمة. حيث تعتبر الاتصالات وسيلة المديرين في إدارة أنشطتهم الإدارية ، وفي إدارة وتحقيق أهداف المنظمة وذلك على أن الاتصالات تساعد على...تحديد الأهداف الواجب تنفيذها وتعريف المشاكل وسبل علاجها وتقييم الأداء وإنتاجية العمل^٤. وبفضل الاتصالات التنظيمية يتمكن كل أفراد المنظمة الحصول على مختلف المعلومات والبيانات الخاصة بالمنظمة ، كما يساعد على " توضيح التغييرات والتجديدات والانجازات وتطوير الأفكار وتعديل الاتجاهات ، واستقصاء ردود الأفعال"^٥.

وحسب فضيل دليو يمكن استنتاج جدوى الاتصال الشامل من الإمكانيات التالية^٦:

١- خضير كاظم محمود: السلوك التنظيمي، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١، ٢٠٠٢: ص ١١٦.

٢ Alex muchielli: **les science de l'informations et de la communication** ,éditionHachette ,paris , 2001 : p 67.

٣- لو كيا الهاشي : السلوك التنظيمي ، الجزء الثاني ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، ٢٠٠٦: ص ٢٢٦.

٤- احمد ماهر: كيف ترفع مهاراتك الإدارية في الاتصال ، الدار الجامعية للنشر، الاسكندرية ، مصر، ٢٠٠٢: ص ٣١.

٥- هالة منصور: الاتصال الفعال مفاهيمه وأساليبه ومهاراته ، المكتبة الجامعية ، الأزاريطة، الإسكندرية ، مصر، ٢٠٠٠: ص ٥٤.

٦- فضيل دليو: اتصال المؤسسة ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣: ص ٣٢.

١- بواسطة المشاركة في القرارات يمكن لمختلف أطراف المؤسسة أن تحقق ذاتيتها بشكل متوازي مع تحقيق أهداف المؤسسة.

٢- الاتصال بالمحيط الاجتماعي الأوسع يجعل المؤسسة تتموقع في المكان المناسب لها مما يساعد على تحقيق أهدافها...

كما أن الاتصال يساهم في توفير الفرصة لإعلام الرؤساء بما تم انجازه أو بما لم يتم انجازه وبالمشكلات التي ظهرت في التنفيذ أو الانحرافات التي لم تكن في الحسبان وكيفية التغلب عليها ، وبذلك تتحدد أهمية الاتصال في تضيق الفجوة بين التخطيط والتنفيذ وتحقيق التفاعل الإنساني بين العاملين وزيادة التفاهم و التعاون بينهم^١. وفي هذا الصدد يورد صالح بن نوار جملة من الأهداف التي يسعى الاتصال إلى تحقيقها:^٢

١- تحقيق التنسيق بين الأفعال والتصرفات : يتم الاتصال بين تصرفات وأفعال أقسام المؤسسة المختلفة فبدون الاتصال تصبح المؤسسة عبارة عن مجموعة من الموظفين يعملون منفصلين بعضهم عن بعض لأداء مهام مستقلة عن بعضها البعض ، وبالتالي تفقد تصرفات التنسيق وتميل المؤسسة إلى تحقيق الأهداف الشخصية على أهدافها العامة.

٢- المشاركة في المعلومات : يساعد الاتصال على تبادل المعلومات الهامة لتحقيق أهداف التنظيم وتساعد هذه المعلومات بدورها على :

- توجيه سلوك الأفراد ناحية تحقيق الأهداف.

- توجيه الأفراد في أداء مهامهم وتعريفهم بالواجبات المطلوبة منهم.

- تعريف الأفراد بنتائج أداؤهم.

٣- اتخاذ القرارات : حيث يلعب الاتصال دورا كبيرا في اتخاذ القرارات ، فاتخاذ قرار معين يحتاج الموظفون إلى معلومات معينة لتحديد المشاكل وتقييم البدائل وتنفيذ القرارات وتقييم نتائجها.

٤- التعبير عن المشاعر الوجدانية : يساعد الاتصال الفاعلين أو العاملين على التعبير عن سعادتهم وأحزانهم ومخاوفهم وتقنمهم بالآخرين ، حيث يستطيع العامل إبداء رأيه في موقف دون حرج أو خوف.

٥- ويمكن إدراج هدف آخر للاتصال لا يقل أهمية عن سابقه والمتمثل في التقليل من الدور السلبي الذي تلعبه الإشاعة في الوسط العمالي ، فعندما تنتشر الإشاعة بشكل كبير يصبح مفعولها كارثيا بالنسبة إلى المنظمة ككل.

٣/ معوقات الاتصال التنظيمي: إن العملية الاتصالية داخل المنظمات تواجه العديد من العوائق والتي تحد من فعاليتها، وتؤدي بالمنظمة في غالب الأحيان إلى عدم تحقيق أهدافها المسطرة ، ومن هذه المعوقات نجد: معوقات نفسية ، اجتماعية ثقافية، تنظيمية.

١- محمد منير حجاب ، سحر محمد وهي : المداخل الأساسية للعلاقات العامة ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٥ : ص ص ٢٧-٢٨.

٢- صالح بن نوار: الاتصال الفعال والعلاقات الإنسانية ، مجلة دراسات ، العدد الثاني والعشرين ، ٢٠٠٤ : ص ص ١٢٠-١٢١.

١٣ / المعوقات النفسية: وهي تتعلق بالعناصر الإنسانية في عملية الاتصال المتمثلة في المرسل والمستقبل ، وحدث الأثر العكسي بسبب الفروق الفردية مما يجعل الأفراد يختلفون في أحكامهم على الأشياء وبالتالي فهمهم لعملية الاتصال ، وأهم هذه العوائق مايلي:

* تباين الإدراك: إدراك المرسل للمعلومات التي يرسلها وبالتالي اختلاف إدراك وفهم الآخرين لها وعدم انتباه مستقبل الرسالة إلى محتوياتها أو إدراكه الصحيح لها ، وبالتالي يؤثر تباين الإدراك نتيجة اختلاف الفروق الفردية والبيئية إلى اختلاف المعاني التي يعطونها للأشياء ، كما أن الكلمات المتضمنة في الرسالة قد تكون لها دلالات ومعاني مختلفة لكل شخص عن الآخر.

وتكمن أسباب الإدراك المشوش للمرسل إليه في:

أ- تأثير التوقعات والحاجات والخبرات السابقة للمرسل إليه على إدراكه لمقومات الرسالة.

ب- مدى تناسب المثبرات التي تحتوي عليها الرسالة مع درجة ومستوى وعي المرسل إليه.

ج- مدى بساطة محتوى الرسالة وانتظامها.

د- درجة الخبرة في محتويات الرسالة حيث يصعب تفهم الرسائل ذات المحتويات غير المألوفة من جانب المرسل إليه^١.

* الإدراك الانتقائي : يميل الفرد للاستماع إلى ما يتناسب مع معتقداته وأفكاره وأرائه والعمل على إعاقة المعلومات التي تتعارض مع ما يؤمن به من قيم واتجاهات وآراء وأفكار.

* الانطواء:

- عدم مخالطة الآخرين أو تبادل المعلومات معهم.

- تشويه وترشيح المعلومات مما يؤدي إلى انحراف العمل عن تحقيق أهدافه^٢.

* اللغة : هي وسيلة اتصال يتم نقل المعلومة أو الفكرة من خلالها ، أما شفاهة أو كتابة ، إلا أن اللغة قد تتحول إلى عقبة أمام الاتصال في حالة اختلاف مستوى التعليم والثقافة مما يؤدي إلى عدم فهم الكلمات والألفاظ المتبادلة بين الطرفين ، فيفسرها كل طرف حسب فهمه الخاص كما أن عامل التخصص قد يشكل صعوبة في الاتصال ، إذ أن اتصال الأطباء فيما بينهم يتم بسهولة ويسر ، لكن الصورة تختلف عند اتصالهم بالمهندسين ورجال القانون.. كل مهنة من هذه المهن تستعمل لغة ومصطلحات علمية وفنية وقانونية خاصة بها. وبطبيعة الحال فإن مشكلة اللغة تظهر أكثر في الاتصالات المكتوبة. أما الاتصالات الشفهية فإن الفرص تبقى متاحة لتوضيح المعاني والاستفسار عن مدلول الألفاظ والكلمات^٣.

* الانفعالات: إن الحالة الانفعالية لكل من مرسل المعلومات ومتلقيها ستحدد ما إذا كانت المعاني الصحيحة هي التي يتم تبادلها أو هناك حاجزا انفعاليا بينهما يمنع من تحقيق هذه النتيجة.

١- محمد يسرى إبراهيم دعبس: الاتصال والسلوك الإنساني ، سلسلة ١٨ ، البيطاش سنتر للنشر والتوزيع ، مصر ١٩٩٩: ص ٣٠٧.

٢- محمود سلمان العميان: السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال ، دار وائل للنشر، عمان ،الأردن ، ط٣ ، ٢٠٠٥: ص ٢٤١.

٣- طارق المجذوب: الإدارة العامة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت، ٢٠٠٠: ص ٥٢٢.

* الاختلافات الوراثية: إن المقصود بالاختلافات الوراثية هي تحديد منبت كل مرسل المعلومات ومثلها ومعرفة ما إذا كان أصلها متجانسا نسبيا وإلا تعذر عليها نقل المطلوب والمعروف أن مركز الإنسان في الحياة يتشكل بقوة أفكاره واتجاهه¹.

* تنقية وغرلة المعلومات: تحدث عادة بالنسبة للاتصالات الصاعدة ، وتشير إلى استبعاد أو تعديل بعض المعلومات موضع الرسالة لتحقيق ايجابياتها أو زيادة قيمتها من منظور المستقبل ، فالمرؤوس قد يخفي أو يعدل معلومات غير مفضلة في الرسائل الموجهة إلى رؤسائهم ، ويمكن اللجوء لتنقية المعلومات المرسله للإدارة العليا كونها الأساس في ممارسة الرقابة. فالإدارة تحدد مستويات جدارتهم تمنح الزيادات والحوافز وتقوم بترقية الأفراد في ضوء ما تتلقاه من قنوات الاتصال الصاعد. إن الميل للتنقية يتم تقريبا في كافة المستويات الإدارية².

* التجريد : عملية التجريد يعني إهمال التفاصيل ، بحيث يقتصر الاتصال على الحقائق كما يدرك بها وليس كما هي موجودة³.

٢٣ / معوقات اجتماعية ثقافية: ويرجع هذا النوع من المعوقات إلى التنشئة الاجتماعية للأفراد والبيئة التي يعيش فيها الشخص سواء كانت داخل التنظيم أو خارجه، ويتضمن القيم والمعايير والمعتقدات التي تشكل حاجزا أمام تحقيق الأهداف المرجوة والمنتظرة من طرف التنظيم. ويمكن توضيح هذه العوائق فيما يلي:

* التباعد الاجتماعي: ويقصد به الاختلاف في البيئة الاجتماعية للفاعلين أي أن أطراف الاتصال ينتمون إلى مناطق مختلفة ، وتشتمل هاته النقطة على الفوارق اللغوية والعرقية والدينية والفكرية... حيث يعتبر هذا العامل من أكثر الحواجز شيوعا أمام الاتصال التنظيمي ذا الحجم الكبير ، إذ تتعدد الاتصالات فيه. وعليه فالمنظمات التي يتشكل مجتمعا من فاعلين ينتمون إلى مناطق مختلفة تجد صعوبات كبيرة وحواجز عديدة من أجل التنسيق فيما بينهم ووضع برامج وقواعد اتصالية. ويعتبر هذا العائق من ابرز العوامل المساهمة في بروز الصراع بين الفاعلين داخل التنظيم.

* الاختلافات الثقافية: إن التمايز والتباين بين الثقافات بين الفاعلين ينتج عنه اختلاف في اللغة المستعملة ومنه يكون الترميز فيما بينهم مختلف وهذا ما يجعل العملية الاتصالية تتسم بالصعوبة ، فاللغة ليست الكلمات نفسها وإنما مدلولات تلك الكلمات ، فالمعاني هي من الممتلكات الخاصة بالفاعل فهو يستخرجها في ضوء خبراته وعاداته وتقاليده المتواجدة في المجتمع والبيئة الثقافية التي يعيش فيها⁴. ومنه فالعامل الثقافي له دور كبير وهام في تحقيق فعالية الاتصال داخل التنظيم ، حيث أن التنظيم عبارة عن مجموعة من الفاعلين فمحاولة التقريب بينهم وفهم خلفياتهم وثقافتهم يساهم في عملية تشكيل جماعات وفرق العمل وذلك لتفادي الانفعالات العدائية بين العناصر المختلفة من الجانب الثقافي.

٣٣ / المعوقات التنظيمية: يوضح الهيكل التنظيمي للتنظيم العلاقات بين الوظائف المختلفة وانسياب السلطة والمسؤولية ، وخطوط الاتصال بين العاملين فيها تبين مراكز اتخاذ القرارات والتخصصات المتوفرة وطبيعة العمل وطرق تقسيمه ، لذا فوجود هيكل ضعيف يسبب عائقا كبيرا في عملية الاتصال الفعال. ويمكن تقسيم هذا النوع من العوائق فيما يلي:

١- عبد الغفور يونس: تنظيم وإدارة الأعمال، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١، ص ٣٧٣-٣٧٤.

٢- ثابت عبد الرحمان إدريس ، جمال الدين المرسي: السلوك التنظيمي ، الدار الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥: ص ٦٣٥.

٣- عبد الغفار حنفي: السلوك التنظيمي وإدارة الفاعلين، الدار الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠: ٧٤٨.

٤- كامل محمد المغربي: السلوك التنظيمي، دار الفكر، الأردن، ط٣، ٢٠٠٤: ص ٢٤٢.

* صعوبات خاصة بالتدرج الهرمي: حيث أن عدم كفاءة الهياكل التنظيمية من حيث المستويات الإدارية التي تمر بها عملية الاتصال يؤدي إلى الكثير من التشويه للمعلومات ومنه عدم كفاءة عملية الاتصال وذلك ب :

* التأثير على كمية المعلومات الهامة للاتصال ، فتكون اقل بكثير في القاعدة مقارنة بالمستويات الوسطى والعليا.

* إن تفاوت مراكز السلطة عند فاعلي التنظيم يؤدي إلى صعوبة العملية الاتصالية داخل التنظيم ، وذلك لعدة أسباب :
كخوف وخجل العامل البسيط من رئيسه في العمل.

* إن تعدد المستويات الإدارية يعني طول المسافة بين القاعدة وقمة هرم الهيكل التنظيمي ومرور المعلومات بسلسلة من المستويات الإدارية مما يعرض المعلومات لعملية التحريف.

وقد وجد "راد" إن الفاعلين في المستويات الدنيا للتنظيم وخاصة أولئك الذين لديهم طموح للترقية والصعود يميلون إلى تشويه المعلومات التي يرفعونها إلى المستويات العليا ، بحيث لا تتضمن مشكلات أو قصور في التنفيذ ويزداد الميل إلى تشويه المعلومات عندما تكون ثقة هؤلاء الفاعلين في المستويات العليا ضعيفة¹.

* صعوبات انطلاقاً من التخصص في العمل: بالرغم من أن تقسيم العمل يقصد به التخصص بهدف رفع أو زيادة إنتاجية العاملين وبالتالي الرفع من نجاعة التنظيم ، إلا أن هذا الأخير يصبح عائقاً في عملية الاتصال داخل المنظمة إذا كان المختصون في المشروع أي في محيط العمل جماعات متباينة حيث تلجأ كل فئة من تلك الجماعات إلى استخدام لغتها الفنية الخاصة بها مما يؤدي إلى صعوبات جمة في الاتصالات ويجعلها غير مفهومة مما يؤثر على سيرورة الأعمال داخل المنظمة وانعكاس ذلك على تحقيق أهدافها المسطرة.

* مشاكل مترتبة عن درجة الرسمية: حيث أن كبر التنظيم وتعقيده يحتم على المنظمة الميل إلى استخدام الاتصال الكتابي والذي له العديد من السلبيات:

- غالباً ما يكون غير محفز، لأن الطابع الرسمي يركز على المعلومات التقنية ، الكمية وإغفال المعلومات النوعية حول العلاقات بين الفاعلين.

- عدم السرعة في الظروف الاستثنائية، والتي تقتضي سرعة إبلاغ المعلومات إلى العاملين، كما أن احتمالات التحريف الكبيرة.

- عدم توفر التغذية الرجعية ، وعدم إتاحة الفرص لطرح الأسئلة أو إجراء مناقشات في ما يخص القرارات المتخذة عبر الاتصال المكتوب.

* صعوبات تتعلق بالتنظيم وربطه بالبيئة الخارجية: ويشمل هذا العنصر على :

* قصور سياسة نظام الاتصال وذلك لعدم وجود سياسة واضحة تعبر عن نوايا الإدارة.

* التداخل بين التنفيذ والاستشارة وهو سبب رئيسي في العداء الأزلي بينهما².

١- أحمد صقر عاشور: السلوك الإنساني في المنظمات، الدار الجامعية، القاهرة، ١٩٨٩: ص ٢٧٥.

٢- كامل محمد المغربي: مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤١.

* الاعتماد الزائد على اللجان، حيث تعتبر هاته الأخيرة كإحدى أنواع الاستشارة وان الاعتماد عليها يؤدي إلى تدهور العلاقة بينهما وبين المسؤولين في خط السلطة.

* عدم الاستقرار التنظيمي والتغيرات المتتالية في فترات متقاربة لا يوفر المناخ الملائم للاتصال الجيد. ويؤدي إلى زعزعة العلاقات الاجتماعية بين الفاعلين.

* العجز والقصور في ربط التنظيم وبيئته الخارجية ، حيث يعتبر من أقوى عوائق الاتصال حيث أن البيئة تزود المنظمة بمعلومات عن العملاء والمستهلكين والقوى البشرية المتوفرة.

وانطلاقا مما تم عرضه يتبين لنا أن معوقات العملية الاتصالية كثيرة ومتعددة، ويصعب التحكم في كل العوامل من اجل تحقيق فعالية التنظيم.

٤- دور الأخصائي النفسي الاجتماعي في جودة العملية الاتصالية في المنظمات:

يمكن لنا ان نحدد أهمية الأدوار التي يقوم بها الأخصائي النفسي الاجتماعي في المنظمات خاصة فيما يتعلق بتنمية العلاقات الإنسانية بين الفاعلين في التنظيم، والتي تساعد على تحقيق أهداف المنظمة المسطرة.

وكما نعلم في العلاقات الإنسانية داخل المنظمات تبنى وتشكل من خلال العملية الاتصالية بين الفاعلين في التنظيم ، وضعف العملية الاتصالية له تأثير سلبي في بناء العلاقات الجيدة في التنظيم ، من خلال ظهور العديد من السلوكيات الفردية أو الجماعية السلبية مثل الصراع التنظيمي ، وبعد أن حددنا معوقات الاتصال التنظيمي يمكن أن نحدد دور الأخصائي النفسي الاجتماعي في تحسين العملية الاتصالية من خلال إعطاء خدمات إرشادية لكل من المشرفين والعمال على حد سواء من أجل إنجاح العملية الاتصالية.

ويمكن تحديد هذه الخدمات فيما يلي:

* جل ما يقدمه الأخصائي النفسي الاجتماعي من خدمات إرشادية للمشرفين أو القائمين على العملية الاتصالية من خلال استخدام وسيلة مهمة وفعالة ألا وهي المقابلة. من خلال مقابلة المشرفين وإعطائهم كل النصائح اللازمة في فيما يخص خصائص الاتصال الفعال وكل الأساليب التي تساعد على بناء منظومة اتصالية تتسم بالنجاعة والقدرة على إيصال كل المعلومات والقرارات سواء من الإدارة العليا إلى الدنيا أو العكس، كما يمكن القيام بدورات تدريبية نظرية وتطبيقية تحت إشراف الأخصائي النفسي الاجتماعي في كيفية تحقيق المنظومة الاتصالية الناجعة. وعموما جملة ما يقدمه الأخصائي من نصائح للمشرفين من خلال المقابلة فيما يخص العملية الاتصالية تتمثل في مايلي:

- الاهتمام بالتغذية الراجعة كوسيلة للتأكد من فهم واستيعاب المسؤولين لكل المعلومات والقرارات التي تصلهم من الإدارة العليا، من خلال تفعيل الاتصال الصاعد داخل التنظيم.

- اختيار التوقيت المناسب للاتصال، بحيث يجب أن يتم قبل تكوين العمال لاتجاهات ومواقف تتعارض مع البيانات المرسله إليهم.

- ضرورة تحديد القنوات اللازمة للاتصال، فكل نوع من المعلومات يتطلب قناة معينة تحقق الهدف من الاتصال بأقل جهد وتكلفة وفي الوقت المطلوب. وان يراعى عدم تعارض هذه القنوات مع التسلسل الرئاسي.

- ترجمة البيانات ترجمة عملية وتنفيذ الأقوال تنفيذًا تطبيقيًا كوسيلة لتقوية الرسائل اللفظية بالعمل بغية زيادة احتمال قبولها.
- عرض مضمون الرسالة بأسلوب مناسب وبطرق مختلفة تزيده تفسيرًا وإيضاحًا ، مما يجعل تحليله من قبل مستلميه أسهل ، وبالتالي لا يؤدي إلى تقارب في المعاني والأغراض بل يؤدي إلى فهم المقصود بدون مشكلة.
- وفي نفس هذا السياق يرى ميشل ارمسترونج^(١) (٢٠٠٩) من خلال كتابه " إذا كنت مديرا ناجحا كيف تكون أكثر نجاحا " أنه من أجل التغلب على المعوقات الاتصالية في المنظمات وعلى اعتبار أن وظيفة الأخصائي النفسي الاجتماعي في المنظمات يغلب عليها الطابع الاستشاري الاستشاري ، فيمكن لهذا الأخير أن يقدم جملة توصيات تتبع ببرامج تدريبية تخص كل الفاعلين في التنظيم ، خاصة المدراء منهم يكون جملة أهدافها ما يلي^١ :
- التكيف مع عالم المتلقي : من خلال عملية التنبؤ التي تؤثر على ما يراد كتابته أو قوله على مشاعر المتلقي وحالاته النفسية ، وذلك من خلال جعل الرسالة تتلاءم مع كلمات المتلقي ومصالحه وقيمه .
- استخدام التغذية الراجعة : ويقصد هنا التأكد من استرجاع الرسالة من المتلقي.
- استخدام الاتصال بالمواجهة : على اعتبار أن الموظفين يفضلون أسلوب المقابلة في العملية الاتصالية مقارنة بالوسائل الأخرى ، فهنا يمكن توصية المدراء على السعي إلى التحدث مع العمال كلما أمكن ذلك أفضل من الكتابة إليهم وهذا كذلك يمكن من الحصول على تغذية راجعة تمتاز بالسرعة والدقة.
- استخدام التعزيز : بحيث يمكن لقادة المنظمة أن يقدموا الرسائل الاتصالية بطرق مختلفة مع التأكيد على النقاط الهامة بما يسمح بمراعاة البنية النفسية والاجتماعية لكل الفاعلين في التنظيم.
- استخدام لغة بسيطة ومباشرة.
- تطابق الفعل مع القول : يجب أن تكون الاتصالات صادقة لتوفير الفعالية لها.
- تعدد قنوات الاتصال .
- تقليل مشاكل حجم المؤسسة : من خلال تخفيض المستويات الإدارية قدر الإمكان ولامركزية القرار في التنظيم (تفويض القرار) ، كذلك تشجيع الاتصالات غير الرسمية بحد معقول . كما يمكن للأخصائي النفسي الاجتماعي في المنظمات تكيف أدواره في تحسين المناخ التنظيمي في المنظمات بما يسمح في نفس الوقت بتحسين منظومة الاتصال ، من خلال العمل بمشاركة قادة التنظيم على تهيئة الجو المهني العائلي داخل المنظمة ، بما يسمح لزيادة الكفاية الإنتاجية لدى العمال ، وهذا لا يتأتى إلا من خلال الاهتمام بمنظومة الاتصال في التنظيم ، ومن وضع إستراتيجية اتصالية تعمل على:
- استحداث أو تطوير عمل مصلحة الاتصال داخل التنظيم ، بما يسمح بمتابعة كل العلاقات المهنية داخل التنظيم ، وإيجاد آليات تساعد على الحد أو التقليل من المعوقات الاتصالية بكل أشكالها.
- خلق أجواء التفاهم بين جميع الفئات المهنية ، وردم الهوة السيكلوجية بين الإطارات والعمال.

^١ - ميشيل ارمسترونج : إذا كنت مديرا ناجحا - كيف تكون أكثر نجاحا - ، مكتب جريل للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠١ .

- تشجع عملية الاتصالية المبنية على أساس مهني ودي .
- تحسين القدرات الاداركية للعاملين عن طريق التدريب والتكوين المتواصل على حسن الإصغاء والتواصل ، على اعتبار أهمية الإدراك كعملية عقلية عليا في فهم الرسالة الاتصالية والتجاوب معها.
- تطوير عادات الاستماع والإنصات ، من خلال تكثيف الدورات التدريبية لكل فئات التنظيم في هذا المجال.
- صيانة قنوات ووسائل الاتصال التنظيمي ومعالجة الخلل في وقته ، بما يسمح على انسياب الرسالة الاتصالية في التنظيم بطريقة سلسلة وفي أوقاتها المحددة والمناسبة.
- العمل على تفعيل منظومة الاتصال التنظيمي في المنظمة ، بما يسمح لها أن تكون منسجمة مع كل ما تشهده المنظمة من تطور أو تغيير تنظيمي .
- إذن يمكن القول أن عمل الأخصائي النفسي مع المشرفين والإدارة العليا فيما يخص المنظومة الاتصالية يكمن من خلال جعل المسؤول (مدير أو مشرف) يحدد ويعي أهداف عملية الاتصال التي يقوم بها أو التي سيقوم بها حتى يتمكن من تحقيقها، وان يتمكن أيضا من التأكد أنها تحققت وفي أي درجة تم تحقيقها.
- كما يفترض أن يتعرف المدير أو المشرف على عملية الاتصال على مستوى أدائه في العملية الاتصالية ومهاراتها المتعددة كمستقبل ومرسل من اجل تحديد البرنامج التدريبي المناسب الذي يلبي الاحتياجات الحقيقية ويرفع من مستوى الأداء في المهارات الاتصالية المختلفة لدى المدير ، بما يخدم حسن تعامله في إرساء المنظومة الاتصالية الجيدة داخل المنظمة. كما يمكن للأخصائي النفسي الاجتماعي تقييم فعالية الاتصال القائم أو تأثيره عن طريق إجراء الدراسات المسحية والملاحظة وأي سبل تشخيصية قادرة على تشخيص واقع الاتصال في المنظمة . ويرى سيزلاقي و وولاس أن هناك بعض الوسائل التي يمكن أن يستخدمها المدبرون في تخفيف تأثير عدد من معوقات الاتصال ، حيث يمكن تحسين مستوى الاتصال بطريقتين شاملتين:
- أولاً: يمكن للمدير أن ينمي مهاراته في استخدام الرموز- أي عملية الترميز- ويعني ذلك الاهتمام بقدر الإمكان باختيار الرموز ، وتحديد القرينة أو المحيط الذي تبث من خلال الرسالة. علاوة على ذلك ، يتعين على المرسل أن يأخذ مستمعيه في الحسبان عند ترميز الرسالة. لذا يجب أن يضع المدير نفسه في مكان المتلقي ويحاول أن يحيط مسبقا بالعوامل الشخصية والموقفية التي ستؤثر على تفسير الرموز أو فك رموز الرسالة...
- وهناك عدد من الوسائل التي تستخدم عادة بواسطة المديرين لتحقيق تلك الغايات:
- المتابعة والتغذية المرتدة: تتطلب عملية المتابعة والتغذية المرتدة الملائمة إيجاد طريقة رسمية أو غير رسمية يتمكن المرسل من خلالها من التأكد من الكيفية التي تم بها تأويل الرسالة بالفعل ، فيما تجعل التغذية المرتدة من الاتصال عملية ذات اتجاهين ، ففي المواقف التي تتم فيها المقابلة المباشرة بين المرسل والمتلقي ، يتعين على المرسل أن يلاحظ تعابير الوجه، والعلامات الأخرى التي توضح الطريقة التي استقبلت بها الرسالة ، وغالبا ما يكون من الضروري في هذه الحالة أن يلتصق المرسل استفسارات من المتلقي. أما في حالة الاتصال الرسمي المكتوب فقد يطلب المرسل صيغة معينة ووقتا محددا للاستجابة ضمانا للتغذية المرتدة الملائمة.

- قنوات الاتصال المتوازية والكرار: من المبادئ الأساسية لتنقية الاتصال توفير قنوات الاتصال متوازية تدعم بعضها بعضا كان يتبع الطلب الشفهي بمذكرة مكتوبة ، وهذه الطريقة يتأكد المرسل من حصوله على انتباه المتلقي (عن طريق المعلومات شفاهة ومباشرة وجها لوجه) ، ومن وجود شيء مكتوب (المذكرة) يملئ الرجوع إليه في حالة نسيان التفاصيل.

ثانيا: تقوم كثير من المنظمات بتحديد فترات انحسار أو توقف، أي تلك الفترات التي تخلو من ضغط العمل لإرسال أي معلومات وأفكار وتعليمات للموظفين، مما يكفل الانتباه الكامل لمتلقي هذه المعلومات¹. وكما يركز الأخصائيون النفسانيون على قيمة وأهمية الثقة بين الأخصائي النفسي والعميل في العلاج النفسي في علم النفس العيادي، فإننا نجد الاخصائيون النفسانيون الاجتماعيين يركزون على الثقة بين الرئيس والمرؤوس من اجل إنجاح العملية الاتصالية بينهما ، فالثقة عامل وسيط في العلاقة بين انفتاح الاتصال وفعاليتته. ولا يكون لانفتاح نظام الاتصال اثر على فعالية الاتصال، إلا حينما يتوافر قدر كبير من الثقة بين الرئيس والمرؤوس.

وما يعزز هذا الطرح اعتبار بعض الباحثين والمفكرين انه ليس هناك علاقة ذات أهمية لفعالية الأداء في المنظمات مثل العلاقة بين الرئيس والمرؤوس. ويتوقف سلوك وأداء الأفراد والجماعات وكل المنظمات بشكل أساسي على مدى نجاح الطريقة التي توجهها أطراف التنظيم علاقتهم المتفاعلة.

ويمكن أن يتضح دور الأخصائي النفسي الاجتماعي في إرساء منظومة اتصالية تتسم بالنجاعة والمرونة من خلال العمل على تفعيل وتنويع وظائف الاتصال، وهذا من خلال إعطاء نصائح للمدراء أو القادة في استخدام طرق وأساليب الاتصال المتوفرة في المنظمة إن كانت رسمية أو غير رسمية ، أو الاعتماد على الاتصال العمودي أو الأفقي ، والتي يمكن اختيارها بناء على الهدف المراد الوصول إليه فالأخصائي النفسي الاجتماعي يمكن أن يوضح دور الاتصال التنظيمي من خلال وظائفه التي يمكن تناولها كالتالي والتي يمكن للأخصائي النفسي الاجتماعي استغلالها بما يسهم في تحقيق أهداف التنظيم :

- وظيفة التنسيق: حيث نجاح أي منظمة في تحقيق أهدافها يتطلب تضافر الجهود من اجل تحقيق الأهداف المشتركة ، ولهذا فان التنسيق بين المصالح والوحدات والورشات الإنتاجية ضرورة لا بد منها ويمكن للأخصائي النفسي الاجتماعي هنا أن يبرز قيمة وجود منظومة اتصالية جيدة، تساعد على التنسيق الفعال بين كل المصالح ، خاصة على مستوى الاتصال الأفقي الذي يتم على نفس المستويات الإدارية أو التنظيمية.

- وظيفة التنظيم: هنا يمكن أن يعمل الأخصائي النفسي الاجتماعي على توضيح أهمية الاتصال في عملية التنظيم ، وإبراز علاقة ذلك باتخاذ القرار في المنظمة، على اعتبار أن اتخاذ القرار المبني على أسس سليمة لا يمكن أن يحدث إلا من خلال توافر معلومات كافية حول البيئة الداخلية للتنظيم أو ما يجري خارجها ضمن البيئة الخارجية. إذن فعالية القرار تكون مرتبطة بالاتصال السريع والسهل ، إذ يتجه الاتصال نحو تحسين العمل وتوزيع المسؤوليات ودعم التفاهم بين العمال في المؤسسة².

- وظيفة القيادة : وباعتبار أن القيادة هي عملية تأثير يقوم بها القائد على المرؤوسين من اجل تحقيق الأهداف المسطرة ، فيمكن للأخصائي الاجتماعي النفسي هنا أن يبرز أهمية نجاح هذه العملية من خلال الفهم المتبادل بين القائد والمرؤوسين ،

¹ - سيزلاقي وولاس: السلوك التنظيمي والأداء ، ترجمة جعفر أبو القاسم احمد ، معهد الإدارة العليا، السعودية، ١٩٩١ : ص ٣٦٩.

² - سيد فهي: تكنولوجيا الاتصال في الخدمة الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، مصر ، ٢٠٠٠ : ص ٣١.

وهذا عبر منظومة الاتصال الموجودة في المنظمة ، إذ يمكن الاتصال الناجح خاصة إذا اعتمد الاتصال المزدوج (النازل والصاعد) من تسهيل عمل القائد وأداء وظائفه القيادية بشكل مناسب من خلال إقامة شبكة اتصالية تتنوع فيها طرق وأساليب الاتصال فيها .

- وظيفة الإنتاج : وهنا يكمن عمل الأخصائي النفسي الاجتماعي في اتصاله بالفاعلين في التنظيم في إبراز أهمية عدم الفصل بين مصلحة الاتصال ومصلحة الإنتاج في المنظمات ذات الطابع الاقتصادي ذلك لأن عملية الاتصال هي التي تحدد سير الإنتاج من حيث كميته ونوعيته، كما يمكن إيصال التوجهات عبر الاتصال العمودي النازل المرتبطة بعملية التنفيذ والأداء ، ويتم ذلك عبر استخدام عدة أساليب اتصالية تفتقر بالاتصال الكتابي أو الشفوي يمكن من خلالها إيصال التعليمات كإيصال الاعتذارات بسبب الغياب أو التقاعس في العمل ، أو الأداء المتذبذب ، أو الإعلان عبر ملصقات الحائط أو الاجتماعات المباشرة عن المكافآت والعلاوات المرتبطة بالأداء الجيد ، أو إرسال مذكرات أو عقد اجتماعات دورية لمناقشة كل المستجدات والمشاكل التي تعيق الإنتاج وتحقيق الأهداف المسطرة.

- وظيفة الإبداع: ترتبط وظيفة الإبداع ارتباطاً وثيقاً بنوع الأساليب القيادية الممارسة ومظاهر التغيير التنظيمي الحاصل في المنظمات، لذا نجده أقل وظائف الاتصال ممارسة وهذا نتيجة كما قلنا ارتباطها بمقاومة التغيير التنظيمي الذي قد يكون ناتج من نواتج وظيفة الإبداع ، حيث أن مقاومة التغيير بالنسبة للفرد أو الجماعة في المنظمة ترتبط بشعور داخلي يكمن في صعوبة التكيف مع الوضع الجديد الذي يفرضه التغيير التنظيمي ، والذي قد يهدد التوازن الفردي أو الجماعي، أو قد يتصور على أن نتيجته قد تكون فقدان المكاسب التي تم الحصول عليها سابقاً ، وهنا يبرز دور الأخصائي النفسي الاجتماعي من خلال توضيحه لدور الاتصال المبني على التعليم والإقناع في إنجاح هذه الوظيفة (الإبداع) والتي تنطلق من بعدين أساسيين، أولهما تقديم الأفكار ثم تنفيذ هذه الأفكار في الواقع ، إذن يمكن للأخصائي النفسي الاجتماعي أن يقترح مجموعة استراتيجيات تقوم على استخدام منظومة الاتصال داخل التنظيم وتفعيلها من أجل القضاء أو التخفيف من حدة مقاومة التغيير، وإقناع الفاعلين في التنظيم أو من يساهم الإبداع في مصالحهم أو وحداتهم بضرورة تبني هذه الأفكار الإبداعية الجديدة ، وتوفير جو نفسي اجتماعي من خلال فتح فضاء الحوار عبر الاتصال الصاعد أو الاجتماعات ، واللقاءات الفردية يسمح للأفراد معرفة قيمة هذا الإبداع والمساهمة في معالجة المشاكل ، ولما لا تقديم حلول وإبداعات جديدة تساهم في تثمين وتطوير ما تم إنجازه.

- وظيفة الدافعية : يمكن أن يعمل الأخصائي النفسي الاجتماعي هنا على إبراز أهمية الدافعية في إنجاح العمليات الإدارية المختلفة في المنظمة ، خاصة أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنجاح عملية القيادة باعتبارها عملية تأثير أو دفع المرؤوسين نحو تحقيق الأهداف المنشودة ومن خلال العمل مع القادة على توضيح أن الاتصال التنظيمي هو الوسيلة الفعالة أو الأساسية المتاحة للدافعية بالنسبة لهم من أجل تحقيق التأثير على الأفراد أو جماعات العمل من خلال مراجعة كل الأنشطة القيادية وإبراز أهمية الاتصال التنظيمي فيها ، وإصدار الأوامر مثلاً أو تقييم الأداء ومراجعتهم، أو تقسيم الوظائف وتدريب وتنمية مهارات الفاعلين في التنظيم لا تتم إلا من خلال منظومة الاتصال ، والتي قد تتعدد ووسائلها تبعاً لما يراد تحقيقه .

٥- خصائص الاتصال الفعال: يتوقف الاتصال الناجح داخل تنظيمات العمل على الاعتراف بالتباين في أسلوب التفكير بين المستويات الإدارية العليا وبين أولئك الذين يشغلون أدنى مستوى التسلسل الرئاسي فهو عملية ضرورية لسير العمل داخل منظمة ما ، ويعتبر من أهم عمليات الإدارة فهو عملية تتضمن نواحي كثيرة معقدة منها توصيل التعليمات واستقبالها وقبولها ورفضها. وهكذا يتضح أن التفاعل في التنظيم يعتمد على الاتصال مادام نقل المعلومات والوقائع والأفكار والمشاعر

من شخص إلى آخر ومن مستوى معين إلى مستوى آخر ، وهذا ما يجعل من الممكن تحقيق الأهداف التنظيمية^١ (٢) ومن أهم العوامل التي يجب مراعاتها للوصول إلى عملية اتصالية فعالة مايلي :

- أن يكون المرسل موضع ثقة من قبل المستقبل باعتبار أن هذه الثقة تعد الأساس الذي يبني عليه المستقبل تفاعله ، كما يجب أن تتوفر لديه مهارات اتصالية عالية ولمما برسالته ، عارفاً لكيفية تصميمها بطريقة تجذب انتباه المستقبل وتساعد على إدراكها حتى يضمن هذا نجاح عملية الاتصال.

- دافعية المستقبل للمعرفة ، حيث لوحظ أن الإنسان يدرك ما يريد أن يدركه ويترك ما لا يريد إدراكه وذلك طبقاً لدوافعه ، حاجاته التي يريد إشباعها وكل ذلك في ظل حريته في اختيار ما يشاء من الرسالة المتاحة له ، وعليه كلما كانت الرسالة محققة لحاجات معينة لدى المستقبل كلما سعى إليها هو نفسه دون غيرها من الوسائل.

- ضرورة التنسيق والتكامل والتساند بين نظام الاتصال وبين طبيعة التنظيم الرسمي وغير الرسمي من حيث احتياجات الغفظة وطبيعة وظروف بيئة العمل^٢.

- صياغة الرسالة بحيث تحتوي على مثيرات تتضمن استمرار انتباه المستقبل وتشوقه لمتابعة الرسالة ولا يستعمل إلا الوسائل والرموز التي يفهمها هذا المستقبل.

- ضرورة وجود نظام شامل للمعلومات والبيانات لمختلف مجالات وقطاعات العمل بالغفظة ، مع ضرورة تحقيق الارتباط والتكامل بين هذا النظام ونظام الاتصالات حتى تتضح كافة الأمور المستهدفة كما وكيفا وبما يحقق الأهداف المطلوبة للمنظمة ككل.

- ضرورة توفر قدر من مهارات الاتصال، بل العمل على تنمية مهارات الاتصال وتنمية القدرات الخاصة بحسن الاستماع والإنصات والحديث لدى جميع العاملين في مختلف المستويات الإدارية، وكذلك مهارات التفكير والكلام والفهم والتحليل في المستويات الإدارية العليا وكذلك الكتابة والقراءة خصوصاً في المستويات الدنيا قدر المستطاع. حتى يمكن للمشاركين في عملية الاتصال في مختلف المستويات الإدارية التعبير بوضوح وبدقة عن مشاعرهم وميولهم وأرائهم ورغباتهم ومقترحاتهم والفهم والاستيعاب الواضح لما يقوله الآخرون^٣.

- لا بد أن يكون الاتصال مزدوجاً ، بحيث يتفاعل المستمع مع المتكلم ليتأكد من المعلومات التي تسلمها كما يجب أن يكون اتصالاً مفتوحاً من جميع الجهات أي معرفة أثار المواقف والبيئات والثقافات المختلفة على استجابات المستمعين وأخيراً فان الاتصال يجب أن يكون على أساس التفاهم لا على أساس الأمر بل لا بد أن يكتسب من خلال المعاملة ونوعيتها.

خاتمة :

من خلال كل ما قدم وكل ما أحيط بالدراسة لعملية الاتصال التنظيمي داخل المنظمات تبرز أهمية وقيمة هذه العملية التي تعتبر العمود الفقري لأي تنظيم مهما كانت أهدافه ، وبالتالي يجب على القائمين على تسيير المنظمات أن يعطوا لهذه العملية أهمية كبيرة ضمن أساليب تسييرهم من أجل ضمان السير السلس لكل عمليات التفاعل بين الفلعلين في التنظيم ،

^١ - منال طلعت محمود: مدخل إلى علم الاتصال ، المكتب الجامعي الحديث ،الازارطة، ٢٠٠٢: ص٢٢.

^٢ - هالة منصور: مرجع سبق ذكره، ص ٥٨.

^٣ - محمد يسرى إبراهيم دعبس: مرجع سبق ذكره، ص ٢٩١-٢٩٢.

وهذا لا يتأتى إلا من خلال الاعتماد على العنصر البشري ودراسة الشخصية الإنسانية بكل مكوناتها التي هي محور موضوع علم النفس بكل تخصصاته من أجل الوصول إلى علاقات إنسانية جيدة في المنظمة ، مما يساعد على الأداء الجيد لكل الفاعلين في التنظيم ويسمح للمنظمة بتحقيق أهدافها التنموية الشاملة.

قائمة المراجع :

١. أحمد صقر عاشور: السلوك الإنساني في المنظمات، الدار الجامعية، القاهرة، ١٩٨٩.
٢. أحمد ماهر ، كيف ترفع مهاراتك الإدارية في الاتصال ، الدار الجامعية للنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٠.
٣. ثابت عبد الرحمان إدريس ، جمال الدين المرسي ، السلوك التنظيمي ، الدار الجامعية، الإسكندرية مصر، ٢٠٠٥.
٤. خضير كاظم محمود ، السلوك التنظيمي ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ،الأردن ، ط٢٠٠٧.
٥. سيد فهد ، تكنولوجيا الاتصال في الخدمة الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، مصر ٢٠٠٠.
٦. سيزلاقي وولاس، السلوك التنظيمي والأداء ، ترجمة جعفر أبو القاسم احمد ، معهد الإدارة العليا، السعودية، ١٩٩٠.
٧. طارق المجذوب ، الإدارة العامة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠.
٨. عبد الغفار حنفي ، السلوك التنظيمي وإدارة الفاعلين، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ١٩٩٩.
٩. عبد الغفور يونس ، تنظيم وإدارة الأعمال ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان، ١٩٩٧.
١٠. فضيل دليو ، اتصال المؤسسة ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ٢٠٠٣.
١١. كامل محمد المغربي ، السلوك التنظيمي ، دار الفكر ،الأردن ، ط٢٠٠٤.
١٢. لوكيا الهاشي ، السلوك التنظيمي، الجزء الثاني، مخبر التطبيقات التربوية والنفسية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ٢٠٠٠.
١٣. محمد منير حجاب ، سحر محمد وهبي ، المداخل الأساسية للعلاقات العامة ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، مصر ، ط١٩٩٥.
١٤. محمد يسرى إبراهيم دعيبس ، الاتصال والسلوك الإنساني ، سلسلة ١٨ ، البيطاش سنتر للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.
١٥. محمود سلمان العميان ، السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال ، دار وائل للنشر ، عمان ، ط٢٠٠٥.
١٦. منال طلعت محمود، مدخل إلى علم الاتصال ، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، ٢٠٠٠.
١٧. ميشيل ارمسترونج ، إذا كنت مديرا ناجحا -كيف تكون أكثر نجاحا -، مكتب جرير للترجمة ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٠.
١٨. هالة منصور ، الاتصال الفعال مفاهيمه وأساليبه ومهاراته ، المكتبة الجامعية ، الأزاريطة، الإسكندرية ٢٠٠٠.

19- Alex muchielli: les science de l'informations et de la communication ,éditionHachette ,paris , 2001.

ممارسة العمل التطوعي وعلاقته بالشعور بمعنى الحياة لدى طلبة الجامعات في محافظات قطاع غزة

د.زهير عبد الحميد النواجحة/جامعة القدس المفتوحة، رفح، فلسطين د. إسماعيل صالح الفراه/جامعة القدس المفتوحة، خان يونس، فلسطين

ملخص :

هدفت الدراسة إلى معرفة علاقة ممارسة العمل التطوعي بالشعور بمعنى الحياة، ومعرفة أثر مستوى الدخل على ممارسة العمل التطوعي و معنى الحياة، وتكونت عينة الدراسة من (٥١) طالباً من طلبة الجامعات الفلسطينية، وأظهرت النتائج وجود علاقة موجبة بين ممارسة العمل الطوعي و الشعور بمعنى الحياة، بينما لم يكن هناك فروق في ممارسة العمل التطوعي ومعنى الحياة تعزى لمتغير مستوى دخل الأسرة .

الكلمات المفتاحية:التطوع، معنى الحياة.

مقدمة :

يعد العمل التطوعي أحد أشكال السلوك الاجتماعي الإيجابي، ولقد تحدث الكثير من العلماء والباحثين عن أهم مزايا السلوك الاجتماعي الإيجابي بوصفه قيمة إنسانية لها عظيم الأثر في حياة الفرد والمجتمع، وانه أحد الحاجات الضرورية للإنسان خاصة في وقتنا المعاصر المتسم الكثير من أهله بالقطيعة والانكفاء على الذات، و لأن الإنسان إجتماعي بطبعه يؤثر ويتأثر بما يدور حوله، فهو لا يستطيع العيش بمنأى ومعزل عن الآخرين، من هنا فهو في الغالب الأعم تواق لتوثيق عرى الصداقة والمحبة بالآخرين مهما كلف الأمر، ومهما حالت دون ذلك صعوبات وبذلت في سبيله تضحيات، وذلك بغية تحقيق منافع عديدة تزيد من قوة التفاعل الاجتماعي الإيجابي على مستوى العلاقات الشخصية والاجتماعية في الجماعات وبين الجماعات بما يساهم في بقاء وتماسك المجتمع وتقدمه. إن أحوال المجتمعات للتفاعل الاجتماعي الإيجابي المجتمعات العربية والإسلامية التي تستمد حركتها من نور أوامر قرآنية واقعية عملية، لذا فلقد أعلت الحضارة الإسلامية من شأن العمل التطوعي، وحثت على فعل الخيرات والأعمال الصالحة، قال عز من قائل ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا فَاستَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة البقرة: الآية ١٤٤). كما قال عز وجل في موضع آخر: ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة: الآية ١٥٥)، وأيضاً في الإشارة إلى أهمية العمل التطوعي نجد أن السنة النبوية الشريفة مليئة بالشواهد والأدلة التي تحث على وجوب القيام بأعمال الخير والتطوع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلُّ يَوْمٍ تَطَّلَعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُ لَهُ عَمَلًا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَمَلًا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتَمِيْطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ" (صحيح البخاري: ٢٩٨).

ويتبدى العمل التطوعي في الأعمال الغيرية والخيرية الهادفة إلى مساعدة وإفادة فرد أو مجموعة من الأفراد، أي أن أهم ما يميز السلوك الإجتماعي الإيجابي أن الأفعال التي يقوم بها الفرد توصف بالتطوعية وبالرغبة وبالإرادة وليست بالإكراه والإجبار، وبعض السلوكيات الإيجابية الأخرى قد تحدث لعدة أسباب مثل تحفيز فرد لمساعدة آخر لأسباب شخصية مثل الحصول على المكافأة أو استحسان من الآخرين أو لكونه بالفعل يهتم بالآخرين.

ويطلق بانور^١ (arudnaB . A, ١٩٨٦) صفات من لديهم الحرص على مساعدة الآخرين، بأنهم ذوي توجهات نحو الآخرين، أما المحبة للغير فتشير إلى نوع محدد من السلوك الإجتماعي الإيجابي، حيث تكون الأفعال التطوعية نابعة من داخل الفرد أي ذات دافع أو حافز داخلي مثل مراعاة الغير أو نابعة من قيم داخلية والإحساس بالرضا عن النفس أكثر من كونها مكاسب شخصية والدافع الداخلي لمحبة الغير، ويتضمن الإيمان بأهمية أنصاف الآخرين وتكون نتيجة مكافأة الفرد لنفسه بإحساسه باحترام وتقدير الذات، وفي المقابل يمكن ان يعاقب الفرد نفسه بالندم أو الإحساس بالدونية، إذا لم يقم بالسلوك الإيجابي.^(١)

ويعرف دانيال بارتال^٢ (IatraB leinaD, ١٩٧٧) السلوك الإجتماعي الإيجابي على أنه السلوك التطوعي الذي يعود بالمنفعة على الآخرين دون انتظار مكافأة خارجية، وهو يقدم في حالتين أو ظرفين، السلوك يقدم لنهايته دون ضغوط، والسلوك يقدم كنوع من التعويض، وقد قسم دانيال بارتال هذا السلوك إلى مفهومين أساسيين: الأول الإيثار وهو سلوك تم فعله بوصفه غاية في حد ذاته، والثاني رد الجميل: وهو سلوك يتم فعله كرد للجميل.^(٢)

ويمكن القول أن السلوك التطوعي يتخذ أشكالاً متنوعة منها: (التضحية و الكرم و الإنقاذ و المساعدة و توفير الأمن والحماية و المسؤولية الاجتماعية و الاهتمام و العدالة و عدم الظلم و التعاطف و التسامح و الرعاية و الاحسان والطيبة).

ووضعت عواد^٣ (٢٠٠٩) مجموعة من المحكات للحكم على السلوك الايجابي منها: (أن يكون تطوعياً، أن يتم السلوك دون انتظار أو مكافأة خارجية، يستلزم بعض الأحيان التضحيات سواء أكانت مادية أم معنوية).^(٣)

ويشير جين^٤ (Geen ١٩٩٩) إلى أن السلوك الاجتماعي الايجابي يقوم بمهمة حماية تقدير الفرد لذاته، بحيث يصبح أكثر ثقة بنفسه، وأكثر صلابة نفسية، وفعالية ذاتية، وكفاية شخصية في مواجهة أحداث الحياة الضاغطة بل ويجعل الفرد أقل عرضة للإصابة بالاضطرابات النفسية والسلوكية، ولا شك أن هذا كله يؤدي في النهاية إلى أن تكون نظرة الفرد للحياة أكثر إيجابية، وهذا بدوره ينعكس على صحته النفسية والجسمية.^(٤)

ويعكس الانخراط في الأعمال التطوعية آثارا إيجابية كثيرة سواء على الصعيد الشخصي للفرد المتطوع أو على الصعيد العام المجتمع، ومن أهم آثاره على الفرد المتطوع: إشباع الحاجة إلى الشعور بالتقبل الإجتماعي، والاحترام والتقدير، وتحقيق الذات وإثباتها، وشعور الفرد بتحقيق مكسب ديني وهو الأجر والثواب، وبالتالي شعوره بالراحة النفسية عند قيامه بأي

1- Bandura r. A.(١٩٨٦) the social foundation of thought and action: asocial cognitive theory : Englewood cliffs, NG: prentice – Holl.P.3

2- IatraB leinaD.(١٩٧٦):Prosocial behaviour : theory and research hemisphere publishing coroporation.p.4

٣ - عواد، رجاء (٢٠٠٥)، برنامج مقترح لتنمية بعض اشكال السلوك الاجتماعي الايجابي للطفل الصم، رسالة كتورا، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات التربوية، ص، ٢٤.

٤ - عبد الرزاق، عماد (٢٠٠٠): نمط الوالدية ومتغيرات الشخصية المنبئة بالسلوكي الغيري لدى الأطفال، المؤتمر الدولي السابع لمركز الارشاد النفسي، "بناء الانسان لمجتمع أفضل" ٥-٧ نوفمبر، جامعة عين شمس، مصر، ص ١٠٩.

عمل تطوعي، كسب خبرات ومعارف جديدة في الحياة، اكتساب قدرات وملكات نفسية نتيجة احتكاكه بشرائح مختلفة في المجتمع تساعده على تحسين سلوكه والقدرة على التعامل مع الآخرين، وزيادة إحساس الفرد بذاته وأهميته في المجتمع، وتقوية الانتماء الوطني بين الأفراد، وشغل أوقات الفراغ وبالذات عند الشباب، ويعطي للفرد مكانة اجتماعية.

أما أهم آثاره على المجتمع فتتركز في المساعدة على إشباع الحاجات الفسيولوجية للفقراء والمساكين، وتوفير الحماية والأمن للمشردين، وتوفير الطاقات البشرية المتنوعة والمتخصصة لتنمي المجتمع وتأهيله، وتوفير الكثير من الأموال لصرفها في مشاريع تنموية تخدم المجتمع، وتحقيق روح المحبة والتكافل بين أفراد المجتمع، وتنمية روح التنافس بين الجماعات التطوعية بما يعكس جودة الخدمات، وتحقيق الأمن الشامل وحماية المجتمع من الأمراض الاجتماعية كالجريمة والمخدرات وغيرها، ويساعد في القضاء أو التقليل من نسب البطالة.⁽¹⁾

وبرزت وجهات نظر نفسية واجتماعية مختلفة اجتهدت في تفسير طبيعة العمل التطوعي لدى الأفراد، فبعضها أشار إلى أن العمل التطوعي نابع من دوافع ومحفزات داخلية تتمثل بالدافعية والحصول على رضا الله سبحانه وتعالى، وحب عمل الخير، والتفاعل الاجتماعي، وتحقيق الأهداف المنشودة، والوصول إلى جودة الحياة، والحاجة إلى الشعور بالسعادة والرضا عن النفس، وأما عن الدوافع الخارجية فتتمثل في الرغبة في زيادة الإنتاج والحصول على المال، فالتبادل الاقتصادي لا يقتصر على الأشياء والمال فقط، بل يمتد إلى العلاقات الاجتماعية، فقد يتبادل الأفراد الحب والمعلومات.⁽²⁾

إن الإيمان بمعنى الحياة يمد الإنسان بالقدرة على العطاء والتسامي على الذات، فيمتد بذلك التأثير ليعم الإنسانية كلها، فعندما يسعى الإنسان فيها ليحقق معنى وقيمة، يعتبرها أغلى من حياته ذاتها، الإنسان ليس مجرد شيء يوجد كالمقاعد والطاولات، ولكنه كائن يعيش، وإذا وجد أن حياته قد تدنت إلى مستوى مجرد الوجود فإنه ينتحر، فقد يستطيع الإنسان تحمل تأجيل الإشباع أو الحرمان النفسي أو الاجتماعي والاقتصادي، ولكنه لا يستطيع أن يتحمل خلو الحياة من الهدف والمعنى. وعندما يكتشف الإنسان معنى حياته، يصبح مستعداً لتحمل المعاناة، ولتقديم التضحيات، حتى بحياته نفسها من أجل الحفاظ على هذا المعنى، فعندما تفقد الحياة معناها، يضطر الإنسان إلى الانتحار، هو يقدم على الانتحار حتى لو بدت كل احتياجاته مشبعة.⁽³⁾

ويشير ريكل (199) Reker إلى أن الأفراد يشقون معنى لحياتهم من مصادر ومجالات عديدة، تتضمن العلاقات الاجتماعية و الأنشطة الدينية و الأنشطة الإبداعية و الإنجازات الشخصية و إشباع الحاجات الأساسية و الأمن الاقتصادي و أنشطة وقت الفراغ و القيم والمثاليات و الميول الاجتماعية والسياسية. ويتفق فرانكل مع ريكل في أن عمل الفرد أو مهنته، أهم السبل التي يكتسب من خلالها معنى وقيمة حياته، فالعمل يعد بمثابة المجال الذي يبدو فيه تفرد الشخص في علاقته بالمجتمع، ومن ثم يكتسب معنى وقيمة لحياته، من جانب آخر يعتقد ماسلو وآخرون (Maslow & others 1998) أن ثمة

٥ - اللحياني، مساعد (١٤١٨ هـ) التطوع " مفهومه وأهميته وأثاره الفردية والاجتماعية وعوامل نجاحه ومعوقاته"، أبحاث وأوراق عمل المؤتمر العلمي الأول للخدمات التطوعية، المنعقد بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص ١٨٨-١٨٩.

6- Myers, H., (1988): A description study of older person performing volunteer work and the relationship to life satisfaction, purpose in life and support, Ph.D. dissertation, University of Laws, p.444-446.

٧ - سليمان، عبد الرحمن وفوزي، سامية (١٩٩٩): معنى الحياة وعلاقته بالاكئاب النفسي لدى عينة من المسنين العاملين وغير العاملين، بحوث المؤتمر الدولي السادس لمركز الإرشاد النفسي، "جودة الحياة"، القاهرة، مركز الإرشاد النفسي، جامعة عين شمس، مصر، ص ١٠٣٥.

علاقة بين العمل ومعنى الحياة، ويعتقدون أن العمل عندما يكون عديم القيمة، تصبح حياة الفرد بلا معنى، وان الأشخاص المحققين لذواتهم، يرون أن العمل يعني المشاركة في هدف مهم ومرغوب وذو معنى.⁽¹⁾

مشكلة الدراسة:

تتبع مشكلة الدراسة الحالية من المبررات التالية:

● يعد العمل التطوعي ركيزة أساسية ومهمة في نهضة وتطور المجتمعات، فهو يأتي مكملاً للدور الذي تقوم به الحكومات والمنظمات الأهلية والدولية، ويحقق العمل التطوعي فوائد جمة تعود على الفرد والمجتمع، فعلى مستوى المجتمع يسهم التطوع في التعرف إلى الحاجات الحقيقية للمجتمع، وتحديد مشكلاته، واستثمار القوى البشرية، وتوظيف الموارد المادية المحلية المتاحة لتنمية وتطور المجتمع، والعناية بذوي الاحتياجات والقدرات الخاصة مثل العجزة والمسنين والمعاقين، وأسر الشهداء والأسرى، أما المزايا التي يمكن أن يسهم بها العمل التطوعي على المستوى الفردي فتكمن في الأثر النفسي على الشباب مثل: الإحساس بمعنى الحياة والرضا النفسي والشعور بالأمل والتفاؤل وزيادة الدافعية وتقدير الذات وتنمية مفهوم الذات الإيجابي وتقوية الانتماء الوطني والديني وتحقيق المكانة الاجتماعية واشباع الحاجات النفسية والعاطفية وتقدير قيمة العمل والتعبير عن الآراء، والمشاركة في اتخاذ القرار، إضافة إلى تعزيز بعض أشكال السلوك الاجتماعي الإيجابي من قبيل التعاون والمساعدة، والإيثار والتسامح والتعاطف والتواصل والتكافل الاجتماعي. وكذلك فإن التطوع يهذب الشخصية، ويقمها الشُّح، ويحوّلها إلى عقلية الوفرة والإيثار، مصداقاً للآية الكريمة: "وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِحُونَ" (سورة التغابن: الآية ١)، كما أن مشاركة طلبة الجامعات في العمل التطوعي المجتمعي يمثل بعداً مهماً وحيوياً في ممارسة وتطبيق ما تم تعلمه من مواد نظرية، وربط المخرجات التعليمية باحتياجات المجتمع ومشكلاته، وعلى الرغم من أهمية السلوك التطوعي في حياة الإنسان، وكونه أحد الأسس المهمة في تماسك المجتمعات، إلا أنه لم يستحوذ على الاهتمام الكافي لدى الدارسين والباحثين في العلوم السلوكية والبيولوجية، وقد يعزى السبب في ذلك إلى إنشغال الباحثين والمختصين بدراسة السلوكيات الاجتماعية السلبية المضادة للمجتمع، كالسرقة والعدوان والكذب والانحرافات المختلفة.

● نتساءل كيف يمكن إشباع الحاجات البيولوجية الأساسية، وتحقيق الطمأنينة ومعنى الحياة في ظل حصار وتجويع واعتقال وتهديد، وكيف إجتياز ذلك للوصول إلى المرتبة الثالثة المتعلقة بالحاجة إلى الإنتماء إلى جماعة والمساهمة في الأعمال التطوعية، ونحن لم نتمكن من إشباع الحاجات البيولوجية الضرورية، فغلبة الحاجات الشخصية الأساسية التي نفتقر إليها، لا تمكننا من الانتقال إلى خطوة جديدة من حيث الاحتياجات كما هو معروف في سلم ماسلو للاحتياجات، ففي مقارنه عامة بين الواقع المعيشي الصعب للشعب الفلسطيني، وبين ترتيب الاحتياجات على سلم ماسلو نجد ان غالبية الناس عالقين في الدرجات الأولى في السلم، وحتى نصل إلى الدرجة الثالثة المتعلقة بالحاجة إلى الإنتماء إلى جماعة يتفاعل معها الفرد وتتفاعل معه، لا بد أولاً من إشباع الحاجات التي تسبقها، حيث إن الحاجة وفقاً لنظرية ماسلو هي التي تحرك السلوك وتدفعه وإذا ما اشبعت إحدى الحاجات فإنها تتوقف عن كونها دافعا للسلوك وعندها ينتقل الفرد إلى مستوى جديد أو درجة جديدة من الحاجات ليبحث عن سبل إشباعها. وعليه وتأسيساً على ما سبق ذكره من مبررات لإجراء

٨ - راضي، فوقيه (٢٠٠٧): معنى الحياة لدي عينة من خريجي الجامعة العاطلين عن العمل وعلاقته بالقيم والعدائية، المجلة المصرية للدراسات النفسية، المجلد (٧)، العدد (٥٧)، ص ٤٣١-٤٣٢.

الدراسة، وبيان أهمية وفوائد العمل التطوعي التي تعود على الفرد والمجتمع، فإن الدراسة الحالية تصبح لها ضرورة بحثية منطقية، وتتحدد مشكلة الدراسة بالتساؤلات الآتية:

- ١- هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المشاركة في ممارسة العمل التطوعي والشعور بمعنى الحياة؟
- ٢- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة في الإتجاه نحو ممارسة العمل التطوعي تبعاً لمتغير مستوى دخل الأسرة.
- ٣- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة في الشعور بمعنى الحياة تبعاً لمتغير مستوى دخل الأسرة.

أهمية الدراسة:

- ١- تثبت أهمية الدراسة من أهمية طلبة الجامعات الذين يمثلون ثروة كل أمة تنشده التقدم والرفق، وهم الطاقة الحيوية التي لها القدرة على رسم ملامح الحركة والتجديد لشعب يطمح للتطور في حياته وحضارته.
 - ٢- وتتأتى أهمية الدراسة من قلة البحوث والدراسات التي اهتمت بدراسة التطوع وعلاقته بمعنى الحياة فعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع إلا انه لم يول الاهتمام الكافي من الناحية الدراسية.
 - ٣- تأتي أهمية الدراسة من أهمية المتغيرات التي تتناولها، فللعمل التطوعي أهمية ومكانة كبرى فهي تؤثر بشكل إيجابي في حياة الفرد والأسرة والمجتمع، فالعمل التطوعي يسهم بتحقيق الترابط والتآلف والتآخي بين الناس، وتجسيد لمبدأ التكافل الاجتماعي والمواطنة والإيثار، وتحسين المستوى الاقتصادي والاجتماعي، واستثمار وقت الفراغ، والإحساس بالآخرين، والمساهمة والمبادرة في إتخاذ القرار، أما الشعور بمعنى الحياة فهو يجعل الفرد حراً فاعلاً قادراً على إتخاذ قراراته، ويدفع به هذا الشعور إلى السمو فوق حاجاته وغرائزه.
 - ٤- وتتمثل الأهمية من جانب تطبيقي بإعداد مقاييس الدراسة المتمثلة في مقياس ممارسة العمل التطوعي، ومقياس معنى الحياة، يمكن استخدامها في الدراسات المستقبلية.
- أهداف الدراسة: تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على العلاقة بين ممارسة العمل التطوعي و الشعور بمعنى الحياة، والكشف عن الفروق لدى أفراد عينة الدراسة سواء في ممارسة العمل التطوعي والشعور بمعنى الحياة، تبعاً لمستوى دخل الأسرة.

تحديد المصطلحات:

أولاً: العمل التطوعي: تعرفه فهمي وآخرون بأنه "الجهد الذي يبذل عن رغبة واختيار بغرض أداء واجب اجتماعي دون توقع جزاء مالي"^(١) ويعرفه الباحثان إجرائياً: بأنه الدرجة التي يحصل عليها الطالب المفحوص على المقياس المستخدم في البحث.

٩ - فهمي، سامية وآخرون (١٩٨٤): طريقة الخدمة الاجتماعية في التخطيط الاجتماعي، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ص ٣٩.

ثانياً: المعنى في الحياة: يعرفه فرانكل بأنه حالة يسعى الإنسان للوصول إليها لتضفي لحياته قيمة ومعنى العيش من أجلها، وتحدث نتيجة لإشباع دافعه الأساسي المتمثل بإرادة المعنى.⁽¹⁾ ويعرفه الباحثان إجرائياً: بأنه الدرجة التي يحصل عليها الطالب المفحوص على المقياس المستخدم في البحث.

حدود الدراسة: تتحدد حدود الدراسة الحالية بما يلي:

البعد الموضوعي: ممارسة العمل التطوعي وعلاقته بالشعور بمعنى الحياة.

البعد المكاني: تم إجراء الدراسة على عينة من طلبة الجامعات بمحافظة غزة.

البعد الزمني: تم تطبيق الدراسة خلال الربع الأول من عام ٢٠١٠.

البعد الإجرائي: تم تطبيق أدوات الدراسة المتمثلة في مقياس ممارسة العمل التطوعي، ومقياس معنى الحياة، كما تتحدد بالعينة والأساليب الإحصائية المستخدمة.

دراسات سابقة:

أولاً: دراسات سابقة تناولت متغير العمل التطوع:

دراسة رفعت^(٢٠): هدفت إلى تقصي العلاقة بين متغيرات الإيثار وتحقيق الذات وابعاد الشخصية. وتكونت عينة الدراسة من (٣٠) طالب وطالبة من طلاب كلية التربية ببور سعيد. وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة دالة بين تحقيق الذات و الإيثار و متغيرات الشخصية.⁽²⁾

دراسة النابلسي^(٢٠): هدفت إلى التعرف على دور الشباب الجامعي في العمل التطوعي والمشاركة السياسية، وتكونت عينة الدراسة من (١١٩) طالباً بشكولوغ^٣، ٤% من طلبة الجامعة الأردنية الدراسة، وتوصلت النتائج إلى أن المشاركة في العمل التطوعي والمشاركة السياسية ضعيفة، وأن دور الأسرة ضعيف في التأثير على أبنائها للمشاركة في العمل التطوعي، والمشاركة السياسية، وتأثير الأصدقاء ضعيف، وأن معوقات مشاركة الشباب في العمل التطوعي، هي: الانشغال بالدراسة والاهتمام بالأمر الشخصية، و عدم توافر المعلومات حول التطوع وأماكنه وأوقاته، عدم وجود مصداقية، ولا يوجد اقتناع بالأسلوب.⁽³⁾

دراسة العناني^(٢٠): هدفت التعرف إلى سلوك المساعدة لدى عينة من معلمي الأطفال وأثر متغيري الجنس والعمر والتفاعل بينهما على هذا السلوك، وأثرهما على درجة المساعدة الايثارية. وتألقت عينة الدراسة من (١٦) معلماً ومعلمة تم اختيارهم من رياض الأطفال ومدرسي التعليم. و أظهرت النتائج وجود فروق بين الذكور والاناث في

١٠ - فرانكل، فيكتور (١٩٨٢): الانسان يبحث عن المعنى، ترجمة: طلعت منصور، دار القلم، الكويت، ص ١٣١.

١١ - رفعت، عمرو (٢٠٠٥): العلاقة الايثارية وتحقيق وبعض أبعاد الشخصية لدى طلاب كلية التربية ببور سعيد ومدى تأثرها بممارسة الأنشطة الطلابية، مجلة الإرشاد النفسي، جامعة عين شمس، مصر، العدد (١٩)، ص ٣٧-١.

١٢ - النابلسي، هناء (٢٠٠٦): دور الشباب الجامعي في العمل التطوعي والمشاركة السياسية، الجامعة الأردنية،

المساعدة والايثار لصالح الذكور، كما بينت النتائج أن الدوافع الأكثر أهمية في دفع الفرد لسلوك المساعدة هي الدين، التعزيز الذاتي، المسؤولية، الكفاءة. (1)

دراسة المالكي (٢٠١٤هـ): هدفت إلى معرفة اتجاهات عينة الدراسة ومدى ممارستهم للعمل التطوعي، وإيضاح أهم مجالات العمل التطوعي المتاحة للمرأة في المجتمع السعودي، والوقوف على أهم العوامل التي تدفع المرأة للعمل في المجالات التطوعية، والوقوف على أبرز العوائق أمام عمل المرأة التطوعي، وإيضاح أثر بعض المتغيرات الديموجرافية على مدى إدراك عينة الدراسة للعمل التطوعي، وأسفرت نتائج الدراسة أن اتجاهات عينة الدراسة كانت إيجابية نحو العمل التطوعي، وأن ٦٥٪ من عينة الدراسة ترى أن نجاح العمل التطوعي مرتبط بمدى التفرغ له، وأن ٥٠٪ يرون وجود آثار أسرية ومادية سلبية، وأن الدافع الأساسي للتوجه نحو العمل التطوعي من وجهة نظر العينة، إكتساب خبرات ومهارات جديدة، والرغبة في تقديم المساعدة للآخرين، وتشكل المواصلات أكبر عائق يواجه المتطوعات، كما بينت النتائج أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية في الإتجاه نحو العمل للتطوع بين المتزوجات وغير المتزوجات، وأن الفروق لصالح الغير متزوجات. (2)

دراسة دايمي هاسيك (٢٠١٠): Debbie Haski، هدفت الكشف عن العلاقة بين العمل التطوعي والرفاه لدى عينة من (١٢) دولة أوروبية، وتكونت العينة من (٣٠٦) من الأوربيين تتراوح أعمارهم من (٥١) سنة، وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود إرتباط إيجابي شامل بين العمل التطوعي وإدراك الصحة، والرضا عن الحياة، والنفوس، والعمر المتوقع ووجود علاقة سلبية للإكتئاب. (3)

دراسة معروف ريدزاني (٢٠١٠) Ma'rof Redzuan هدفت إلى إجراء مقارنة بين المتطوعين وغير المتطوعين في الذكاء الوجداني، والشخصية، وتقدير الذات، وتكونت عينة الدراسة من (١٦٦) متطوعاً، و(١٠٧) غير متطوع، وأظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق بين المتطوعين وغير المتطوعين في الذكاء الوجداني، أما بالنسبة لمتغير تقدير الذات وسمات الشخصية، فقد بينت النتائج أن هناك فروقاً كبيرة وجوهريّة بين المتطوعين وغير المتطوعين على مقياس تقدير الذات لصالح المتطوعين، وعلى متغير سمات الشخصية الانبساطية. (4)

دراسة كيفين، وروسيل، وماثيو (٢٠١٠) Kevin, Russell & Matthew، هدفت بحث العلاقة الارتباطية بين التطوع وتقدير الذات والكفاءة الذاتية والاجتماعية، لدى عينة مكونة من (٢٩٩) من كاليفورنيا، وأستراليا، وقد اختيرت العينة بطريقة عشوائية، وأظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة ارتباط إيجابي بين التطوع وتقدير الذات، والكفاءة الذاتية والاجتماعية، كما بينت النتائج أن التطوع يسهم بشكل فعال في زيادة الترابط المجتمعي. (5)

١٣ - العناني، حنان (٢٠٠٧): المساعدة والايثار لدى عينة من معلمي الأطفال في الأردن، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الانسانية) المجلد (٢١) العدد (٤) ص ١٠٥٥-١٠٧٨.

١٤ - المالكي، سمر (١٤٣١هـ): مدى إدراك طالبات الدراسات العليا بجامعة أم القرى لمجالات العمل التطوعي للمرأة في المجتمع السعودي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية.

15- eibbeD.H (٢٠٠٩): **Elderly Volunteering and Well-Being: A Cross-European Comparison Based on SHARE Data**, : International Journal of Voluntary and Nonprofit Organizations.

16- Ma'rof, R (2011): **Emotional Intelligence, Personality and Self Esteem:A Comparison of the Characteristics among Two Categories of Subjects**, International Journal of Humanities and Social Science, Vol. 1 No. 8. pp 238- 247.

17- Kevin. M. , Russell .H & Matthew N (2012): **Self-Esteem, Self-Efficacy, and Social Connectedness as Mediators of the Relationship Between Volunteering and Well-Being**, Journal of Social Service Research, pp 468-483.

ثانياً: دراسات سابقة تناولت متغير معنى الحياة:

دراسة الأعرجي (٢٠١): هدفت التعرف على طبيعة العلاقة بين فقدان المعنى والتوجه الديني، والاستجابات المتطرفة، لدى عينة من طلبة جامعة بغداد ولتحقيق أهداف الدراسة عرب الباحث وكيف مقياس المعنى لكرمبو وماهولك (١٩٦)، وصمم الباحث مقياس التوجه الديني، وتكونت عينة الدراسة من (٦٠) طالباً وطالبة وأوضحت النتائج أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين متغيرات الدراسة الثلاثة، وأن لديهم مستويات مرتفعة من المعنى في الحياة والتوجه الديني، ونمط الاستجابة المتطرفة، ولم تظهر النتائج فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث من طلبة الجامعة في مستوى فقدان المعنى (القطب الآخر للمعنى في الحياة) لديهم بينما ظهرت فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى فقدان المعنى بين طلبة التخصص العلمي والإنساني من طلبة الجامعة لصالح طلبة التخصص العلمي.^(١)

دراسة راضي (٢٠١): هدف إلى تحديد الفروق في معنى الحياة (الإنجاز، العلاقات، الدين، سمو الذات، تقبل الذات، المودة، المعاملة العادلة) بين خريجي الجامعة العاملين والعاطلين عن العمل، والتعرف على تأثير متغيري النوع ومدة البطالة على معنى الحياة، وكذلك التحقق من طبيعة العلاقات بين معنى الحياة لدى خريجي الجامعة العاطلين عن العمل وكل من القيم والعدائية، تكونت عينة البحث من (٤٥) من خريجي الجامعات المصرية استجابوا لمقياس معنى الحياة، واختبار القيم ومقياس العدائية (إعداد الباحثة)، وقد أشارت نتائج البحث إلى وجود فروق دالة إحصائية بين خريجي الجامعة العاملين والعاطلين عن العمل في معنى الحياة وذلك في صالح العاملين، كما أشارت النتائج إلى وجود فروق دالة إحصائية بين الذكور والإناث من العاطلين عن العمل في معنى الحياة وذلك في صالح الإناث، كذلك اتضح وجود فروق دالة إحصائية بين العاطلين عن العمل لمدة تقل عن (٩) سنوات، والعاطلين لمدة (٩) سنوات فأكثر في معنى الحياة وذلك في صالح المجموعة الأولى، كما أشارت النتائج إلى وجود علاقات موجبة دالة إحصائية بين معنى الحياة والقيم (الإنجاز، الانتماء، الاهتمام بالبيئة، الاهتمام بالآخرين، الابتكارية، الرفاهية المالية، الصحة والنشاط، التواضع، الاستقلالية، الولاء للأسرة أو الجماعة، الفهم العلمي، الخصوصية، المسؤولية، الروحانية)، بينما بينت النتائج وجود علاقة سالبة بين معنى الحياة والعدائية لدى العاطلين عن العمل.^(٢)

دراسة قاسم (٢٠١): هدفت فحص العلاقة بين معنى الحياة ومظاهر الصحة النفسية السلبية، إضافة إلى معرفة الأثر المترتب من الخبرة الصوفية في كلا من معنى الحياة ومظاهر الصحة النفسية السلبية. تكونت عينة الدراسة من مجموعتين من الذكور مجموعة من المتصوفة عددهم (٤) فرداً. أما المجموعة الأخرى فهي من غير المتصوفة بلغ عددهم (٤) فرداً. وقد استخدمت الدراسة اختبارين هما (مقياس الصحة النفسية، إعداد/عماد الدين إسماعيل وسيد عبد الحميد مرسي، ١٩٧) و(مقياس معنى الحياة إعداد/هارون الرشيد، ١٩٩) وتوصلت الدراسة إلى النتائج وجود فروق دالة بين المجموعتين في بعدي معنى الحياة (الثراء الوجودي- الرضا الوجودي) لصالح مجموعة المتصوفة، كذلك وجود فروق دالة بين المجموعتين في مظاهر الصحة النفسية السلبية (الاكتئاب- القلق-الخوف على الصحة وأعراض السيكوسوماتيك) لصالح مجموعة غير المتصوفة. كما انتهت الدراسة إلى وجود ارتباط دال سالب بين معنى الحياة والصحة النفسية السلبية.

١٨ - الأعرجي، إبراهيم (٢٠٠٧): فقدان المعنى وعلاقته بالتوجه الديني ونمط الاستجابات المتطرفة لدى طلبة جامعة بغداد، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة ابن رشد: بغداد.

١٩ - راضي، فوقيه (٢٠٠٧): معنى الحياة لدى عينة من خريجي الجامعة العاطلين عن العمل وعلاقته بالقيم والعدائية، المجلة المصرية للدراسات النفسية، المجلد (٧)، العدد (٥٧)، ص ٤٢٩-٤٦٤.

و انتهت الدراسة إلى إن التفاعل بين معني وسنوات التصوف له قدرة تنبؤية عكسية للصحة النفسية السلبية، سواء كان ذلك من خلال الارتباط المتعدد أو الجزئي^(١)

دراسة الهامص^(٢٠): هدفت إلى اختبار فعالية برنامج إرشادي قائم على فنيات العلاج بالمعنى في خفض قلق العنوسة وتحسين معنى الحياة. وتكونت عينة الدراسة (٢) من طالبات الدراسات العليا المتأخرات في سن الزواج مقسمين إلى مجموعتين تجريبية وضابطة بكل منها (١) طالبات. اشتملت أدوات الدراسة على مقياس قلق العنوسة ومعنى الحياة (إعداد الباحث) بالإضافة إلى البرنامج الإرشادي المصمم .

وقد كشفت الدراسة عن النتائج التالية : وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات رتب درجات المجموعتين التجريبية والضابطة على مقياس قلق العنوسة في القياس البعدي (في الاتجاه الأفضل) لصالح المجموعة التجريبية . وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات رتب درجات المجموعة التجريبية في القياسين القبلي والبعدي على مقياس قلق العنوسة (في الاتجاه الأفضل) لصالح القياس البعدي. ووجدت فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات رتب درجات المجموعتين التجريبية والضابطة على مقياس معنى الحياة في القياس البعدي (في الاتجاه الأفضل) لصالح المجموعة التجريبية. ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات رتب درجات المجموعة التجريبية في القياسين القبلي والبعدي على مقياس معنى الحياة (في الاتجاه الأفضل) لصالح القياس البعدي. وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات رتب درجات المجموعة التجريبية على مقياس قلق العنوسة في القياسين البعدي والتبقي. وكذلك عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات رتب درجات المجموعة التجريبية على مقياس معنى الحياة في القياسين البعدي والتبقي.^(٢)

دراسة إسماعيل و شحاتة (٢٠): هدفت الكشف عن معنى الحياة في علاقته بالتفاؤل والتشاؤم وذلك علي عينة من لحادي القبور(الفحارين)، استخدم الباحثان أداتين هما: مقياس معنى الحياة من إعداد ميشيل ستبجر واخرون^(٢٠٩)، نجمة الباحثة، والقائمة العربية للتفاؤل والتشاؤم إعداد أحمد عبد الخالق^(١٩٩)، طبقت تلك الأدوات علي عينة قوامها(٣) فرداً من لحادي القبور الذكور بأحدي قري محافظة المنيا، وخلصت الدراسة إلي عدة نتائج أهمها: أن معنى الحياة ينتظم في بعدين مهمين هما: الوجود والبحث. أيضاً وجدت علاقة ارتباطيه ذات دلالة إحصائية بين أبعاد معنى الحياة والتفاؤل والتشاؤم لدي عينة البحث، كما أسفرت النتائج عن وجود فروق دالة إحصائياً بين مرتفعي ومنخفضي معنى الحياة في التفاؤل والتشاؤم.^(٣)

دراسة زيدان (٢٠): هدفت التعرف على مستوى معنى الحياة وفاعلية الذات وكذلك معرفة العلاقة بينهما لدى عينة من طالبات المرحلة الاعدادية، وقد بلغت عينة البحث^(١٢) طالبة من ثانويات محافظة صلاح الدين / قضاء تكريت، وقد قامت

٢٠ - قاسم، عبد المرید (٢٠٠٧): معنى الحياة لدى المتصوفة وعلاقته بالصحة النفسية، المجلة المصرية للدراسات النفسية، المجلد (٧)، العدد (٥٧)، ص ٢٣٣-٢٦٤.

٢١ - الهامص، سيد (٢٠٠٩):فعالية الإرشاد بالمعنى في خفض قلق العنوسة وتحسين معنى الحياة لدى طالبات الدراسات العليا المتأخرات في سن الزواج، المجلة المصرية للدراسات النفسية، المجلد،(١٩)، العدد (٦٥)، ص ١٦٧-٢١٣.

٢٢ - إسماعيل، حسام وشحاتة، سامية (٢٠١٠): معنى الحياة وعلاقته بالتفاؤل والتشاؤم لدى عينة من لحادي القبور، مجلة دراسات نفسية- رابطة الاخصائيين النفسيين المصرية، المجلد (٢٠) العدد (٤) ص ص ٣٩٧-٤٣٦.

الباحثة ببناء مقياس لمعنى الحياة. أما المتغير الثاني فاعلية الذات حيث اعتمدت الباحثة على مقياس محمود^(٢٠٩). وقد أظهرت النتائج: أن طالبات المرحلة الإعدادية يتمتعن بمستوى عال لمعنى الحياة وفاعلية الذات في قضاء تكريت.^(١)

دراسة خولج^(٢٠١): هدفت التعرف على العلاقة الارتباطية بين معنى الحياة والرضا عنها، وتكونت عينة الدراسة من^(٢٤) طالبة من جلبة جامعة حائل بالسعودية، واستخدمت الباحثة بروفيل المعنى في الحياة إعداد وانج (Wong, 1998) تعريب فوقية راضي^(٢٠٩)، ومقياس الرضا عن الحياة من إعداد مجدي الدسوقي^(١٩٩). وأسفرت نتائج الدراسة عن وجود علاقة ارتباطية بين معنى الحياة والرضا عنها، كما يتضح أن أهم عامل من عوامل معنى الحياة والتي يمكن أن تسهم في التنبؤ بالرضا عن الحياة هو عامل الدين، يليه سمو الذات، يليه تقبل الذات.⁽²⁾

دراسة عبد الوائلي^(٢٠١): هدفت التعرف على مستوى المعنى في الحياة لدى طلبة جامعة بغداد والتعرف على الفروق في مستوى معنى الحياة تبعاً لمتغيرات الجنس، والتخصص، والتعرف على مستوى نمط الشخصية (A,B)، والتعرف على الفروق في مستوى نمط الشخصية (A,B) تبعاً لمتغيرات الجنس، والتخصص، والتعرف على العلاقة بين المعنى في الحياة ونمط الشخصية (A,B). استخدمت الباحثة مقياس المعنى في الحياة المعرب والمكيف على الهيئة العراقية من قبل الاعرجي وقامت الباحثة بتعريب مقياس نمط الشخصية (A,B) وتكيفه على البيئة العراقية. وأظهرت النتائج إن طلبة جامعة بغداد يتمتعون بمستوى في المعنى في الحياة ووجود فروق ذات دلالة احصائية في المعنى للحياة لصالح الذكور، ولا توجد فروق في المعنى للحياة تبعاً للتخصص (علمي، إنساني).⁽³⁾

تعقيب عام على الدراسات السابقة:

من خلال استقراء الدراسات السابقة، يتقدم الباحثان بمجموعة من الملاحظات، من أجل تحقيق وتعظيم الإستفادة منها واستثمارها وتوظيفها في الدراسة الحالية:

١ - اختلفت الدراسات السابقة التي تناولت التطوع في أهدافها تبعاً لأهداف الباحثين فمنها ما ركزت على الرضا عن الحياة، الرفاهية، السعادة، تقدير الذات، الكفاءة الإجتماعية، الذكاء الوجداني، سمات الشخصية، الاتجاه نحو ممارسة العمل التطوعي. في حين ركزت الدراسات السابقة التي تناولت متغير معنى الحياة في أهدافها، حيث ركزت على دراسة العلاقة بين معنى الحياة والتفاؤل والتشاؤم، نمط الشخصية، التوجه الديني، المساندة الاجتماعية، الحالة المزاجية، سمو الذات، الإنجاز، الصحة النفسية، فاعلية الذات. وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في تناولها لمتغير معنى الحياة.

٢٣ - زيدان، ربيعة (٢٠١٠): معنى الحياة وعلاقته بفاعلية الذات لدى طلبة المرحلة الإعدادية، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد (١٢)، العدد (٦)، ص ص ٥٠٥ - ٥٤٠.

٢٤ - خوج، حنان (٢٠١١): معنى الحياة وعلاقته بالرضا عنها لدى طالبات الجامعة بالملكة العربية السعودية، مجلة العلوم التربوية والنفسية بجامعة القرى، المجلد (٣)، العدد (٢)، ص ص ١٢ - ٤٤.

٢٥ - عبد الوائلي، جميلة (٢٠١٢)، المعنى في الحياة وعلاقته بنمط الشخصية (A,B) لدى طلبة جامعة بغداد، مجلة الأستاذ، العدد (٢٠)، ص ص ٦٠٩ - ٦٦٤.

٢- تباينت عينات الدراسات السابقة من باحث لأخر، فقد اشتملت تلك الدراسات على عينات مختلفة مثل: الطلبة الجامعيين، المعلمين والمعلمات، المسنين، المرأة، حفاري القبور، والمتصوفة. وتتفق الدراسة الحالية مع بعض الدراسات السابقة في تطبيقها على عينة من الطلبة الجامعيين.

٣- تتفق الدراسة الحالية مع معظم الدراسات السابقة في استخدامها المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج المناسب لهذه الدراسة.

٤- من حيث النتائج، توصلت نتائج الدراسات السابقة إلى ما يلي:

- أن الرضا عن الحياة لدى المشاركين في العمل التطوعي أفضل من أقرانهم الذين لم يشاركوا في العمل التطوعي.
- أن معوقات مشاركة الشباب في العمل التطوعي، هي: الانشغال بالدراسة والاهتمام بالأمر الشخصية، وعدم توافر المعلومات حول التطوع وأماكنه وأوقاته، عدم وجود مصداقية، ولا يوجد اقتناع بالأسلوب.
- وجود ارتباط إيجابي بين العمل التطوعي وبين الشعور بالرفاهية وحسن الحال، والسعادة، والرضا عن الحياة، وتقدير الذات، والصحة النفسية.
- الدوافع الأكثر أهمية في دفع الفرد لسلوك التطوع هي الدين، التعزيز الذاتي، المسؤولية، الكفاءة.
- وجود علاقة ارتباطية موجبة بين كل من معنى الحياة، والهوية الدينية وبين مظاهر الصحة النفسية، والدافعية للإنجاز، الانتماء، الاهتمام بالبيئة، الاهتمام بالآخرين، الابتكارية، الرفاهية المالية، الصحة والنشاط، التواصل، الاستقلالية، الولاء للأسرة أو الجماعة، الفهم العلمي، الخصوصية، المسؤولية، الروحانية.

فروض الدراسة:

في ضوء ما ورد في أدبيات الدراسات السابقة والإطار النظري صاغ الباحثان الفرضيات التالية:

- ١- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين ممارسة العمل التطوعي والشعور بمعنى الحياة.
- ٢- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة في ممارسة العمل التطوعي تبعاً لمتغير مستوى دخل الأسرة.
- ٣- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة في الشعور بمعنى الحياة تبعاً لمتغير مستوى دخل الأسرة.

إجراءات الدراسة:

أولاً: منهج الدراسة: استخدم الباحثان في الدراسة الحالية المنهج الوصفي التحليلي، بوصفه انسب المناهج الملائمة لتحقيق أهداف الدراسة، ويعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبر عنها تعبيراً كمياً.

ثانياً: مجتمع الدراسة الأصلي: يتكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة جامعات جنوب قطاع غزة (القدس المفتوحة، والإسلامية، والأقصى).

ثالثاً: عينة الدراسة: قام الباحثان باختيار عينة الدراسة بطريقة العينة العشوائية، واشتملت عينة الدراسة على (٥١) طالب من طلبة تلك الجامعات.

رابعاً: أدوات الدراسة: استخدم الباحثان الأدوات التالية:

أولاً: مقياس ممارسة العمل التطوعي: إعداد الباحثان.

قام الباحثان بالإطلاع على الدراسات السابقة التي تناولت العمل التطوعي، كما قاما بإجراء مراجعة لعدد من المقاييس ذات الصلة بمتغير العمل التطوعي، مثل مقياس كل من: (المالكي (٢٠)، و العامر (٢٠١٤هـ). ويتكون المقياس في صورته النهائية من (٢) فقرة، توضع أمام كل فقرة البدائل التالية: (يحدث دائماً، يحدث أحياناً، لا يحدث مطلقاً) ويطلب من المفحوص تحديد البديل الذي ينطبق عليه. وعرض الباحثان المقياس على مجموعة من المحكمين من أعضاء هيئة التدريس في أقسام علم الاجتماع وعلم النفس في الجامعات الفلسطينية، وذلك للكشف عن مدى وضوح الفقرات، ومناسبتها البيئة الفلسطينية، وسلامة ووضوح الصياغة اللغوية للفقرات، وقد حازت فقرات المقياس على اتفاق واجماع السادة المحكمين. وتم اختيار عينة عشوائية استطلاعية Pilot Study Sample قوامها (٥) طالباً من طلبة الجامعات في جنوب قطاع غزة، بهدف التحقق من صلاحية مقياس ممارسة العمل التطوعي للتطبيق في البيئة الفلسطينية من خلال التحقق من الاتساق الداخلي، ومدى ارتباط كل فقرة بالدرجة الكلية، كما تحقق الباحثان من ذلك بإيجاد معاملات الارتباط باستخدام معامل الارتباط بيرسون، وبلغ معامل الارتباط الكلي بين جميع فقرات المقياس (0.69) وهو معامل ارتباط يدل ذلك على قوة الإتساق الداخلي لفقرات مقياس العمل التطوعي جميعها.

جدول رقم (١): يبين معامل ارتباط درجة كل فقرة من مقياس التطوع والدرجة الكلية له.

م	معامل الارتباط	مستوى الدلالة	م	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
١-	0.67	**	١١-	0.49	*
٢-	0.53	**	١٢-	0.47	**
٣-	0.66	**	١٣-	0.57	**
٤-	0.64	**	١٤-	0.45	*
٥-	0.54	**	١٥-	0.47	**
٦-	0.61	**	١٦-	0.59	**
٧-	0.57	**	١٧-	0.69	**
٨-	0.47	**	١٨-	0.42	*
٩-	0.51	**	١٩-	0.41	**
١٠-	0.55	**	٢٠-	0.52	**
معامل الارتباط الكلي: 0.69					

* دالة عند مستوى ٠.٠٥

** دالة عند مستوى ٠.٠١

يتضح أن جميع فقرات المقياس قد حققت ارتباطات دالة مع الدرجة الكلية عند مستوى دلالة أقل من ٠.٠٥، و٠.٠١.

قام الباحثان باستخراج معامل ثبات مقياس الإتجاه نحو ممارسة العمل التطوعي بطريقة الفا كرونباخ، وقد بلغ معامل ثباته (٠.85)، وقد بلغت قيمة معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية، ر (٠.٨) بعد التعديل باستخدام معادلة سبيرمان

براون، وهي قيمة دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (٠.٠٥) الأمر الذي يدل على درجة جيدة من الثبات تفي بمتطلبات الدراسة.

ثانياً: مقياس معنى الحياة: إعداد الباحثان.

قام الباحثان بالإطلاع على الدراسات السابقة التي تناولت متغير معنى الحياة، كما قاما بإجراء مراجعة لعدد من المقاييس ذات العلاقة بمفهوم معنى الحياة، مثل مقياس كل من: ستيجر^(٢٠٩)، eaHCI، ومقياس منسي و كاظم^(٢٠٩). ويتكون المقياس في صورته النهائية من (٢) فقرة، توضع أمام كل فقرة البدائل التالية: (تنطبق دائماً، تنطبق أحياناً، لا تنطبق مطلقاً) ويطلب من المفحوص تحديد البديل الذي ينطبق عليه. وتم عرض الباحثان المقياس على مجموعة من المحكمين من أعضاء هيئة التدريس في أقسام علم النفس في الجامعات الفلسطينية، وذلك للكشف عن مدى وضوح الفقرات، ومناسبتها البيئة الفلسطينية، وسلامة ووضوح الصياغة اللغوية للفقرات، وقد حازت فقرات المقياس على اتفاق واجماع السادة المحكمين. واختيرت عينة عشوائية استطلاعية Pilot Study Sample قوامها (٥٠) طالباً من طلبة الجامعات في محافظات غزة، بهدف التحقق من صلاحية مقياس معنى الحياة للتطبيق في البيئة الفلسطينية من خلال التحقق من الاتساق الداخلي لمقياس معنى الحياة، ومدى ارتباط كل فقرة بالدرجة الكلية، كما تحقق الباحثان من ذلك بإيجاد معاملات الارتباط باستخدام معامل الارتباط بيرسون، وبلغ معامل الارتباط الكلي بين جميع فقرات المقياس (0.66) وهو معامل ارتباط يدل ذلك على قوة الإتساق الداخلي لفقرات مقياس معنى الحياة جميعها.

جدول رقم (٢): يبين معامل ارتباط درجة كل فقرة من مقياس معنى الحياة والدرجة الكلية له.

م	معامل الارتباط	مستوى الدلالة	م	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
١-	0.71	**	١١-	0.48	*
٢-	0.54	**	١٢-	0.67	**
٣-	0.62	**	١٣-	0.56	**
٤-	0.61	**	١٤-	0.47	*
٥-	0.57	**	١٥-	0.52	**
٦-	0.60	**	١٦-	0.57	**
٧-	0.58	**	١٧-	0.64	**
٨-	0.66	**	١٨-	0.46	*
٩-	0.52	**	١٩-	0.66	**
١٠-	0.59	**	٢٠-	0.53	**
معامل الارتباط الكلي: 0.66					

* دالة عند مستوى ٠.٠٥

** دالة عند مستوى ٠.٠١

يتضح أن جميع فقرات المقياس قد حققت ارتباطات دالة مع الدرجة الكلية عند مستوى دلالة (٠.٠٥)، و(٠.٠١).

قام الباحثان باستخراج معامل ثبات مقياس ممارسة العمل التطوعي بطريقة الفا كرونباخ، وقد بلغ معامل ثباته (0.80)، كما بلغت قيمة معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية، ر² (0.8) بعد التعديل بمعادلة سبيرمان براون، وهي قيمة دالة إحصائياً عند مستوى دلالة أقل من (0.05)، الأمر الذي يدل على درجة جيدة من الثبات تفي بمتطلبات الدراسة.

مناقشة و تفسير نتائج الدراسة :

النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة الأول: ونصه: هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين ممارسة العمل التطوعي والشعور بمعنى الحياة؟ وللإجابة عن هذا السؤال استخدم الباحثان معامل ارتباط بيرسون لإيجاد العلاقة الارتباطية بين المشاركة في ممارسة العمل التطوعي والشعور بمعنى الحياة.

جدول (3): يبين معامل ارتباط بيرسون.

المتغير التابع الشعور بمعنى الحياة	المتغير المستقل
.78 ** *	ممارسة العمل التطوعي

** دالة عند مستوى 0.05

يتضح من بيانات جدول (3) وجود علاقة ارتباطية موجبة بين ممارسة العمل التطوعي والشعور بمعنى الحياة، وقد بلغت قيمة معامل الارتباط (0.78) وهي قيمة مرتفعة وموجبة ودالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) ونخلص من هذه النتيجة أنه كلما ارتفعت الدرجات الدالة على ممارسة العمل التطوعي ارتفعت الدرجات الدالة على مستوى الشعور بمعنى الحياة، ويمكن تفسير ذلك أن العمل التطوعي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقيم والغايات الإنسانية النبيلة، كما يعتبر العمل التطوعي طاقة متأصلة في داخل الفرد تدفعه للقيام بعمل الخير، وهذه الدوافع تحتاج إلى إشباع، فإذا تحققت حالة الإشباع شعر الفرد بالراحة النفسية، بالرضا والسعادة، والشعور بتحقيق مكسب ديني، وزياد الإحساس بالذات، فالمتطوع هو الشخص الذي يسخر نفسه عن طواعية ودون إكراه أو ضغوط خارجية لمساعدة ومؤازرة الآخرين، وتتفق هذه النتيجة مع ما توصل إليه لينجل ورفاقه

(Leangle, et al, 2004) من أن معنى الحياة الشخصي والنفسي يمثل أهم إنجازات الروح الإنسانية لمجاهة الحياة التي تواجه الفرد وكيفية أن يتخذ منطقة وسطى بين إمكانياته والمطالب غير المحددة في حياتنا المعاصرة.

النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة الثاني: ونصه: وهو هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة في ممارسة العمل التطوعي تبعاً لمتغير مستوى دخل الأسرة. وللإجابة على هذا السؤال استخدم الباحثان اختبار تحليل التباين الأحادي One Way ANOVA لفحص أثر مستوى الدخل على ممارسة العمل التطوعي لدى أفراد عينة الدراسة، والجدول التالي يبين قيمة (F)

جدول (٤) تحليل التباين الأحادي لدرجات أفراد العينة في أدائهم على مقياس ممارسة العمل التطوعي حسب متغير مستوى دخل الأسرة

المقياس	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات	متوسط	قيمة F	مستوى
ممارسة العمل التطوعي	بين المجموعات	٠.١٩	٢.٠٠	٠.٩٥	1.18	غير دالة إحصائياً
	داخل المجموعات	٤.٨٥	٥٠٧	٠.٠٥		
	المجموع	٥.٠٤	٥٠٩.٠			

تبين من خلال جدول (٤) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في ممارسة العمل التطوعي تبعاً لمتغير مستوى دخل الأسرة ، وتشير هذه النتيجة أن مستويات الدخل المختلفة للطلبة، لا أثر لها في ممارسة العمل التطوعي، فالإمكانيات المادية المتواضعة لا تقف حجر عثرة أمام ممارسة العمل التطوعي في المجتمع، فالعامل المادي ليس هو الموجه لممارسة العمل الطوعي، وهذا التفسير يتسق مع تعريف (عبد الله الخطيب، ٢٠١٤ هـ) للتطوع بأنه، "الجهد والعمل الذي يقوم به فرد أو جماعة أو تنظيم بهدف تقديم خدماتهم للمجتمع، أو فئة منه دون توقع لجزاء مادي مقابل جهودهم"، فالعمل التطوعي يعتبر ممارسة إنسانية، تدل على حيوية الفرد ونشاطه؛ حيث يساهم في استغلال طاقات الأفراد في مجالات مثمرة وهادفة، وهو - بلا شك- ركيزة أساسية في بناء المجتمع، وفي نشر التماسك الاجتماعي بين أفرادها. وما يميز العمل التطوعي وجود رغبة حقيقية وصادقة عند المتطوع للعمل بدافع ذاتي، مصحوباً بإيمان عميق، بأهمية ما يقوم به، ويكون مستعداً في سبيل ذلك أن يضحي بوقته لإنجازه، وأن ينفق من أمواله - أحياناً - لإتمامه مع مشاركة الآخرين.

النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة الثالث: ونصه: وهو هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة في الشعور بمعنى الحياة تبعاً لمتغير مستوى دخل الأسرة.

وللإجابة على هذا السؤال استخدم الباحثان اختبار تحليل التباين الأحادي One Way ANOVA لفحص أثر مستوى الدخل على الشعور بمعنى الحياة لدى أفراد عينة الدراسة، والجدول التالي يبين قيمة (F)

جدول (٥) تحليل التباين الأحادي لدرجات أفراد العينة في أدائهم على مقياس معنى الحياة حسب متغير مستوى الدخل

المقياس	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات	متوسط	قيمة F	مستوى الدلالة
معنى الحياة	بين المجموعات	٠.٣١	٢.٠٠	٠.١٥	٢.٤٢	غير دالة إحصائياً
	داخل المجموعات	٥.٧٩	٩١.٠٠	٠.٠٦		
	المجموع	٦.١٠	٩٣.٠٠			

تبين من خلال جدول (٥) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في شعور الطلبة بمعنى الحياة تبعاً لمتغير مستوى دخل الأسرة، وتدلل هذه النتيجة على أن معنى الحياة لا علاقة لها بالثراء والفقير، فجوهر الإنسان يتمثل في الإمكانيات والطاقات المتجذرة فيه، وهي التي تعطي للإنسان معنى لوجوده وهدفاً لحياته، فيه تحقيق لإنسانيته وإعلاء للنفس فوق ماديته، فمعنى الحياة لا ينبثق من الظروف الاقتصادية والاجتماعية، وإنما هو نابع من السمو وهو دليل على الطهر والعفة وتغليب الجانب الروحي على الجانب المادي، وتتسق هذه النتيجة مع ما توصل إليه "إريك فروم" في كتابه الشهير *To have or to be*

أن السبيل إلى معنى الحياة يكمن في تمسك الإنسان بكيونوته وليس بما يملكه، بداخله وليس بخارجه، ونستطيع أن نوضح ذلك عبر مسلكين هامين هما: البعد عن شهوة التملك. البعد عن الأثرة إلى الإيثار.

توصيات الدراسة:

في ضوء أدبيات الدراسة، وانطلاقاً مما خلصت إليه الدراسة من نتائج، أمكن التوصل إلى مجموعة من التوصيات والمقترحات يلخصها الباحثان فيما يلي:

١- الإهتمام بتنمية الإتجاهات الإيجابية نحو ممارسة العمل التطوعي، وتفعيل دور الجامعة في تنظيم ممارسة العمل التطوعي من خلال الأنشطة المختلفة، لتحقيق النمو النفسي ومعنى الحياة.

٢- تحفيز الطلبة على المشاركة في الفعاليات المجتمعية من خلال الإنخراط في العمل التطوعي.

٣- الإهتمام الإعلامي بتوعية الأفراد بأهمية العمل التطوعي ودوره في تنمية المجتمع وخدمته واكتساب الخبرات الحياتية.

٤- تضمين المقررات الدراسية موضوعات عن أهمية العمل التطوعي ودوره التنموي والعمل على إيجاد علاقة تعاون وثيقة بين الجامعات و المؤسسات العاملة في المجال التطوعي.

٥- تدعيم جهود الباحثين لإجراء المزيد من الدراسات والبحوث حول العمل التطوعي.

٦- معالجة بعض المشكلات النفسية والسلوكية والصحية من قبيل حالات الإدمان على المخدرات، وسوء التكيف، وحالات الإنحراف من خلال برامج مخططة ذات صلة بالعمل التطوعي.

دراسات مستقبلية مقترحة:

استكمالاً للجهد الذي بذل في الدراسة الحالية، يرى الباحثان ضرورة إجراء المزيد من البحوث والدراسات، بحيث تتناول العناوين التالية:

١- ممارسة العمل التطوعي وعلاقته ببعض مكونات الإيجابية.

٢- إجراء دراسة تتناول معوقات عمل المرأة التطوعي في المجتمع الفلسطيني والحلول المقترحة للحد منها.

٣- دراسة تأثير أساليب التنشئة الأسرية في إكساب الأبناء العمل التطوعي في ضوء المحددات التالية: (النوع، مستوى الدخل، المستوى التعليمي، الدين).

٤- دراسة العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المرتبطة بمعنى الحياة لدى طلبة الجامعة.

قائمة المراجع:

١- إسماعيل، حسام و شحاتة، سامية (٢٠١٠): معنى الحياة وعلاقته بالتفاؤل والتشاؤم لدى عينة من لحادي القبور، مجلة دراسات نفسية- رابطة الاخصائيين النفسيين المصرية، المجلد (٢) العدد (٤).

٢- الأعرجي، إبراهيم (٢٠١٠): فقدان المعنى وعلاقته بالتوجه الديني ونمط الاستجابات المتطرفة لدى طلبة جامعة بغداد، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة ابن رشد: بغداد.

- ٣- البهاص، سيداً (٢٠٠٩): فعالية الإرشاد بالمعنى في خفض قلق العنوسة وتحسين معنى الحياة لدى طالبات الدراسات العليا المتأخرات في سن الزواج، المجلة المصرية للدراسات النفسية، المجلد (١)، العدد (٦٩).
- ٤- الخطيب، عبد الله (١٤٤١هـ): دور العمل التطوعي في تحقيق السلام والأمن الاجتماعيين، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.
- ٥- خوج، حنان (٢٠١٠): معنى الحياة وعلاقته بالرضا عنها لدى طالبات الجامعة بالمملكة العربية السعودية، مجلة العلوم التربوية والنفسية بجامعة القرى، المجلد (٣)، العدد (٢).
- ٦- راضي، فوقيلا (٢٠٠٩): معنى الحياة لدي عينة من خريجي الجامعة العاطلين عن العمل وعلاقته بالقيم والعدائية، المجلة المصرية للدراسات النفسية، المجلد (٧)، العدد (٥٧).
- ٧- رفعت، عمر (٢٠٠٩): العلاقة الايثارية وتحقيق وبعض أبعاد الشخصية لدى طلاب كلية التربية ببور سعيد ومدى تأثرها بممارسة الأنشطة الطلابية، مجلة الإرشاد النفسي، جامعة عين شمس، العدد (١).
- ٨- زيدان، ربيعة (٢٠٠٩): معنى الحياة وعلاقته بفاعلية الذات لدى طلبة المرحلة الاعدادية، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد (١)، العدد (٦).
- ٩- سليمان، عبد الرحمن وفوزي، سامية (١٩٩٩): معنى الحياة وعلاقته بالاكْتئاب النفسي لدى عينة من المسنين العاملين وغير العاملين، بحوث المؤتمر الدولي السادس لمركز الإرشاد النفسي، "جودة الحياة" القاهرة، مركز الإرشاد النفسي، جامعة عين شمس.
- ١٠- عبد الرزاق، عماد (٢٠٠٩): نمط الوالدية ومتغيرات الشخصية المنبئة بالسلوكي الغيري لدى الأطفال، المؤتمر الدولي السابع لمركز الإرشاد النفسي، "بناء الانسان لمجتمع أفضل" ٥-٧ نوفمبر، جامعة عين شمس.
- ١١- عبد الوائلي، جميلة (٢٠٠٩): المعنى في الحياة وعلاقته بنمط الشخصية (A,B) لدى طلبة جامعة بغداد، مجلة الأستاذ، العدد (٢).
- ١٢- العناني، حنان (٢٠٠٩): المساعدة والايثار لدى عينة من معلمي الأطفال في الأردن، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الانسانية) المجلد (٢) العدد (٤).
- ١٣- عواد، رجاء (٢٠٠٩): برنامج مقترح لتنمية بعض اشكال السلوك الاجتماعي الايجابي للطفل الصم، رسالة كتورها، جامعة القاهرة: معهد البحوث والدراسات التربوية.
- ١٤- فرانكل، فيكتور (١٩٨١): الانسان يبيحث عن المعنى، ترجمة: طلعت منصور، دار القلم، الكويت
- ١٥- فهي، سامية وآخرون (١٩٨١): طريقة الخدمة الاجتماعية في التخطيط الاجتماعي، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.
- ١٦- قاسم، عبد المريد (٢٠٠٩): معنى الحياة لدى المتصوفة وعلاقته بالصحة النفسية، المجلة المصرية للدراسات النفسية، المجلد (٧)، العدد (٥٧).

١٧- اللحياني، مساعدا (١٤١ هـ) التطوع "مفهومه وأهميته وأثاره الفردية والاجتماعية وعوامل نجاحه ومعوقاته"، أبحاث وأوراق عمل المؤتمر العلمي الأول للخدمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية، المنعقد بجامعة أم القرى، مكة المكرمة.

١٨- المالكي، سمر (١٤٣ هـ): مدى إدراك طالبات الدراسات العليا بجامعة أم القرى لمجالات العمل التطوعي للمرأة في المجتمع السعودي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية.

١٩- النابلسي، هناء (٢٠٠٩): دور الشباب الجامعي في العمل التطوعي والمشاركة السياسية، الجامعة الأردنية، الأردن

www.iugaza.edu.ps/ar/

20- Bandura.A,(1986): **The social foundation of thought and action: asocial cognitive theory** : Englewood cliffs, NG: prentice – Holl

21- latraB leinaD ،(١٩٧٦) : **Prosocial behaviour : theory and research hemisphere publishing coroporation.**

22- eibbeD·H (٢٠٠٩) : **Elderly Volunteering and Well-Being: A Cross-European Comparison Based on SHARE Data**, : International Journal of Voluntary and Nonprofit Organizations , Volume 20, Issue 4.

23- Kevin. M. , Russell .H & Matthew N (2012): **Self-Esteem, Self-Efficacy, and Social Connectedness as Mediators of the Relationship Between Volunteering and Well-Being**, Journal of Social Service Research.

24- Ma'rof, R (2011): **Emotional Intelligence, Personality and Self Esteem: A Comparison of the Characteristics among Two Categories of Subjects**, International Journal of Humanities and Social Science, Vol. 1 No. 8.

25- Myers, H., (1988): **A ddescription study of older person performing volunteer work and the relationship to life satisfaction, purpose in lifeand support**, Ph.D.,dissertation, University of Laws,

26- Leangle, E. Tnnsbruck, G. and Buenos, A. (2004). **The search for meaning in life and the existential fundamental.** Journal of existential psychology & Psychotherapy, Vol. (1), 2.

دور مناهج التربية المدنية بمرحلة التعليم الابتدائي في التربية على المواطنة

أ.د. معتوق جمال/جامعة الجزائر ٢٠١٦ . بن جدو عبد الرحمان/جامعة الجزائر ٢٠١٦

ملخص :

تهدف الدراسة الحالية إلى تحليل المناهج التعليمية في مرحلة التعليم الابتدائي للتعرف على قيم المواطنة التي تتضمنها مناهج التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي، حيث استخدم الباحثون منهج تحليل المحتوى، وكانت عينة البحث متمثلة في مناهج التربية المدنية للسنوات الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة بمرحلة التعليم الابتدائي الصادرة سنة ٢٠١٦. توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

✓ تسعى مناهج التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي إلى تنمية قيم المواطنة لدى التلاميذ وبدل على ذلك ما تحتويه من قيم المواطنة الأكثر تواجدا في المناهج التعليمية الحديثة تهدف إلى إعداد المواطن الصالح.

✓ تضمنت مناهج التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي مجموعة من قيم المواطنة حيث لم تتوزع بشكل متساوي عبر مراحل التدريس في التعليم الابتدائي فركزت بالدرجة الأولى على قيم الواجبات، في المرتبة الثانية نجد قيم الانتماء للوطن، واحتلت قيم الحقوق المرتبة الثالثة، بينما كانت قيم البيئة في المرتبة الرابعة في محتوى مناهج التربية المدنية وأخيرا احتلت قيم الديمقراطية المرتبة الخامسة.

✓ ان مناهج التربية المدنية لمرحلة التعليم الابتدائي ركزت في تنمية قيم المواطنة على قيم الواجبات بشكل أكبر لأن في هذه المرحلة يمكن أن ننمي في التلميذ الكثير من المهارات والقدرات والسلوكيات والقيم الأخلاقية والاسلامية والاجتماعية معتمدين في ذلك على مصادر عديدة من المعارف والوسائل كالأيات القرآنية والأحاديث النبوية والقوانين واللوائح العالمية وهي تخدم بدورها بقية القيم.

كلمات مفتاحية: المناهج التعليمية، مرحلة التعليم الابتدائي، المواطنة، التربية المدنية.

مقدمة:

شهدت المجتمعات العربية مع بداية الألفية الثالثة تغيرات متسارعة في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، الأمر الذي ترتب عليه ظهور انماط سلوكية جديدة في هذه المجتمعات، ابرزها التغير الواضح في علاقة الأفراد بالدولة والمجتمعات التي ينتمون إليها، رافق ذلك ظهور انماط تفكير وممارسات أثرت سلبا في تماسك وتلاحم المجتمع كما ساهمت العولمة بتداعياتها الثقافية والاقتصادية والايديولوجية في تنامي وانتشار هذه الأفكار والسلوكيات التي تكاد أن تقضي على المجتمعات العربية، وما يحدث حاليا في ما يسمى بدول الثورات العربية (ليبيا، مصر، تونس، سوريا...) لأكبر دليل على ما يهدد استقرار وأمن الشعوب والأنظمة في هذه الدول .

لقد أدت هذه التغيرات إلى تزايد الاهتمام بالتربية على المواطنة لدى الحكومات باعتبارها صمام الأمان لتمسك النسيج الاجتماعي للدول والشعوب كما اتخذ هذا الموضوع عناية المفكرين والباحثين في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والتربوية، فكان لابد من إعادة النظر في المناهج والبرامج التربوية التي تقدم لطلابنا في جميع المراحل التعليمية.

فالنظام التربوي هو المسؤول بالدرجة الأولى على تكوين واعداد المواطن الصالح ، ذلك المواطن الذي يعرف حقوقه، ويؤدي واجباته، ويشارك في الحياة السياسية والمدنية، ويتحلى بالمبادئ الديمقراطية فيعبر عن رأيه بحرية ويحترم الآخرين ويتقبل التعايش معهم دون تمييز، فيشعر بأنه مواطن حر يمكنه أن يساهم في تسيير دواليب الحكم وعملية التنمية الشاملة بشكل ايجابي.

ولكي يحقق النظام التربوي هدفه في عملية التربية على المواطنة لابد من إعداد مناهج تربوية ترمي إلى ترسيخ ثوابت الأمة والحفاظ على الهوية الوطنية والانتماء والولاء إلى الوطن وإرساء مبادئ الديمقراطية والمساواة والعدالة والحرية وتفعيل المشاركة الإيجابية للمواطن في الحياة المدنية والسياسية.

أولاً - إشكالية البحث:

يؤكد التربويون أن تنمية قيم المواطنة لدى المتعلمين من أهم السبل لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين، إذ أن اكساب قيم المواطنة يعد الركيزة الأساسية للمشاركة الإيجابية والفعالة في التنمية الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية وذلك بهدف تطوير معارف النشء بالأمور الاجتماعية والسياسية وتنمية الإحساس بالواجب المحلي والدولي .

ومما لا شك فيه أن مجال التربية والتعليم هو المنبع الذي يستقي منه الفرد مقومات شخصيته وطرق تفكيره ويكسبه السلوك والاتجاه الإيجابي نحو القيم السائدة في المجتمع، ومن خلال كل ذلك يبني ذاته، ولما كانت المناهج الدراسية أداة لبناء الفرد والجماعة فانه جدير بالقائمين على هذا المجال أن يعتنوا أكثر بعملية إعداد المناهج وأن يواكبوا الجديد فيها، وخاصة عندما تستهدف هذه العملية تربية الفرد على المواطنة الصالحة، فتحقيق هذه الغاية الكبرى لا يكتمل إلا بتصميم مناهج حديثة من حيث المفهوم والعناصر المكونة لها وفق المقاربات الحديثة وتقديمها كأداة فعالة بين يدي العاملين في الميدان التربوي.

إن من الغايات الرئيسية للمدرسة تنمية روح المواطنة بين أبناء المجتمع. فالتربية من أجل المواطنة تتضمن اكساب المتعلم لقاعدة عريضة من المهارات والقدرات والميولات والاتجاهات والفضائل التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بممارسة الفرد لأدوار المواطنة. فالتلاميذ لا يكتسبون قيم المواطنة من مجرد دراسة مقرر في مادة التربية المدنية، وإنما يتعين أن تكون تلك المهارات والفضائل حاضرة في سلوكياتهم وفاعلة ومؤثرة من خلال النظام التعليمي بأسره. "بهذا المعنى: فإن التربية من أجل المواطنة لا تمثل - ولا ينبغي أن تمثل- مكوناً مستقلاً في صورة مادة دراسية فقط، وإنما يتعين النظر إليها والتعامل معها بحسبانها إحدى الغايات والمبادئ التي تشكل المنهج الدراسي بأكمله"¹. فتضمن مفاهيم المواطنة بالمناهج الدراسية يعزز قيماً كثيرة كالحقوق والواجبات، وتعزيز الوحدة الوطنية والعدل الاجتماعي والمساواة والتعاون والتسامح وحقوق الانسان والقدرة على الدفاع عنها والالتزام بالواجبات المطلوبة ويسعى إلى تعليم التلاميذ ما يسمى بأدب الاختلاف في الآراء والتعددية والمشاركة .

١- هاني عبد الستار فرج: التربية والمواطنة، دراسة تحليلية، بحث منشور، مجلة مستقبل التربية العربية، مج ١٠، ع ٣٥٤، مصر ٢٠٠٤م، ص ٩.

يشهد المجتمع الجزائري اليوم الكثير من الظواهر الاجتماعية السلبية التي بزرت بشكل واضح نتيجة الوضع غير المستقر في الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، يمكن أن نذكر منها (ظاهرة العنف المعنوي والجسدي والذي نجده حتى في المؤسسات التربوية ، والتعدي على الممتلكات العامة والخاصة ، وظاهرة الهجرة غير الشرعية ، وظاهرة العزوف عن المشاركة السياسية خاصة في الانتخابات) إن هذه الظواهر - وغيرها- قد أبانت بوضوح أن سلامة واستقرار المجتمع مهددة، ويبدو أن الدولة الجزائرية أولت اهتماما كبيرا بقطاع التربية والتعليم كنظام يساهم في معالجة هذه الظواهر من خلال مراجعة المناهج التعليمية وتطوير المدرسة بما يستجيب ومتطلبات المرحلة الراهنة، فعملية الإصلاح للمنظومة التربوية تهدف إلى خلق محيط تعليمي يساعد على تربية النشء على حب الوطن والتمسك بمقوماته، "فالمدرسة الجزائرية الحديثة، ترمي إلى ضمان التكوين على المواطنة باعتبارها المرحلة الأولى لتعلم الثقافة الديمقراطية وأفضل عامل للتماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية"¹. كما أن الغاية الأساسية من إدراج مادة التربية المدنية في مختلف مراحل التعليم هي تعلم السيران الديمقراطي في الحياة الاجتماعية. في ضوء كل ما ذكر سابقا سنحاول في هذه الدراسة الإجابة على التساؤلين التاليين:

١. ما دور المناهج التعليمية في تنمية قيم المواطنة؟

٢. ما هي قيم المواطنة التي تتضمنها مناهج التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي؟

اهمية الموضوع : إن دراسة قيم المواطنة من خلال مناهج التعليم تشكل ضرورة ملحة لما لها من أثر في تحديد أولويات المجتمع نحو تربية معاصرة تكفل إعداد وتكوين المواطن الصالح المخلص لوطنه وامته وتاريخ وثقافته، إن قيم المواطنة من سبل مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين وحيث أن التقدم الحقيقي للوطن في ظل تحديات القرن الجديد ومستجداته تصنعه عقول وسواعد المواطنين فان إكسابهم قيم المواطنة يعد الركيزة الأساسية للمشاركة الإيجابية والفعالة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لكل من الفرد والمجتمع.

ثانيا- تحديد بعض المفاهيم والمصطلحات :

١- مفهوم القيم :

لقد اهتمت الكثير من التخصصات العلمية بمفهوم القيم ولكل منها وجهة نظر، وسنحاول التطرق إلى بعض المفاهيم التي لها علاقة بالدراسة الحالية:

هناك من يعتبر القيم ظاهرة اجتماعية كظاهرة من الظواهر الأخرى وأنها شيء له معنى خاص بالنسبة للجماعة التي تسعى للوصول إليها، كما أنها تعتبر إحدى موجبات الفعل الاجتماعية "ولا تتجلى القيم إلا إذا كانت حاضرة في سلوك بمعنى أن القيمة هي الشرط المسبق الذي يحدد سلوك البشر وينظم مقومات الفعل الإنساني وهي العلة الكامنة وراء كل سلوك هادف فالقيمة هي حافز عمل ومبدأ إدراك ومنطلق فهم، من هنا تضيفي القيم على ظواهر السلوك الإنساني معناه ومبناه"².

" إن القيمة معيار اجتماعي ذو صيغة انفعالية قوية وعامة تتصل من قريب بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة

١- النشرة الرسمية للتربية الوطنية: لقانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم ٠٠٤-٠٠٤-٠٠٤ المؤرخ في ٢٣ جانفي ٢٠٠٨ وزارة التربية الوطنية ، عدد خاص فيفري ٢٠٠٨، ص ١٤.

٢- محمد إسماعيل قباري : علم الاجتماع والايديولوجيا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر (دون سنة النشر) ص٨٤.

ويمتصها الفرد من البيئة الاجتماعية الخارجية ويقيم منها موازين يبرر بها أفعاله ويتخذها هاديا ومرشدا¹.

وتعرف القيم أيضا " بأنها مجموعة من التفضيلات الإنسانية الفطرية أو المكتسبة المبنية على أسس عقدية أو اجتماعية وثقافية أو أخلاقية تشكل لدى الفرد قناعة وإدراكا بأهميتها بصورة تجعل منها إطارا مرجعيا لديه، تحدد تفاعله وسلوكه مع البيئة التي يعيش فيها"².

بينما تعرف القيم الإسلامية " بأنها مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة"³.

لقد تعرضت التعاريف السابقة لمفهوم القيم على أنها معايير توجه سلوك الانسان وتحدد له اشكال التعامل والتفاعل في المجتمع ثم إن مصدر القيم يختلف من مجتمع إلى آخر فهناك من يعتمد على البيئة التي يعيش فيها الإنسان بينما المجتمعات المسلمة تستمد قيمها من القرآن والسنة والنبوية، ولهذه المصادر الأثر الكبير في تحديد قيم المواطنة في المجتمعات المسلمة.

٢- مفهوم المواطنة:

هناك عدة تعاريف لمفهوم المواطنة اختلفت باختلاف مشارب أصحابها، فمنهم من ركز على الحقوق المدنية والواجبات، في حين وصفها البعض بأنها إعداد المواطنين للاشتراك بفعالية في المجتمع الديمقراطي، وثمة من اعتقد أنها الغيرة على الوطن وتنمية تراثه والدفاع عن الحرية الفردية والجماعية فيه. سنحاول عرض أهم التعريفات.

يمكن تعريف المواطنة كما تناولتها بعض المراجع مثل دائرة المعارف البريطانية وموسوعة الكتاب الدولي وموسوعة كوير الأمريكية بأنها "علاقة بين الفرد والدولة كما يحددها قانون تلك الدولة ، وبما تضمنه تلك العلاقة من واجبات كدفع الضرائب والدفاع عن الوطن وبما تمنحه من حقوق كحق التصويت وتولي المناصب العامة"⁴.

ويعرف علماء الاجتماع المواطنة في المجتمع الحديث بأنها "علاقة اجتماعية تقوم بين الأفراد والمجتمع السياسي-الدولة- حيث تقدم الدولة الحماية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للأفراد عن طريق القانون والدستور الذي يساوي بين الأفراد ككيانات بشرية طبيعية، ويقدم الأفراد الولاء للدولة ويلجؤون إلى قانونها للحصول على حقوقهم"⁵.

٣- مفهوم قيم المواطنة:

من المفاهيم السابقة الذكر يمكن أن نخلص إلى التعريف الإجرائي لقيم المواطنة بأنها: مجموعة من المعايير والأحكام

١- فؤاد البيهي السيد : علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٩٤

٢- عبد الله القحطاني : قيم المواطنة لدى الشباب واسهامها في تعزيز الأمن القومي، أطروحة دكتوراه الفلسفة في العلوم الأمنية، غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية الرياض ٢٠١٠، ص ١٣.

٣- علي خليل أبو العينين : القيم الإسلامية والتربية دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها وتنميتها، مكتبة إبراهيم الحلبي المدنية المنورة ١٩٨٨، ص ٣٤.

٤- عبد الكريم قاسم : المواطنة ومشكلة الدولة في الفكر الإسلامي، ملتقى المرأة للدراسات والتدريب، اليمن، ٢٠٠٨ ، ص. ص ١١-١٢.

٥- إدوارد سي بانفليد : السلوك الحضاري والمواطنة، ترجمة: سمير عزت نصار، دار النشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٥م، ص ٩٠.

والتفضيلات الفطرية أو المكتسبة تتشكل لدى الفرد والمجتمع على أسس عقدية أو اجتماعية أو ثقافية تحدد العلاقات والسلوكيات والتوجهات بين الدولة والأفراد والجماعات في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فتجعلهم يدركون ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات من أجل الحفاظ على البناء الاجتماعي وتحقيق السلام والرفاهية.

ولا تتحقق قيم المواطنة إلا بتوفر العناصر التالية:

- الشعور بالانتماء إلى وطن وجماعة اجتماعية عن طريق مشاعر التضامن والولاء للوطن والمواطنين.

- الاشتراك في القيم العامة من عادات، تقاليد، نظم، عقائد، وقوانين المجتمع.

- المشاركة المجتمعية وتوحد الفكر والانتماء التاريخ في الماضي والمستقبل.

- توفر مشاعر العدل والإنصاف في الحقوق والواجبات.

٤- التربية المدنية:

تعرف التربية المدنية بأنها تلك التربية التي تهدف إلى تنشئة النشئة المثلى المدرك لحقوقه الملزم بأداء واجباته وتنمية المسؤولية الاجتماعية والأخلاقية والنزوع للعمل التطوعي والوعي بالنظم السياسية والقيم الديمقراطية لديه¹.

وتعرف التربية المدنية: بأنها إكساب افراد المجتمع بصورة عملية وفعالة مبادئ ومهارات السلوك الاجتماعي الموعود فيه في البيت والمدرسة والشارع والأماكن العامة وفي مهنته وكذلك مبادئ احترام غيره وتقبل رأيه وإعانتته وتجنب ما يضره، وذلك بخلق ضمير اجتماعي لدى كل مواطن يستند إلى قيم التعاون والعدالة والديمقراطية وحب الوطن والغيرة عليه وتوظيف كل الطاقات لبنائه ورفعته لأداء رسالته الحضارية كجزء من الحضارة الإنسانية والحفاظ على البيئة بكل مكوناتها².

يمكن أن نعرف مادة التربية المدنية إجرائياً بأنها مادة تعليمية ترمي إلى إعداد الفرد للحياة إعداد يؤهله للعيش كمواطن صالح، يشعر بانتمائه الوطني ويعي التزاماته كفرد يساهم في بناء مجتمعه وكعضو يمارس ماله من حقوق وما عليه من واجبات يتشبع بالقيم الوطنية ويتفتح على القيم العالمية باستطاعته أن يتكيف مع الوضعيات ومواجهة المشاكل التي تواجهه في حياته اليومية.

٥- المنهج التعليمي:

يجمع المربون على أن المنهج التعليمية من الركائز الأساسية التي تبنى عليها التربية والتعليم فأعداد وتصميم المناهج التعليمية عملية بالغة الأهمية فعلى أساسها تحدد شخصية الفرد داخل المجتمع الذي نريد، ولقد كان الاعتقاد السائد أن المنهج التعليمي هو "عبارة عن مجموعة المعلومات والحقائق والمفاهيم التي تعمل المدرسة على اكسابها للتلاميذ بهدف إعدادهم للحياة وتنمية قدراتهم عن طريق الامام بخبرات الآخرين والاستفادة منها"³.

١- رمزي مرتضى زكي، محمد الرنتيسي محمود: تقييم محتوى مناهج التربية المدنية للصفوف السابع والثامن والتاسع في ضوء قيم

المواطنة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، يونيو ٢٠١١، ص ١٦٦.

٢- عبد الله مجيد: التربية المدنية، دراسة في أزمة الانتماء والمواطنة في التربية العربية، مجلة الفكر السياسي، العدد ٢١، دمشق، ٢٠٠٥م، ص ١٥٤.

٣- أحمد حلبي الوكيل، محمد أمين المفتي: أسس بناء المناهج وتنظيمها، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ٢٠٠٧، ص ١٦.

يعد مفهوم المنهج حسب هذه النظرة التقليدية على أنه مجموعة من المواد أو المقررات الدراسية التي تقدمها المدرسة للتلاميذ في مرحلة من مراحل التعليم الدراسي، يتولى إعدادها مجموعة من المختصين ويقوم بتنفيذها المعلم ويعمل التلميذ على تعلمها ودراستها. فالمقصود بالمنهج الدراسي هنا هو البرنامج الدراسي أو المقررات الدراسية.

ومن أبرز عيوب هذا المفهوم انه يركز على تعلم المعارف والمعلومات وعدم الاهتمام بتوجيه سلوكيات التلاميذ نحو الأفضل والأصلح.

نظرا لضيق المفهوم التقليدي للمنهج الدراسي وتطور الفكر التربوي وظهور متغيرات جديدة كالتطور العلمي والتكنولوجي والاهتمام بالعملية التربوية ودورها في التنمية وتقدم الأمم، وبناء على الدراسات وما توصلت إليه البحوث والدراسات يمكن تعريف المنهج بمفهومه الحديث بأنه مجموعة الخبرات المرية التي تهيئها المدرسة للتلاميذ داخلها أو خارجها بقصد مساعدتهم على النمو الشامل أي النمو في جميع الجوانب (العقلية الثقافية الدينية الاجتماعية الجسمية النفسية الفنية) نمو يؤدي إلى تعديل سلوكهم ويعمل على تحقيق الأهداف الترموية المنشودة¹.

ويعرف "بأنه الخبرات التربوية والمعرفية التي تتيحها المدرسة للتلاميذ داخل حدودها أو خارجها بغية مساعدتهم على نمو شخصيتهم في جوانبها المتعددة نمو ينسجم والأهداف المسطرة"².

لا يكتفي الحديث عن المنهج الدراسي عند هذا الحد بل لابد من التطرق إلى مفهوم المنهج الرسمي والمنهج الخفي. فالأول يقصد به المنهج المعلن أو المنظم أو الرسمي الذي يمثل الوثيقة المكتوبة والمحددة من قبل الجهات المعنية والمخول لها إعداده ليقوم بتنفيذه المعلم والمتعلم اثناء فترة زمنية محددة وفق نظام معين، أما الثاني فيمثل المنهج الضمني أو الموازي أو غير المكتوب ويقصد به "ما يكتسبه المتعلم من المعارف والاتجاهات والقيم والمهارات خارج المنهج الرسمي طواعية ودون اشراف المعلم من خلال التعلم بالقدوة والملاحظة من أقرانه ومعلميه ومجتمعه المحلي"³.

ثالثا- الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع المواطنة وعلاقتها بالمنهج الدراسي في مختلف المراحل التعليمية من أبرزها دراسة بوزيان راضيّة (٢٠٠٩) التي حاولت من خلالها معالجة إشكالية دور المؤسسات التعليمية في إرساء دعائم المواطنة لدى تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط، حيث اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي ومنهج تحليل المضمون لكتب المواد الاجتماعية في مرحلة التعليم المتوسط، وتوصلت الباحثة إلى أن كتب مرحلة التعليم المتوسط تحتوي على قيم إرساء دعائم المواطنة لدى التلاميذ تتمثل في قيم الحقوق وقيم الواجبات والقيم الديمقراطية وقيم الانتماء والهوية الوطنية، والقيم الاجتماعية وقيم التفتح على العالم والقيم البيئية. وقد كان تركيز الكتب منصب بصورة أكثر على قيم الحقوق حيث كانت بقية القيم أقل تواترا في الكتب المدرسية للمواد الاجتماعية رغم أهميتها، وكشفت الدراسة أن الكتب المدرسية للمواد الاجتماعية تساهم في تكوين روح المواطنة بشكل فوق المتوسط نسبيا خاصة كتاب التربية المدنية الذي يساهم بصورة أكبر في تمثيل الوعي بالمواطنة لدى التلاميذ، كما أظهرت الدراسة أن المعلم يلعب دورا هاما في إرساء دعائم

١- احمد حلبي الوكيل، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤.

٢- دون مؤلف: النظام التربوي والمناهج التعليمية مطبوعات المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم. وزارة التربية الوطنية، الجزائر، ٢٠٠٤، ص ١٣٢.

٣- أحمد عبد الحليم المهدي وآخرون: المنهج المدرسي المعاصر - أسسه بناؤه تنظيّماته تطويره، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ٢٠٠٩، ص ٢٦.

المواطنة في المؤسسة التعليمية ، حيث أن أغلبية المعلمين لهم وعي بالمفهوم الصحيح للمواطنة، ولا يمكن اكساب هذه المفهوم للتلميذ إذا لم يدرك الفاعلون الاجتماعيون ماهية المواطن الصالح الذي تسعى المنظومة التربوية الوصول إليه كما أن أغلبية المعلمين يعتمدون على تدريب التلاميذ على تحمل بعض المسؤوليات كأساس لتكريس روح المواطنة وذلك من خلال تدريبهم على الانضباط واحترام الوقت والقيام بالواجبات المدرسية وممارسة الانتخابات داخل المدرسة بالإضافة إلى ذلك توصلت الدراسة إلى أن الممارسة الفعلية للمواطنة عبر النشاطات المقدمة في المؤسسة التعليمية -المدرسة الأساسية الجزائرية- تعتبر ناقصة الفعالية وغير كفيلة بتكوين المواطن الواعي ويعود ذلك لانعدام الخرجات الميدانية التي من شأنها تكوين آليات الحس المدني.

بينما كانت دراسة زكي مرتجي ومحمود الرنتيسي^(٢٠) تهدف إلى إعداد قائمة بقيم المواطنة المناسبة لمنهاج التربية المدنية للصفوف السابع والثامن والتاسع الأساسي في ضوء الخصوصية الفلسطينية وتحديد مدى توافر قيم المواطنة بمحتوى تلك المناهج واستخدم الباحثان منهج تحليل المحتوى، وتوصلت الدراسة إلى تدني مراعاة محتوى مناهج التربية المدنية للصف السابع والثامن والتاسع الأساسي لقيم المواطنة وعدم التوازن في توزيعها حيث كانت حقوق الإنسان والقيم السياسية والمسؤولية الاجتماعية أعلى القيم، بينما كان الوعي البيئي والوحدة الوطنية والانفتاح على الثقافات الأخرى أقل القيم تضمنا على الرغم من أهميتها ، وأوصت الدراسة بضرورة تضمين محتوى مناهج التربية المدنية للصفوف السابع والثامن والتاسع الأساسي بقيم المواطنة والتوازن في تضمينها وتدريب معلمي التربية المدنية على إثراء مناهج التربية المدنية بقيم المواطنة وترجمتها إلى سلوكيات وقيم في نفوس التلاميذ .

أما دراسة النوي بالطاهر^(٢٠) هدفت إلى تحليل المضامين المعرفية لمنهاج التربية المدنية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط لتخرج القيم ذات الصلة بمفهوم المواطنة ، استخدم فيها الباحث منهج تحليل المضمون لتحليل كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط، وتوصلت الدراسة إلى أن كتب التربية المدنية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط تشتمل على مجموعة الأبعاد المساهمة في ترسيخ المواطنة لدى التلاميذ تمثلت في بعد الشعور بالانتماء والولاء للوطن وبعد الهوية الوطنية و بعد الديمقراطية، وبعد التفكير والتمتع بالروح النقدية وبعد التحكم في استخدام وسائل الاتصال الحديثة وبعد الحفاظ على سلامة البيئة وبعد الحقوق والواجبات، وأظهرت نتائج التحليل أن هذه الأبعاد لم تظهر بشكل متساوي في المضامين كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط مما يعني أن تأثيرها سيكون متباين على التلميذ بقدر اهتمام كتاب التربية المدنية بأحد هذه الأبعاد.

في حين كانت دراسة حسن رمعون^(٢٠) تهدف إلى تحديد الغاية المرجوة من التربية المدنية في علاقتها بالتكوين على المواطنة، استعملت الدراسة مقارنة المقارنة بين الخطاب الصريح والمعلن في محتويات الكتب المدرسية لبلدان المغرب العربي الجزائر تونس والمغرب باعتبارها حقلا مهما ذو تقارب جيوتاريخي وأنثروبولوجي، واشتراكها في الرهانات المتعلقة بتأكيد الدولة الوطنية والمطالب المرتبطة بالمواطنة وتوصلت الدراسة إلى أن المحاور الأساسية التي تناولتها كتب التربية المدنية في هذه الدول الثلاث تتمثل في دراسة الهوية الفردية والجماعية وتناول الحياة الجماعية والتضامن ومختلف القيم الاجتماعية الأخرى، بالإضافة إلى تناول الإدارة والخدمات العمومية والدولة ، ثم العمل على تدريس مبادئ الديمقراطية والحوار والتسامح والمسؤولية وأخيرا التطرق إلى تعريف التلميذ بمختلف الحقوق والواجبات.

تكاد تتفق هذه الدراسات مع الدراسة الحالية من حيث الموضوع وأهداف الدراسة والمنهج المتبع وحتى في بعض النتائج المتوصل إليها.

رابعاً: دور المناهج في تنمية قيم المواطنة :

لقد نبه الباحثون والتربويون إلى خطورة تدني قيم المواطنة في مدارسنا وأكدوا إلى الزامية توجيه المزيد من الاهتمام بتربية المواطنة وقيمها من خلال المناهج التربوية خاصة في المراحل الأولى من التعليم من أجل اعداد المواطن الصالح والمواطنة الفعالة، فقد توصلت العديد من الدراسات حول تنمية قيم المواطنة لدى التلاميذ إلى ضعف الدور الذي تلعبه المناهج التعليمية في تنمية قيم المواطنة وتفتقد إلى توافر المعايير الواجب أن يحتويها المنهج في القيام بهذا الدور.

لهذا يؤكد رانير جريفيز الدور الخطير الذي تقوم به المدرسة من خلال المناهج التعليمية حيث يرى: " أن اكتساب وتنمية قيم المواطنة يتم من خلال تحسين عملية التعليم بكل ما تحتويه المدرسة من آليات تنفيذ خاصة بالمقررات الدراسية والمعلمين والمناهج والأنشطة المدرسية وغيرها".¹ فالمدرسة تتحمل الجزء الأكبر من مسؤولية بناء وتطوير منظومة قيم المواطنة من خلال إعداد المناهج الدراسية الحديثة والمتطورة التي تزود المتعلم بقيم المواطنة المعاصرة وتحثه على القيام بالأنشطة غير النمطية واستعمال تكنولوجيا تعليمية عصرية.

وتعد مناهج التربية المدنية من الأدوات التي تساهم في تعزيز وتنمية قيم المواطنة الصالحة لدى النشء وذلك بغرس الشعور بالانتماء للوطن لدى المتعلمين وتكسبهم اتجاهات التعاون والتسامح والتفاني في خدمة الوطن وبنائه وإدراك الدور الأخلاقي والإنساني والحضاري للفرد، فمن وجهة نظر منهجية يمكن تنظيم تعليم قيم المواطنة بطرق مختلفة اعتماداً على مستوى التعليم وتنظيم المناهج الدراسية فقد تعرض كموضوع منفصل قائم بذاته بشكل الزامي في مادة دراسية تسمى عادة التربية المدنية وهذا ما يقدم في مرحلتي التعليم الابتدائي والمتوسط أو يمكن دمجها في أكثر من مادة دراسية كموضوعات مختلفة مثل مادة التاريخ والجغرافيا والتربية الإسلامية، بحيث تكون مبادئ وقيم المواطنة موجودة في جميع موضوعات المنهج الدراسي وهذا ما يدرس في مرحلة التعليم الثانوي.

إن إعداد مناهج التربية المدنية يستلزم أن تأخذ بعين الاعتبار القيم التي يتعين عليها ايصالها للتلاميذ قصد بناء مواطنهم الشخصية اعتماداً على الحقوق والواجبات التي تحويها والعمل على معايشة هذه القيم داخل المدرسة.

خامساً : قيم المواطنة:

لقد أسهمت العديد من الدراسات والبحوث في التوصل إلى عدد لأمحدود من قيم المواطنة وذلك حسب اهداف كل بحث ووجهة نظر الباحث ، وسنكتفي بذكر أهم المعايير التي على أساسها يمكن بناء نموذج لقيم المواطنة وبما يقدم إضافة إلى بحثنا:

١- الانتماء للوطن: ويشمل هذا العنصر مجموعة من القيم كحب الوطن والاعتزاز به واحترام رموز السيادة الوطنية.

٢ - مبادئ الديمقراطية: وتتمثل هذه المبادئ في الممارسات التي يقوم بها المواطن في الحياة السياسية كالانتخاب والترشح والحوار وقبول الرأي الآخر...

٣ - الحقوق: وهي مجموعة ما تقدمه الدولة من رعاية وخدمات للمواطن كالحق في التعليم والرعاية الصحية والعمل والمساواة والحرية الشخصية وحرية الاعتقاد وحرية الرأي ...

1-Rhys Griffith: National Curriculum: National Disaster? Education and Citizenship .2000.p18.

٤- الواجبات: وتتمثل فيما يتطلب من المواطن أن يقدمه للدولة ومجتمعه كواجب التحلي بالمسؤولية الفردية والجماعية واحترام القانون والحفاظ على الممتلكات، والمحافظة على القيم الاجتماعية التي تعبر عن العادات والتقاليد السائدة في المجتمع، والأخلاق الحميدة والسلوكيات الفاضلة كالتعاون والتسامح والتضامن والطاعة، والتعايش مع الآخرين...

٥- القيم البيئية: وهي قيم يسعى من خلالها المواطن للحفاظ على المحيط الذي يعيش فيه وتشمل كل التصرفات والسلوكيات المهامة في الحفاظ على البيئة بمختلف أنواعها كالمشاركة في عملية التشجير ونظافة المحيط ومكافحة التلوث البيئي وعدم تبذير موارد الطاقة...

سادسا: التربية على المواطنة في مرحلة التعليم الابتدائي:

بعد حوالي ٤٠ سنة من الاستقلال شهدت المنظومة التربوية الجزائرية ثالث عملية إصلاح في تاريخ الجزائر التربوي وكانت هذه العملية ضرورية في هذا الوقت ولا تحتاج إلى التأخير أكثر من ذلك، بسبب الوضعية التي وصلت إليها المدرسة الجزائرية وكذا التحولات المسجلة في مختلف الميادين على الصعيدين الوطني والعالمي والتي تفرض نفسها على المدرسة بصفتها جزء لا يتجزأ من المجتمع الجزائري، ومن بين أبرز النقاط التي ركزت عليها اللجنة الوطنية لإصلاح المناهج، إدراج مفهوم الديمقراطية في كل مراحل التعليم وتزويد الأجيال الناشئة بروح المواطنة وكل ما ينطوي عليه هذا المفهوم من قيم ومواقف التفتح والتسامح والمسؤولية في خدمة المجتمع الذي تغذيه الهوية الوطنية والسعي إلى العيش الرغيد.

فكان من بين الغايات التي تسعى فلسفة التربية في الجزائر إلى تحقيقها عبر المدرسة تجذير الشعور بالانتماء للوطن في نفوس الأطفال وتنشئتهم على حب الجزائر وروح الاعتزاز بالانتماء إليها، وكذا تعلقهم بالوحدة الوطنية ووحدة التراب الوطني ورموز الأمة، مع تقوية الوعي الفردي والجماعي بالهوية الوطنية...، وبهذه الصفة فإن النظام التربوي في الجزائر يعتبر أن التربية على المواطنة أحد ركائز التربية الوطنية فالمناهج التعليمية تسعى إلى مساعدة التلاميذ على امتلاك قيم المواطنة التي يتقاسمها المجتمع الجزائري ومبادئ الديمقراطية التي تستند إلى العمل والتضامن والتسامح واحترام حقوق الانسان والمساواة والعدالة الاجتماعية.

ولقد حدد القانون التوجيهي للتربية الوطنية مهام المدرسة الجزائرية، فكان من أبرز هذه المهام تعلم سيران الديمقراطية في الحياة الاجتماعية من خلال ادراج التربية المدنية في المدرسة، التي تسعى إلى تنمية الحس المدني لدى التلاميذ وتنشئتهم على مبادئ العدالة والمساواة ومعرفة وفهم الحقوق والواجبات، وتنمية ثقافة الديمقراطية بإكساب التلاميذ مبادئ النقاش والحوار وقبول الرأي الآخر ونبذهم للتمييز والعنف، وتكوين مواطنين يتحلون بأداب الحياة الجماعية ويدركون أن الحرية والمسؤولية متلازمتان.

ولضمان التكوين على المواطنة تقرر إدراج مادة التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي "كمادة تعليمية استراتيجية، تقوم على تكوين الفرد تكوينها اجتماعيا وحضاريا، بتنمية الجوانب السلوكية فيه، فهي تعمل على إعداد الفرد للحياة المدنية إعدادا يؤهله للعيش كمواطن صالح، يشعر بمسؤوليته، واعيا بالتزاماته كعضو كامل الحقوق في المجتمع الذي يساهم في بنائه؛ يدرك ما له من حقوق وما عليه من واجبات، متشعبا بشخصيته الوطنية ومتفتحا على القيم العالمية قادرا على التكيف مع الوضعيات ومجابهة المشاكل التي تواجهه في حياته اليومية".¹

١- اللجنة الوطنية للمناهج: منهاج التربية المدنية للسنة الثانية من التعليم الابتدائي، وزارة التربية الوطنية، طبعة جوان ٢٠١١، ص ٤٥.

- أهداف التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي:

إذا كانت الغاية من التربية المدنية إعداد المواطن الصالح فإن هذه الغاية لا تتحقق إلا من خلال تحديد أهداف مادة التربية المدنية على مستوى المناهج التعليمية في أي مرحلة من مراحل التعليم، وعلى هذا فان مناهج التعليم في مرحلة التعليم الابتدائي قد حددت أهداف مادة التربية المدنية في النقاط التالية :

١- تربية المتعلم على إبراز هويته الشخصية والتواصل مع الآخرين وتنظيم علاقته معهم في مختلف المجالات والمواطن (الأُسرة، الشارع، العمل، المدرسة) كمواطن يحترم غيره.

٢- تربية المتعلم على ممارسة قواعد الحياة الجماعية في المحيط الذي يعيش فيه بالمدرسة والأسرة والمسجد ومختلف المؤسسات... وذلك بالالتزام بقواعد النظام والتفاعل الإيجابي مع هذا المحيط.

٣- تكوين المتعلم على ممارسة مبادئ الديمقراطية في المدرسة حيث يتدرب التلميذ على كيفية التعبير عن رأيه بكل حرية مع تقبل آراء الآخرين وتطبيق آداب الحوار والالتزام بالنظام والقانون (كالنظام الداخلي للمدرسة، قواعد الأمن في البيت والمدرسة...) والاستفادة من وسائل الاعلام والاتصال كأدوات للتوعية والتثقيف الديمقراطي بالتعرف على كيفية الترشح والانتخاب والتمثيل الانتخابي.

٤- غرس روح المواطنة والوطنية في نفوس التلاميذ وذلك من خلال اظهار الاحترام لرموز السيادة الوطنية والاعتزاز بانتمائه الوطني والحضاري وممارسة السلوكات الإيجابية نحو مؤسسات الدولة.

٥- تعريف التلاميذ بحقوقهم كأطفال وكمواطنين والزامهم بتعلم كيفية تحمل المسؤولية والقيام بواجباته اليومية سواء بالمدرسة أو في البيت أو في العمل وفي أي مكان يكون فيه مسؤولاً عن مهمة ما.

٦- غرس قيم المحافظة على البيئة في التلاميذ وذلك بالتعرف على مختلف البيئات وتنوعها ومعرفة القواعد الأساسية للحفاظ على المحيط مع ممارستها في حياتهم المدرسية واليومية.

-القيم التي تضمنتها مادة التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي :

لقد حدد القائمون على اعداد مناهج التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي محتويات ومضامين المادة في مجموعة من المحاور والموضوعات يتم تدريسها للمتعلم خلال السنوات الخمسة التي يدرسها بهذه المرحلة ، ولقد احتوت هذه المضامين مجموعة من القيم نذكرها فيما يلي:

١- قيم الواجبات والحقوق: يتعرف المتعلم في مرحلة التعليم الابتدائي على الواجبات التي عليه أن يقوم بها في حياته المدرسية واليومية من خلال المجالات المعرفية المستهدفة التي تقترحها مناهج التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي كالاجتهاد في الدروس والحفاظ على النظام والقدرة على تحمل المسؤولية في مواقف معينة. كما يتعرف المتعلم في هذه المرحلة على الحد أدنى من الحقوق كالحق في التعلم والرعاية الصحية والرعاية الاجتماعية، وهذا في إطار تعريف الطفل بحقوقه والعمل على الاستفادة منها .

٢- قيم الهوية الوطنية وقيم الانتماء للوطن : يتعرف المتعلم في مرحلة التعليم الابتدائي على الوثائق التي تثبت الهوية الوطنية ورموز السيادة الوطنية، متمثلة في العلم والنشيد الوطني والعملة الوطنية مع الحرص على احترامها، كما يتعرف على أهمية الانتماء إلى الوطن ومظاهر إبداء حب الوطن والاعتزاز به والدفاع عنه، كالمشاركة في أحياء المناسبات والأعياد الوطنية والدينية، وهذا ما يسمح بتفعيل دور المدرسة في تربية النشء على روح الوطنية.

٣- قيم الديمقراطية: يتعرف المتعلم في مرحلة التعليم الابتدائي على المبادئ الأساسية للممارسة الديمقراطية بصورة بسيطة تسمح للمتعلم باستيعاب مفاهيم عديدة مثل: القدرة على التعبير عن رأيه بحرية، وممارسة آداب الحوار والنقاش، والحق في الترشح والانتخاب واختيار ممثل عنه بكل حرية، التعرف على بعض المجالس المنتخبة في الدولة (كالمجلس الشعبي البلدي والولائي والوطني).

٤- قيم ممارسة قواعد الحياة الاجتماعية: يتمكن المتعلم في مرحلة التعليم الابتدائي من ممارسة السلوكيات الإيجابية في الوسط الاجتماعي، وذلك من خلال تعريفه بأهمية علاقته بالآخرين (في الأسرة والحي والمدرسة) وكذلك أهمية التحلي بالأخلاق الحسنة (كالتضامن مع الآخرين والتطوع والتسامح والتعاون والعمل الجماعي، احترام الدور والالتزام بالنظام العام والقوانين المنظمة للحياة داخل وخارج المدرسة).

٥- قيم المحافظة على البيئة: لكون معارف التلاميذ في هذا المجال لا تتدعى بعض المفاهيم التي يجب أن يدركها ويتحلى ببعض السلوكيات في تعامله مع البيئة والمحيط الذي يعيش فيه، حيث يتعرف المتعلم في مرحلة التعليم الابتدائي على مختلف البيئات (كالمدينة والريف والغابة والمساحات الخضراء...) ويتعلم طرق الحفاظ على البيئة وكيفية المساهمة في حماية وسلامة المحيط الذي يعيش فيه (كالإقتصاد في استهلاك مواد الطاقة، والنظافة وحماية المساحات الخضراء، معرفة مصادر التلوث البيئي...)، وهذا ضمن عملية التربية البيئية التي تعد في وقتنا الحالي من أبعاد التربية على المواطنة العالمية.

سابعاً: الدراسة الميدانية

١- منهج الدراسة: اتبع الباحثان في هذه الدراسة منهج تحليل المحتوى لتحليل مضامين مناهج التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي بهدف الوصول إلى مجموعة قيم المواطنة التي تحتويها مناهج وكتب التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي في الجزائر.

٢- حدود الدراسة: اقتصرت الدراسة على تحليل محتوى مناهج التربية المدنية لمرحلة التعليم الابتدائي طبعة ٢٠١٠.

٣- عينة البحث: تتمثل عينة الدراسة في مجموعة مناهج التربية المدنية للسنة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة من التعليم الابتدائي.

٤- وسائل جمع البيانات: اعتمدت الدراسة على مناهج السنة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة لمرحلة التعليم الابتدائي وهي كتب وزارية صدرت سنة ٢٠١٠ يتكون كل كتاب من مناهج المواد الدراسية التي يتلقاها التلميذ في كل سنة من سنوات مرحلة التعليم الابتدائي.

٥- عرض نتائج الدراسة وتحليلها:

تم إعداد قائمة بقيم المواطنة المناسبة لمناهج التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي بناء على قراءتنا للدراسات السابقة والأدب التربوي الذي تناولنا فيه مفهوم المواطنة وقيم المواطنة وتوصلنا إلى القائمة النهائية لقيم المواطنة التي تتضمنها مناهج التربية المدنية في السنة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة من مرحلة التعليم الابتدائي والتي سنعرضها فيما يلي :

١٥- قيم المواطنة في مناهج التربية المدنية للسنة الأولى ابتدائي :

الرقم	المفردة	التكرار	النسبة	الرقم	المفردة	التكرار	النسبة
01	البيئة	11	12.94%	08	الواجبات	11	12.94%
02	الحقوق	13	15.29%	09	الأعياد الدينية	2	2.35%
03	القانون	1	1.18%	10	الأعياد الوطنية	4	4.71%
04	المسؤولية	3	3.53%	11	الهوية	5	5.88%
05	الحياة المشتركة	2	2.35%	12	العلم الوطني	5	5.88%
06	الحياة الجماعية	5	5.88%	13	النشيد الوطني	6	7.06%
07	الأخرين	10	11.76%	14	رموز وطني	7	8.24%
					مجموع التكرارات	85	100%

جدول رقم (٠) يوضح قيم المواطنة في مناهج التربية المدنية للسنة الأولى من التعليم الابتدائي.

يتضح من الجدول رقم (٠) أن مناهج التربية المدنية للسنة الأولى من التعليم الابتدائي احتوى على مجموعة من قيم المواطنة كان من أبرزها قيم الواجبات المتمثلة في المفردات (٠٣ إلى ٠١) وهذا بنسبة ٣٧.٦%، ثم تلتها قيم الانتماء للوطن المتمثلة في المفردات من (٠٩ إلى ٠١) بنسبة ٣٤.٤% ثم تلتها قيم الحقوق بنسبة ١٥.٠% والمتمثلة في حقوق الطفل كالحق في التعلم والحق في الصحة والرعاية الاجتماعية وتضمنت أيضا قيم البيئة بنسبة ١٢.٩% في شكل بعض مفاهيم التي لها علاقة بعناصر البيئة (كالمدينة والشارع والريف...) وكيفية الحفاظ على هذه العناصر وما يلاحظ في هذا المنهج الغياب التام لقيم الديمقراطية لأنها لا تتماشى مع مستوى المتعلم الذي لا يتجاوز سنه ٦ سنوات.

٢٥- قيم المواطنة في مناهج التربية المدنية للسنة الثانية ابتدائي :

الرقم	المفردة	التكرار	النسبة%	الرقم	المفردة	التكرار	النسبة%
1	البيئة	10	7.69%	14	التعاون	1	0.77%
2	الصحة	5	3.85%	15	التضامن	2	1.54%
3	الحقوق	6	4.62%	١٦	الحياة الاجتماعية	2	1.54%
4	الانتخاب	4	3.08%	17	الحياة المشتركة	2	1.54%
5	الديمقراطية	7	5.38%	18	الحياة الجماعية	4	3.08%
6	الرأي	8	6.15%	19	الأخرين	4	3.08%
7	النشيد الوطني	1	0.77%	20	الواجبات	5	3.85%
8	العملة الوطنية	1	0.77%	21	القيم الاجتماعية	6	4.62%
9	الأمن	2	1.54%	٢٢	القانون	8	6.15%
10	العلم الوطني	2	1.54%	23	التسامح	10	7.69%
11	المواطنة	2	1.54%	24	المسؤولية	13	10.00%
12	الهوية	7	5.38%	25	التطوع	14	10.77%
13	الرموز الوطنية	4	3.08%		مجموع التكرارات	130	100%

جدول رقم (٠٢) يوضح قيم المواطنة في منهاج التربية المدنية للسنة الثانية من التعليم الابتدائي.

من الجدول رقم (٠٢) يتضح لنا أن منهاج التربية المدنية للسنة الثانية من التعليم الابتدائي يحتوي على مجموعة من قيم المواطنة تتمثل في قيم الواجبات بنسبة ٥٤.٠% والتي تعبر عنها المفردات من (١ إلى ٢) أما قيم الانتماء والولاء للوطن فوردت بنسبة ١٤.٠% وتعبر عنها المفردات من (٠٧ إلى ١) أما قيم الديمقراطية فكانت بنسبة ١٤.٠% وعبرت عنها المفردات (٠٤ إلى ٠) بينما كانت قيم الحقوق بنسبة ٨.٤% معبر عنها في المفردات (٠٢ إلى ٠٣)، أما قيم البيئة فنسبتها ٧.٦%، ونفهم من هذه النسب أن منهاج التربية المدنية للسنة الثانية اهتم بالدرجة الأولى بقيم الواجبات وقيم الانتماء والولاء للوطن وقيم الديمقراطية، بينما لم تنل قيم الحقوق وقيم البيئة الاهتمام الكافي.

٣.٥- قيم المواطنة في منهاج السنة الثالثة ابتدائي :

الرقم	المفردة	التكرار	النسبة	الرقم	المفردة	التكرار	النسبة
1	الصحة	1	0.94%	١١	الهوية	8	7.55%
2	الحقوق	6	5.66%	١٢	تعاون	1	0.94%
3	الديمقراطية	2	1.89%	١٣	التطوع	1	0.94%
4	الحرية	9	8.49%	١٤	المسؤولية	2	١.٨٩%
5	البيئة	2	1.89%	١٥	عمل جماعي	5	4.72%
6	سلامة المحيط	13	12.26%	١٦	الآخرين	6	5.66%
7	الروح الوطنية	1	0.94%	١٧	الحياة الجماعية	6	5.66%
8	العلم الوطني	1	0.94%	١٨	الاقتصاد	8	7.55%
9	الاعتزاز بالوطن	3	2.83%	١٩	التضامن	9	8.49%
10	المواطنة	6	5.66%	٢٠	القانون	16	15.09%
				مجموع التكرارات		١٠٦	١٠٠

جدول رقم (٠٣) يوضح قيم المواطنة في منهاج التربية المدنية للسنة الثالثة من التعليم الابتدائي.

يتضح من الجدول رقم (٠٣) أن منهاج التربية المدنية للسنة الثالثة من التعليم الابتدائي يحتوي على قيم المواطنة المتمثلة في قيم الواجبات بنسبة ٥٠.٩% والمعبر عنها بالمفردات (من ١ إلى ٢) وتلها قيم الانتماء للوطن بنسبة ١٧.٩% والتي تعبر عنها المفردات (من ٠٧ إلى ١) ثم تلها قيم البيئة بنسبة ١٤.٠% متمثلة في المفردتين (٠٦ إلى ٠٩) ثم قيم الديمقراطية بنسبة ١٠.٣% وهذا ما عبرت عنها المفردتين (٠٤ إلى ٠٣) ثم تلها قيم الحقوق بنسبة ٦.٦% والتي تمثلها المفردتين (٠٢ إلى ٠٣)، وتدل هذه النسب على أن منهاج التربية المدنية للسنة الثالثة ابتدائي أولى اهتماما بارزا بقيم الواجبات والانتماء وقيم البيئة وقيم الديمقراطية بينما لم تحصل الحقوق على الاهتمام المناسب لها.

٤٥- قيم المواطنة في منهاج التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي :

الرقم	المفردة	التكرار	النسبة%	الرقم	المفردة	التكرار	النسبة%
1	الحقوق	1	1.61%	09	العملة الوطنية	2	3.23%
2	الصحة	3	4.84%	10	المواطنة	4	6.45%
3	الديمقراطية	1	1.61%	11	السيادة الوطنية	4	6.45%
4	الانتخاب	6	9.68%	12	الواجب	2	3.23%
5	البيئة	14	22.58%	13	الآخرين	2	3.23%
6	الأعياد الوطنية	1	1.61%	14	القيم الاجتماعية	3	4.84%
7	النشيد الوطني	2	3.23%	15	القانون	7	11.29%
8	العلم الوطني	2	3.23%	16	المسؤولية	8	12.90%
مجموع التكرارات		62	100%				

جدول رقم (٥٠) يوضح قيم المواطنة في منهاج التربية المدنية للسنة الرابعة من التعليم الابتدائي.

من الجدول رقم (٥٠) يتضح لنا أن منهاج التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي يحتوي على قيم المواطنة المتمثلة في قيم الواجبات بنسبة ٣٥.٤% وتعتبر عنها المفردات (من ١ إلى ١) وقيم الانتماء للوطن بنسبة ٢٤.١% معبر عنها بالمفردات (من ١ إلى ١) وتلها قيم البيئة بنسبة ٢٢.٥% ثم تلها قيم الديمقراطية بنسبة ١١.٢% وتمثلها المفردتين (٣ إلى ٤) بينما قيم الحقوق فنسبها ٦% وتعتبر عنها المفردتين (٢٠ إلى ٢٠). وتدل هذه النسب على أن منهاج التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي ركز في محتواه على قيم الواجبات والانتماء للوطن وقيم البيئة والديمقراطية بينما لم تحظى قيم الحقوق بالاهتمام المناسب لها.

٥٥- قيم المواطنة في منهاج السنة الخامسة ابتدائي :

الرقم	المفردة	التكرار	النسبة%	الرقم	المفردة	التكرار	النسبة%
٠١	البيئة	1	1.47%	٠٩	المواطنة	5	7.35%
٠٢	الانتخاب	1	1.47%	١٠	الانتماء	6	8.82%
٠٣	الديمقراطية	4	5.88%	١١	القيم الاجتماعية	1	1.47%
٠٤	الحوار	2	2.94%	١٢	المسؤولية	2	2.94%
٠٥	الصحة	6	8.82%	١٣	الواجب	3	4.41%
٠٦	الحق	11	16.18%	١٤	النظام	6	8.82%
٠٧	مواطن	2	2.94%	١٥	الاقتصاد	7	10.29%
٠٨	الهوية	4	5.88%	١٦	القانون	7	10.29%
مجموع التكرارات		69	100%				

جدول رقم (٥١) يوضح قيم المواطنة في منهاج التربية المدنية للسنة الخامسة من التعليم الابتدائي.

يوضح من الجدول رقم (٥٩) أن منهاج التربية المدنية للسنة الخامسة ابتدائي يحتوي على قيم المواطنة المتمثلة في الواجبات بنسبة ٣٨% معبر عنها بالمفردات (من ١ إلى ١)، وقيم الانتماء للوطن بنسبة ٢٥% تشمل المفردات (من ١ إلى ١)، وقيم الحقوق بنفس النسبة ٢٥% معبر عنه بالمفردتين (١٠٦٠٩)، أما قيم الديمقراطية فنسبتها ١٠% وتعتبر عنها المفردات (٥٤٠٣)، وأخيرا القيم البيئية بنسبة ١٠%، بهذا يمكن القول أن منهاج التربية المدنية للسنة الخامسة ابتدائي قد ركز في محتواه على قيم الواجبات والحقوق وقيم الانتماء والديمقراطية، بينما تناول قيم البيئة بنسب قليلة جدا.

٦٥- قيم المواطنة في مناهج التربية المدنية لمرحلة التعليم الابتدائي:

الرقم	قيم المواطنة	السنة أولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة	السنة الخامسة	المتوسط الحسابي
		النسبة %	النسبة %	النسبة %	النسبة %	النسبة %	
1	الواجبات	٣٧.٦٥	٥٤.٦٢	٥٠.٩٤	٣٥.٤٨	٣٨.٢٤	43.39
2	الانتماء للوطن	٣٤.١٢	١٤.٦٢	١٧.٩٢	٢٤.١٩	٢٥.٠٠	23.17
3	الحقوق	١٥.٢٩	٨.٤٥	٦.٦٠	٦.٤٥	٢٥.٠٠	12.36
4	البيئة	١٢.٩٤	٧.٦٩	١٤.١٥	٢٢.٥٨	١.٤٧	11.77
5	الديمقراطية	٠.٠٠٠	١٤.٦٢	١٠.٣٨	١١.٢٩	١٠.٢٩	9.32
	المجموع	%100	%100	%100	%100	%100	%100

جدول رقم (٥٩) يوضح إجمالي قيم المواطنة التي تتضمنها مناهج التربية المدنية لمرحلة التعليم الابتدائي.

بعد تحليل مضامين مناهج التربية المدنية لمرحلة التعليم الابتدائي ومن خلال عرضنا لجميع قيم المواطنة التي تضمنتها يمكن التوصل إلى ما يلي:

- تسعى مناهج التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي إلى تنمية قيم المواطنة لدى التلاميذ ويدل على ذلك ما تحويه من قيم المواطنة الأكثر تواجدا في المناهج التعليمية الحديثة تهدف إلى إعداد المواطن الصالح.

- تضمنت مناهج التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي لقيم المواطنة بشكل غير متوازن وهذا ما يعبر عنه الجدول رقم (٥٩) والذي يوضح ما يلي:

أن المناهج التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي ركزت بالدرجة الأولى على قيم الواجبات فكان متوسط نسبتها في جميع المناهج هو 43.39% وهذا على خلاف مع ما توصلت إليه دراسة (راضية بوزيان) من أن قيمة الواجبات وردت بتواتر قليل في الكتب الاجتماعية لمرحلة التعليم المتوسط، ويعود ذلك إلى أن هذه مرحلة التعليم الابتدائي تعتبر من المراحل التي تعمل على بناء شخصية التلميذ في جميع النواحي (الفكرية والجسدية والوجدانية) ومن السهولة أن يكتسب فيها التلميذ هذه القيم أو تعديل سلوكياته عن طريق غرس القيم الأخلاقية والاجتماعية في نفسه وممارستها في المدرسة، فالتلميذ يقتدي بمعلمه ويتأثر به أكثر من أي شخص آخر.

في المرتبة الثانية نجد قيم الانتماء للوطن بمتوسط نسبة يقدر بـ ٢٣.١٧%، ففي هذه المرحلة التعليمية تعمل المناهج التعليمية على غرس حب الوطن والدفاع عنه والاعتزاز به والولاء له في نفوس التلاميذ ومن خلال احترام رموز السيادة

الوطنية، والمشاركة في أحياء المناسبات والأعياد الوطنية والدينية، وتتفق الدراسة الحالية مع ما توصلت إليه دراسة السابقة حيث أن الانتماء والهوية الوطنية من العناصر المهمة المشكلة للمواطنة ، وهناك نزعة نحو التوجه إلى غرس روح الوطنية والانتماء للوطن عبر المناهج التعليمية .

احتلت قيم الحقوق المرتبة الثالثة في محتوى مناهج التربية المدنية بنسبة ١٢.٣% وهي نسبة منخفضة مقارنة بباقي القيم، وهذا يعود إلى مجموع الحقوق التي يجب على التلميذ أن يتعرف عليها في هذه المرحلة كحد أدنى متمثلة في بعض حقوق الطفل كالحق في التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية...، وقد اختلفت الدراسة الحالية في هذه النتيجة مع الدراسات السابقة فقد اتفقت على أن الحقوق أكثر انتشارا في مناهج وكتب التربية المدنية نظرا لدورها في تنمية فكرة المواطن الصالح لدى تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط أو الإعدادي .

نالت قيم البيئة المرتبة الرابعة في محتوى مناهج التربية المدنية بنسبة ١١.٧% وهي أيضا نسبة قليلة مقارنة بباقي القيم ويرجع هذا لكون معارف التلاميذ في هذا المجال لا تتعدى بعض المفاهيم التي يجب أن يدركها، ويتحلى ببعض السلوكيات في تعامله مع البيئة والمحيط الذي يعيش فيه ، رغم ذلك فجميع الدراسات السابقة تدعو إلى الاهتمام بالمحافظة على البيئة نظرا لقلّة انتشار قيم الوعي البيئي في مناهج وكتب التربية المدنية.

احتلت قيم الديمقراطية المرتبة الخامسة في محتوى مناهج التربية المدنية بمتوسط بنسبة ٩.٣%، وهي نسبة منخفضة مقارنة بباقي القيم ذلك لأن المناهج تعرضت لمفاهيم قيم الديمقراطية بشكل بسيط في مناهج التربية المدنية ماعدا منهاج السنة أولى الذي لم ترد فيه هذه القيم اطلاقا، وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه الدراسات السابقة حيث يقل انتشار قيم الوعي السياسي في مناهج وكتب التربية المدنية .

خاتمة:

من خلال تحليل محتوى مناهج التربية المدنية لمرحلة التعليم الابتدائي يمكن أن نستخلص ما يلي:

- ١- أن مناهج التربية المدنية لمرحلة التعليم الابتدائي لها دور فعال في ترسيخ قيم المواطنة لدى التلاميذ.
- ٢- أن مناهج التربية المدنية لمرحلة التعليم الابتدائي لم توازن في توزيع قيم المواطنة فكانت قيم الواجبات وقيم الانتماء أكثر حضورا في المناهج من بقيت القيم.
- ٣- يمكن القول بأن مناهج التربية المدنية لمرحلة التعليم الابتدائي اعتمدت في تنمية قيم المواطنة على قيم الواجبات بشكل أكبر لأن في هذه المرحلة يمكن أن ننمي في التلميذ الكثير من المهارات والقدرات والسلوكيات والقيم الأخلاقية والإسلامية والاجتماعية معتمدين على مصادر عديدة من المعارف والوسائل كالأيات القرآنية والأحاديث النبوية والقوانين واللوائح العالمية (الدستور، القانون المدني قانون المرور، قانون حماية البيئة...).

قائمة المراجع:

١. ابراهيم شعبان حامد، نادية ابراهيم حسن: تطوير مناهج التعليم لتنمية المواطنة في الألفية الثالثة لدى الطلاب بالمرحلة الثانوية دراسة تجريبية -، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، القاهرة، ٢٠٠٠ .
٢. أبو العينين علي خليل مصطفى: القيم الإسلامية والتربية دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها وتنميتها، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدنية المنور، ١٩٨٥ .

٣. إدوارد سي بانفليد: السلوك الحضاري والمواطنة، ترجمة سمير عزت نصار، دار النشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٥ م.
٤. بالطاهر النوي : المضامين المعرفية لمنهاج التربية المدنية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط كإطار لتكوين مفهوم المواطنة لدى التلاميذ - دراسة تحليلية لكتاب التربية المدنية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط طبعة ٢٠١٣/٢٠١٠ ، أطروحة دكتوراه العلوم في علم النفس تخصص علوم التربية (غير منشورة) جامعة محمد خيضر بسكرة السنة الجامعية ٢٠١٣/٢٠١٠ .
٥. راضية بوزيان : دور المؤسسة التعليمية في تكوين روح المواطنة لدى تلاميذ -المدرسة الإثمايلية نموذجاً- دراسة ميدانية ببعض إكماليات ولاية عنابة، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم علم الاجتماع ، جامعة عنابة، ٢٠٠٠ .
٦. رمعون حسن: المدرسة في البلدان المغاربية والخطاب حول المواطنة - مقارنة من خلال كتب التربية المدنية - ترجمة : مصطفى مجاهدي، مجلة إنسانيات ، المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، كراسك وهران المدرسة رهنات مؤسسية واجتماعية ، السنة السابعة عشرة ، (مجلا ١، ٢-٣) عدد مزدوج ٦١٦ أفريل سبتمبر ٢٠١٣ .
٧. السيد فؤاد البي: علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠ .
٨. قاسم عبد الكريم: المواطنة ومشكلة الدولة في الفكر الإسلامي، ملتقى المرأة للدراسات والتدريب، تعز-اليمن، ٢٠٠٠ .
٩. قباري محمد إسماعيل: علم الاجتماع والايديولوجيا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، (دون سنة النشر).
١٠. القحطاني عبد الله بن سعيد آل عبود: قيم المواطنة لدى الشباب وإسهامها في تعزيز الأمن القومي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ٢٠١٠ .
١١. اللجنة الوطنية للمناهج: الوثيقة المرافقة لمناهج السنة الأولى من التعليم الابتدائي، وزارة التربية الوطنية ، طبعة جوان، ٢٠٠٠ م .
١٢. اللجنة الوطنية للمناهج : منهاج التربية المدنية للسنة الثانية من التعليم الابتدائي، وزارة التربية الوطنية ، طبعة جوان، ٢٠١٠ .
١٣. مرتضى زكي رمزي، الرنتيسي محمود محمد: تقييم محتوى مناهج التربية المدنية للصفوف السابع والثامن والتاسع في ضوء قيم المواطنة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، يوليو ٢٠١٠ .
١٤. المهدي أحمد عبد الحليم وآخرون: المنهج المدرسي المعاصر - اسسه بناؤه تنظيماته تطويره -، الطبعة ٢٠٠٢ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ٢٠٠٩ .
١٥. ميدل عبد الله: التربية المدنية، دراسة في أزمة الانتماء والمواطنة في التربية العربية مجلة الفكر السياسي ، العدد ٢١، دمشق، ٢٠٠٠ م.
١٦. النشرة الرسمية: القانون التوجيهي للتربية الوطنية ، وزارة التربية الوطنية ، عدد خاص فيفري ٢٠٠٠ .
١٧. النظام التربوي والمناهج التعليمية، مطبوعات المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، ٢٠٠٠ .



١٨. هاني عبد الستار فرج: التربية والمواطنة، دراسة تحليلية، بحث منشور، مجلة مستقبل التربية العربية، مجلد ١ عدد ٣٩، مصر ٢٠٠٠م.

١٩. الوكيل حلمي أحمد، المفتي محمد أمين: أسس بناء المناهج وتنظيمها، الطبعة ٢٠٠٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان الأردن، ٢٠٠٠.

20. Rhys Griffith: **National Curriculum: National Disaster?** Education and Citizenship .2000.

الإدمان على الأنترنت و دوره في بروز بعض المشكلات الاجتماعية

أ.عديلة غالمي/جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر

ملخص:

إن طريقة استخدام الناس للإنترنت أثارت اهتمام مجتمع الصحة النفسية في المجتمعات الغربية، و أصبح إدمان الإنترنت موضوع خطير للمناقشة، ما أدى بظهور العديد من الأبحاث و الدراسات حول هذا الموضوع. وهذا النوع من الإدمان ظاهرة جديدة لا يعرفها العديد من الأخصائين و الممارسين النفسانيين في مجتمعنا، و بالتالي فإنهم غير جاهزين لعلاجها. بل إن بعض المعالجين لا يعرف الإنترنت وبالتالي يصعب عليه فهم القوى الإغوائية له. إذن لابد لنا التطرق لهذا الموضوع من خلال تحديد مفهوم الإدمان على الأنترنت، و النظريات المفسرة له، و المعايير التشخيصية له، ثم التطرق إلى ما يمكن أن تشكله من مخاطر سلبية و كذا ظهور بعض المشكلات الاجتماعية لدى الأفراد.

الكلمات المفتاحية: الأنترنت، الإدمان، المشكلات الاجتماعية.

مقدمة:

نظرا لأهمية شبكة الأنترنت و ما تمثله كمصدر هائل للمعلومات، حيث يستخدمها الدارس و الباحث كأداة للبحث، و يستخدمها رجال الأعمال للتعرف عن أحدث المنتجات في مجالهم، و تستخدمها الشركات كوسيلة تسويقية جيدة قليلة التكلفة، في حين تعتمد الأسر و الأشخاص العاديون عليها بوصفها وسيلة للتسوق، أو للاتصال بأفراد أسرهم و أصدقائهم في الأماكن البعيدة...و غيرها لما يمكن أن تقدمه من خدمات، و بالتالي سواء في العمل أو المنزل أو المدرسة، فإن استخدام الأنترنت ظاهرة أصبحت ذات أهمية متزايدة، فقد أصبحت إلى حد ما شرطا أساسيا في الحياة و لها العديد من المزايا. و لكن استخدام الأنترنت قد يكون مهما أو أساسيا، أو قد يكون غير ضروري أو شخصي و الذي قد يبقى ترفيهيا، و لكن أيضا قد يكون مبالغا فيه و يسبب أضرارا. في هذه الحالة الأخيرة، يمكن الحديث عن الإدمان على الأنترنت.

أولا- مفهوم الإدمان على الأنترنت:

لما كانت مختلف مواضيع الإدمان تركز على استخدام العقاقير و غيرها من الأشياء الخارجية، و التي تؤثر على الاستجابات الكيميائية للدماغ، فقد تم مؤخرا لفت انتباه الرأي العام إلى أنه يمكن للشخص الحصول على نفس الدرجة العالية من الإدمان باستخدام الأنترنت، و هو ما يدعى بإدمان الأنترنت المرضي¹. و في حقيقة الأمر، يذكر أن أول من وضع مصطلح الإدمان على الأنترنت هي كامبرلي يونغ التي تعد من أولى أطباء النفس الذين عكفوا على دراسة هذه الظاهرة في الولايات

Garcia, D. M. (2003, 14 Decembre). *Internet Addiction Disorder*. Retrieved March 13th, 2010 from <http://allpsych.com/journal/internetaddiction.html>

المتحدة منذ عام ١٩٩١^١، و قد تم سنة ١٩٩٦ تنظيم منتدى حول الانترنت تحت عنوان "علم نفس الانترنت"، يشمل مجموعة من الأطباء النفسانيين الأمريكيين، و لقد تم طرح هذا المصطلح (إدمان الانترنت المرضي) كفكرة ساخرة أو كنكتة من طرف ايفان غولديبرغ (Goldberg) أحد أعضاء هذا المنتدى، و كان الهدف من ذلك إثارة هذا الموضوع و جعله أكثر مناقشة، وهو الذي اقترح تشكيل مجموعة مساندة لمدمني الانترنت^٢.

و لقد أشار سولي (Suler.J) إلى أن بعض علماء النفس غير متأكدين تماما من كيفية وصف هذه الظاهرة، فالبعض يسميه "إدمان الانترنت المرضي"، لكن هناك العديد من مدمني الكمبيوتر قبل دخول الانترنت في حياتهم، كما أن هناك من يهتم بالكمبيوتر دون أدنى اهتمام بالانترنت، لذلك يقول ربما علينا ان نطلق على هذا الاضطراب بـ "إدمان الحاسوب"^٣.

و منذ ذلك الحين؛ فقد ظهرت العديد من الأبحاث و الدراسات حول هذا الموضوع، و لذلك فقد أجرى بيير فوجواز (Pierre vaugois) دراسة استكشافية حول إدمان الفضاء الانترنتي و مختلف الدراسات التي تشمله، و لقد توصل إلى أن معظمها كانت انجليزية، و معظم المصطلحات كانت تشير إلى شبكة الانترنت، و هكذا فقد نجد مصطلح :

-الإدمان على الانترنت " Internet addiction " عند كامبرلي يونغ (Young, 1996).

-الاعتماد على الانترنت " Internet dependency " عند شيري (Scherer, 1997) .

-الاستخدام الباثولوجي للانترنت " Internet use Pathological " لدى دافيس (Davis, 2001) . و موران-مارتن (Murahan- martin, 2000).

-إشكالية استخدام الانترنت " عند كابلون (Caplon, 2002)^٤.

إذن فإدمان الانترنت هو ظاهرة حديثة نسبيا، و تعني "الاستخدام الزائد عن الحد و غير التوافقي لهذه التقنية، و الذي يؤدي إلى اضطرابات نفسية إكلينيكية يستدل عليها بمجموعة من الأعراض"^٥.

و تعرفه ساره راكال (Sarah Rackel) بأنه " الاستخدام المفرط للانترنت الذي يتداخل مع الحياة اليومية"^٦.

أما بالنسبة لريفوي (Revoy) فإدمان الانترنت هو "اضطراب حقيقي يتميز بعدم القدرة على التحكم في الوقت رغم كل الجهود (مع أن الوقت وحده ليسا معيارا)"^٧.

أما غرنفيلد (David Greenfield) فيعتقد أن "الطبيعة السيكودينامية" للانترنت تتميز بنوع من القوة و النفوذ، بحيث تكون مسيطرة على صاحبها^٨.

١ العرب الأسبوعي. (٢٠٠٩، ٧ مارس). متعة افتراضية: إدمان الانترنت ... وجه آخر لإدمان الكحول و المخدرات، تم استرجاعها في تاريخ ١٤ جويلية، ٢٠٠٩ من www.alarabonline.org/Previouspages/Alarab%20Weekly/2009/.../w29.pdf

٢ Psy-web. (2007, 13 January). Internet addiction. Retrieved March 13th, 2010 from <http://www.psy-web.net/addiction.htm>

٣ Suler, J. (2004). Computer and cyberspace addiction. Retrieved March 22th, 2010 from <http://www-usr.rider.edu/~suler/psycyber/cybaddict.html>

٤ Pierre, V. (2006). LA CYBERDÉPENDANCE : fondements et perspectives. Canada: Centre québécois de lutte aux dépendances, p. 2

٥ العرب الأسبوعي، مرجع سابق.

٦ Suler, J, 2004, ibid.

٧ Pierre, V, ibid, p.8.

٨ Garcia ,D, M, ibid.

ونظراً لحدائثة الموضوع، فقد أدى إلى حدوث جدل كبير حول السؤال الذي يتعلق بوجود مثل هذا الاضطراب أم لا، و ظهور مناقشات بين العلماء الباحثين، كما أن هناك جدل حول ما إذا وجب وضع الإدمان على الانترنت ضمن الدليل التشخيصي والإحصائي الخامس للاضطرابات النفسية⁵ DSM أم لا، والذي سيتم تحديده في سنة ٢٠١٠. حيث يرى البعض ضرورة إدراجه باعتباره مرض قد يهدد الأفراد في حين يرى البعض الآخر انه لا يمثل مشكلة و خطورة لدرجة تتطلب إدراجه ضمن DSM5 ، ففي شهر جوان من سنة ٢٠٠٠ ، رفضت الجمعية الطبية الأمريكية أن يعتمد الاتحاد النفسي الأمريكي تشخيصاً لإدمان الانترنت المرضي و إدراجه في DSM 5 و طالبت بإجراء بحوث معمقة حول هذا الموضوع حتى يتم التأكد منه. إلا انه و بعد ظهور العديد من الأبحاث و الدراسات المعمقة حول هذا الموضوع، زاد الاهتمام به، و أصبح ظاهرة تلفت نظر التربويين والأخصائيين النفسيين لما لها من آثار اجتماعية ومهنية وعائلية، وأخرى مادية سلبية. ففي سنة ٢٠٠٠ رأى كل من Block و Kim McDaniel ، Hilarie Cash ، Jerald ضرورة إدراج إدمان الانترنت ضمن DSM 5.¹

و في الأخير يمكن القول إن إدمان الانترنت أصبح مرضاً ينظر إليه الأطباء النفسيون وأطباء الأمراض النفسية و العقلية باعتباره علة خطيرة قد تهدد الفرد و صحته عموماً.

ثانياً- الاتجاهات و النماذج المفسرة للإدمان على الانترنت:

إن تفسير الأسباب التي تجعل الناس تدمن الإنترنت هو تفسير واسع جداً ومتعدد الاتجاهات، ما أدى إلى ظهور مجموعة من النظريات المفسرة لذلك، فبعض النظريات تقوم بتفسير اضطرابات الإدمان على أنها متأصلة في التفسيرات السلوكية أو التفسيرات السيكودينامية أو الشخصية أو الاجتماعية الثقافية أو الكيمائية الحيوية، وسنحاول فيما يلي عرض أهم هذه التفسيرات التي وضعت حول إدمان الإنترنت:

١- الاتجاه السلوكي: وفقاً للاتجاه السلوكي فإن الممارسة والتكرار هي التي أوجدت إدمان الإنترنت وهكذا فإن أي فرد يصبح عرضة لإدمان الإنترنت في أي عمر وفي أي وقت وأياً كانت الطبقة الاجتماعية أو الثقافية للفرد. فبمصطلحات السلوكية ليس فقط مجرد وجود الدافع أو الهدف في حد ذاته ، ولكن أيضاً لابد من ممارسة هذا السلوك لمرات عديدة ثم يتم تدعيمه وتعزيزه بالشعور الداخلي الذي يتحقق للفرد بعد دخوله على الإنترنت في كل مرة. والأدهى من ذلك أن هذا الشعور لا يتغير في نوعه ولكنه يتغير في شدته ويصبح أشد وأشد مما يوقع الفرد في العديد من الاضطرابات السلوكية والنفسية والانفعالية .

٢- الاتجاه المعرفي: يرى فينيشل (Fenichel) أن من يقضون أوقات كثيرة أمام الإنترنت بدلاً من قضائها مع أسرهم، تكون لديهم أساليب معرفية شاملة مكونة من تعدد المهام والمعالجة زائدة السرعة واقتقاد أهداف التوجه متوسطة أو بعيدة المدى ويحطمون أنماط حياتهم، وعادة ما يستخدمون الكمبيوتر كنقطة أساسية لكل أنماط تواصلهم مع العالم. ولذا فإن إدمان الإنترنت أكثر من مجرد اضطراب استخدام العقاقير. ومن الواضح أن هذه النقطة تحتاج لمزيد من البحوث التي تلقى الضوء على عدد كبير من الموضوعات الخاصة بالحاجات البشرية والدوافع والمعرفة والسلوك.²

¹ Wikipedia. (N.D.) .Internet addiction disorder. Retrieved March 22th, 2010 from http://en.wikipedia.org/wiki/Internet_addiction_disorde

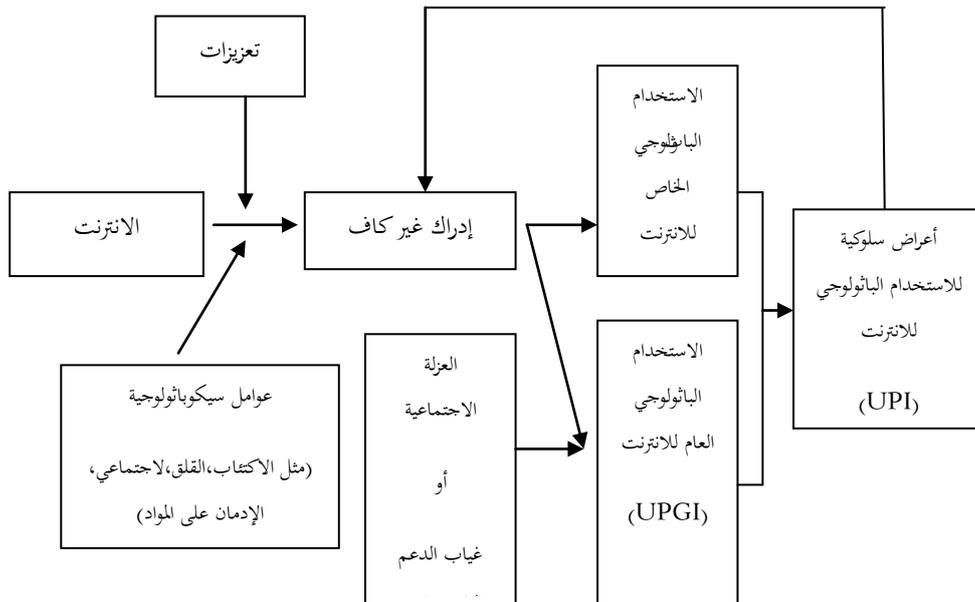
² الأنوط، بشرى إسماعيل احمد. (٢٠٠٥). إدمان الانترنت وعلاقته بكل من أبعاد الشخصية و الاضطرابات النفسية لدى المراهقين. رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق، مصر. ص. ١٢-١٥.

٣- الاتجاه السيكودينامي: وهو يركز على خبرات الشخص ، وتعتمد تلك الخبرات على الأحداث التي مر بها الطفل في مرحلة الطفولة وأثرت عليه وعلى سماته الشخصية وبالتالي يصبح عرضة لإدمان الإنترنت أو لأي إدمان آخر. ونجد أن هذا التفسير يهتم بالشخص وبالنشاط أو السلوك الذي يمارسه بالإضافة إلى أساس إدمانه.

فمجهولية التعاملات الإلكترونية أو التعاملات غير معروفة الاسم مع الآخرين، تعد عامل يبرز إدمان الإنترنت ويقدم محيط افتراضي ويغرس التهرب الذاتي من الصعوبات الانفعالية أو المواقف والصعوبات الشخصية، وحينئذ يستخدم ميكانيزم "الهروب" أو أنه يخفف أوقات التوتر والضغوط النفسية ويعزز هذا السلوك في المستقبل، وهكذا نستطيع القول بأن هذا الاتجاه السيكودينامي يرى أن إدمان الإنترنت هو استجابة هروبية من الإحباط و استجابة للرغبة في الحصول على لذة بديلة مباشرة لتحقيق الإشباع أيضاً للرغبة في النسيان، وكذلك أن الإفراط في استخدام ميكانيزم الإنكار هو أيضاً مؤشر على إدمان هذا الفرد للإنترنت¹

٤- النموذج المعرفي السلوكي من الاستخدام الباثولوجي للإنترنت حسب دافيس Davis:يفضل دافيس استعمال مصطلح الإدمان الباثولوجي للإنترنت بدلاً من إدمان الإنترنت، في هذا النموذج فإن أحد العوامل المسببة هو العامل السيكوباتولوجي، بعبارة أخرى، فالدراسات السابقة أخذت بعين الاعتبار السلوكيات الغير تكيفيه (مثل الضرر الناجم عن الاستخدام القهري للإنترنت) على العكس فإن هذا النموذج يأخذ أيضاً بعين الاعتبار الادراكات الغير كافية على سبيل المثال الحصول على الثقة الزائدة سواء بالاتصال بالإنترنت لو يغير

الاتصال بها. فحقيقة هذا النموذج انه يميز بين الاستخدام المرضي العام للإنترنت و الاستخدام المرضي الخاص للإنترنت كما هو موضح في الشكل التالي:



شكل رقم (١) : يوضح النموذج المعرفي السلوكي من الاستخدام الباثولوجي للإنترنت حسب دافيس Davis²

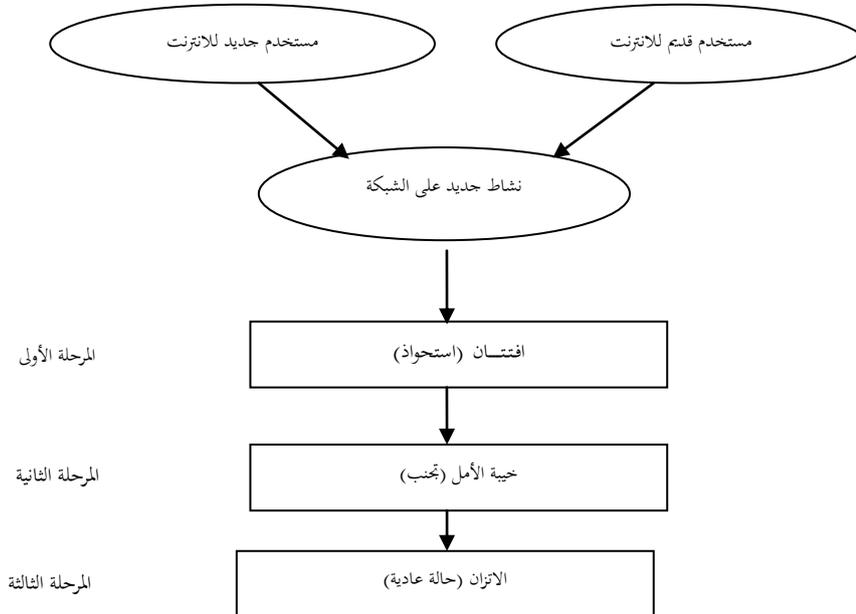
^١ الأرنوط، بشرى إسماعيل احمد، مرجع سابق، ص. ١٢.

² Pierre, V, ibid. P 4.

٥-الاتجاه البيوكيميائي: حيث يرجع إدمان الانترنت إلى عوامل وراثية و خلل في التوازن الكيميائي في الدماغ و النواقل العصبية،و هذا التفسير يشبه استخدام الأدوية لدى المرضى الذين يحتاجون لتحقيق التوازن بين المواد الكيميائية في الدماغ^١.

٦-الاتجاه الاجتماعي الثقافي: ينظر التفسير الثقافي الاجتماعي إلى المدمنين وفقاً لجنسهم وعنصرهم وسلالتهم وعمرهم وديتهم وبلدهم وحالاتهم الاقتصادية فمثلاً وجد أن نسبة ٨٥٧% من المستخدمين للإنترنت من الرجال الأمريكيان البيض مثلاً ، و أن معظم مدمني الإنترنت من المتزوجين وذوي العلاقات. إذ يرى أنصار الاتجاه الثقافي الاجتماعي أنه لا يمكن فهم أي اضطراب نفسي إلا عندما ينظر إليه في إطار البيئة الثقافية، وقد تمسكوا بحقيقة أن انتشار العديد من الاضطرابات النفسية تختلف وفقاً للعمر وللطبقة الاجتماعية والخلفية الثقافية ، ولذلك يرون أن المجتمع هو السبب في السلوك اللاسوي ، فما يدب في المجتمعات اليوم من اضطرابات يجبر أفرادها على الانغماس في السلوك الشاذ والغريب للتكيف مع معايير وعادات هذا المجتمع التي تختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى. ويرى أصحاب الاتجاه الثقافي الاجتماعي أنه لا بد من أن نحص وندرس المحيط الاجتماعي إذا أردنا أن نفهم السلوك اللاسوي لدى الأفراد. ولذلك ركزت تفسيراتهم على البناء الأسري والتفاعل الأسري والتواصل والضغط الاجتماعية والطبقات الاجتماعية ، وهكذا أضافوا بعداً هاماً لفهم وعلاج أي اضطراب نفسي، فالآن يأخذ الإكلينيكيون في حساباتهم البناء الأسري والموضوعات الاجتماعية عند محاولتهم فهم وتفسير الاضطراب النفسي.

٧-نموذج جروهل Grohol, J.M لإدمان الانترنت: يقدم جروهل (Grohol) نظرية بديلة ترى أن تفسير سبب استخدام الإنترنت بإفراط هو فكرة مقنعة جداً، وقام بعمل نموذج يطلب فيه من الشخص أن يجتاز مراحل معينة في اكتشاف الإنترنت ومصادره^٢.



شكل رقم (٢) يوضح نموذج جروهل لإدمان الانترنت^١

^١ Garcia ,D, M,ibid.

^٢ الأرئوط، بشرى إسماعيل احمد، مرجع سابق، ص ١.

حيث يرى أن هذا النموذج يمكن تطبيقه على نطاق واسع من استخدام الانترنت بشكل عام، و تتمثل هذه المراحل في:
-المرحلة الأولى"مرحلة الافتتان أو الاستحواذ": و هي تميز المستخدم الجديد للانترنت أو المستخدم لنشاط جديد على الشبكة.

-المرحلة الثانية "مرحلة خيبة الأمل أو التجنب": فبسبب المرحلة الأولى ،فان الفرد يدخل في الإدمان و التعلق بالشبكة إلى أن يصل إلى هذه المرحلة أين يتحرر الفرد من الانترنت بشكل تدريجي حتى يصل إلى المرحلة الثالثة.

-المرحلة الثالثة "مرحلة الاتزان": و التي يتم فيها استخدام الانترنت بشكل طبيعي على مستوى الفرد.

إذن فإدمان الانترنت يتم وفقا لعملية مرحلية، تبدأ بالإسراف في استخدام الانترنت حتى بلوغ مرحلة الاتزان في ذلك الاستخدام، بيد أن بعض الأشخاص تطول معهم المرحلة ، فيسرفون في استخدامها لها و بالتالي لا يتمكنون من الاستغناء عنها².

ثالثا- المعايير التشخيصية لإدمان الانترنت :

لقد استغلت كامبرلي يونغ^١ (١٩٩٦) سبعة أعراض من معايير القمار المرضي وقامت بتكييفها مع إدمان الانترنت، مع إضافة معيار جديد، و اعتبرت الفرد مدمنا إذا ما تحققت خمس من مجموع معايير الإدمان على الانترنت التي وضعها (بمعنى^٥ من مجموع^٨ أعراض، أو بنسبة^{٦٣} % من الأعراض) كما هو الحال بالنسبة للقمار المرضي (^٥ من مجموع^١ أعراض، أو بنسبة^{٥٠} % من الأعراض) و تتمثل هذه الأعراض في :

١. الشعور بالقلق بسبب عدم اتصاله بالانترنت.
٢. الحاجة لقضاء وقت أطول في استخدام الانترنت بهدف الشعور بالرضا و الارتياح.
٣. جهود متكررة، لكنها غير ناجحة في السيطرة أو خفض أو وقف استخدام الانترنت.
٤. الشعور بالأرق و القلق و التهيج عند محاولة خفض أو وقف استخدام الانترنت.
٥. استخدام الانترنت أكثر من الوقت المتوقع.
٦. فقدان علاقة هامة، أو مهنة أو وظيفة أو دراسة بسبب استخدامه الانترنت.
٧. إخفاء المدة الحقيقية من استخدام الانترنت على الأسرة أو المعالج أو الأصدقاء...
٨. استخدام الانترنت بهدف الهروب و التخلص من المشاكل (مثل مشاعر العجز، و الشعور بالذنب و القلق و الاكتئاب)^٣.

أما غولديبرغ (Ivan, Goldberg) فقد وضع تصنيفا تشخيصيا، استنادا إلى DSM4، يثبت الإدمان على الانترنت، إذا توفرت ثلاثة أو أكثر من بين السبعة أعراض التالية، و على امتداد ال^١ شهرا السابقة على الأقل:

١. قدرة الاحتمال و يظهر من خلال:

١.١ الحاجة إلى زيادة وقت استخدام الانترنت لتحقيق الرضا.

٢.١ ضعف واضح في الجهودات أثناء الاستعمال المستمر للشبكة.

¹ Grohol, J. M. (2005,16 April). **Internet Addiction Guide**. Retrieved March 13th, 2010 from <http://psychcentral.com/netaddiction>

^٢ العرب الأسبوعي، مرجع سابق.

³ Pierre, v, ibid, p.16.

٢. حالة الفقد (الانسحاب) التي تظهر من خلال:
 - ١.٢ تناذر حالة الفقدان أو الانسحاب ويتميز به عند التوقف أو التقليل من الاستعمال المستمر للانترنت.
 - ٢.٢ تظهر علامتين أو أكثر بعد بضعة أيام إلى شهر من ظهور علامة تناذر الفقدان:
 - أ - حالة تهيج نفسي حركي.
 - ب - الشعور بالقلق عند الابتعاد عن الانترنت.
 - ج أفكار استحواذية وسواسية حول ما يحدث في الإنترنت.
 - د - أحلام يقظة.
 - هـ - حركات إرادية ولاإرادية لتحريك الأصابع.
 - ٣.٢ حالة من التأزم الاجتماعي و المني أو الدراسي.
 - ٤.٢ استعمال الإنترنت كوسيلة لتجنب أو التخفيف من أعراض الانسحاب.
 ٣. استعمال الانترنت لمدة طويلة أكثر مما حضر له.
 ٤. ضعف الإرادة لضبط مدة الاستخدام و الفشل في التقليل أو التوقف منه.
 ٥. استغراق وقت كبير في نشاطات لها علاقة بالانترنت(البحث عن إصدارات جديدة لكتب أو برامج عن طريق الانترنت، التسوق،...).
 ٦. إهمال الحياة الخاصة سواء الاجتماعية أو التعليمية أو المهنية.
 ٧. استخدام مستمر رغم معرفته بالأضرار الاجتماعية والنفسية والصحية التي نتجت عن هذا الاستخدام¹.
- أما بالنسبة لبورد و وولف (Beard et Wolf,2001)، فقد استخدموا نفس مصطلح "إشكالية استخدام الانترنت"، و اشتراطا ظهور ستة أعراض بدلا من خمسة كما وضعتها يونغ، متمثلة في مايلي :
١. ضرورة ظهور خمسة أعراض التالية :
 - ١ ١ الشعور بالقلق بسبب عدم اتصاله بالانترنت.
 - ١ ٢ الحاجة لقضاء وقت أطول في استخدام الانترنت بهدف الشعور بالرضا و الارتياح.
 - ١ ٣ جهود متكررة، لكنها غير ناجحة في السيطرة أو خفض أو وقف استخدام الانترنت.
 - ١ ٤ الشعور بالأرق و القلق و التهيج عند محاولة خفض أو وقف استخدام الانترنت.
 - ١ ٥ استخدام الانترنت أكثر من الوقت المتوقع.
 ٢. ظهور عرض واحد أو أكثر من بين الأعراض التالية :
 - ٢ ١ فقدان علاقة هامة، أو مهنة أو وظيفة أو دراسة بسبب استخدامه الانترنت.
 - ٢ ٢ إخفاء المدة الحقيقية من استخدام الانترنت على الأسرة أو المعالج أو الأصدقاء...
 - ٢ ٣ استخدام الانترنت بهدف الهروب و التخلص من المشاكل (مثل مشاعر العجز، و الشعور بالذنب و القلق و الاكتئاب)

¹ Jean-Bernard, A. (N.D.). **CYBERADDICTION, NOUVELLE TOXICOMANIE SANS DROGUES**. Retrieved March 13th, 2010 from http://psydoc-fr.broca.inserm.fr/toxicomanies/internet_addiction/cyberaddiction.htm

و تجدر الإشارة إلى أن الاختلاف في استخدام المصطلحات أو التسميات المتعلقة بهذا الموضوع، و الذي تطرقنا إليه سابقا، أدى إلى الاختلاف فيما يخص المعايير التشخيصية للإدمان على الانترنت.

رابعاً: مجالات الإدمان على الانترنت:

في الدراسة التي قدمتها كمبرلي **يونغ** حول الإدمان على الانترنت، وجدت أن هناك ثلاث جوانب مهيمنة على المدمن تتمثل في فكرة المجتمع اي تجمع "الأصدقاء" على الخط أو الشبكة، وكذا التخييلات الجنسية أو اعتماد شخصيات جديدة، ثم السلطة أو القدرة على التحكم اي الوصول الفوري إلى المعلومات و إلى الأشخاص¹. و بالتالي فقد توصلت إلى إيجاد ٣ أفواج من الأشخاص المدمنين:

فوج الباحثين عن الاتصالات الجنسية الخيالية حيث تصبح المواقع الإباحية وسيلة للحصول على الإشباع بدون خطر. حيث يتم الاتصال بين شخصين أو أكثر و يتم تبادل الصور و الفيديو ، و هي الحالة التي يستطيع القهصل من خلالها حماية نفسه ، بإخفاء اسمه و المعلومات الخاصة به، كذلك عدم تعرضه للأمراض الجنسية الخطيرة.

فوج يهدف إلى الحصول على علاقات اجتماعية، وهم أشخاص يعيشون في مناطق معزولة جغرافياً أو مهمشون اجتماعياً. فغرف الدردشة و المنتديات يمكن أن تكون جذابة للغاية للأفراد الذين يعيشون في بيئة اجتماعية بطريقة غير تفاعلية. مما يجعل الاتصال من هذا النوع كدعم مباشر، فيبدأ المستخدمون بتكوين علاقات قوية في ظل حرية التعبير في غرف الدردشة و المنتديات ، وعدم وجود عواقب تمنع ذلك.

فوج المستعملين الذين يخترعون شخصية خيالية عنهم عبر الانترنت و يصبح بإمكانهم أن يفحصوا مظاهر شخصيتهم التي لم تظهر في الواقع².

فتصنيف الإدمان على الانترنت إذن يتم على أساس الأنشطة التي يمارسها الفرد على الشبكة، مثل الإفراط في عرض المواد الإباحية، الإفراط في المقامرة، الانضمام إلى شبكات اجتماعية بشكل مفرط، التسوق بواسطة الانترنت...

خامساً: بعض المشكلات الاجتماعية الناجمة عن إدمان الانترنت:

تعد آفاق شبكة الانترنت كبيرة و شاسعة جداً، يجد فيها المشترك المتعة و الاستفادة في مجالات واسعة تغطي جميع أنواع المعرفة و الخدمات... و من المؤكد أن الشبكة ستكون جزءاً هاماً و حيويًا في حياة الأفراد و وسيلة اتصال في مختلف أرجاء العالم³.

إلا أن الاستخدام المفرط لهذه الشبكة، قد يؤدي إلى الإدمان عليها، و هو ما قد ينجر عنه آثار و أضرار سلبية مختلفة، قد تشمل حياة الفرد الاجتماعية و النفسية و المهنية ، الدراسية و الصحية... و هذا ما توصلت إليه اغلب الأبحاث و الدراسات في هذا المجال.

فلقد بينت دراسة مسحية حديثة أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية أن (٦ %) من مستخدمي الشبكة، هم مدمنون في حدود قد تصل إلى (٤٥) ساعة أسبوعياً، مما قد يتسبب حسب المختصين في ضعف المردودية الدراسية للأطفال،

¹Jean-Bernard, A,ibid.

² كمبرلي، ي. (د.ت.). الإدمان على الانترنت (هاني أحمد ثلجي، مترجم). الرياض: دار الأفكار الدولية. ص. ١٠٤-١٠٦.

³ البكري، إياد شاكر. (٢٠٠١). تقنية الاتصال بين زمنين. (ط.١). الأردن: دار الشروق للنشر و التوزيع، ص. ١٢٩.

والإنتاجية للموظفين، بالإضافة إلى المشاكل النفسية والاجتماعية (القلق، الغضب، الانطواء، تصديق الأكاذيب، المشاكل العائلية...^١.

حيث وجد أن الإدمان على الانترنت له تأثيرات على الجملة العصبية، إذ يؤدي إلى عدم الاتزان الانفعالي، مما يؤدي إلى ضعف ردود الأفعال، وقد تحدث توترات عصبية بالإفراز المفرط والمتزايد لهرمون الكورتيزول (هرمون الإجهاد والتعب)، وهرمون الأدرينالين و النورادرينالين، فيولد ذلك سرعة الغضب و العدوانية، وظهور اضطرابات نفسية وعقلية، لدرجة أن بعض العلماء أطلق عليه اسم "الهوس النفسي"^٢.

و في دراسة مقارنة لكامبلي يونغ بين مستخدمين سابقين للإنترنت و مستخدمين جدد لها، فقد تبين ان المستخدمين السابقين لم يكونوا قادرين على تحديد استخدامهم طبقا للوقت المنصوص عليه في الدراسة، فلما انتهى الوقت ألغى المستخدمون السابقون خدمة الانترنت الخاصة بهم وتركوا سماعتهم أو فككوا حاسباتهم كلياً ليمنعوا أنفسهم من استخدام الانترنت، لكنهم أحسوا بعدم قدرتهم على العيش لفترة طويلة من الزمن بدون الانترنت وقد تدمروا لأنهم يشعرون بأن لديهم هاجسا يدفعهم ليكونوا على شبكة الانترنت مجددا، وقارنوا حالتهم بحالة التوتر التي يشعر بها المدخنون عندما نقر عليهم فترة بدون تدخين، وأوضح المستخدمون السابقون بان هذا التوتر كان كبيرا لدرجة أنهم استرجعوا خدمات الانترنت الخاصة بهم مجددا فقط ليحصلوا على نشوة (نوبة) استخدام الانترنت^٣.

وتوجد أيضا أضرار نفسية لاستخدام وحدات العرض المرئي، وتتمثل هذه الأضرار في الحد من نسبة الحرية التي ينعم بها الأفراد في أثناء ممارسة عملهم، وشعورهم بأنهم ليسوا أكثر من جزء في نظام بشري آلي، مما يؤدي إلى انكماش حجم الشخصية والعزلة والوحدة^٤. بالإضافة إلى فقدان القدرة على السيطرة على ردود الفعل، حيث لا يتمكن المدمن في أغلب الأحيان من التمييز بين الواقع والخيال، فيكون رد فعله غير واقعي وربما يكون مفرطاً في القوة أو مصحوباً بنوع من اللامبالاة.

و على الصعيد الأسري والاجتماعي، فنجد أن المشكلة تكمن في أن عالم الإنترنت يستحوذ على الأفراد للدرجة التي تطغى فيها على عالمهم الحقيقي.. فبعض الناس قد اختاروا بالفعل أن يكونوا على اتصال بالكمبيوتر بدلا من التواصل مع ذويهم وأصدقائهم في العالم الحقيقي.. هؤلاء الناس هم من وصل بهم (إدمان الإنترنت) للدرجة التي أثرت أو تؤثر الإنترنت فيها على علاقاتهم سواء الأسرية أو الزوجية أو نجاحهم في العمل^٥.

وتعتبر العزلة أو توحده المستخدم مع جهاز الكمبيوتر، من أهم قضايا التأثيرات الاجتماعية والموضوعات الأكثر جدلا بين الخبراء والباحثين في استخدام مواقع شبكة الانترنت، نتيجة خاصية الاستغراق التي يتسم بها استخدام هذه المواقع والتجول بينها وفي محتواها، ونتيجة للاستغراق الطويل أو ما يطلق عليه بإدمان الانترنت، انتهى كثير من الباحثين إلى

^١ دليو، فضيل. (٢٠٠٢). التحديات المعاصرة (العولمة، الانترنت، الفقر، اللغة...). قسنطينة: مخبر علم اجتماع الإعلام والاتصال، ص ٣٠-٣١.

^٢ المصري، وليد أحمد. (٢٠٠٦، أوت). الأسرة العربية وهوس الانترنت. مجلة العربي، (٥٧٥)، ص ص ١٧٤-١٥٢.

^٣ العباي، عمر موفق بشير. (٢٠٠٧). الإدمان والانترنت. (ط.١). الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ص ٧٢.

^٤ اللبان، شريف درويش. (٢٠٠٩). تكنولوجيا الاتصال والمجتمع. (ط.١). القاهرة: دار العالم العربي، ص ٤٠.

^٥ العباي، عمر موفق بشير، مرجع سابق، ص ٦٥-٦٦.

التقرير بعزلة المستخدمين وعدم حاجتهم إلى الاتصال بالآخرين. وظهر بناء على ذلك مفهوم العزلة في صف مستخدمي الانترنت، وهذا ما يؤثر سلباً على علاقة الأفراد بالآخرين، حيث يقضي المستخدم ساعات طويلة أمام الكمبيوتر في التجول والإبحار بين مواقع الشبكة والكشف عن محتواها، ويكون هذا الوقت بالتالي على حساب العلاقات الأسرية والاجتماعية¹.

والقول بأن استخدام الإنترنت يؤدي إلى العزلة لا يتناقض مع القول بأن له تأثيراً إيجابياً يتمثل في تكوين علاقات جديدة، فالعلاقات الجديدة هي علاقات لا شخصية تتم من خلال الاتصال الحاسبي الوسيط، أما العزلة فهي عزلة عن العلاقات الشخصية الأولية، كعلاقات المستخدم للإنترنت مع أسرته أو مع جيرانه أو مع أقرابه²، حيث يشير دافيد غرنفيلد إلى أن "الانترنت وسيلة اتصال اجتماعية لكنها تؤدي إلى العزلة الاجتماعية في نفس الوقت"³

ففي أحد الدراسات الطولية التي قام بها كروت وآخرون (Kraut et al, 1998) قاموا فيها بتقديم كمبيوتر لعدد من الأسر التي تم اختيارها وتعليمهم على استخدام الإنترنت، وجدوا أنه بعد مدة تراوحت ما بين عام إلى عامين ارتبطت زيادة استخدام الإنترنت بانخفاض التواصل الأسري وانخفاض حجم الدائرة الاجتماعية داخل الأسرة. وعلاوة على ذلك قد عايش وعانى المشاركون في هذه الدراسة من الوحدة النفسية والاكتئاب والمساندة الاجتماعية⁴.

كما أن التصفح الطويل للإنترنت يزيد من فقدان التواصل مع الآخرين وإهمال الواجبات الأسرية و التفكك والتصدع الأسري بين الآباء والأبناء، وانحيار البناء الاجتماعي وتدمير القيم والأخلاق، بسبب إقامة علاقات غير شرعية عبر الانترنت، وهذا ما أكده علماء الاجتماع، حيث تتأثر العلاقات الزوجية فيحس الطرف الآخر بالخيانة، وقد أطلق على الزوجات اللاتي يعانين من مثل هؤلاء الأزواج بـ "أرامل الانترنت". ويعترف (٣٥%) من مدمني الانترنت أن لديهم مثل تلك المشاكل، وذلك طبقاً للدراسة التي نشرتها كمبرلي يونغ في مؤتمر الاتحاد النفسي الأمريكي. إضافة إلى ارتياد مواقع ذات ثقافات وعادات غريبة تتعارض مع المعتقدات⁵.

و لقد أكد بتنان (Putnon, 1995) أن الانتشار الواسع لاستخدام الإنترنت صوحب بانخفاض كبير في الاندماج المدني والمشاركة الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية. كما أكد علماء النفس وجود علاقة إيجابية بين إدمان الإنترنت وعدم الاهتمام بالمشاركة العامة في الشؤون المحلية والقومية.

كما أن الذين يتعاملون بصورة متكررة مع الإنترنت ربما يفقدون القدرة على التفاعل التلقائي في الحياة⁶. وقد أدى ازدحام محلات ومقاهي الانترنت بالرواد من الأطفال والشباب، إلى إكسابهم عادات سيئة كالتدخين والتعرف على ألفاظ الشارع، و

^١ عبد الحميد، محمد. (٢٠٠٧). الاتصال والإعلام على شبكة الانترنت. (ط.١). القاهرة: عالم الكتب، ص٢٧٧.

^٢ عبد المجيد، محمد سعيد. (٢٠٠٩، ٨ جوان). العمل الخيري والقضايا الاجتماعية المعاصرة (٣). تم استرجاعها في تاريخ ١٩ جويلية، ٢٠٠٩ من <http://www.medadcenter.com/Articles/show.aspx?id=84>

^٣ Garcia, D, M, ibid.

^٤ الأزنوط، بشرى إسماعيل احمد، مرجع سابق، ص.٦.

^٥ طاطاش، سعيدة. (٢٠٠٥، ٢٠-٢٢ مارس). الانترنت شكل آخر للاتصال الاجتماعي. قدم إلى الملتقى الدولي الأول حول سيكولوجية الاتصال والعلاقات الإنسانية لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ورقلة، الجزائر.

^٦ عبد المجيد، محمد سعيد، مرجع سابق.

مختلف أشكال الاستخدام الغير سليم لهذه الثورة المعلوماتية، كما أنه يمنع من تأدية أمور كثيرة في العملية التعليمية و المهنية.¹

فقد كشفت دراسة كيمبرلي يونج -السابقة الذكر- أن ٥٠% من طلاب المدارس المستخدمين للإنترنت اعترفوا بانخفاض مستوى درجاتهم وغيابهم عن حصصهم المقررة بالمدرسة، ومع أن الإنترنت يعتبر وسيلة بحث مثالية فإن الكثير من طلاب المدارس يستخدمونه لأسباب أخرى كالبحث في مواقع لا تمت لدراساتهم بصلة أو كالتثيرة في حجرات الحوارات الحية أو كاستخدام ألعاب الإنترنت. كما أن وجود الإنترنت في مكان عمل الكثير من الناس يحدث في بعض الأحيان أن يضيع العامل بعض وقت عمله في اللعب على الإنترنت، أو استخدامه في غير موطن تخصصه، ويشكل ذلك مشكلة أكبر إذا كان العامل مدمناً للإنترنت، كما أن سهر مدمن الإنترنت طيلة ساعات الليل يؤدي إلى انخفاض مستوى أدائه لعمله. و يضاف إلى هذه الآثار، ما تخلفه زيارة المواقع الجنسية من إثارة جنسية و الكبت الجنسي و ظهور مشاكل نفسية مرتبطة بذلك، و هذا ما تدعمه نتائج دراسة غرينفيلد، حيث وجد نسبة ٧٩% من المدمنين يظهرن شعورا بالحميمية و الفرح لمجرد اجتماعهم بالشبكة، و أن ٣٧% من تلك المجموعة تمارس الاستمناء على الانترنت².

فإدمان الانترنت قد يضع المدمن في مشكلة حقيقية مع مجتمعه، حيث قد تؤدي به إلى : فقدان العمل، الطرد من المدرسة أو الجامعة، انهيار المراهقين، والمشاكل العائلية، والتحرش بالأطفال، والعنف العائلي، والديون المتراكمة، والثقة المنهارة، ناهيك عن تعود الكذب، وإخفاء الحقائق، والتلون وعدم المصادقية، وغيرها من المشاكل³. ولقد توصل اغلب الباحثين حول هذا الموضوع و من بينهم ساره راکال، أن مدمن الانترنت يلجا إلى الكذب من اجل الاتصال بالشبكة، و انه يخفي مدة استخدام الانترنت على الأصدقاء و أفراد أسرته، بالإضافة إلى عودته للاتصال بالشبكة على الرغم من تكاليفها الباهظة⁴.

خلاصة:

إن التعلق الشديد بالانترنت و استخدامها المفرط قد يؤدي بالشخص إلى الإدمان عليها، و تكون النتيجة لهذا السلوك الكثير من المخاطر و التأثيرات على حياته عموماً. و هذا ما تبين من خلال ما سبق، حيث حاولنا تحديد مفهوم الإدمان على الانترنت و التطرق إلى اختلاف التسميات باختلاف الباحثين و التوجهات الفكرية، كما تم عرض النظريات المفصرة لإدمان الانترنت و التي اتضح أنها متأصلة في التفسيرات السلوكية أو السيكودينامية أو الشخصية أو الاجتماعية الثقافية أو الكيميائية الحيوية.

كذلك تم التطرق إلى مختلف مجالات الإدمان على الانترنت، و كذا المعايير التشخيصية المختلفة التي تميز المدمن على الانترنت و في الأخير كان الحديث عن النتائج و الانعكاسات السلبية التي استنتجت من العديد من الأبحاث حول هذا الموضوع.

¹ الأخرس، إبراهيم. (٢٠٠٨). الآثار الاقتصادية والاجتماعية لثورة الاتصالات و المعلومات على الدول العربية. (ط.١). القاهرة: ايتراك للنشر التوزيع، ص. ٢٨١.

² Tori, D. (2000, April). **Is Internet addiction real ?** Retrieved March 18th, 2010 from www.APA.Org/Inernetaddiction.htm

³ اللحيان، حمد بن عبد الله. (٢٠٠٥، ١١ نوفمبر). إدمان على الإنترنت مرض عصري جديد و خطير. تم استرجاعها في تاريخ ١٧ سبتمبر،

٢٠٠٩ من <http://www.alriyadh.com/2005/11/11/article107134.html>

⁴ Suler, J, ibid.

قائمة المراجع:

1. Garcia, D. M. (2003, 14 Decembre). **Internet Addiction Disorder**. Retrieved March 13th, 2010 from <http://allpsych.com/journal/internetaddiction.html>
٢. العرب الأسبوعي (٢٠٠٩، ٧ مارس). متعة افتراضية: إدمان الانترنت... وجه آخر لإدمان الكحول و المخدرات. تم استرجاعها في تاريخ ١٩ جويلية ٢٠٠٩ من www.alarabonline.org/Previouspages/Alarab%20Weekly/2009/.../w29.pdf
3. Psy-web. (2007, 13 January). **Internet addiction**. Retrieved March 13th, 2010 from <http://www.psy-web.net/addiction.htm>
4. Suler, J. (2004). **Computer and cyberspace addiction**. Retrieved March 22th, 2010 from <http://www-usr.rider.edu/~suler/psycyber/cybaddict.html>
5. Pierre, V. (2006). **LA CYBERDÉPENDANCE : fondements et perspectives**. Canada: Centre québécois de lutte aux dépendances.
6. Wikipedia. (N.D.). **Internet addiction disorder**. Retrieved March 22th, 2010 from http://en.wikipedia.org/wiki/Internet_addiction_disorder
٧. الأرنوط، بشرى إسماعيل أحمد (٢٠٠٩). إدمان الانترنت وعلاقته بكل من أبعاد الشخصية و الاضطرابات النفسية لدى المراهقين. رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق، مصر.
8. Grohol, J. M. (2005, 16 April). **Internet Addiction Guide**. Retrieved March 13th, 2010 from <http://psychcentral.com/netaddiction>
9. Jean-Bernard, A. (N.D.). **CYBERADDICTION, NOUVELLE TOXICOMANIE SANS DROGUES**. Retrieved March 13th, 2010 from http://psydoc-fr.broca.inserm.fr/toxicomanies/internet_addiction/cyberaddiction.htm
١٠. كمبرلي، ي. (د.ت.). الإدمان على الانترنت (هاني احمد ثلجي، مترجم). الرياض: دار الأفكار الدولية.
١١. البكري، إياد شاكر (٢٠٠٩). تقنية الاتصال بين زمنين. (ط١). الأردن، دار الشروق للنشر و التوزيع.
١٢. دليو، فضيل (٢٠٠٩). التحديات المعاصرة (العولمة، الانترنت، الفقر، اللغة...). قسنطينة: مخبر علم اجتماع الإعلام و الاتصال.
١٣. المصري، وليد أحمد (٢٠٠٩). أوت. الأسرة العربية و هوس الانترنت. مجلة العربي، ٥٧٦ (١).
١٤. العبايجي، عمر موفق بشير (٢٠٠٩). الإدمان و الانترنت. (ط١). الأردن: دار مجدلاوي للنشر و التوزيع.
١٥. اللبان، شريف درويش (٢٠٠٩). تكنولوجيا الاتصال و المجتمع. (ط١). القاهرة: دار العالم العربي.
١٦. عبد الحميد، محمدا (٢٠٠٩). الاتصال و الإعلام على شبكة الانترنت. (ط١). القاهرة: عالم الكتب.
١٧. عبد المجيد، محمد سعيد (٢٠٠٩، ٨ جوان). العمل الخيري و القضايا الاجتماعية المعاصرة (٣). تم استرجاعها في تاريخ ١٩ جويلية ٢٠٠٩ من <http://www.medadcenter.com/Articles/show.aspx?Id=84>
١٨. طاطاش، سعيدة (٢٠٠٩، ٢٢٢ مارس). الانترنت شكل آخر للاتصال الاجتماعي. قدم إلى الملتقى الدولي حول سيكولوجية الاتصال والعلاقات الإنسانية لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ورقلة، الجزائر.
١٩. الأخرس، إبراهيم (٢٠٠٩). الآثار الاقتصادية و الاجتماعية لثورة الاتصالات و المعلومات على الدول العربية. (ط١). القاهرة: ايتراك للنشر التوزيع.
20. Tori, D. (2000, April). **Is Internet addiction real ?** Retrieved March 18th, 2010 from www.APA.Org/Inernetaddiction.htm
٢١. اللحيان، حمد بن عبد الله. (٢٠٠٥، ١١ نوفمبر). الإدمان على الإنترنت مرض عصري جديد و خطير . تم استرجاعها في تاريخ ١٧ سبتمبر، ٢٠٠٩ من <http://www.alriyadh.com/2005/11/11/article107134.html>

طمس تكنولوجيات الإعلام والاتصال للهوية الوطنية-دراسة حالة المجتمعات العربية-

ريظاب عز الدين/باحث دكتوراه، جامعة قسنطينة ١ .

ملخص:

إن تكنولوجيات الاعلام والاتصال أصبحت تشكل هاجسا كبيرا، يؤرق المدافعين عن ثبات القيم الوطنية لدى الشباب العربي، بفعل الخطط الممنهجة لضرب وحدة الأمة العربية عن طريق إفساد طموح شبابها، بجملة من الأساليب التي تخدم أجندة جهات خارجية تزرع الفتن و الاقتتال بين أبناء الشعب الواحد، لخلق حالة من الفوضى المقصودة من أجل الاستفادة من الأوضاع لقضاء مصالحهم، فهستيريا الهوية الوطنية و الثقافية أصبحت من الموضوعات المسكوت عليها، بفعل التأثيرات الرهيبة لنتائج العولمة التي غسلت عقول الشباب، بفضل قوة المشهد الإعلامي من جهة و حالة الجمود الفكري الذي تتخبط فيه الأمة العربية منذ زمن طويل.

الكلمات المفتاحية: الهوية، المواطنة، الشباب العربي، الإعلام، الإتصال.

مقدمة:

منذ ظهور الثورة الرقمية في العالم، عملت جميع الدول إلى استثمار أموال ضخمة في تطوير تقنيات الاتصال والتواصل مع الأفراد، فتهافتت كبرى الشركات على خلق نظام افتراضي محاكي للحياة اليومية، وشكلت شعوب الدول النامية ضحية سهلة المنال لتأثيرات العولمة الثقافية بأبعاد امبريالية بالدرجة الأولى.

فتجدت سلطة المال والأعمال في سبيل إنشاء عالم جديد، وفقا لأجندة دول معنية من خلال ضرب الجانب الثقافي والتعليمي للدول الفتية في العمق، لتحقيق الأهداف المسطرة من خلال ذلك في تكريس الفجوة الرقمية التي تنعكس على قيم الوطنية والمواطنة في شتى المجتمعات، التي أصبحت الهوية الوطنية تمثل هاجسا يؤرق الحكام و الأفراد المحافظين على حد سواء.

• إشكالية الدراسة:

كيف ساهمت تكنولوجيات الإعلام والاتصال في هدم قيم الهوية العربية من جهة، وعلى روح المواطنة العربية من جهة أخرى؟ وما هي الأساليب المعتمدة في سبيل تحقيق ذلك؟

• أهمية الدراسة:

- ✓ تحديد الأبعاد الخفية لتكنولوجيات الإعلام والاتصال على روح المواطنة والهوية الوطنية.
- ✓ التركيز على العوامل المتعلقة بطمس الهوية الوطنية لدى الشباب العربي.
- ✓ تأثيرات تكنولوجيات الإعلام والاتصال بالسلب على الواقع العربي.

• أهداف الدراسة:

- ✓ معرفة خلفيات الاستخدام السلبي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال على الشباب العربي.
- ✓ تأثيرات التكنولوجيات الرقمية في هز قيم المواطنة وطمس الهوية العربية المشتركة.
- ✓ تنوير الباحثين و الدارسين على خطر تكنولوجيات الإعلام والاتصال من أجل بذل المزيد من البحوث العلمية، لحل هذا الإشكال.

• مصطلحات الدراسة:**١ الهوية: Identity-Identité :**

تعرف الهوية بأنها مجموعة من الخصوصيات و القواسم المشتركة التي يتمتع و يتميز بها مجتمع ما، تتراكم و تتطور مع مرور الوقت لدى الأفراد، الذين يعرفون بها لدى الآخرين مثل: العادات و التقاليد. و تنقسم الهوية حسب الدكتور أحمد بن نعمان إلى نوعين أساسيين^١:

أ -الهوية الفردية:

و هي تشمل جميع السيمات الفيزيولوجية و الحيوية الخاصة التي تميز الإنسان عن غيره من الناس، مثل: البصمات.

ب -الهوية الوطنية أو القومية:

تنسب هنا الهوية إلى الوطن أو القوم أو العشيرة التي ينتمي إليها الفرد، و هي عبارة عن مجموعة من الخصائص الثقافية التي تميز جماعة أو مجتمع ما مع غيره.

٢ الإعلام:

يعرف عالم الاجتماع الأمريكي "تشارلز هورتون كولاى Charles Horton Cooley" الإعلام بأنه: " ميكانيزم مكن العلاقات البشرية من أن تقوم و تتطور، كما مكن لرموز العقل الانساني من أن تترابط و أن تنتقل عبر الزمان و المكان بواسطة وسيلة استرسال"^٢.

٣ الاتصال:

هو وضع محاور في شكل رسائل معينة عن طريق وسائل الاعلام المختلفة، بحيث يمكن أن يفهمها المتلقي، و يتصرف على إثرها بالشكل المطلوب منه، و من العناصر الأساسية للاتصال " المرسل، المتلقي، الرسالة ووسيلة الارسال"^٣.

- تعريف تكنولوجيات الاعلام و الاتصال:

نقصد بتكنولوجيات الاعلام و الاتصال، جميع الأدوات و التقنيات التي تشكل ترسانة اعلامية و اتصالية، من خلال حملها لرسائل و مضامين معينة للجمهور في رقعة جغرافية محددة.

^١ أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية" الحقائق و المغالطات"، شركة دار الأمة، الجزائر، ١٩٩٥، ص ١١.

^٢ مصطفى العوفي، الطيب بلوصيف، الإعلام و التحول الديمقراطي، مجلة علوم الإنسان و المجتمع، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة محمد خيضر بيسكرة، العدد ٩، الجزائر، ٢٠١٤، ص ٨٤.

^٣ زلماط مريم، دور تكنولوجيا الاعلام و الاتصال في إدارة المعرفة داخل المؤسسة الجزائرية -دراسة بحال سوناطراك فرع STH، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية و التسيير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ٢٠٠٩/٢٠١٠، ص ١٣-١٤.

و يستخدم المختصين في علوم الإعلام و الإتصال، و كذا العلوم الإجتماعية و الإنسانية مصطلح "تكنولوجيا الإعلام و الاتصال" لأنها الأدق و الأكثر شمولاً في المعنى، عوض الترجمة المتداولة بـ "تكنولوجيات المعلومات و الاتصالات ICTS"، فالبعض يستخدم مصطلح "تكنولوجيا المعلومات و الاتصالات"، و الذي يعتمد على مجالين أساسيين، و هما: الإعلام Information و الاتصال Communication، فبالرجوع إلى اللغة العربية نجد أن جمع لفظ " اتصال" هو " اتصالات"، الذي يختلف عن معناه في لغة الضاد عن أصله في اللغة اللاتينية، و كما هو مؤكد فإن المعلومة هي المادة الأولية للإعلام، هذا الأخير يتضمن مجموعة من الأعمال المهنية من بينها نقل المعطيات و المعلومات أو غيرها.¹

● أنواع تكنولوجيا الإعلام و الاتصال:

ظهرت في العقد الماضي مجموعة هائلة من تكنولوجيا الاعلام و الاتصال، التي تطورت بفضل الابتكارات و الاختراعات المتواصلة، من كبرى الشركات المصنعة للعالم الرقمي لتسهيل حياة الإنسان، و من جملة التكنولوجيا المستحدثة، ما يلي:

أ. البث السمي البصري:

يتضمن البث السمي البصري جميع التقنيات التي توجه المحتوى الإعلامي بالصوت والصورة، و يتشكل من القنوات التلفزيونية التي تبث عبر الأقمار الصناعية، أو القنوات الرقمية الأرضية أو المحلية التي تبث وفق تكنولوجيا التلفزة الرقمية الأرضية Télévision Numérique Terrestre، وكذلك الاذاعات الرقمية عبر الساتل، تشير نظرية الغرس الثقافي لصاحبها "غارنر Gerbner" بأن "التلفزيون من أهم عناصر التنشئة الاجتماعية، الذي يؤثر على المعتقدات و التوجهات الدينية و السياسية في أي مجتمع".²

كما أظهرت التكنولوجيا كذلك قنوات تلفزيونية و إذاعية، تبث عبر تقنيات الألياف البصرية و الكابل التلفزيوني، دون الحاجة إلى صحن الاستقبال التقليدية.

ب. الإنترنت:

تمثل الشبكة العنكبوتية أهم وسائط الرقمية التي أفرزتها التكنولوجيا، حيث أصبحت العصب الذي يضرب الهوية في الصميم، فتنامى استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بأرقام كبيرة جداً في السنوات القليلة الماضية، من قبل جميع فئات المجتمع دون استثناء (أطفال، شباب، كهول، شيوخ)، نتيجة للفراغ الكبير الذي يتخبط فيه الشباب العربي اليوم، و رواج ثقافة الاستهلاك الثقافي لكل ما هو غربي.³

جاءت الإنترنت كذلك بقنوات و إذاعات تبث فقط على الشبكة العنكبوتية، تعرف بـ Web tv و التي يمكن متابعتها في جميع أنحاء العالم، سواء على منصات الهواتف و اللوحات الذكية أو عبر أجهزة الكمبيوتر الموصلة بالإنترنت.

¹ ابن بريكة عبد الوهاب، بن تركي زينب، أثر تكنولوجيا الإعلام و الإتصال في دفع عجلة التنمية، مجلة الباحث، العدد ٠٧، جامعة قاصدي مرياح بورقلة، الجزائر، ٢٠٠٩/٢٠١٠، ص ٢٤٦.

² خالد منصر، علاقة استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة باغتراب الشباب الجامعي - دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة باتنة، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر- باتنة، ٢٠١٠/٢٠١١، ص ٣٩.

³ وآرام العيد، البعد الثقافي للعولمة و أثره على الهوية الثقافية للشباب العربي - الشباب الجامعي الجزائري - نموذجاً، مجلة جيل للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل للبحث العلمي، العدد ٢، لبنان، ٢٠١٤، ص ١٥.

ج. وسائط الملتيميديا:

تشمل الملتيميديا جميع التجهيزات الرقمية الحديثة، من هواتف جوال ذكية و اللوحات الإلكترونية وغيرها ، ممن يعتمد على الإشارات السلكية و اللاسلكية من تقنيات الإنترنت العادية أو ذات الهدف العالي، من أجل الحصول أو الولوج إلى خدمة ما، التي تتيح الاتصال المرئي بسرعة فائقة و من و إلى جميع أرجاء المعمورة.

● أساليب ضرب التكنولوجيا للهوية الوطنية

تتجسد عدة أساليب ممنهجة بتوفير التكنولوجيا للجميع، بهدف ضرب استقرار المجتمعات العربية في الصميم، عن طريق جملة من الأهداف المسطرة لذلك.

١ الاستثمار في صناعة المواد الإباحية:

تعمل الشبكة العنكبوتية على توفير المحتويات الرقمية (الصور والفيديوهات)، للقنوات والمواقع الإباحية، التي تفسد قيم الشباب وتقضي على الأخلاق الحميدة التي يتمتع بها الشباب العربي.

فكشفت الإحصائيات المقدمة من محرك البحث العملاق "جوجل" أن أكثر المواقع التي يرتادها الشباب العربي ذات طابع إباحي بحت، حيث تعترف كبرى الشركات المختصة في إنتاج الأفلام الجنسية أنها تركز على استهداف شريحة الشباب، من خلال تقديم هذه المحتويات بصورة مجانية قابلة للتحميل.

كما أنشأت منتديات الكترونية للتعارف بين الشباب من خلال إقامة علاقات غرامية بدافع الجنس، أو تشجع على مظاهر الشذوذ الجنسي و نشر الفسق والدعارة بين الشباب العربي، تحت مسميات الحقوق الشخصية وتلبية احتياجات الإنسان من المتعة الجنسية.

٢- نشر الثقافة الغربية:

تهدف تكنولوجيات الإعلام والاتصال خاصة القنوات الفضائية، إلى المساس بالانتماء الثقافي للشباب العربي، عن طريق بسط أبواب الانفتاح الثقافي بتشجيع الشعوب العربية،¹ بتكريس مظاهر العولمة الثقافية، بالاختلاط الفكري مع الآخرين من خلال مساهمة الموضة فيما يخص اللباس، وإباحة شرب الخمر وأنواع المسكرات للوصول إلى النشوة، وكذا إقامة العلاقات الجنسية قبل الزواج بإسم الحب و الغرام، فتجسد التكنولوجيا كل مظاهر الانحلال الخلقي تحت ذريعة حقوق الإنسان الشخصية و التحرر الفكري و العقلي،² كما تعمل بعض القنوات العربية على استنساخ التجربة التلفزيونية الغربية خاصة برامج تلفزيون الواقع "Reality Tv Show"، لهدم القيم و الأخلاق للشباب العربي على أساس الغزو الثقافي الممنهج، و الذي يسير بدينامكية ثابتة نحو غسل عقول المسلمين.³

¹ بوساحة نجاة، شرقي رحيمة، تأثير الانفتاح الثقافي على أبعاد المواطنة لدى الشباب الجزائري، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول الهوية و المجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، جامعة قاصدي مرباح بورقلة، ٢٠١١، ص ٥٤٥.

² برهان غليون، المسألة الطائفية و مشكلة الأقليات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط ٣، بيروت، ٢٠١٢، ص ١٤٦.

³ خالد بن عبدالله المشاري، تأثير القنوات الفضائية على السلوك الاجتماعي، جريدة الرياض، السعودية، العدد ١٤٠٠٠، ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٦.

متوفرة على الموقع الإلكتروني: <http://www.alriyadh.com/196213>

ويعتمد الفكر الإعلامي الحديث على نظرية "الإمبريالية الإعلامية" لصاحبها "هربرت شيلر" على وسائل الاعلام و الاتصال، من أجل تصدير عادات و تقاليد أجنبية على حساب الثقافة المحلية لمجتمع ما.¹

٣- انتهاك خصوصية الأفراد:

أصبحت وسائل التكنولوجيا تمارس كل أنواع الجوسسة على مستخدميها، حيث تشير التقارير اليومية على عدم تقييد الشركات المصنعة للتقنيات أو التي تملك خوادم الانترنت Servers، باحترام حرمة الحياة الخاصة المكفولة في المادة ١٢ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وشتى التشريعات الدولية.²

وتخضع جميع المكالمات والمحادثات الهاتفية أو عن طريق النت للمراقبة الأمنية و الاستخباراتية، كما أن جميع المحتويات الرقمية التي تخزن في الهاتف، الحواسيب، مواقع التواصل الاجتماعي وكذا المواقع التخزينية (Drop Box ، One Drive...الخ)، بما في ذلك الحسابات المتعلقة بكبار الشخصيات.³

٤ خلق هوية عالمية موحدة:

تسعى التكنولوجيا في جعل العالم في قرية واحدة "Global Village"، وهو التصور الذي جاء به كل من البروفيسور الكندي "مارشال ماكلوهن Marshall McLuhan" و"كوانتين فيوري Fiore Quentin" في سنة ١٩٦٦،⁴ لكن من يعيش في هذا العالم الرقمي الجديد، يجب أن يتخلى عن مبادئه التي يؤمن بها، فوسائل الإعلام حاليا تعكف على تلطيخ سمعة الإسلام والمسلمين في جميع أرجاء العالم، و من يرفض الدخول في متاهات هذه الثورة الرقمية، فيتهمونه تارة بالإرهاب، وتارة أخرى بالتخلف، وفي أحيان كثيرة بالخطر الذي يهدد البشرية، وهذا راجع بالأساس إلى تمسك المجتمع العربي بتعاليم دينه، والتكافل في السراء والضراء، خاصة موقفه الدائم من رؤية فلسطين دولة مستقلة وحررة، وهو ما يتعارض مع أجندة الغرب، التي تسخر الترسانة الإعلامية لجعل مدينة القدس منطقة متنازع عنها وليست محتلة، كما يصور ردود الفعل الشباب الفلسطيني بأنها إرهاب في حق الصهاينة و ليست مقاومة احلال.

كما جندت أموال ضخمة من أجل الترويج لمنتجات تعود بالأساس إلى الكيان الصهيوني، أو لعبدة الشياطين "الماسونيون" أو لأي جهات أخرى معادية للإسلام، من أجل استقطاب أكبر عدد ممكن من الشباب العربي للتعاطف مع بني صهيون أو الماسونيون، وكذا تقبل ظاهرة الشذوذ الجنسي على أنها حرية شخصية وحق في الحياة للزواج مع من يريده الشخص من أي جنس.

¹ سامية جفال، الإعلام والثقافة وجدلية العلاقة في ظل العولمة، مجلة علوم الانسان و المجتمع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بيسكرة، العدد ٨، الجزائر، ٢٠١٣، ص ٣٤٢.

² الملة ١٢ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تنص على أنه: "لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات"، المتوفر على: <http://www.un.org/ar/documents/udhr>

³ عزيزة عبد الرحمن العتيبي، أثر استخدام تكنولوجيا المعلومات على أداء الموارد البشرية، الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي، ص ٣١٠، ٢٠١٠.

⁴ أسعد ملي، التداعيات الإقصائية المتصاعدة لعولمة الإعلام وأثرها على الهوية الثقافية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد الثالث والرابع، سوريا، 2010، ص ٤٨٠.

● مخاطر تكنولوجيات الإعلام والاتصال على الشباب العربي :

تمثل التكنولوجيا في الوقت الراهن معادلة صعبة، للإيقاع بعدد كبير من الضحايا سواء بطريقة مباشرة أو خفية، فأصبحت تمثل عبئ ثقيل على قيم المواطنة الحقيقية لدى أي مجتمع متماسك و متلاحم.

أولاً: المخاطر المباشرة:

تمثل المخاطر المباشرة جميع الانعكاسات السلبية الظاهرة للعيان، التي تدق ناقوس الخطر من فرط استخدام التقنيات الحديثة على الهوية المجتمعية، على جملة من الآثار التي سوف نحدد طبيعتها.

١ الآثار الأسرية:

تمثل الأسرة الخلية الأساسية لبناء أي مجتمع في العالم،¹ فهي تقوم على مبادئ التلاحم والتكافل الاجتماعي بين أفرادها، لكن سرعان ما تغيرت الصورة النمطية لهذا الأمر، فقد أصبحت الأسرة رهينة للتكنولوجيا، التي عصفت بالثوابت الراسخة التي تقوم عليها العائلة، فأصبح العالم الرقمي هو من يتولى تربية النشء، من خلال الإدمان على الانترنت و القنوات التلفزيونية، وما يحيط بها من مخاطر عديدة و مختلفة، فظهرت جماعات لوجيستكية لدعم التنظيمات الإرهابية، من خلال إنشاء خلايا دعم وإسناد تقوم بتجنيد الشباب العربي في صفوف هذه الجماعات الكافرة، وهنا يظهر لنا عجز التنشئة العائلية السليمة بسبب غياب الرقابة الأبوية التي حلت محلها "التربية الرقمية أو التنشئة الإلكترونية".

٢ الآثار الاجتماعية:

تهافت جميع المجتمعات على تسويق و اقتناء آخر صيحات التكنولوجيا، مما جعل الفرد أسير للمنتجات المعروضة على رفوف المراكز التجارية، حيث نتج عن هذا التسابق المحموم، عزلة الشباب عن العالم الخارجي من خلال التموقع طوال اليوم في شبكات التواصل الاجتماعي، فساهمت بشكل أو بآخر في تنامي أرقام البطالة في ظل عزوف الشباب عن الشغل، بسبب اتصاليهم الدائم بالشبكة العنكبوتية من جهة، وفرض التقدم التكنولوجي لعدد قليل من العمال نتيجة لحلول الآلة محل الانسان من جهة أخرى.²

كما عززت تشتيت المجتمعات من خلال القضاء على التكافل الاجتماعي في الوسط العائلي، خاصة خلال فترة المناسبات الدينية التي أصبحت فيها التهاني والتبريكات عبر الهاتف أو الانترنت، مما ساعد على نمو الفجوة بين الأقارب والعائلات، على أساس تراجع صلة الرحم إلى أدنى مستوى لها منذ ظهور هذه التقنيات.

وفي جانب آخر شجعت المجتمعات على تقبل جميع مظاهر الانحلال الخلقي، وساهمت في شكل بارز في تشتيت البيوت العربية المحافظة، حتى القنوات التلفزيونية العربية أصبح لها توجه علماني يحرض على الفسق و الفجور، لبث مظاهر الرقص، العري و مختلف البرامج الهابطة لإثارة الشباب جنسيا.³

المادة ٠٢ من الأمر رقم ٨٤-١١ المتضمن قانون الأسرة: (الأسرة هي الخلية الأساسية للمجتمع...)، المؤرخ في ٠٩ رمضان عام ١٤٠٤ الموافق ل ٠٩ يونيو سنة ١٩٨٤، جريدة رسمية، عدد ٢٤.

٢ بوزغاية باية، بن داود العربي، إشكالية الهوية والعولمة الثقافية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول الهوية و المجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، جامعة قاصدي مرباح بورقلة، ٢٠١١، ص ٥١٥.

٣ محمد المسفر، تحليل الرسالة الاعلامية " تأثير الفضائيات العربية على الشباب العربي"، مجلة المفكر، جامعة محمد خيضر ببسكرة، الجزائر، العدد ٣، ٢٠٠٨، ص ٥١.

من خلال تنامي الجريمة المعلوماتية عن طريق الابتزاز والتحرش الجنسيين الإلكترونيين، فإذا ضرب المجتمع في أخلاقه ودينه فهذا يؤثر بالسلب على قيمه و وحدته الوطنية، مما نتج عن ذلك تهاوي العادات و التقاليد و كذا الأعراف بفعل الضغوطات الاجتماعية و السيكلوجية لتكنولوجيات المعلومات.¹

٣- الآثار النفسية:

تؤكد الدراسات أن الإدمان على تكنولوجيات الإعلام والاتصال، تولد للشخص الرغبة في عيش جميع مراحل العالم الافتراضي دون سواه، حيث أن المستخدم يصطدم في حياته الخارجية بأشخاص مختلفين عن بعضهم (المجنون، المريض، الغبي،... الخ)، كما قد يتعرض إلى تجارب مريرة عند ربطه لعلاقات الصداقة أو الحب، مما يجعله يبحث عن متنفس للهروب من حياته الفاشلة. ولا يجد خيراً من الثورة الرقمية التي تتيح له هذه الفرصة.

فالعلم أثبت بأن هذه التقنيات تساعد على العزلة والتوحد، وتجاهل ما يفرضه العالم الحقيقي، فيبتعد الشخص عن عائلته ومحيطه إن لم نقل على ذاته ووطنه ككل، نتيجة للتغيرات المصاحبة للعوالم التي تولد في نفسية الأفراد، القلق من مستقبل مجهول، قد يتطور إلى صراع دامي و مأساوي في غالب الأحيان.²

٤- الآثار السياسية والأمنية:

إنّ تكنولوجيات الإعلام والاتصال أصبحت المحرك الرئيسي لعدة أحداث دامية شهدها العالم، وكان الحراك العربي الذي تشهده المنطقة خير مثال على التجنيد المحكم، لبعض الجهات الخارجية من أجل زعزعة الشرق الأوسط و شمال إفريقيا، ونتج عن ذلك التعبئة العامة للمتظاهرين عبر منابر شبكات التواصل الاجتماعي، وهو ما عجزت عنه الأحزاب والتيارات السياسية على مرّ نضالها الطويل.

لم يكن يتوقع أن تلعب التكنولوجيا الرقمية دورا حاسما في انتفاضة الشعوب ضد أنظمتها المستبدة، بل واستطاعت أن تقلب كفة القوى بالصوت والصورة المباشرين، وموجه بالأساس إلى جميع شعوب العالم من أجل استنساخ التجربة لديهم. لكن في المقابل دفعت هذه الشعوب النائرة ثمنا غاليا، حيث ضحّت بمواطنيها (أطفال، شباب، كهول، شيوخ) بأعداد كبيرة، ما بين قتلى، محبوسين، ومفقودين وجرحى، وانفلتت الأوضاع الأمنية إلى حد غير مسبوق، اتسم في الغالب بعدم التحكم في زمام الأمور، مما نتج عنه تسرب لمختلف أنواع الأسلحة، وهو ما غدى إلى ظهور ميليشيات مسلحة تطالب باستعادة الوطن مرة أخرى، مسببة في هدم ودمار كلي لمقومات الوطن و نظام الدولة الحديثة.

في ظل الأوضاع الراهنة، لم يعد يكثر الأفراد بقيم المواطنة التي لطالما عاشوها ودافعوا عنها، بقدر اهتمامهم باستقرار الأوضاع الأمنية، ولو بصورة نسبية، بل وأصبحت كل منطقة أو عشيرة تطالب في حقها المشروع، في تولي مقاليد الحكم في أعلى هرم السلطة .

¹ السيد عوض، التطور التكنولوجي والجريمة، أعمال المؤتمر السنوي الرابع والثلاثون حول قضايا السكان والتنمية، أيام ١٩-٢٢ ديسمبر ٢٠٠٤، المركز الديمغرافي، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٠٧.

² مخداني نسيم، الهوية، المثقف والعوالم، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، جامعة قاصدي مرباح بورقلة، ٢٠١١، ص ٥٩٠.

ثانيا: المخاطر الخفية:

تحمل التكنولوجيا في عمقها، انعكاسات سلبية تحمل في مضمونها رسائل قوية، تدل على إفساد المجتمعات خاصة المسلمة منها، تحتوعاء النقل السلمي للتكنولوجيا، و توفير التقنية الحديثة للجميع.

١ تشويه صورة الإسلام والمسلمين "الإسلاموفوبيا":

تعمل وسائل الإعلام العالمية ليلا و نهارا، باستخدام آخر صيحات التكنولوجيا، على الإضرار بصورة المسلمين في جميع أنحاء العالم، على أنهم أشخاص متشددين، همجيين، إرهابيين... الخ، ووصفهم بشتى أنواع النعوت القبيحة، سواء عن طريق الومضات الإعلانية، الإنتاجات السينمائية أو الأفلام الوثائقية... الخ.

فمواقع التواصل الاجتماعي وخوادم مشاهدة الفيديوهات مثل " اليوتيوب You Tube"، تعمل على تقديم صورة سيئة عن الاسلام والمسلمين، فأىّ هجمة أو اعتداء يمس مصالح الغرب، فمصدره المسلمين لدى المجتمعات الغربية، خاصة بعد أحداثا ١ سبتمبر ٢٠٠١ التي غرست معالم الخوف من الإسلام وجعلته هاجس كبير،^١ حيث وصلت ظاهرة الخوف من دين الحق إلى حد تدنيس مساجد الله والاعتداء على المسلمين المهاجرين، أو وضعهم تحت المراقبة الأمنية و القضائية للتنصت عليهم.^٢

٢ نشر الطائفية والفكر التكفيري:

تعمل التكنولوجيا كذلك، تحت رعاية أجهزة مخابرات أجنبية على تزكية الطائفية في المجتمعات، وعلى رأسها الأمة الإسلامية، فأصبحت العزف على أوتار المرجعيات الدينية هو السلاح الأنسب للتفريق بين أبناء الأمة الواحدة، فتدعمت هذه الطوائف الموالية للغرب بالأموال و الأسلحة لتسيير مشروعها "فرق تسد"، من خلال إقامة الندوات والملتقيات، وكذا استخدام الشبكة العنكبوتية لتسميم عقول الشباب، خاص ضعاف النفوس ممن يئسوا من الأوضاع المزرية في أوطانهم، لتغذية الفتنة التي عصفت بالعديد من شعوب العالم مثل: المد الشيوعي أو المد التكفيري المتشدد، حيث يعيش أكثر من ٢ مليون شيوعي في دول التعاون الخليجي البالغ عددها ستة بلدان،^٣ و أصبح هذا التيار يسطير على العراق منذ سقوط نظام الرئيس الراحل صدام حسين، و منتشر بكثرة بسوريا و لبنان و العديد من الدول العربية.

٣ زعزعة الأوضاع الأمنية:

أصبحت التكنولوجيا سلاح ذو حدين، من خلال تجنيد وسائل الاتصال المختلفة، لضرب استقرار منطقة أو قارة كاملة، حيث اجتهدت العديد من وكالات الأنباء العالمية لشبكات التلفزيون الإخبارية، إلى تزييف الحقائق عن ما تعيشه تلك المنطقة، من خلال فبركة المشاهد والصور وفق أجندة معينة للعصف بتلك الدولة، وهو الأمر الحاصل في الثورات التي شهدتها كل من سوريا، مصر وغيرهم.

^١ Chris Allen, **Contemporary Islamophobia before 9/11: A brief history**, Arches Quarterly, volume 4, the Cordoba foundation, 7th edition, London, 2010, p 14.

^٢ ربا قحطان الحمداني، الإسلاموفوبيا "جماعات الضغط الاسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية"، العربي للنشر والتوزيع، ط ١، مصر، ٢٠١١، ١٤٦.

^٣ مركز الدراسات الدولية والإقليمية، السياسة الطائفية في منطقة الخليج، جامعة جورجتاون، قطر، ٢٠١٥، ص ٠٢.

دون أن ننسى التعبئة الإعلامية عبر وسائل الميديا، لتغيير فكر و ايديولوجية مجتمع ما، من خلال خلق سيناريوهات عديدة ومختلفة لضرب الاستقرار الأمني لتلك الدولة، وخير مثال ما حصل في الغزو الأمريكي للعراق في سنة ٢٠٠٣. كما أن الجوسسة عن طريق تكنولوجيات الإعلام والاتصال، وصلت إلى أوجها في السنوات القليلة الماضية، من خلال خلق البلبلة والفوضى في الدول، ومن التجارب التي عاشتها الجزائر، الأحداث المتكررة التي تعيشها مدينة غرداية.

خاتمة:

شكلت تكنولوجيات الإعلام والاتصال سما دخيلا على الشباب العربي، الذي غدته بأكاذيب وتزييف للحقائق، من أجل هدم هويته العربية المسلمة واستبدالها بالفكر التحرري اللاأخلاقي، فتجندت سلطة المال والأعمال في استهداف شباب الأمة الإسلامية، لتحييده عن حبه لموطنه وبيئته الاجتماعية، وإيهامه بجنة فوق الأرض في الدول الأجنبية، باعتباره مضطهد نفسيا وفكريا ودينيا في وطنه الأصلي.

ومن جملة النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا، ما يلي:

- ١ تشبث الشباب العربي بوطنيته، بالرغم من عدم احترامه الكلي والفعلي لقيم المواطنة الحقيقية نتيجة لغياب الثقافة السليمة حول ذلك.
- ٢ ضرب تكنولوجيات الإعلام والاتصال للهوية العربية المسلمة في الصميم، والتجنيد الإعلامي والسياسي للغرب لتحقيق ذلك.
- ٣ العمل على زعزعة الاستقرار الأمني والاجتماعي للدول العربية من خلال تجنيد التكنولوجيا الرقمية لتعبئة أكبر عدد ممكن من الأفراد لخلق البلبلة والاضطرابات.
- ٤ إدمان الشباب العربي على تكنولوجيات الإعلام والاتصال لحد النخاع، في ظل الجمود الفكري، والفراغ الثقافي والديني بسبب العولمة الثقافية.

ومن التوصيات التي نراها جديرة بالاهتمام والدراسة، ما يلي:

- ١ حظر المواقع والمنتديات ذات الطابع الإباحي، التي تعث بالشباب فسادا، مما يؤدي إلى الانحلال الأخلاقي في المجتمع، الذي بدوره يؤثر بشكل سلبي للحفاظ على قيم المواطنة.
- ٢ الاستخدام الرشيد للتقنيات الحديثة، بهدف تقييدها من المواطن، مع الأخذ الحيطة والحذر من الانتهاكات المصمتة لخصوصية الأفراد، التي يجب أن تصان تشريعا على المستوى الدولي.
- ٣ الرقابة الأمنية على صفحات المواقع التي تمجد الأعمال الإرهابية والتخريبية، والتي تنتقد بالسلب أداء الحكومات بطريقة هستيرية، للحفاظ على الاستقرار الأمني والاجتماعي.
- ٤ تعزيز ثقافة الاستخدام الرشيد لتكنولوجيات الإعلام والاتصال لدى النشء في المناهج الدراسية والجامعية، وربطها بقيم ومبادئ المواطنة الحقيقية.

قائمة المراجع:

I. المراجع باللغة العربية:

أ. الكتب:

١. أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية " الحقائق و المغالطات"، شركة دار الأمة، الجزائر، ١٩٩٥.

٢. برهان غليون، المسألة الطائفية و مشكلة الأقليات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط٣، بيروت، ٢٠١٠.

٣. ربا قحطان الحمداني، الإسلاموفوبيا "جماعات الضغط الاسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية"، العربي للنشر و التوزيع، ط١، مصر، ٢٠١٠.

ب. النصوص القانونية:

الأمر رقم ١١٨٤ المؤرخ في ٠٩ رمضان عام ١٤٠٠ الموافق ل ٠٩ يونيو سنة ١٩٨٨ المتضمن قانون الأسرة، ج. ر، عدد ٢٤.

ج. البحوث الجامعية:

١ خالد منصر، علاقة استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة باغتراب الشباب الجامعي - دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة باتنة، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر- باتنة، ٢٠١١، ص ٣٩.

٢ زلماط مريم، دور تكنولوجيا الاعلام و الاتصال في إدارة المعرفة داخل المؤسسة الجزائرية -دراسة بحال سوناطراك فرع STH، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية و التسيير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ٢٠١٠، ص ٢٠.

د. المقالات العلمية:

١. أسعد ملي، التدايعيات الإقصائية المتصاعدة لعملة الإعلام وأثرها على الهوية الثقافية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد الثالث+الرابع، سوريا، 2010، ص ٤٨.

٢. بن بريكة عبد الوهاب، بن تركي زينب، أثر تكنولوجيا الإعلام و الإتصال في دفع عجلة التنمية، مجلة الباحث، العدد ٠٧، جامعة قاصدي مرباح بورقلة، الجزائر، ٢٠١٠، ص ٢٠.

٣. بوساحة نجاة، شرقي رحيمة، تأثير الانفتاح الثقافي على أبعاد المواطنة لدى الشباب الجزائري، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول الهوية و المجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، جامعة قاصدي مرباح بورقلة، ٢٠١٠.

٤. بوزغاية باية، بن داود العربي، إشكالية الهوية والعملة الثقافية، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول الهوية و المجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، جامعة قاصدي مرباح بورقلة، ٢٠١٠.

٥. سامية جفال، الإعلام و الثقافة و جدلية العلاقة في ظل العملة، مجلة علوم الانسان و المجتمع، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة محمد خيضر ببسكرة، العدد ٨، الجزائر، ٢٠١٠.

٦. عزيزة عبد الرحمن العتيبي، أثر استخدام تكنولوجيا المعلومات على أداء الموارد البشرية، الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي، ٢٠١٠.

٧. محمد المسفر، تحليل الرسالة الاعلامية " تأثير الفضائيات العربية على الشباب العربي"، مجلة المفكر، جامعة محمد خيضر ببسكرة، الجزائر، العدد ٣، ٢٠٠٨.

٨. مخداني نسيمة، الهوية، المثقف والعملة، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول الهوية و المجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، جامعة قاصدي مرباح بورقلة، ٢٠١٠.
٩. مصطفى العوفي، الطيب بلوصيف، الإعلام و التحول الديمقراطي، مجلة علوم الإنسان و المجتمع، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة محمد خيضر ببسكرة، العدد ٩، الجزائر، ٢٠١٠.
١٠. وارم العيد، البعد الثقافي للعملة و أثره على الهوية الثقافية للشباب العربي- الشباب الجامعي الجزائري نموذجاً، مجلة جيل للعلوم الانسانية و الاجتماعية، مركز جيل للبحث العلمي، العدد ٢، لبنان، ٢٠١٠.
١١. الملتقيات العلمية:

السيد عوض، التطور التكنولوجي والجريمة، أعمال المؤتمر السنوي الرابع والثلاثون حول قضايا السكان والتنمية، أيام ٢٢١٩ ديسمبر ٢٠٠٠، المركز الديمغرافي، القاهرة، ٢٠٠٠.

١٢. المنشورات:

مركز الدراسات الدولية و الإقليمية، السياسة الطائفية في منطقة الخليج، جامعة جورج تاون، قطر، ٢٠١٠.

١٣. مواقع الأنترنت:

١٤. <http://www.un.org/ar/documents/udhr/>

١٥. خالد بن عبدالله المشاري، تأثير القنوات الفضائية على السلوك الاجتماعي، جريدة الرياض، السعودية، العدد ١٤٠٠٠، ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٠، متوفرة على الموقع الإلكتروني: <http://www.alriyadh.com/196213>

II. Les Ouvrages en les langues étrangères :

– Les articles scientifiques:

– Chris Allen, **Contemporary Islamophobia before 9/11: A brief history**, Arches quarterly, volume 4, the Cordoba foundation, 7th edition, London, 2010.

تكوين المورد البشري كأحد شروط الترقية السياحية - حالة الجزائر -

حجام العربي باحث دكتوراه/جامعة لمين دباغين سطيف^٢ كوثر بوبريمة/باحثة دكتوراه جامعة الشلف

ملخص :

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز أهمية تكوين المورد البشري ودوره الفعال في العمل على ترقية السياحة، وخاصة في ظل السياسات القائمة من طرف الحكومة الجزائرية، ولهذا فقد أصبحت السياحة اليوم في الجزائر ضرورة حتمية، إذ من الممكن أن تساهم مواردها في تنمية القطاع الاقتصادي وذلك إذا تم استغلال القطاع السياحي بشكل جيد وفعال، وهذا ما تعمل به الجزائر اليوم من خلال سياساتها التنموية بغية التعريف بالمقصد السياحي الجزائري وترقيته داخليا وخارجيا.

وقد وجدت الكثير من الدول في هذه الصناعة (السياحة) بديلا استراتيجيا لاستغلال مواردها السياحية بشكل يضمن استدامتها ويغنيها عن الاعتماد على مصادر الثروة الناضبة، فهي الصناعة الأولى من حيث تشغيل اليد العاملة وأصبح لها دور أساسيا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولكي يتمكن السائح من التعرف على مميزات المقاصد والمناطق السياحية الجزائرية لابد من الاعتماد على إستراتيجية ترويج سياحية فعالة وعصرية، مبنية على برامج تكوينية للموارد البشرية التي تتكفل بالترويج والتسويق السياحي حتى يتم الوصول إلى السائح بشكل مباشر وفعال مما يسمح بتلبية حاجاته وتوقعاته. ويعد تكوين الموارد البشرية في مجال السياحة أحد الركائز الأساسية لإستراتيجية الهيئة لتطوير السياحة الوطنية.

الكلمات المفتاحية: التكوين، الموارد البشرية، السياحة، ترقية السياحة، التنمية السياحية.

مقدمة:

تُعد السياحة من أهم مصادر الدخل العالمي، فهي تمثل أحد أهم مكونات القطاع الخدماتي على هذا المستوى. كما تصنف ضمن الأنشطة الأكثر قدرة على إحداث قيمة إضافية في حجم النواتج الاقتصادية المحلية، كما تملك القدرة على ضخ عوائد مضطردة من العملة الأجنبية، وقد أضحت موضوع ترقية السياحية بمختلف مجالاتها ومفاهيمها من أكثر المواضيع إثارة ومن أهم الظواهر التي عكفت الأبحاث العلمية لاسيما السياسية والاقتصادية على دراستها وعلى التعمق في تفسيرها، كونها المعيار الأساسي الذي تمفصل حوله تقسيم العالم الحالي إلى زمرتين من الدول: دول مركزية قوية ومتقدمة وأخرى تابعة لها تعاني معضلة التخلف والضعف، تتخبط في محاولة تغيير هذا الوضع ورفع التحدي للنفاز من قبضة التبعية وهي الدول التي أصطلح على توصيفها بالدول السائرة في طريق النمو.

ويعتبر تكوين المورد البشري من أهم سبل نجاح المؤسسات وحتى المجتمع ككل، لأنه مرتبط بالضرورة بتكوين الأفراد فهو يعتبر وسيلة للتنمية الاقتصادية والازدهار الاجتماعي، والتأمين ضد البطالة، وهو أيضا يعد أمرا هاما أساسيا من أجل تحسين كمية ونوعية العمل، وجودة الخدمات المقدمة في المجال السياحي، ومنه فقد كان لزاما على الدول القهثرة في مسارها

التنموي بكتلتها المحورية مثل : الجزائر أن تعتمد إلى بذل الكثير من الجهود وإلى العمل على استغلال الفرص التي تمكنها من تفعيل التنمية داخلها بغرض القضاء على تخلفها والتخلص من تبعيتها للنفط، إذ انكبت على اختيار أحسن البدائل المتاحة لتغيير بنيتها الاقتصادية والاجتماعية بتجنيد كافة موارد ها والثروات التي تتوافر عليها، عن طريق رسم سياسات و تخطيط برامج تنموية وتكوينية لمواردها البشرية حتى تتناسب حجم طبيعتها الخلابية ومجتمعها الكبير وبالتالي العمل على ترقية السياحة من جهة والخروج من مأزق تهاوي أسعار الثروات النابضة.

إشكالية الدراسة:

يتم فصل هذا البحث حول تكوين المورد البشري ودوره في ترقية السياحة وكذا تشخيص واقع القطاع السياحي في الجزائر، بالتركيز على تحديد مكان القوة أو الضعف في السياسات السياحية ، التي يفترض أنها تملك كل الدعائم البنوية التي تؤهلها لأن تصنف كمنطقة جذب سياحي، والتي تمنحها إمكانية الحفاظ على هذا التصنيف على أطول بعد كرونولوجي استدامي ممكن، ومن أجل التحكم في التسيير والتكيف مع التحولات الحالية والاستجابة للتغيرات المستقبلية، فإنه لا بد من الاعتماد في التسيير على الكفاءات البشرية وزيادة التحفيز وترشيد السياسات المطبقة على الموارد البشرية، ومن بين المتطلبات التي لا غنى للدول عنها إذا ما أرادت أن تقاوم وتنمو. ومع موجة التجديدات في الأفكار والتكنولوجيات وأنماط وتقنيات التسيير، لا بد للجزائر التوجه نحو اعتماد التكوين لمواردها البشرية، لضمان التكيف الدائم في الوقت المناسب. كما أن التهاوي المستمر في أسعار النفط، حتم على الحكومة الجزائرية أن تجد بدائل منها العمل على الترقية بمستوى اقتصادها البديل لاسيما في قطاع السياحة، ولا يتأتى لها ذلك إلا بإدماج تكوين الموارد البشرية ضمن هيكلها وسياستها. ومن هنا تحاول الورقة البحثية معالجة الإشكال الرئيسي التالي: كيف يمكن لتكوين للموارد البشرية أن يساهم في ترقية السياحة بالجزائر؟

ومن خلال هذه الإشكالية : تم تقسيم البحث إلى ثلاث محاور.

أولا- الدلالة المفهومية لمصطلحات الدراسة.

ثانيا- أهمية الموارد البشرية في القطاع السياحي.

ثالثا- تكوين المورد البشري ودوره في ترقية القطاع السياحي بالجزائر.

أهمية الدراسة :

لا يختلف اثنان في كون السياحة تعتبر المتنفس الوحيد للنفس البشرية، والكفيلة بتنمية قدراتها العقلية، من خلال الراحة التي توفرها للإنسان، لاسيما إذا ما توفرت الظروف الطبيعية والتجهيزات السياحية المعينة على ذلك، خصوصا في مجال الخدمات السياحية المقدمة، في نفس السياق لا ننسى أن السياحة قادرة على استقطاب العملة الصعبة، فمن الناحية الاقتصادية لها دورها الخاص في رقي وازدهار الشعوب، وتدخل ضمن السياسات الخارجية المنتهجة لدى الدول، دون أن نعمل دورها في توفير وخلق مناصب شغل، ولذلك شهدت تطورات مشهودة على مرور الأزمنة، خصوصا مع السياسات التنموية المتبعة من سائر الحكومات في شتى دول العالم. وتتمثل أهمية هذه الدراسة: تكوين المورد البشري كأحد أسس للترقية بالسياحة في الجزائر كونها تساهم في التنمية الاقتصادية الوطنية:

- يمكن أن تساهم به هذه الدراسة في إثارة الطريق للسانة والباحثين والمتخصصين الاهتمام بالقطاع السياحي ومدى مساهمته في التنمية الاقتصادية والمجتمعية.

- إظهار القدرات السياحية التي تتمتع بها الجزائر وذلك بتكوين مورد بشري قادر على تسويق هذا القدرات والعمل على جذب السياح وكذلك تبيان الأهمية السياسية التي أولتها الجزائر لهذا القطاع ودخوله العولمة الاقتصادية.
- تنبع أهمية الدراسة أيضا؛ من أهمية المقاربة لقطاع السياحة باعتباره عامل محفز و مساهم في رفع فرص نجاح دول المغرب العربي لاسيما الجزائر في ظل اعتمادها الكلي على الذهب الأسود، ومع التهاوي المستمر في أسعاره فكرت الحكومة الجزائرية في الاعتماد على طرق أخرى للخروج بالاقتصاد الجزائري من التبعية إلى التفكير في ترقية بعض القطاعات من بينها قطاع السياحة ولا يتأتى هذا إلا بمرود بشري مكون مؤهل قادر على الإبداع والابتكار.

📌 أهداف الدراسة : تعرف الدراسة إلى :

- تحديد مفهوم السياحة والموارد البشرية، وأهمية تكوين الموارد البشرية، ورصد مختلف الآثار الناجمة عنه.
- تشخيص قطاع السياحة في الجزائر وموقعه من السياحة الدولية بصفة عامة، والسياحة العربية بصفة خاصة.
- تسليط الضوء على جل العراقيل والعقبات التي تقف أمام النهوض وتطوير السياحة الجزائرية.
- تحليل الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية.
- تعرف مدى نجاعة الإستراتيجية الجديدة للسياحة الجزائرية بما فيها تنمية وتكوين المورد البشري.

المحور الأول- الدلالة المفهومية لمصطلحات الدراسة :

1- مفهوم التكوين :

يعد التكوين من العمليات الأساسية لتنمية الموارد البشرية بغرض تنمية وتطوير المؤسسات، وقد اختلف الكتاب الباحثون حول تعريف التكوين على وجه الخصوص، إلا أن تعريفاتهم متضمنة على الرتلئز الأساسية لعملية التكوين، في أنها التغيير أو التحسين أو التطوير الذي يحدث للمتكون خلال قيامه بالمهام والأعمال المطلوبة منه بكفاءة وفعالية أفضل، وبما يساهم في تحقيق أهدافه وأهداف المؤسسة والمجتمع، وفي الحقيقة إن قيمة الفكرة تستمد من درجة الآثار الإيجابية التي تلحقها بعد تجسيدها، وللتكوين آثار إيجابية عديدة ومتنوعة تساهم مباشرة في تحقيق الأهداف الموضوعية من قبل الإدارة العليا، وتتعداها إلى ضمان استمرار المؤسسات واستقرارها ورفع مؤشر من مؤشرات التنمية البشرية على مستوى المجتمع، ويعتبر التكوين نشاط مخطط يهدف إلى إحداث تغييرات في الفرد والجماعة من ناحية المعلومات والخبرات والمهارات ومعدلات الأداء وطرق العمل والسلوك والاتجاهات لما يجعل هذا الفرد أو تلك الجماعة تتقن العمل بكفاءة وإنتاجية عالية.⁽¹⁾

ويعرف Pierre Casse التكوين بأنه: "العملية التي تهدف إلى تنمية القدرات ومهارات الأفراد المهنية والتقنية أو السلوكية من أجل زيادة كفاءتهم وفعاليتهم في إطار تنفيذ المهام والأدوار المتصلة بوظائفهم الحالية أو المستقبلية، فهو وسيلة للترقية الفردية و تنمية الموارد البشرية، أو ضرورة للتكيف مع التقنيات الجديدة والقيود الاقتصادية ووسيلة فعالة لتسيير الموارد البشرية، الشيء الذي يسمح بنمو وتطور المؤسسة وهو لذلك يعتبر استثمارا

١ - عبد الكريم درويش، ليلي تكلأ: أصول الإدارة العامة، مطبعة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٥٩٤.

للعامل، ويجب أن يشمل التكوين كل أعضاء المؤسسة بما فيهم المسؤولين...، فهو عملية مستمرة من أجل تجديد المعلومات⁽¹⁾

ومنه فالتكوين فهو: "عملية إلحاق الموارد البشرية المكلفة بالسياحة بدورات تكوينية داخل المؤسسات المتخصصة أو خارجها بغرض زيادة معارفهم ومعلوماتهم مما يترتب عنها التحسين في قدراتهم ومهاراتهم أجل الارتقاء بأدائهم بغية تحقيق أهدافهم وأهداف المؤسسات التي ينتهي إليها وبالتالي تحقيق التنمية المرجوة."

☞ أهمية التكوين: إن نجاح المؤسسات وحتى المجتمع ككل، مرتبط بالضرورة بتكوين الأفراد، فالتكوين يعتبر وسيلة للتنمية الاقتصادية والازدهار الاجتماعي، والتأمين على البطالة والشيخوخة وفقدان التوظيف وعدم ملائمة الفرد لعمله⁽²⁾.

فالتكوين يعتبر أمرا هاما وأساسا من أجل تحسين العمل وبالتالي ترقية القطاع السياحي لما له من امتيازات على الفرد والمجتمع كله، ومع التطور التكنولوجي الذي يحدث في جميع المجالات لاسيما التحسينات على عمليات الإنتاج، والذي أصبحت معه الإبداعية و الابتكارية هي الصفة الغالبة في العمل، ولهذا فإنه أصبح المورد البشري اليوم مطالبا بأن يكون لديه قدر من المهارة والتكوين لتأدية الكثير من الواجبات المعقدة والدقيقة، مثل عمليات الجذب السياحي والتسويق للمنتوج السياحي بالجزائر، وهذا ما يتطلب تكوين الأفراد تبعا لذلك، فكلما ازدادت أساليب المنافسة دقة وتعقيدا تطلب ذلك مستوى أعلى من التكوين لدى المورد البشري، لأنه يعتبر احد الركائز للترقية بالقطاع السياحي بالجزائر.

٢ - مفهوم الموارد البشرية:

تعد الموارد البشرية من أهم الموارد التي تمتلكها أي مؤسسة أو دولة، فهي العناصر الأساسي لنجاحها، حيث أنها تشتمل على مجموعة من المعارف والكفاءات والمهارات لدى القوى العاملة بها.

ومنه فالموارد: لغة هي جمع كلمة مورد والتي تعني المنهل، أو الطريق أو مصدر الرزق⁽³⁾

وتعرف الموارد البشرية اصطلاحا: بأنها مصطلح يطلق على قوة العمل في المنظمة⁽⁴⁾، وهناك من يعرفها بأنها فئة من فئات المجتمع القادرة على إضافة أي قيمة ماديّة أو معنوية إلى حركة المجتمع.

ويعرفها علي غربي وآخرون: "بأنها تلك الجموع من الأفراد المؤهلين ذوي المهارات والقدرات المناسبة لأنواع معينة من العمال والراغبين في أداء تلك الأعمال بحماس واقتناع"⁽⁵⁾.

إن مصطلح الموارد البشرية هو أحد التسميات المعبرة عن المجتمع الإنساني بوصفه مجموعة من الأشخاص منظورا إليهم من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية...سواء على مستوى دولة واحدة أم على المستوى الدولي، وقد لا يكون

1 - Pierre casse : **la formation performante**, office des publications universitaires centrale Ben Aknoun, Alger, 1994, p48.

2 - SCHIOU LAKHDAR : **Gestion du personnel, les éditions d'organisation Québec**, 3^{ème} édition 1990 ,p293

٣ - المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية. مكتبة الشروق الدولية. مصر، ٢٠٠٤.، ص ١٠٢٤.

٤ - طاهر محمود الكلالده: تنمية وإدارة الموارد البشرية، ط١، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨، ص ١٥.

٥ - علي غربي وآخرون: تنمية الموارد البشرية، ط١، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٦.

تعدد التسميات واختلافها سوى مسألة شكلية⁽¹⁾.

تعرف أيضا الموارد البشرية على أنها: حجم القوة العاملة، أي مجموعة الأفراد والجماعات التي تكون المؤسسة في وقت معين" ويختلف هؤلاء الأفراد من حيث تكوينهم وخبرتهم، سلوكهم، اتجاهاتهم وطموحهم، كما يختلفون في وظائفهم ومستوياتهم الإدارية في مساراتهم الوظيفية"⁽²⁾

تستخدم مصطلحات مختلفة للتعبير عن معنى الموارد البشرية أهمها مصطلح رأس المال البشري أو الثروة البشرية (Human wealth)، أو الموارد البشرية (Human Resources)، وهي جميعا تؤكد على دور وطبيعة الإنسان ويعد وسيلة لتحقيق أهدافاً إقتصادية وإجتماعية...

ومن ثم فإن هذه المصطلحات تؤكد بأن الإنسان يعد عنصراً إنتاجياً في النشاط الإنساني⁽³⁾.

إن مفهوم الموارد البشرية لا يقتصر فقط على قيام النشاطات الاقتصادية وتوسعها بل ينبغي أن يتسع ليشمل كل النشاطات الاجتماعية والسياسية والبيئية والصحية والسكانية والترفيهية وغير ذلك⁽⁴⁾، وقد وردت تعاريفاً اقتصادية عديدة لهذا المفهوم منها (إن الموارد البشرية تشمل كل السكان في سن العمل ما بين ١٥ و٦٩) سنة باستثناء العجزة غير القادرين على العمل مع أنهم في سن العمل⁽⁵⁾.

وهناك تعريف آخر لها يقتصر على أولئك الذين يملكون القدرة والاستعداد في الحاضر والمستقبل مقابل أجر في مجال الإنتاج أو الخدمات ويدخل في هذا الإطار الأطفال وطلاب المدارس⁽⁶⁾، وبحسب التعريف الأخير فإن الموارد البشرية تشمل: قطاع المشتغلين، و قطاع المتعلمين.

قطاع أولئك الذين يعدون خارج إطار هذين القطاعين كالمقاعد والمرأة غير العاملة، والطلبة المتفرغين للدراسة، والأطفال، وذوي العاهات غير القادرين على العمل.

إن مفهوم الموارد البشرية يتضمن معنيين ضيق وواسع، فالمعنى الضيق لها يشمل: "الأفراد العاملون بالنشاطات المختلفة، والعاطلون عن العمل والراغبون فيه ولكن لا يجدون عملاً، وجميع هؤلاء يمكن أن نطلق عليهم اصطلاح القوى العاملة، وهذا الجزء من الموارد البشرية هو الذي يسهم إسهاماً مباشراً في الإنتاج".

جميع الأفراد الذين سيدخلون سوق العمل مستقبلاً من الطلبة والأطفال.

١- منصور الراوي، تنمية الموارد البشرية، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية رقم (٤) (نحو استخدام امثل للقوى العاملة الوطنية الخليجية)، المنامة، البحرين، 1985، ص ١١.

٢- حمداوي وسيلة: إدارة الموارد البشرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص 25

٣- أحمد عباس الوزان: العلاقة بين بنيتي الإنتاج وقوة العمل- عوامل الإخلال وسبل التصحيح، المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية ، السنة الرابعة ، العدد العاشر، ٢٠٠٦، ص ٢٣.

٤- فردريك هاريسون وتشاردز مايرز: التعليم والقوى العاملة والنمو الاقتصادي، إستراتيجية تنمية الموارد البشرية، ترجمة إبراهيم حافظ، ١٩٦٦، ص ١٢.

٥- منصور حسن، كرم حبيب: تنمية الموارد البشرية، مكتب الوعي العربي، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٢٢١.

٦- منصور أحمد منصور: قراءات في تنمية الموارد البشرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٦، ص ١٩٥.

أما المعنى الواسع لها فيشمل الأفراد خارج سن العمل أيضا والعجزة وكبار السن بوصفهم يشكلون طلبا على الإنتاج من السلع والخدمات، وبذلك فإنهم سيوفرون جزءا من الحافز على القيام بالنشاطات التي تنتج هذه السلع والخدمات وتوسيعها في جانبي العرض والطلب.

فالنظرة الاقتصادية للموارد البشرية توصف بأنها منتجة ومستهلكة في آن واحد، إذ أن الدور الاستهلاكي للبشر يجب أن يرتبط ويتوازن مع دورها الإنتاجي وإن هذا الترابط والتوازن لا يتحقق إلا بفضل تنمية اقتصادية شاملة تكون التنمية البشرية جزءا منها⁽¹⁾.

ومما سبق فإنه يمكن تعريف الموارد البشرية بأنهم مجموعة الأفراد القادرين على العمل والراغبين فيه ويستطيعون إضافة أي قيمة للمجتمع وبالتالي العمل على ترقية السياحة في الجزائر والنهوض به وتحقيق التنمية المحلية والاقتصادية التي تصبو إليها الدولة الجزائرية.

☞ **ماهية التنمية البشرية:** لقد أولت الأمم المتحدة اهتماما خاصا بمفهوم التنمية البشرية منذ عام 1991م عندما أصدرت التقرير الأول للتنمية البشرية، و طبقا لما ورد في تقرير التنمية البشرية الصادرة عن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة فإن التنمية البشرية تعرف بأنها "عملية توسيع خيارات الناس"².

والخيارات يمكن أن تكون مطلقة، ويمكن أن تتغير بمرور الوقت ولكن الخيارات الأساسية الثلاثة على جميع مستويات التنمية البشرية هي:

■ أن يعيش الناس حياة مادية صحية.

■ اكتساب المعرفة للحصول على موارد لازمة لمستوى معيشة لائقة.⁽³⁾

وانطلاقا مما سبق يمكن تثبيت ما يلي:

■ إن أفضل السبل لتحقيق التنمية البشرية المتواصلة هي عندما يكون النمو الاقتصادي مصحوبا بعدالة في توزيع الدخل.

■ يمكن تحقيق تحسن جوهري في مجال التنمية البشرية و لفترة طويلة إذا ما أحسنت الحكومة توجيه الإنفاق الاجتماعي، حتى ولو كان هناك سوء في توزيع الدخل.

■ إن تحقيق النمو الاقتصادي ضروري جدا لتعزيز التقدم في التنمية البشرية على المدى البعيد حتى لا يتعرض التقدم البشري إلى الارتباك.

ويمكن تلخيص ما سبق من خلال قول بارنيس: "إن أي بلد يضع خطة للتنمية الاقتصادية لا يستطيع أن يهمل إعداد الأفراد الذين سيكونون أداة الإنتاج و التنمية للتربية و التعليم"⁽⁴⁾. ويلاحظ في هذا الصدد أن للتنمية البشرية جانبان هما:

■ تنمية البشر بالتركيز على تكوين و بناء القدرات البشرية.

¹ - فليح حسن خلف، تنمية الموارد البشرية في العراق، مجلة تنمية الرافدين، المجلد الخامس، العدد 9، العراق، 1983، ص 9.

² عبد القادر محمد عطية، "اتجاهات حديثة في التنمية"، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1999م، ص 19.

³ عدلي أبو طاحون، "إدارة و تنمية الموارد البشرية و الطبيعية"، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998م، ص 23.

⁴ محمد منير حجاب، "الإعلام و التنمية الشاملة"، دار الفجر للنشر و التوزيع، مصر، 1998م، ص 39.

■ التنمية بواسطة الناس فيتعين فيه أن يشترك الناس مشاركة كاملة في تخطيط وتنفيذ إستراتيجيتها من خلال الهياكل الملائمة لاتخاذ القرارات، و يتعين أن توفر هذه الاستراتيجيات فرصا كاملة لنمو الدخل، حتى يمكن تحقيق الاستفادة الملائمة من القدرات البشرية وتتاح الفرصة للتعبير الكامل عن قدرة البشر على الابتكار.¹

٣ - تعريف السياحة:

تعتبر السياحة ظاهرة اقتصادية واجتماعية حضارية، بحث نجدها تطورت عبر تعاقب الأيام وازدادت أهميتها نتيجة التطور العلمي والتكنولوجي في مجالات الإعلام والاتصال ، مما خلق لدى الناس شعور بالحاجة إلى السياحة وطلب الراحة، ومنه فالتأمل جيدا في مفهوم السياحة نجده تنوعت في مختلف الأدبيات الحديثة ومن هنا سنحاول استعراض بعض أهم التعاريف للسياحة.

تعريف الألماني جوير فرولر Guyer Freuller (1905) للسياحة "بأنها ظاهرة من ظواهر العصر التي تنبثق من الحاجة المتزايدة للحصول على الراحة والاستجمام، والإحساس بجمال الطبيعة وتذوقها، والشعور بالبهجة والمتعة من الإقامة في مناطق ذات طبيعة خاصة".⁽²⁾ ونلاحظ أن هذا التعريف أهتم بالجوانب النفسية والمعنوية للسياحة وأهمل جوانب أخرى.

ويعرفها ماكنوتش وقويلدندر على أساس العناصر المكونة للسياحة بأنها "جميع الظواهر والعلاقات الناجمة من تفاعل السائحين ورجال الأعمال الممولين وحكومات المجتمعات المضيفة نفسها في عملية جذب واستضافة هؤلاء السائحين والزائرين الآخرين".⁽³⁾ كما يعرفها فيليبس بأنها "سفر الفرد لمكان يختلف عن بيئته العادية بشرط أن يكون هدفه الزيارة فقط وأن يقضي على الأقل ليلة واحدة في ذلك المكان".⁽⁴⁾

ويعرفها الباحثين بأنها "تغيير مؤقت ومقصود في المكان الذي يعيش فيه الفرد أو مجموعة أفراد والانتقال إلى مكان آخر مختلف من حيث السكن و الجو والناس من أجل إعادة التوازن النفسي وإعادة بعث الإحساس بالسعادة والثقة بالنفس شريطة أن لا يكون هذا المكان للعيش الدائم".

المحور الثاني : أهمية الموارد البشرية والقطاع السياحي.

للخدمات السياحية خصائص عديدة، جزء من طبيعة العملية نفسها والجزء الثاني يعتمد على نوعية الحاجات المتميزة التي تلي من خلال تقديم الخدمات، وتعتبر الموارد البشرية عنصر مهم في عملية تقديم الخدمات السياحية لأنه هناك احتكاك مباشر بين طاقم العمل والسياح لذلك وجب على طاقم العمل أن يراعي الأمور التالية عند تقديمه للخدمات السياحية:

أ- متابعة السياح باستمرار والعمل دائما على جعلهم في حالة موجبة وعالية.

ب- قيامه بالعمل الموكل إليه في جو مريح و على أحسن وجه.

إذا كانت السياحة في الجزائر على غرار البلدان الأخرى بحوض البحر الأبيض المتوسط على فرص تنمية عديدة إلا أنه ما يزال بعيدا عن توفير الانعكاسات المضاعفة والمحتملة التي يكتنزها على المستوى الاقتصادي والاجتماعي ، وتعد السياحة

١ - عبد القادر محمد عطية، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٧.

٢- هدى سيد لطيف: السياحة النظرية والتطبيق، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ص 10.

٢- ماكنوتش، نقلا عن: محمد مفرح القحطاني وآخرون: السياحة الأسس والمناهج، - الناشر المؤلفون - أبها، ١٤١٧هـ، ص ٩.

٤- فليبس، نقلا عن: حسين ريمباوي: مجلة جامعة الملك سعود، العدد ٣٧، عام ١٤١٠هـ، ص ٦٢١.

حاليا في مرحلة تنازلية وتبقى في وضعية متوازنة بالرغم من انخفاض التدفق المادي والمالي المسجل في السنين الأخيرة الماضية في القطاع إلا أن البحث عن تطور النشاط السياحي سيبرر لا محالة مباشرة عند بداية حركات الزوار في اتجاه بلدنا وعلى أساس الإجراءات التشجيعية التي تعطى لها.

من أجل التكفل الحسن والجيد بالسياحة في الجزائر يستلزم التطرق لديناميكية النشاطات في العالم من أجل التقييم الأنجع للمزايا والتقدم المنجز وإظهار القدرات والإمكانيات في التكوين وترقية المجال السياحي والفندقي وذلك للمورد البشري الذي يحسن الاستقبال والضيافة لثمينه في بلادنا.

١ - أهمية الموارد البشرية:

تعتبر الموارد البشرية أهم الموارد الاقتصادية قاطبة ويرجع ذلك لكون الإنسان هو المنتج وهو المستهلك. وهو بذكائه وقدراته الخاصة يستطيع أن يكتشف المزيد من الموارد وترفع من إنتاجيتها. وكلما ارتفع المستوى المهاري والفني للموارد البشرية في بلدنا الجزائر كلما عوضنا ذلك عن بعض الموارد الطبيعية وزاد حجم إنتاجها اليومي والخروج من التبعية الدائمة للثروات الباطنية. ولقد أدركت الجزائر أن أهمية الاستثمار في رأس المال البشري هي الأساس للرقى باقتصادها والخروج من المأزق الذي توجده فيه جراء انعدام بدائل اقتصادية تعتمد عليها الجزائر.

٢ - مكانة قطاع السياحة والسفر في الجزائر دوليا:

أوضح تقرير تنافسية قطاع السياحة والسفر كما يبرزه الجدول التالي مكانة تنافسية هذا القطاع في الجزائر مع بقية دول العالم، بحيث أنها جاءت في مراتب جد متدنية تعكس الواقع المتردي الذي يعيشه قطاع السياحة والسفر في الجزائر ويعزز من التحديات التي تواجهه قصد الرقي بصناعة هذا القطاع ودعم دورها في عملية النمو والازدهار الاقتصادي

جدول رقم 01: يمثل تطور تنافسية قطاع السياحة والسفر في الجزائر سنوات 2009، 2007 و2011. ⁽¹⁾

السرورات	2007 (124 دولة)	2009 (133 دولة)	2011 (139 دولة)
الترتيب العام	93	115	113
قيمة المؤشر	3.67	3.31	3.37

يتبين لنا من خلال الجدول أعلاه أن الوضعية الصعبة التي يتواجد عليها قطاع السياحة في الجزائر، حيث أن تنافسيته بعيدة كل البعد عن المستويات والمعايير الدولية، رغم ما تتوافر عليه الجزائر من إمكانيات جذب سياحي ومقومات تسمح لها بالرقى والنهوض بهذا القطاع ومن ثم الاستفادة من تأثيراته على النشاط الاقتصادي سواء كان تأثيرا مباشرا أو غير مباشر.

٣ - معوقات القطاع السياحي في الجزائر: ما يؤخذ على نمط التشغيل في هذا القطاع هو ارتفاع عدد العاملين على مستوى الإدارات، في حين أن معايير التشغيل في هذا القطاع تشير إلى عدم تجاوز هذه النسبة ٧% في المجال الإداري من مجموع المشتغلين به.

^١- بودخدخ كريم و بودخدخ مسعود: تحديات قطاع السياحة في الجزائر من خلال قراءة حول واقع تنافسيته العالمية. مداخلة مقدمة للملتقى الدولي حول: "السياحة رهان للتنمية المستدامة"، يومي 24 و25 أفريل 2012، بجامعة البليدة، ص 09.

كما يعاني القطاع السياحي في الجزائر من نقص التأهيل في أوساط العاملين في هذا القطاع، إذ لا يتوفر معظم المستخدمين على حد أدنى من التأهيل، الأمر الذي يساعد على تدهور نوعية الخدمات السياحية. وحسب دراسة أعدتها المنظمة العالمية للسياحة فإن نسبة العمالة غير المؤهلة تقدر بـ 6% من مجموع المشتغلين في هذا القطاع في الجزائر، في حين أن المقاييس الدولية المطبقة في قطاع السياحة تتيح فقط ما نسبته 2% لهذا الصنف من العمالة، نظرا لما لهذا النشاط من حساسية لارتباط خدماته بالعنصر البشري أكثر من غيرها من العناصر الأخرى.

فانخفاض مستوى التأهيل والتكوين في أوساط العاملين بالقطاع السياحي في الجزائر يعود أساس إلى أن جهاز التكوين غير مكيف مع حاجات هذا القطاع سواء من حيث العدد أو من حيث النوع.

وفي إطار تكوين وتأهيل الموارد البشرية لما لها من دور في تسيير المؤسسات السياحية الفندقية وتحسين نوعية الخدمات في القطاع السياحي في الجزائر تضمنت إستراتيجية التنمية المستدامة لتطوير السياحة موضوع التكوين في تخصصات مختلفة ومتفاوتة المستويات، بدءا من تقني سامي إلى تقني عال وأخيرا شهادة ليسانس في الفندقية والسياحة، وذلك من خلال تدعيم الطاقة البيداغوجية للبلاد الموجودة، إضافة إلى إدخال شعبة الاقتصاد السياحي على مستوى الجامعات.

ويظل مستقبل التشغيل السياحي في الجزائر مرهونا بمدى تطور مكانة قطاع السياحة في السياسة الاقتصادية للدولة، وبوزن الاستثمار الخاص في هذا المجال وما يحمله ذلك من فرص عمل في مختلف التخصصات العلمية والمهنية المرتبطة بالسياحة⁽¹⁾

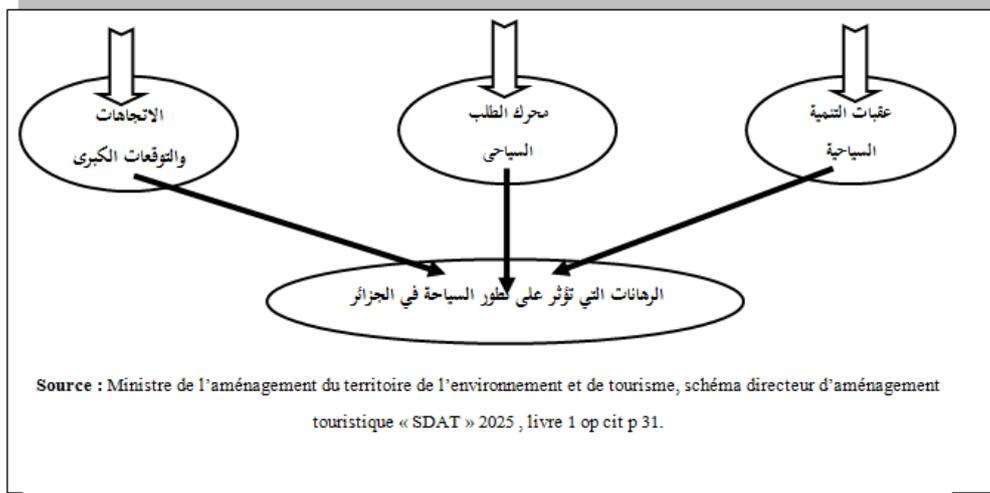
المحور الثالث : تكوين الموارد البشرية والاحتياج المستقبلي لقطاع السياحة من الكوادر البشرية:

قبل الحديث عن واقع تكوين وتنمية المورد البشري ودوره في ترقية السياحة بالجزائر، لا بد أن نقف على الخطط الإستراتيجية المتبعة لترقية السياحة وبعد ذلك تكوين المورد البشري بالتطرق إلى أهم المعاهد والمدارس المهمة بتكوين الموارد البشرية في قطاع السياحة. ويعد توظيف المواطنين في قطاع السياحة من الأهداف الأساسية التي تعمل الهيئات العليا على تحقيقها وأحد ركائز الإستراتيجية الوطنية لتنمية السياحة. وكما تم مناقشته أعلاه يعتبر قطاع السياحة من أكبر القطاعات الاقتصادية المولدة لفرص العمل.

١- الخطط الاستراتيجية: لقد عملت الحكومة الجزائرية متمثلة في وزارة السياحة على تطوير والترقية بقطاع السياحة بكل السبل لتنشيط الاقتصاد وخلق فرص العمل وبالتالي تحريك عجلة التنمية بها، لذلك فقد وضعت عدة خطط لترقية قطاع السياحة متحديدة عدة عقبات وهذا من أجل تحقيق وكسب عدة رهانات كانت مسطرة من قبل والشكل التالي يوضح ذلك:

^١ - عثي صليحة: الآثار التنموية للسياحة دراسة مقارنة بين الجزائر تونس والمغرب، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة المسيلة ٢٠٠٥، ص 102.

الشكل رقم 01: يوضح رهانات التنمية السياحية بالجزائر



فقد أعلنت الجزائر عن اعتماد استراتيجية وطنية لدعم السياحة وفق مقاربة أكثر مهنية لجهة قطاع الفنادق، تتناسب مع طبيعة وخصوصيات كل منطقة، فيما يتعلق بحصة السياحة وخاصة الصحراوية من المشاريع التي حملها المخطط التوجيهي لأفاني ٢٠٢٢ نلخصها من خلال الجدول الموالي¹:

الجدول رقم 02: يوضح نصيب الأقطاب السياحية بامتياز من المشاريع، الفنادق والأسرة المعلنة في المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية لأفانق 2025

عدد الفنادق والأسرة بالأقطاب السياحية بامتياز			المشاريع قيد الإنجاز بالأقطاب السياحية بامتياز	
عدد الأسرة	عدد الفنادق	الأقطاب	عدد المشاريع	الأقطاب
٥٩٦٥	٨٦	شمال شرق	٢٣	شمال شرق
٩٢٩٥	٤٩	شمال وسط	٣٢	شمال وسط
١٠.١٤٦	٨٥	شمال غرب	١٨	شمال غرب
٢.٠٩٢	٢٦	الجنوب الغربي الواحات	٠.٤	الجنوب الغربي الواحات
١٥١٣	٢٣	الجنوب الغربي توات	٠.٢	الجنوب الغربي توات
١٥٠.	٠.١	الجنوب الكبير الطاسيلي	٠.١	الجنوب الكبير الهقار
٢٢٥	٠.٤	الجنوب الكبير	-	-
٢٩٣٨٦	٢٧٤	-	٨٠	المجموع

من إعداد الباحثين انطلاقا من معطيات المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية لأفاني ٢٠٢٢

¹ - بونوة شعيب وبن يخلف زهرة : جاهزية النسيج المؤسسي لتفعيل أداء السياحة الصحراوية الجزائرية في التنمية. جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان أنظر: <http://www.arabrenewal.info.html>

- أهم الخطط الإستراتيجية السياحية المعتمدة في الجزائر: لا بد من الإشارة إلى الخطة الإستراتيجية التي اتبعتها الجزائر بصفة عامة وهذا ما سنشير إليه في هذا العنصر:

➤ أهداف مخطط التهيئة السياحية في أفق ٢٠٢٠: تعتبر جزء لا يتجزأ من المخطط الوطني لتهيئة الإقليم وإطار استراتيجي مرجعي لسياسة السياحة في الجزائر التي من خلالها تقوم الدولة ب:

- عرض رؤيتها حول تطور السياحة على مستوى آفاق زمنية مختلفة سواء على المدى القصير 2009 أو على المدى المتوسط (٢٠١٥) أو على المدى الطويل (٢٠٢٠) في إطار التنمية المستدامة من أجل جعل الجزائر بلد مستقبل؛

- تحديد وسائل وضعه حيز التنفيذ و تحديد شروط قابلية تجسيده.

- ضمان في إطار التنمية المستدامة توازن الإنصاف الاجتماعي و الفعالية الاقتصادية و حماية البيئة.

- تقويم الثروة الطبيعية و الثقافية و التاريخية للبلاد و وضعها في خدمة السياحة الجزائرية من أجل رفعها إلى صف الوجهات السامية في منطقة الأوروبية المتوسطية.

- يحدد بهذا للبلد أكمله و لكل منطقة من التراب الوطني التوجهات الإستراتيجية للتهيئة السياحية في إطار التنمية المستدامة ومنه فإن المخطط الوطني لتهيئة الإقليم يتركز على خمس ديناميكيات:

١. تقويم وجهة "الجزائر" لتعزيز جلب فرص الاستثمار و التنافس.
٢. تنمية الأقطاب و القرى السياحية السامية و ذلك بترشيد الاستثمار.
٣. إعداد برنامج نوعية سياحية.
٤. تنسيق العمل و ذلك بتعزيز السلسلة السياحية و إقامة شراكة عمومية و خاصة.
٥. تحديد و وضع حيز التنفيذ مخطط تمويل عملي من أجل دعم النشاطات السياحية وكذا لمطورين و جلب كبار المستثمرين والمتعاملين؛ وتمثلت خطة العمل فيما يلي :

الجدول رقم 03: يوضح خطة العمل بالأرقام للمرحلة 2007 - 2015^(١)

السنة	2007	2015
عدد السياح	1,7 مليون	2,5 مليون
عدد الأسرة	84869 يعاد تأهيلها	75000 سرير فخم
إيرادات (مليون دولار)	250	1500 إلى 2000
المساهمة في الناتج المحلي الخام	1,7 %	3 %
مناصب الشغل المباشرة والغير مباشرة	200 000	400 000
تكوين مقاعد بيداغوجية	51200	91600

١- وزارة تهيئة الإقليم البيئة و السياحة ، المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية (SDAT2025) ، الكتاب رقم (٠٢) : المخطط الاستراتيجي ، الحركيات الخمسة وبرامج الأعمال السياحية ذات الأولوية، جانفي ٢٠٠٨، ص ١٨ .

في إطار آفاق التنمية السياحية، قامت السلطات العمومية بإنشاء سبعة (٧) أقطاب سياحية بهدف تلبية طلب السوق إذ ستتمتع هذه الأقطاب بالإستقلالية الكافية التي ستجعلها تتألق سواء على الصعيد الوطني أو الدولي. ومنه فهذه الأقطاب المتميزة هي:

أ- القطب السياحي المتميز شمال شرق: ويشمل كل من: (سكيكدة، قالمة، عنابة، الطارف، سوق أهراس، تبسة) يتميز بأكثر من ٣٠٠ كلم من الساحل و٨٧٤ هكتار من الغابات. كما يعتبر نقطة إرتكاز وبمثابة القاطرة للتنمية السياحية على المستوى الجهوي.

ب- القطب السياحي المتميز شمال وسط: ويشمل الولايات التالية: (الجزائر العاصمة، تيبازة، البليدة، بومرداس، الشلف، عين الدفلى، المدية، البويرة، تيزي وزو وبجاية) يتميز هذا القطب بموقعه في وسط البلاد وعلى واجهة البحر الأبيض المتوسط يمتد على مسافة ٦١ كلم، أي ٥% من الشريط الساحلي الجزائري.

ج- القطب السياحي المتميز شمال غرب : ويشمل الولايات التالية (وهران، عين تيموشنت، تلمسان، مستغانم، معسكر، سيدي بلعباس وغليزان) بموقعه الجغرافي الاستراتيجي الهام الذي يقع على أقل من ساعتين من السوق الرئيسي لهواة السياحة لأوروبا (إسبانيا). هذا القطب صاحب مساحة ٣٥٠ كلم² متنوع ببنية التحتية متطورة ويضم معدات معتبرة على المستوى الوطني والدولي، خدمات، صناعة ثقيلة، إمكانيات ثرية ومتنوعة مما يشجع جاذبية أكبر وشغور غير مدروس لبعض الفضاءات السياحية.

د- القطب السياحي المتميز جنوب شرق: ويشمل كل من (غرداية، بسكرة والوادي) يغطي مساحة تقدر بـ ١٦٠ كلم² و عدد سكان يقدر بحوالي ١ مليون نسمة. علاوة على ذلك، مع غرداية باعتبارها مركزا رئيسيا وبوابة للصحراء.

هـ- القطب السياحي المتميز جنوب غرب: (أدرار، بشار) يغطي مساحة تقدر بـ ٦٠٣٠ كلم² "توات - غورارة" هو قطب تراث ذو بعد عالمي مع فضاء جديد ديناميكي متين (المنطقة الحدودية).

و- القطب السياحي المتميز الكبير: الهقار" يقع أساسا في ولاية إليزي ويغطي مساحة تقدر بحوالي ٢٨٤.٦ كلم². به ثروات طبيعية، ثقافية وأثار تمثل ٣٠ أصول رئيسية تساهم في تنمية السياحة في المستقبل.

ي- القطب السياحي المتميز الكبير: ويشمل (الأهقار) يغطي مساحة تقدر بحوالي ٤٥٦٢ كلم² من التراب الوطني هذا القطب محاط بولاية تمنراست وهو إقليم واسع يزخر بالكثير من الثروات الطبيعية والثقافية. كما يمكن أن ينظر إليها على أنها قطب إستراتيجي، وإرتفاع القيمة في تنمية السياحة في المنطقة.

2- التكوين في قطاع السياحة : يعد قطاع السياحة من بين أكبر القطاعات توفيراً لفرص العمل، سواء الدائمة أو الموسمية خاصة في ميادين الفنادق والمطاعم والمقاهي ، إضافة في مجال الإرشاد والمرافقين السياحيين ، وللكي ترقى هذه العمالة إلى المستوى المطلوب منها تقديمه لتطوير وترقية القطاع السياحي ، اقتضى الأمر تدخل السلطات العليا والوزارة الوصية على القطاع برامج تكوينية لفائدة مواردها البشرية. وحسب المديرية الفرعية للتكوين والمتابعة البيداغوجية بوزارة السياحة والصناعة التقليدية السيدة كريمة قيراط؛ فقد توقعت وصول الطلب على التكوين في قطاع السياحة في سنة ٢٠١٥ إلى حدود ٣٥ ألف مقعد بيداغوجي في مختلف التخصصات وأوضحت أن احتياجات قطاع السياحة في مجال التكوين في تزايد.

و لهذا الغرض قررت الوزارة - حسب ذات المسؤولية- "سيتم تخصيص نسبة 05 % من برامج التكوين لميدان التسيير (المانجمانت) و ١ % في الاستقبال و ٢ % في الإيواء والخدمات المتعلقة به إلى جانب تخصيص تكوين بنسبة ٤ % لفن الطبخ و ١ % في ميدان الخدمات السياحية المختلفة⁽¹⁾.

المورد البشري والتكوين: يعتبر تكوين وتنمية الموارد البشرية عنصرا محوريا في العملية السياحية ويتم هذا من خلال:

- إعادة النظر في البرامج التكوينية بغرض تكييفها مع تطور الاحتياجات والتقنيات الحديثة لتسيير النشاط والخدمة السياحية.

- اقتناء دعائم بيداغوجية عصرية وإعادة تأهيل المكونين والمشرفين على التكوين.

- فتح فروع متخصصة في السياحة بالجامعة وتوسيعه إلى ما بعد التدرج.

- الحث على إنشاء مراكز جديدة للتكوين متخصصة في مجال السياحة لمواجهة الطلب المتوقع.

كما يتطلب النهوض وترقية السياحة ليس بالجزائر فقط بل حتى في الدول المتقدمة، إعطاء العناية وكل العناية بالموارد البشرية وتكوينه في المجال السياحي²، ومن ثم صار من الضروري اتخاذ سلسلة من الإجراءات التي تهدف إلى تطوير مهارات الموارد البشرية مع تكييف منظومة التكوين مع متطلبات العمل السياحي، ومنه يتعين اتخاذ الإجراءات في هذا المجال وفقا للأولوية كما يلي:

- تحديد وتحليل وتقييم الاحتياجات التكوينية لجميع الفاعلين في القطاع السياحي

- إعادة تصميم نظام التكوين وامتثالها لقواعد ومعايير التكوين العالمية والدولية.

- إنشاء قاعدة بيانات وطنية للعنصر البشري في القطاع السياحي التي تساعد على تشخيص وضعية القطاع مع إعطائه معرفة ودراية دقيقة بالإمكانيات البشرية الحالية والمحتملة.

- تطوير تصنيف الوظائف في المجال الفندقي والسياحي.

- إنشاء اطر والتشاور مع قطاعات التكوين المهني والتعليم العالي

- إنشاء نظام للرصد والتقييم من "وظيفة التكوين" ونشاط نظام التكوين.

- إطلاق برامج تكوينية يخصص تطوير استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في القطاع السياحي بغية تحسينه⁽³⁾.

١- أنظر الموقع المواطن: التكوين في مجال السياحة: الطلب سيبلغ ٣٥ ألف مقعد بيداغوجي في أفق ٢٠١٥ <http://www.elmouwatin.dz> تاريخ الاطلاع: 17 جاني 2016 على الساعة 30 : 21.

٢- حشماوي محمد وبوقلاشي محمد: الاهتمام بالموارد البشري في القطاع السياحي كمدخل من مداخل تحقيق التنمية السياحية في الجزائر، مجلة المناجر، المدرسة التحضيرية في العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، دراية، الجزائر، دت، ص 19.

٣ - Ministre du tourisme : **politique de développement du secteur du tourisme horizon 2015,2006,pp 28-29.**

3- مؤسسات التكوين: لضمان منتوجات سياحية ذات جودة عالية، تدعو الضرورة إلى التركيز أكثر على التكوين، وفي هذا الصدد، تراهن السلطات العمومية على تعزيز جودة وتنافسية القطاع السياحي، عبر تنمية الموارد البشرية المحفزة، والتكوين الجيد.

ويتطلب إنجاز "رؤية ٢٠٢٠" القدرة على تكوين ١٣ ألف شاب في مجال الفنادق، وبالتالي تطوير كبير لمنظومة التكوين السياحي، لمسايرة التحديات الجديدة، التي ستكون أكثر نوعية، بمسايرة التحديات الكمية للجهات، مع مراعاة خصوصيات كل جهة ترابية، وتحقيق قفزة نوعية، بالنظر إلى التموقع من المستوى الرفيع للوجهة، التي تتميز بخصائص معينة، من ناحية نوعية وجودة الخدمات المقدمة.¹

☞ المدرسة الوطنية العليا للسياحة:² انشأت هذه المدرسة سنة 1994.

- تمنح هذه المدرسة شهادة الليسانس في تسيير الفنادق والسياسة، وتطوير وتدريب العاملين في قطاع السياحة ويوفر ١٠ مقعد، مقرها بالجزائر العاصمة من بين مهامها نجد⁽³⁾ :

تقدم تكوينا عاليا في مختلف مواد السياحة والفندقة والحمامات المعدنية.

تحسين مستوى المستخدمين التقنيين في السياحة والفندقة والحمامات المعدنية، وتقوم بتكوينهم المستمر وتجديد معلوماتهم.

تقوم بجميع الدراسات الاستكشافية من أجل الاستجابة للطلب الذي يعبر عنه المتعاملون مع التوفيق بين المهمة التربوية في اختيار مواضيع الرسائل والأشغال، وبين الحاجات في ميادين السياحة والفندقة والحمامات المعدنية.

تشارك في مختلف الدراسات التي تنجز بالاتصال مع مختلف المؤسسات الوطنية أو الدولية التي لها علاقة بتطوير السياحة والفندقة والحمامات المعدنية.

- تكوين رصيدا وثائقيا يرتبط بميدان نشاطها؛ وتصدر مجلة متخصصة في السياحة والفندقة والحمامات المعدنية؛ تشارك في تطوير البحث العلمي والتقني في ميادين اختصاصها.

وفي هذا الإطار أصبح المعهد الوطني للتقنيات الفندقية والسياحية بتيزي وزو معهدا وطنيا للفندقة والسياحة يكون تقنيين وتقنيين سامين في مختلف مهن السياحة والفندقة استجابة للطلب الكبير على هذه التخصصات.

كما رقي مركز الفندقة والسياحة ببوسعادة لتكوين التقنيين في مهن الفندقة والسياحة ليصبح كذلك معهدا وطنيا للفندقة والسياحة يكون تقنيين وتقنيين سامين.

١- المخطط السياحي الجديد "رؤية 2020 أنظر الموقع: <http://www.startimes.com/f.aspx?t=35676483>

٢- أنشأت هذه المدرسة بموجب مرسوم تنفيذي رقم ٩٤-٢٥٥ مؤرخ في ١٧ غشت سنة ١٩٩٤ يتضمن إنشاء المدرسة الوطنية العليا للسياحة. (ج ر عدد ٥٤ - ١٩٩٤) المعدل والمتمم ب: مرسوم تنفيذي رقم ٩٨-١٠٤ مؤرخ في ٣١ مارس سنة ١٩٩٨ يعدل ويتمم المرسوم التنفيذي رقم ٩٤-٢٥٥ مؤرخ في ١٧ غشت سنة ١٩٩٤ والمتضمن إنشاء المدرسة الوطنية العليا للسياحة (ج. ر عدد ١٩ - ١٩٩٨).

٣- عوينان عبد القادر: السياحة في الجزائر الإمكانيات والمعوقات (٢٠٢٥-٢٠٠٠) في ظل الإستراتيجية السياحية الجديدة للمخطط التوجيهي للهيئة السياحية SDAT2025، أطروحة دكتوراه علوم في العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر-٣، 2012-2013، ص 202.

الجدول رقم 04 : يمثل المراكز المختصة في التكوين في مجال السياحة بالجزائر.

المؤسسة	طاقة الاستيعاب	نوع الشهادة الممنوحة
المدرسة الوطنية العليا للسياحة	100 مقعد	- شهادة الليسانس في تسيير الفنادق والسياحة.
معهد الفنادق بتيزي وزو	300 مقعد	- تقني سامي في الاستقبال. - تقني سامي في الطبخ والحلويات. - إدارة الفنادق والسياحة.
معهد الفنادق والسياحة بيوسعادة	300 مقعد	- تقني في الاستقبال. - تقني في الطبخ والإطعام.

من إعداد الباحثين.

إذا ما قارنا أهمية قطاع السياحة في الجزائر مع المؤسسات التكوينية الموجودة، نستطيع القول أن عدد هذه المؤسسات قليل جدا، ضف إلى ذلك أن عدد المقاعد التي تؤطرها هذه المؤسسات قليل كذلك، وكلها موزعة في الناحية الشمالية للبلاد، هذا يعني أن الناحية الجنوبية تغيب عنها مثل هذه المؤسسات التكوينية، وبالتالي افتقار السياحة الصحراوية للكفاءات السياحية على جميع مستويات الخدمات السياحية، ولهذا يمكن القول لأجل النهوض بالسياحة الجزائرية، كان لا بد من تنوع مثل هذه المؤسسات التكوينية وتوزيعها عبر كافة التراب الوطني، نظرا لأن السياحة تحتاج لمزيد من الموارد البشرية المؤهلة والقادرة على كسب رهان السياحة.

المعهد الوطني للتقنيات الفندقية والسياحية: إضافة إلى المعاهد والمدرسة المشار إليهم في الجدول أعلاه فهناك توجد بعض المعاهد المتخصصة في التكوين المهني تابعة لوزارة التكوين المهني تقوم بالتكوينات فيما يخص الفنادق والسياحة مثل:

مركز التكوين المهني المتخصص في السياحة والصناعات التقليدية الأول من نوعه بولاية تيارت الذي دشّن العام الماضي بطاقة استيعابه نحو ٣٠٠ مقعد بيداغوجي وبداخلية بسعة ٥٠٠ سرير. ويضمّن هذا المركز الذي أشرف على تدشينه وزير التكوين والتعليم المهنيين السيد محمد مباركي تكوينا في تخصصات عديدة من شأنها الإسهام في الحفاظ على الموروث الثقافي المحلي الأصيل وتحسين نوعية الخدمات السياحية المقدمة على غرار الفنادق والطبخ وصناعة الحلويات.

المعهد الوطني المتخصص في التكوين المهني بالطارف: ويختص المعهد في التكوين في اختصاصي الفنادق والسياحة، حيث بدأ التكوين بصفة فعلية: ١١/٠١/٢٠٠٢^٢.

معهد التكوين والذي دشّن سنة 2013 بعين تيموشنت بسعة 400 مقعد بيداغوجي في مجال التكوين السياحي.^١

١- أنشأ المعهد بموجب مرسوم تنفيذي رقم ٩٤-٢٥٦ المؤرخ ١٧ أوت سنة ١٩٩٤ يتضمن إنشاء المعهد الوطني للتقنيات الفندقية والسياحية. (ج ر عدد ٥٤ - ١٩٩٤) المعدل والمتمم بمرسوم تنفيذي رقم ٠٢-٤٥٥ مؤرخ في ٢١ ديسمبر سنة ٢٠٠٢ يعدل ويتمم المرسوم التنفيذي رقم ٩٤-٢٥٦ مؤرخ في ١٧ غشت سنة ١٩٩٤ والمتضمن إنشاء المعهد الوطني للتقنيات الفندقية والسياحية (ج. ر عدد ٨٥ - ٢٠٠٢).

٢- حجام العربي ، رزوق ابتسام : تعليمية المرشدين المرافقين السياحيين بين البرامج النظرية والممارسة الفعلية، ورقة بحثية مقدمة للملتقى الدولي حول: "التنمية السياحية وعلاقتها بالتنمية المحلية- الأبعاد والآفاق"- يومي ٠٣ و ٠٤ نوفمبر ٢٠١٥، بجامعة الشاذلي بن جديد الطارف ، ص 10.

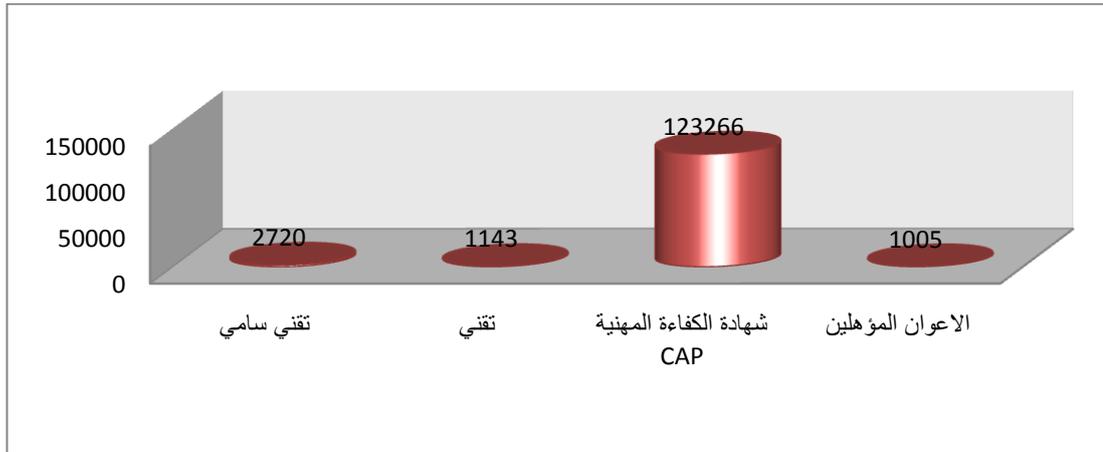
• مراكز التدريب المهني و التعلم^٥ مركز للتكوين وتقديم شهادات (CAP) في الفروع المتخصصة في الفنادق (فن الطبخ، المطاعم والاستقبال).

• المعاهد الوطنية المتخصصة للتدريب المهني^١: معاهد للتكوين وتقديم شهادات (شهادة تقني سامي في فروع الفنادق (فن الطبخ، المطاعم، الإيواء/الاستقبال، إدارة الفندق، دليل مرافق)².

وفي هذا الصدد اتخذت الحكومة الجزائرية تدابير جديدة فيما يتعلق بإنشاء خريطة جديدة في مجال التكوين السياحي التي تم تصميمها خصيصا لضمان جغرافي متجانس على مستوى جميع الأقطاب السياحية

إضافة إلى تحديد التخصصات الجديدة في مجال الفنادق، والضيافة وعصرنة التكوين وفقا للمعايير الدولية والعالمية. وعليه يمكن الوقوف على عدد الموارد البشرية المكونة من قبل المؤسسات التي تشرف عليها وزارة السياحة يفوق 8231 منذ سنة 1971 والعاملين في القطاع، أما المؤسسات التي تشرف عليها وزارة التكوين المهني فنجد الموارد البشرية المكون في المعاهد ومراكز التكوين منذ 1995 ممثل في الشكل البياني التالي :

الشكل رقم 02: يوضح توزيع الموارد البشرية المكونة من طرف مؤسسات تشرف عليها وزارة التكوين المهني منذ 1995³



وتعتمد سياسة القطاع على برنامج التكوين الأولي إضافة إلى إعادة رسكلة المستخدمين لرفع مستوى الموارد البشرية وتحسين الخدمات في المجال السياحي. وفي هذا الشأن فإن مكانة المنظومة التكوينية في تثمين العنصر البشري في قطاع السياحة والتي تعتبر استثمارة استراتيجية في التكفل بحاجيات التنمية السياحية ورفع التحديات في تحسين مستويات التأهيل و التكيف مع سوق العمل. ونظرا "للطلب المتزايد" في مجال التكوين في مهن السياحة فان الوزارة تركز على تنفيذ

^١ حشماوي محمد وبوقلاشي محمد: المرجع السابق، ص 25.

^٢ حجام العربي: التخطيط الاستراتيجي للنشاط التسويقي السياحي في الجزائر. مداخلة مقدمة للمشاركة في الملتقى الوطني: التنمية السياحية وعلاقتها بالتنمية المحلية والمجتمعية بالجزائر. يومي ٦/٥ ماي ٢٠١٤، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف. ص ص 18-19.

^٣ حشماوي محمد وبوقلاشي محمد: مرجع سابق، ص 26.

برامجها التكوينية على المؤسسات التابعة لها وكذا على أزيد من ١٠ مركز يشرف عليها قطاع التكوين والتعليم المهنيين في إطار اتفاقية الشراكة المبرمة بين الوزارتين.

وعلى صعيد آخر، ذكرت السيدة صليحة ناصر باي: "بالإجراءات الجديدة التي اتخذت بعد مصادقة الحكومة على الخريطة الجديدة للتكوين في المجال السياحي والتي تهدف إلى ضمان توزيع وجغرافي متجانس ومتناسق في التكوين وفق الأقطاب السياحية وتحسين الخدمات استجابة لطلبات الزبائن". كما يتم من خلال تطبيق هذه الخريطة تحديد فروع جديدة في التكوين الفندقي لا سيما في المهن وتعيين المعارف مع المستجدات الجديدة في السياحة وعصرنة التكوين وفق المقاييس المعمول بها دوليا. وأكدت أيضا في هذا الإطار أن الهدف من هذا المسعى هو توفير تكوين ذي "نوعية رفيعة" مع الأخذ بعين الاعتبار احتياجات سوق الشغل وتحسين الخدمات السياحية. كما تطرقت نفس المسؤولة من ناحية أخرى إلى دور القطاع الخاص في المساهمة في تكوين أعوان في المجال السياحي لاسيما في المهن وفي الخدمات مشيرة إلى "توفر لحد الآن ٣٦ مؤسسة معتمدة تغطي نسبة ٢% من التكوين السياحي"^(١).

خاتمة :

يتضح مما سبق أن تكوين المورد البشري يمكن أن يكون مدخلا أساسيا وذو بعد ذو وجهين اقتصادي واجتماعي، وذلك لتنمية وترقية القطاع السياحي وتحقيق الاستدامة المرجوة، وبالتالي تحقيق مداخل أخرى غير التي تأتي من عائدات النفط والخروج من التبعية التامة إليه، ومن هنا نؤكد على أهمية التكوين والتطوير في الموارد البشرية في مجال السياحة لأن هذه الأخيرة قادرة على توليد العديد من فرص العمل والعائدات إلى الخزينة العمومية، كما يجب أن نسجل بأن الجزائر لها ما يمكن أن تكون حاضرة حضورا قويا في الديناميكية والتنافسية العالمية من خلال دعم تكوين والتطوير من مهارات مواردها البشرية.

من خلال ما تم طرحه يمكن وضع بعض التوصيات وهي:

- تعزيز العلاقة بين الجامعة والمؤسسات والمعاهد المكلفة بالتكوين وذلك للاستفادة من الأبحاث لأنه لا فائدة من البحث إذا لم تستفد منه المؤسسات والمجتمع ككل، وحتى الهيئات الرسمية العليا وإذا لم يكن لهذا البحث مردود حقيقي.
- تنمية وتكوين الموارد البشرية في القطاع السياحي ضمان لتحقيق التنمية الاقتصادية الاجتماعية وضمان استمرار النمو للأجيال القادمة.
- عندما يتم التكفل بتكوين المورد البشري وعلى نطاق واسع وعلى جميع المستويات، يصبح لدى الجزائر عاملا قويا وخلق، وذلك من خلال خلق جو من الثقة مما يزيد من دافعية هذا المورد، وقد يؤدي إلى أفضل النتائج على مستوى الفعالية والابتكار.
- تسيير الموارد البشرية والطبيعية في مجال السياحة بطريقة مستدامة يتطلب مقاربة لصنع القرار مهيكله وتفاعلية، يؤدي إلى تحسين الإنتاجية، كما يعمل على تعزيز جاذبية السياح، الذي بدوره يؤدي إلى فتح مناصب شغل جديدة للتخفيف من حدة البطالة.
- إعطاء الأولوية للاستثمار في القدرات والمهارات البشرية من خلال اعتماد استراتيجيات ملائمة، تعمل على تحسين أداء الموارد البشرية، وتمكين المؤسسات من تحقيق الميزة التنافسية على المستوى المحلي، الإقليمي والمغربي ثم العالمي.

١- أنظر الموقع: http://www.elmouatin.dz/spip.php?page=imprimer&id_article=5831

قائمة المراجع:

❖ باللغة العربية :

١. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر؛ ٢٠٠٠.
٢. أحمد عباس الوزان: العلاقة بين بنيتي الإنتاج وقوة العمل، عوامل الإخلال وسبل التصحيح، المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية، السنة الرابعة، العدد العاشر، ٢٠٠٦.
٣. بودخد كريم و بودخد مسعود: تحديات قطاع السياحة في الجزائر من خلال قراءة حول واقع تنافسيته العالمية، مداخلة مقدمة للملتقى الدولي حول: "السياحة رهان للتنمية المستدامة"، يومي 24 و 25 أبريل 2012، بجامعة البليدة.
٤. حجام العربي و رزوق ابتسام: تعليمية المرشدين المرافقين السياحيين بين البرامج النظرية والممارسة الفعلية، ورقة بحثية مقدمة للملتقى الدولي حول: "التنمية السياحية وعلاقتها بالتنمية المحلية- الأبعاد والآفاق"- يومي ٠٣ و ٠٤ نوفمبر ٢٠١٥، بجامعة الشاذلي بن جديد الطارف.
٥. حجام العربي : التخطيط الاستراتيجي للنشاط التسويقي السياحي في الجزائر، مداخلة مقدمة للمشاركة في الملتقى الوطني: التنمية السياحية وعلاقتها بالتنمية المحلية والمجتمعية بالجزائر، يومي ٦/٥ مآي ٢٠١١، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف.
٦. حشماوي محمد وبوقلاشي محمد: الاهتمام بالموارد البشري في القطاع السياحي كمدخل من مداخل تحقيق التنمية السياحية في الجزائر، مجلة المناجر، المدرسة التحضيرية في العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، دراية، الجزائر، د.ت.
٧. حمداوي وسيلة : إدارة الموارد البشرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004.
٨. طاهر محمود الكلالده: تنمية وادارة الموارد البشرية، ط١، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠.
٩. عبد الكريم درويش، ليلى تكلا: أصول الإدارة العامة، مطبعة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦.
١٠. عبد القادر محمد عطية، "اتجاهات حديثة في التنمية"، الدار الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م.
١١. عدلي أبو طاحون، "إدارة و تنمية الموارد البشرية و الطبيعية"، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٩م.
١٢. علي غربي وآخرون: تنمية الموارد البشرية، ط١، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠.
١٣. عشي صليحة: الآثار التنموية للسياحة دراسة مقارنة بين الجزائر تونس و المغرب، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة المسيلة، ٢٠٠٩.

١٤. عوينان عبد القادر : السياحة في الجزائر الإمكانيات والمعوقات (٢٠١٠، ٢٠٠٢) في ظل الإستراتيجية السياحية الجديدة للمخطط التوجيهي للتهيئة السياحية SDAT2025، أطروحة دكتوراه علوم في العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر ٠٢، -، 2013-2012.
١٥. فردريك هاريسون وتشارلز مايرز، التعليم والقوى العاملة والنمو الاقتصادي، استراتيجية تنمية الموارد البشرية، ترجمة إبراهيم حافظ، ١٩٦٦.
١٦. فليح حسن خلف، تنمية الموارد البشرية في العراق مجلة تنمية الرافدين، المجلد الخامس، العدد ٩، العراق ١٩٨٣.
١٧. فليبس، نقلا عن: حسين ريمباوي : مجلة جامعة الملك سعود، العدد ٣٧، عام ١٤١٠هـ.
١٨. منصور الراوي، تنمية الموارد البشرية، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية رقم (٤) (نحو استخدام امثل للقوى العاملة الوطنية الخليجية)، المنامة، البحرين، 1985.
١٩. ماكنوتش، نقلا عن: محمد مفرح القحطاني وآخرون : السياحة الأسس والمناهج، - الناشر المؤلفون - أهلا، ١٤١٠هـ.
٢٠. منصور حسن، كرم حبيب، تنمية الموارد البشرية، مكتب الوعي العربي، القاهرة، ١٩٧٠.
٢١. منصور احمد منصور، قراءات في تنمية الموارد البشرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٠.
٢٢. محمد منير حجاب، "الإعلام و التنمية الشاملة"، دار الفجر للنشر و التوزيع، مصر، ١٩٩٠م.
٢٣. هدى سيد لطيف: السياحة النظرية والتطبيق، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994.
٢٤. وزارة تهيئة الإقليم البيئية والسياحة ، المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية (SDAT2025) ، الكتاب رقم (٥) : المخطط الاستراتيجي، الحركيات الخمسة وبرامج الأعمال السياحية ذات الأولوية ، جانفي ٢٠٠٠.

❖ المواقع الالكترونية :

٢٥. بنونة شعيب وبن يخلف زهرة : جاهزية النسيج المؤسسي لتفعيل أداء السياحة الصحراوية الجزائرية في التنمية جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان أنظر : <http://www.arabrenewal.info.html>
٢٦. انظر الموقع: مجال التكوين <http://www.elmouwatin.dz>، تاريخ الاطلاع: 17 جانفي 2016 على الساعة 21 و30 د.

27. http://www.elmouwatin.dz/spip.php?page=imprimer&id_article=5831

❖ الكتب باللغة الفرنسية

1. Pierre casse : **la formation performante**, office des publications universitaires centrale Ben Aknoun, Alger, 1994,
2. Ministre du tourisme : **politique de développement du secteur du tourisme horizon 2015**, 2006.
3. Ministre de l'aménagement du territoire de l'environnement et de tourisme, **schéma directeur d'aménagement touristique « SDAT » 2025** , livre 1 op cit
4. SCHIOU LAKHDAR : **Gestion du personnel, les éditions d'organisation Québec** , 3^{ème} édition 1990.



العدد 20 : مايو - 2016

مركز جيل البحث العلمي

تحديد الخصائص السيكومترية لاستبيان محتوى العمل (JCQ) لروبار كرزاك على عينة من أساتذة التعليم الابتدائي بولاية أم البواقي

أ.حيواني كريمة/جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى تحديد الخصائص السيكومترية من صدق وثبات لاستبيان محتوى العمل (JCQ) Content Questionnaire لكارازاك Karazek في البيئة الجزائرية، ولهذه الغاية قامت الباحثة بترجمة النسخة الأصلية من الاستبيان إلى اللغة العربية، ثم تم تطبيق النسخة المعربة بعد التأكد من سلامة الترجمة على عينة عشوائية قوامها^(٦) (١) أستاذ التعليم الابتدائي من ولاية أم البواقي. أسفرت نتائج الدراسة المتعلقة بصدق مفهوم الاستبيان المعرب عن وجود دلالات اتساق داخلي مرتفعة ودالة بين البنود وأبعادها الرئيسية والفرعية، وبين الأبعاد والدرجة الكلية، كما تمتع الاستبيان المعرب بدرجات صدق تمييزي عال، وأسفر التحليل العاملي للاستبيان لظهور سبعة عوامل، حظى الاستبيان المعرب بثبات مرتفع، فمن خلال طريقة التطبيق مرة واحدة قدر معامل الثبات بالتجزئة النصفية^(٩) (٠.٦٩)، وتراوح معامل ألفا كرونباخ بين^(٩) (٠.٨٥)، أما من حيث ثبات الاستقرار، فقد كانت معاملات الارتباط بين التطبيق وإعادة التطبيق عالية حيث تراوحت بين^(٦) (٠.٨٤).

الكلمات المفتاحية: الخصائص السيكومترية، استبيان محتوى العمل، الصدق، الثبات.

إشكالية الدراسة:

أصبح الإجهاد المهني سمة من سمات العصر الذي نعيش فيه، ومن المتفق عليه أنه صار يشكل أكثر المشكلات الصحية انتشارا في دول العالم أجمع، إذ تشير الإحصائيات الحديثة أن ما نسبته ٨٠% من جميع أمراض العصر الحديثة منشأها الإجهاد^١ وأن الأضرار الناتجة عن الإجهاد تكلف الاقتصاد الأمريكي حوالي ١٠ بليون دولار سنويا، وأن ما قيمته ٢ بليون دولار سنويا ناتج عن تغيب العاملين عن العمل، وقد أوردت منظمة الصحة العالمية "OMS" في ندوة وزارية أوروبية حول الصحة العقلية أن كلفة الإجهاد في البلدان الخمسة عشر أعضاء الاتحاد الأوروبي^(٢٠) تمثل في المتوسط ما بين ٣ و ٤% من المنتج الوطني الصافي، أي ما يعادل ٢٦ مليار سنويا^٢.

ونظرا لهذا الكم الكبير من الخسائر التي تتكبدها المنظمات أصبح الإجهاد المهني من أهم الموضوعات التي تستقطب فكر الباحثين في مجالات عدة، منها الاقتصاد و الطب و الإدارة وبالخصوص في مجال السلوك التنظيمي، هذا الأخير الذي حاول تقديم تفسير للإجهاد المهني قصد إيجاد أساليب التعامل معه، وهذا من خلال عدة نماذج نظرية، ومن أهم هذه النماذج

^١ أحمد عيد مطيع الشخانية.(٢٠١٠)، التكيف مع الضغوط النفسية دراسة ميدانية، الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع، ط١.

^٢ بن زروال فتيحة، الإجهاد على مستوى المنظمة المصادر والتأثيرات و استراتيجيات المواجهة، دراسات نفسية و تربوية عدد ٤، جوان

نموذج كوبر "Cooper (١٩٨٦) يفترض هذا النموذج أن بيئة الفرد تعتبر مصدرا للإجهاد و التي تشكل خطرا يهدده في حال ما استمر هذا الإجهاد لفترات طويلة، وفشلت الاستراتيجيات التي يستخدمها للتوافق مع الموقف المجهد فإن ذلك يؤدي إلى بعض الأمراض، كما يؤدي إلى زيادة القلق و الاكتئاب و انخفاض تقدير الذات^١، وأضاف "كرايتتر و كينيكي"، "kinicki & kreitner (١٩٧٩) أنه يوجد مصدرين للإجهاد المهني، مصادر الإجهاد الوظيفية وتمثل في (عمل الفرد، و الجماعة، و المنظمة) و أخرى خارجية تتمثل في (الأوضاع الاقتصادية و الأسرية و نوعية الحياة و غيرها). وان إدراكها لا يكون نفسه بالنسبة لجميع الأفراد، بل هناك الفروق الفردية هي التي تؤثر على إدراك الفرد لهذه المصادر و بالتالي على مستوى الإجهاد ونتائجها^٢. أما "سيزلاقي و والاس"، "Szilag & Wallas (١٩٨٧) فهما يريان أن الإجهاد الخاص بالعمل ينبع من مصادر ثلاثة رئيسية وهي: البيئة و المنظمة، والعوامل الفردية. وتسهم هذه العناصر مجتمعة في خلق أنماط مختلفة ومتنوعة من الإجهاد على العاملين، ولكن الفروق الفردية تجعل حدته تختلف من فرد إلى آخر، ورغم تباين حدة الإجهاد من فرد إلى آخر إلا أن هذا الإجهاد الناجم على هذه المصادر يترتب عليه في النهاية آثار سلوكية و نفسية و صحية و جسمانية على العاملين الذين تعرضوا لهذا الإجهاد، كما أنها تنظم آثار سلبية على المنظمة التي ينتهي إليها العامل^٣. في حين يرى "روبرت كرزاك"، "Robert Karasek (١٩٧٩) أن هناك ثلاث عوامل أساسية لفهم مصادر الإجهاد المهني وهي: المتطلبات النفسية، حرية اتخاذ القرار، الدعم الاجتماعي، ويرى كرزاك أن هذه العناصر الثلاثة لا تؤدي إلى الإجهاد المهني على حدا، بل التفاعل بينها يؤدي إلى حدوث أربع حالات مهنية وهي: عمل سلبي، عمل مجهد: تحدث عندما تكون حرية اتخاذ القرار ضيقة و منخفضة و بالمقابل تكون متطلبات العمل أو الحمل السيكولوجي مرتفعة أو ثقيلة. ويسمى كرزاك هذه الوضعية (Job Strain) وإذا لم يجد الفرد الدعم الاجتماعي من الزملاء العمل و الرؤساء زادت الوضعية تأزما وخطورة وقد سمها كرزاك (Iso Strain)، عمل مريح، عمل نشط و يؤثر الدعم الاجتماعي في كل الوضعيات فيخفف من ضغط المجهدات بوجوده أو يزيد في هذا الضغط عند غيابه^٤ ويرتبط هذا النموذج لروبار كرزاك مع استبيان محتوى العمل أو كما يسميه البعض استبيان تقييم الظروف النفسية و الاجتماعية في العمل، الذي يعرف بـ (JCQ) Job Content Questionnaire و تعتبر هذه الأداة من أكثر الأدوات استعمالا في وقتنا الحالي، وهي تستعمل لتشخيص حالات الإجهاد المهني الشديد «Job Strain» ومن اجل أن يكون هذا الاستعمال استعمالا صحيحا، و تكون استجاباته و نتائجها تؤدي الذي وضعت له يجب أن تكون هذه الأداة تتماشى و الخصائص الثقافية و الاجتماعية للبيئة التي طبقت بها، فقد سعت العديد من الدول إلى استعماله عن طريق تقنينه على بيئات مختلفة منها: ماليزيا، البرازيل، إيران، كوريا الجنوبية، كولومبيا، الشيلي، فرنسا، وهذا من أجل توفير نسخ تتماشى و الخصائص الثقافية و الاجتماعية لمجتمعاتهم ولغاتهم، حيث اجمع علماء النفس على أهمية المؤثرات الثقافية و الاجتماعية وتأثيرها على نمط و نوع الاستجابات، إذ لا ينبغي تصور أن الاختبارات و المقاييس النفسية التي صممت و استخدمت في بيئة ما تكون صالحة للاستخدام في بيئة أخرى، حتى ولو تشابهت تلك البيئات في بعض متغيراتها الثقافية،

^١ فاروق السيد عثمان، (٢٠٠١)، القلق و إدارة الضغوط النفسية، القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ص: ١٠٥.

^٢ خضير كاضم حمو الفريجات، موسى سلامة اللوزي، إنعام الشهابي، (٢٠٠٩)، السلوك التنظيمي مفاهيم معاصرة، الأردن: إثراء للنشر و التوزيع، ط١، ص: ٢٨٦.

^٣ نايف تويم، (٢٠٠٥)، مستويات ضغوط العمل وسبل مواجهتها في الاجهزة الامنية في الرياض، دراسة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم العلوم الإدارية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص: ٧٣.

^٤ خلاصي مراد، (٢٠١٤)، الاحتراق النفسي لدى الإطارات وعلاقته بالمجهدات المهنية، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، قسم علم النفس، لوكيا الهاشي ص: ٣٠.

فما يكون صالحا لبيئة ما ليس بالضرورة صالحة لبيئة أخرى، دون تعديل أو تغيير، ولما كانت المتغيرات الثقافية و الاجتماعية تترك أثارها باختلافات متباينة.¹

١. قد مست ظاهرة الإجهاد المهني جل المهن، إلا أنها تتفاوت في طبيعتها من حيث المسؤوليات، وطريقة الأداء، و النتائج المترتبة على السلوك أو ما يقوم به الفرد وهذا التباين يؤدي إلى درجات متفاوتة من الإجهاد الواقع عليه،² وهذا ما ذهبت إليه بعض الدراسات التي أظهرت أن التعليم من أكثر المهن التي تسبب إجهادا مهنيا و نفسيا وجسميا للمعلم. كما أن المعلمين والمعلمات هم من الفئات المهنية الأكثر تعرضا للإجهاد، فقد تصدرت مهنة التدريس قائمة المهن المجهدة حسب تصنيف منظمة العمل الدولية.و على أنها إحدى أكثر ثلاث مهن مسببة للإجهاد، كما تعد المدارس ضمن أعلى البيئات المجهدة في المجتمع.³ وقد أكدت الإحصاءات التي أجريت من قبل الاتحاد الوطني للمدرسين (SNES) في فرنسا علم (٢٠٠٩) كشفت بالفعل أن ٦٧٪ من المعلمين يرون أن الإجهاد في العمل في مهنتهم أكثر منه في المهن الأخرى.⁴ كما أشار "François Jarraud" في دراسته التي الذي نشر في مجلة القهوة التربوية إن الإجهاد هو المرض المهني الذي يعاني منه جل المعلمين ووفقا للدراسة، فإن نصف المعلمين (٤٧٪) يعاني من الإجهاد العاطفي، تبتد الشخصية ٥٦٪ (تدهور حاد في العلاقات للطلاب)، "أظهرت دراسة من MGEN (Mutuelle générale de l'Éducation nationale) في كندا عالم ٢٠٠٠ أن المعلمين يعانون كثيرا من غيرهم موظفي المهن الأخرى من أمراض معينة: الأرق، والصداع النصفي، والقوباء المنطقية، والتهابات الجهاز التنفسي و الصوتي⁵. وبالإضافة إلى ذلك فقد أكدت منظمة التعاون والتنمية OCDE (٢٠٠٩) أن ٣٠٪ من المعلمين كندي الجدد، قاموا بالتخلي عن وظائفهم في السنوات الخمس الأولى⁶ ويشير السعداثة (٢٠٠٩) بأن علماء النفس قرروا أن الجهد العصبي الذي يصرفه المعلم في التدريس خلال ساعة زمنية واحدة يعادل الجهد الذي يقضيه أي موظف آخر ليستغل بإحدى الوظائف الإدارية الأخرى⁷ وعلى هذا الأساس جاءت دراستنا الحالية لتقديم استبيان محتوى العمل، واستعماله عن طريق تكييفه على البيئة الجزائرية على عينة من أساتذة التعليم الابتدائي بولاية أم البواقي وهي بيئة تختلف في خصائصها عن البيئات التي قنن عليها هذا الاستبيان من قبل. حيث وجب علينا الأخذ بعين الاعتبار الأطر الثقافية بكل متغيراتها والتي سوف تؤثر في العمل على تقنيته و استخراج دلالات الصدق و الثبات.

أسئلة الدراسة:

إن تحقيق أهداف الدراسة يرتبط بجملة من الأسئلة المتعلقة بالاستبيان وبنوده، وبعينة البحث وخصائصها، وهذه الأسئلة هي:

¹ محمد حمزة أميرخان، (١٤١١)، تقنين اختبار تورنس للتفكير الإبداعي النسخة المصور (١) على المنطقة الغربية للمملكة السعودية، مجلة جامعة أم القرى، السنة الثالثة، العدد الرابع.

^٢ حمدي ياسين وآخرون، (١٩٩٩) علم النفس الصناعي والتنظيم بين النظرية والتطبيق، دار الكتاب الحديث والتوزيع، ط١

^٣ مسعودي رضا، مؤشرات الضغط النفسي لدى المعلمين. دراسة مقارنة بين المعلمين في الجزائر ودي، جزايرس. يوم ٢٧ - ١٠ - ٢٠١٠.

⁴ Philippe Menkoué. L'enseignement : une profession à haut risque de stress ?

⁵ Flora Yassine. Le stress des enseignants. Sciences humaines_ 02/04/2012.

⁶ Nathalie Houlfourt. Frédéric Sauvé. Santé psychologique des enseignants de la Fédération autonome de l'enseignement. École nationale d'administration publique. Janvier 2010. Montréal.p5

^٧ مسعودي رضا، مؤشرات الضغط النفسي لدى المعلمين. دراسة مقارنة بين المعلمين في الجزائر ودي، جزايرس. يوم ٢٧ - ١٠ - ٢٠١٠.

ما دلالات الصدق؟

- ✓ ما قيمة ومستوى دلالة معامل الارتباط بين كل بند من بنود الاستبيان و البعد الذي ينتمي إليه ذلك البند، كمؤشر على صدق بناء الاستبيان.
- ✓ ما قيمة ومستوى دلالة معامل الارتباط بين كل بعد من أبعاد الاستبيان والرابعة و الدرجة الكلية للاستبيان.
- ✓ ما المكونات العملية للاستبيان كما يكشف عنه التحليل العاملي وتدوير فاريماكس ، كمؤشر على الصدق العاملي.
- ✓ ما قيمة المتوسطات و"ت" للفتتين ، كمؤشر على الصدق التمييزي.

ما دلالات الثبات؟

- ✓ ما قيمة معاملات الثبات المحسوبة بإعادة تطبيق الاستبيان على عينة أساتذة التعليم الابتدائي.
- ✓ ما قيمة معاملات الثبات المحسوبة بطريقة التجزئة النصفية للاستبيان على عينة أساتذة التعليم الابتدائي.
- ✓ ما قيمة معاملات ألفا لكرونباخ للاستبيان، كمؤشر للثبات.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة الحالية في عدة جوانب نظرية و أخرى عملية و هي كالآتي:

الأهمية النظرية:

الجانب و الموضوع الذي تتعرض له الدراسة ، كونه أول دراسة تقام على البيئة الجزائرية والعربية - في حدود علم الباحثة.

إكمال النسق البحثي المتعارف عليه، وهو استكمال ما وقف عليه باحثون كثر من قبل، كما أنها إضافة جديدة للتراث النظري و الميداني حول موضوع التكيف لاختبارات النفسية الخاصة بالإجهاد المهني.

الأهمية العلمية:

✓ توفير أداة قياسية عالمية في مجال تقويم محتوى العمل يمكن استخدامها والركون إليها بعد التحقيق خصائصها القياسية والتقنينية.

أهداف الدراسة:

يتمثل الهدف الرئيس للدراسة في تكيف استبيان المحتوى العمل (JCQ) (Job Content Questionary) و إعداد نسخة عربية من استبيان محتوى العمل لروبار كرزاك (JCQ) صالحة للتطبيق في البيئة الجزائرية ، ويتفرع هذا الهدف الرئيس إلى الأهداف الفرعية التالية:

➤ ترجمة بنود استبيان المحتوى العمل (JCQ).

➤ دراسة خصائص استبيان المحتوى العمل (JCQ) و استخراج دلالات صدقه وثباته.

الدراسات السابقة:

قنن استبيان محتوى العمل لروبار كرزاك في ٣١ بيئة وهذا حسب مركز (jqcenter.org) ، لكن كل تلك الدراسات كانت في بيئات أجنبية، ولم تكن من بينها ولا دراسة في البيئة العربية. ومن الملاحظ في تلك الدراسات أنها طبقت على عينات من

قطاعات مختلفة (تعليم، صحة، اقتصادي، حرة...) واستخدمت نسخ مختلفة من الاستبيان منها من استخدمت نسخ تراوحت بنودها بين ١١ بند إلى ٥٢ بند). ومن بين هذه الدراسات، دراسة "Isabelle Niedhammer & all" (2006) بعنوان " الخصائص السيكومترية للنسخة الفرنسية لاستبيان محتوى العمل: نتائج المسح الوطني SUMER" هدفت إلى التعرف على الخصائص السيكومترية للاستبيان، وطبق الاستبيان نسخة ٢ بند على عينة قوامها (٢٤٤) عاملا، واستخدم الباحثون لتقدير الثبات معامل ألفا كرونباخ وقد تراوح بين (٠.٧٤-٠.٦). أما الصدق فكان بطريق الصدق العاملي وبينت النتائج تشيع بنود الاستبيان على أربع عوامل^١.

أما بخصوص الارتباط بين الأبعاد فيما بينها فقد كان ارتباط ضعيف جدا. وكذا دراسة "Ki-Do Eum & all" (٢٠٧) بعنوان: " الخصائص السيكومترية للنسخة الكورية لاستبيان محتوى العمل: عينة من العاملين في الرعاية الصحية" وتكونت عينة الدراسة من (٣٣) عامل بالقطاع الصحي واستخدمت نسخة ٣٢ بند وهدفت الدراسة إلى الكشف عن الخصائص السيكومترية للاستبيان في البيئة الكورية، وقام الباحث بتقدير الثبات عن طريق ألفا لكرونباخ فقد كان أكبر من (٠.٩) وعن طريق التطبيق وإعادة التطبيق على عينة من (١٥) واثبت أن الاستبيان ثابت أما الصدق فتم حسابه عن طريق الصدق العاملي حيث تشيعت بنوده على ثلاث عوامل^٢. و دراسة "Viviola Gómez Ortiz" (2011) بعنوان " تحديد المصادر النفس واجتماعية في العمل: الخصائص السيكومترية استبيان لمحتوى العمل لدى عينة من العمال سونخال الكولومبيين" طبق الاستبيان على عينة مكونة من (١٢٣) عامل بالقطاع الصحي، و سائقي الشاحنات، ومهن المختلفة، بهدف استخراج الخصائص السيكومترية للاستبيان ذو نسخة ٢٧ بند، واستخدم الباحثين للتأكد من الثبات معامل ألفا لكرونباخ والذي تراوح ما بين (٠.٨١-٠.٤). كما استخدم معامل الاتساق الداخلي بين البنود وقد بلغ (٠.٣٦-٠.٢). أما الصدق فقد عن طريق الصدق التلازمي مع استبيان (ERI) ودلت النتائج على وجود ارتباط ايجابي ضعيف بين الاستبيانين إضافة إلى ذلك استخدم التحليل العاملي لتقدير الصدق حيث تشيعت عينة سائقي السيارات على ٥ عوامل و المرضين على ٧ عوامل و المهن المختلفة على ٦ عوامل^٣. دراسة "Azlihanis Abdul Hadi & all" (٢٠٦) بعنوان: " الصدق و الثبات لاستبيان محتوى العمل لروبار كرزك على مدرسي المرحلة الثانوية في كوتا بهارو، كيلانتان، ماليزيا" وطبق الاستبيان ٢٧ بند على عينة قوامها (٦١) أستاذ مرحلة ثانوية، هدفت الدراسة إلى تحديد الثبات الذي تم تقديره عن طريق ألفا لكرونباخ حيث تراوح بين (٠.٨٤-٠.١). كما استخدم معامل الاتساق الداخلي وقد بلغ (٠.١٣-٠.١). أما الصدق فتم حسابه عن طريق الصدق العاملي حيث تشيعت بنوده على ثلاث عوامل^٤. ساهمت هذه الدراسات في توجيه الباحثة إلى أهم أنواع الصدق و الثبات المستخدمة من اجل تحديد الخصائص السيكومترية، إضافة إلى النتائج المتوصل إليها واعتبارها أرضية للدراسة الحالية.

¹ Isabelle Niedhammer Valérie Ganem L. Gendrey Sandra David .Stéphanie Degioanni,(2006) .**Propriétés psychométriques de la version française des échelles de la demande psychologique, de la latitude décisionnelle et du soutien social du « Job Content Questionnaire » de Karasek : résultats de l'enquête nationale SUMER.** Santé Publique. S.F.S.P. 3 (Vol. 18).

² Ki-DoEum · Jian Li · Hyung-JoonJhun · Jong-Tae Park · Sang-Woo Tak · Robert Karasek · Sung-Il Cho,(2007),**Psychometric properties of the Korean version of the job content questionnaire: data from health care workers.** Int ArchOccup Environ Health

³ Viviola Gómez Ortiz(٢٠١١),**Assessment of psychosocial stressorsatwork: psychometric properties of the JCQ in Colombianworkers.** RevistaLatinoamericana de PsicologíaVolumen 43 No 2 .

⁴ Azlihanis Abdul Hadi, NyiNyiNaing, Aziah Daud. RusliNordin,(2006)**Reliability AndConstructValidity Of The Malay Version Of The Job Content Questionnaire (Jcq) AmongSecondarySchoolTeachers In Kota Bharu, Kelantan, Malaysia.** Health Campus. UniversitiSains Malaysia, Vol37.no6.november.

مفاهيم الدراسة: تتحد مفاهيم الدراسة الحالية فيما يلي:

تعريف الإجهاد المهني: ذهب karasek إلى تعريف الإجهاد على أنه الإنهاك البدني و الذهني الناتج عن العبء النفسي للعمل مع ضيق أو انعدام الحرية في اتخاذ القرار وغياب أو تدني الدعم الاجتماعي.¹

تعريف الصدق إجرائيا: هي قيم معامل صدق التكوين الفرضي وقيم معامل التمييز و قيم التحليل العاملي لاستبيان محتوى العمل لروبار كرزاك).

تعريف الثبات إجرائيا: هي قيم معاملات ثبات ألفا لكرونباخ وقيم معامل التجزئة النصفية وإعادة التطبيق لاستبيان محتوى العمل لروبار كرزاك.

إجراءات الدراسة الميدانية:

تناولت الباحثة أهم الإجراءات التي تم إتباعها لتحقيق أهداف الدراسة. ولقد تمثلت هذه الإجراءات في اختيار منهج الدراسة الملائم، واختيار مجتمع وعينة الدراسة وأدواتها، وأهم الأساليب الإحصائية التي ستستخدم في استخراج نتائجها.

منهج الدراسة:

اعتمدت الباحثة في الدراسة الحالية على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يعد المنهج الملائم لطبيعة هذه الدراسة، و للأهداف التي تسعى إلى تحقيقها ويشمل هذا الجزء من الدراسة ما يلي:

مجتمع الدراسة:

تم تحديد مجتمع الدراسة الحالية ليكون جميع الأساتذة المرحلة الابتدائية و المقدر عددهم (٣٣٩) أستاذ.

عينة الدراسة:

استخدمت الباحثة ثلاث عينات، الأولى كان قوامها (٩) أساتذة من اجل تقدير معامل صدق الترجمة، والعينة الثانية كان حجمها (٣) أستاذ من اجل تقدير معامل الثبات الاستقرار عن طريق التطبيق و إعادة التطبيق أما عينة التقنين فقد كانت (٣٣) أستاذ ابتدائي كما يوضحه الجدول التالي:

جدول رقم (٠): توزيع عينة الدراسة وتوزيعها حسب الجنس

الترجمة	عينة إعادة التطبيق	عينة التقنين		
١	١٢	٤١	ذكر	حسب الجنس
٣	١٨	٩٢	أنثى	
٠.٤	٣٠	١٣٣	المجموع	

حدود الدراسة:

تم تنفيذ الدراسة وتطبيقها وحساب نتائجها وتفسيرها ضمن:

^١ خلاصي مراد، (٢٠١٤). الاحتراق النفسي لدى الاطارات وعلاقته بالمجهودات المهنية، اطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، قسم علم النفس، لوكيا الهاشي.

حدود زمانية : تتمثل بالعام ٢٠١٥ و حدود مكانية : مرتبطة بمكان تطبيق الدراسة ، وسحب عينته الأساسية وهي ولاية أم البواقي.

حدود بشرية: تتمثل في جميع أساتذة التعليم الابتدائي.

أدوات الدراسة:

-اشتملت مقاييس الدراسة الحالية على:

استبيان محتوى العمل JCQ، والذي أعده " روبر كرزاك " Robert Karazek وهو أداة الدراسة الأساسية التي تعمل الباحثة على تكييفها على البيئة الجزائرية.

وصف الاستبيان JCQ وطريقة التطبيق والتصحيح:

-وصف الاستبيان:

تتكون ورقة الإجابة لاستبيان من (٢) بند تمت صياغتها بالاتجاهين الموجب والسالب، ويتكون الاستبيان من أربعة أبعاد رئيسية وهي: حرية اتخاذ القرار، المتطلبات النفسية، الدعم الاجتماعي، وانعدام الأمن الوظيفي، بالإضافة إلى أن هناك أبعاد فرعية لبعده حرية اتخاذ القرار وهما: مهارة اتخاذ القرار، السلطة في اتخاذ القرار، أما بعد الدعم الاجتماعي فقد كانت أبعاده الفرعية كالآتي: دعم الزملاء و دعم المشرف، وكل بعد من هذه الأبعاد يحتوي على مجموعة من البنود موزعة كما في الجدول التالي:

جدول رقم (٠): يوضح توزيع بنود الاستبيان على الأبعاد الرئيسية و الأبعاد الجزئية

عدد البنود	الأبعاد	
٦	مهارة اتخاذ القرار	حرية اتخاذ
٣	سلطة في اتخاذ القرار	القرار
٥	متطلبات النفسية	
٤	دعم الزملاء	الدعم
٤	دعم الرؤساء	الاجتماعي
٣	انعدام الأمن الوظيفي	

التطبيق:

يمكن تطبيق استبيان محتوى العمل سواء في الموقف الفردي أم الجمعي، ويستغرق معظم المفحوصين في الإجابة عليه من عشر إلى خمس عشرة دقيقة، وقد وضعت تعليمات لاستبيان، وكانت مختصرة وبسيطة، وتحدد لمفحوص مباشرة المطلوب منه عند الإجابة، كما وضعت أربع بدائل عند للإجابة وعند الاستجابة لاستبيان JCQ، فإن المفحوصين يقومون بوضع علامة (x) في نسخة الورقية أمام البديل المناسب.

التصحيح:

يقابل كل بند من بنود الاستبيان أربع بدائل للإجابة على مقياس ليكرت وهي: "لا أوافق على الإطلاق"، "غير موافق"، "موافق"، "موافق وبشدة" إضافة البدائل الأخرى.

وقد روعي في صياغة ترجمة البدائل أن تكون متميزة المعنى لا أن تكون مربكة للمستجيب.

من أجل تحديد درجة البنود تعطى للبنود الأربع وعشرين الأولى و البند الأخير في الاستبيان درجة تتراوح بين (١ إلى ٤) وفي البند رقم ٢٩) تعطى له درجات بين (١٤٤٤) والبند رقم ٢٦) درجات تتراوح بين (١ إلى ٥) ، ويكون التصحيح وإعطاء الدرجات على استمارة مخصصة لهذا الغرض.

يتكون الاستبيان من أربعة أبعاد وهي: حرية اتخاذ القرار، المتطلبات النفسية، الدعم الاجتماعي، انعدام الأمن الوظيفي، وكل بعد له طريقة تصحيح مختلفة، ولكي تستخرج الدرجة الكلية للاستبيان، تجمع ببساطة درجات كل بعد وفق المعادلات التالية:

$$\text{- مهارة اتخاذ القرار} = [س١ + س٢ + س٣ + س٤ + س٥ + س٦ + س٧ + س٨ + س٩ + س١٠] \times ٢$$

$$\text{- سلطة في اتخاذ القرار} = [س١١ + س١٢ + س١٣ + س١٤] \times ٢$$

$$\text{حرية اتخاذ القرار} = \text{مهارة اتخاذ القرار} + \text{سلطة اتخاذ القرار}$$

$$\text{متطلبات العمل} = س١٥ + س١٦ + س١٧ + س١٨ + س١٩ + س٢٠ + س٢١ + س٢٢ + س٢٣ + س٢٤ + س٢٥ + س٢٦ + س٢٧ + س٢٨ + س٢٩ + س٣٠ + س٣١ + س٣٢ + س٣٣ + س٣٤ + س٣٥ + س٣٦ + س٣٧ + س٣٨ + س٣٩ + س٤٠ + س٤١ + س٤٢ + س٤٣ + س٤٤ + س٤٥ + س٤٦ + س٤٧ + س٤٨ + س٤٩ + س٥٠$$

$$\text{- دعم الزملاء} = س٥١ + س٥٢ + س٥٣ + س٥٤ + س٥٥ + س٥٦ + س٥٧ + س٥٨ + س٥٩ + س٦٠ + س٦١ + س٦٢ + س٦٣ + س٦٤ + س٦٥ + س٦٦ + س٦٧ + س٦٨ + س٦٩ + س٧٠ + س٧١ + س٧٢ + س٧٣ + س٧٤ + س٧٥ + س٧٦ + س٧٧ + س٧٨ + س٧٩ + س٨٠ + س٨١ + س٨٢ + س٨٣ + س٨٤ + س٨٥ + س٨٦ + س٨٧ + س٨٨ + س٨٩ + س٩٠ + س٩١ + س٩٢ + س٩٣ + س٩٤ + س٩٥ + س٩٦ + س٩٧ + س٩٨ + س٩٩ + س١٠٠$$

$$\text{- دعم المشرف} = س١٠١ + س١٠٢ + س١٠٣ + س١٠٤ + س١٠٥ + س١٠٦ + س١٠٧ + س١٠٨ + س١٠٩ + س١١٠ + س١١١ + س١١٢ + س١١٣ + س١١٤ + س١١٥ + س١١٦ + س١١٧ + س١١٨ + س١١٩ + س١٢٠ + س١٢١ + س١٢٢ + س١٢٣ + س١٢٤ + س١٢٥ + س١٢٦ + س١٢٧ + س١٢٨ + س١٢٩ + س١٣٠ + س١٣١ + س١٣٢ + س١٣٣ + س١٣٤ + س١٣٥ + س١٣٦ + س١٣٧ + س١٣٨ + س١٣٩ + س١٤٠ + س١٤١ + س١٤٢ + س١٤٣ + س١٤٤ + س١٤٥ + س١٤٦ + س١٤٧ + س١٤٨ + س١٤٩ + س١٥٠ + س١٥١ + س١٥٢ + س١٥٣ + س١٥٤ + س١٥٥ + س١٥٦ + س١٥٧ + س١٥٨ + س١٥٩ + س١٦٠ + س١٦١ + س١٦٢ + س١٦٣ + س١٦٤ + س١٦٥ + س١٦٦ + س١٦٧ + س١٦٨ + س١٦٩ + س١٧٠ + س١٧١ + س١٧٢ + س١٧٣ + س١٧٤ + س١٧٥ + س١٧٦ + س١٧٧ + س١٧٨ + س١٧٩ + س١٨٠ + س١٨١ + س١٨٢ + س١٨٣ + س١٨٤ + س١٨٥ + س١٨٦ + س١٨٧ + س١٨٨ + س١٨٩ + س١٩٠ + س١٩١ + س١٩٢ + س١٩٣ + س١٩٤ + س١٩٥ + س١٩٦ + س١٩٧ + س١٩٨ + س١٩٩ + س٢٠٠$$

$$\text{الدعم الاجتماعي} = \text{دعم الزملاء} + \text{دعم المشرف}$$

$$\text{- انعدام الأمن الوظيفي} = س٢٠١ + س٢٠٢ + س٢٠٣ + س٢٠٤ + س٢٠٥ + س٢٠٦ + س٢٠٧ + س٢٠٨ + س٢٠٩ + س٢١٠ + س٢١١ + س٢١٢ + س٢١٣ + س٢١٤ + س٢١٥ + س٢١٦ + س٢١٧ + س٢١٨ + س٢١٩ + س٢٢٠ + س٢٢١ + س٢٢٢ + س٢٢٣ + س٢٢٤ + س٢٢٥ + س٢٢٦ + س٢٢٧ + س٢٢٨ + س٢٢٩ + س٢٣٠ + س٢٣١ + س٢٣٢ + س٢٣٣ + س٢٣٤ + س٢٣٥ + س٢٣٦ + س٢٣٧ + س٢٣٨ + س٢٣٩ + س٢٤٠ + س٢٤١ + س٢٤٢ + س٢٤٣ + س٢٤٤ + س٢٤٥ + س٢٤٦ + س٢٤٧ + س٢٤٨ + س٢٤٩ + س٢٥٠ + س٢٥١ + س٢٥٢ + س٢٥٣ + س٢٥٤ + س٢٥٥ + س٢٥٦ + س٢٥٧ + س٢٥٨ + س٢٥٩ + س٢٦٠ + س٢٦١ + س٢٦٢ + س٢٦٣ + س٢٦٤ + س٢٦٥ + س٢٦٦ + س٢٦٧ + س٢٦٨ + س٢٦٩ + س٢٧٠ + س٢٧١ + س٢٧٢ + س٢٧٣ + س٢٧٤ + س٢٧٥ + س٢٧٦ + س٢٧٧ + س٢٧٨ + س٢٧٩ + س٢٨٠ + س٢٨١ + س٢٨٢ + س٢٨٣ + س٢٨٤ + س٢٨٥ + س٢٨٦ + س٢٨٧ + س٢٨٨ + س٢٨٩ + س٢٩٠ + س٢٩١ + س٢٩٢ + س٢٩٣ + س٢٩٤ + س٢٩٥ + س٢٩٦ + س٢٩٧ + س٢٩٨ + س٢٩٩ + س٣٠٠$$

أساليب التحليل الإحصائي:

تم استخدام الأساليب الإحصائية الوصفية و التحليلية مثل:

- المتوسطات والانحرافات المعيارية، الربيعان الأعلى والأدنى، اختبار(ت)، معامل ارتباط بيرسون، الدرجات التائية، التحليل العاملي، الالتواء، واستخدام معادلة ألفا لكرونباخ، وذلك بمساعدة برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS، ٢٠٠٠).

إجراءات الدراسة :

الحصول على الاستبيان:

تم الحصول على الإذن من الناشر (jqcenter.org) باستخدام استبيان محتوى العمل JCQ. وترجمة الاستبيان و التعليمات و التصحيح بهدف استخدامه في هذه الدراسة.

إعداد الصيغة العربية لاستبيان استبيان المحتوى العمل JCQ:

لإعداد الاستبيان للتطبيق في البيئة الجزائرية ، تم إجراء ما يلي:

أولاً: ترجمة بنود استبيان محتوى العمل وصدق ترجمته"

لقد تحقق صدق الترجمة للاستبيان على النحو التالي:

➤ قامت الباحثة بترجمة أولية لبنود الاستبيان إلى اللغة العربية.

➤ قام مترجمان متخصصان في اللغة الانجليزية بترجمة بنود الاستبيان إلى اللغة العربية .

➤ تم توحيد الترجمات الثلاث في نسخة موحدة وعرضها على مترجم متخصص في المجال من اجل إبداء الرأي بصدد مدى مطابقتها للأصل الأجنبي.

➤ ثم إعطاء النسخة المترجمة إلى احد المترجمين ممن لم يسبق له الاطلاع على النص الأصلي لغرض إعادة ترجمتها إلى اللغة الانجليزية مرة أخرى.

➤ تمت المقارنة بين النص الأصلي و الترجمة الانجليزية الجديدة، وقد تبين من خلال هذه المقارنة أن الصياغة التعبيرية لأغلب البنود كانت متشابهة.

➤ ثم توزيع النسختين العربية و الانجليزية الأصلية على عينة قوامها (04)أساتذة الذين يجيدون اللغتين وتم حساب معامل الارتباط بين النسختين.

صدق الترجمة:

جدول رقم (٣٠): يوضح معاملات الارتباط بين الأبعاد و الدرجة الكلية للاستبيان في النسختين العربية و الانجليزية

معامل الارتباط	الأبعاد
.٠٩٣	اتخاذ القرار
	Job Decision Latitude
.٠٩١	متطلبات النفسية
	Job Demande
.٠٩٢	دعم الاجتماعي
	Social Support
.٠٧	انعدام الأمن
	Job Insecurity
.٠٩٨	الدرجة الكلية
	Total Score

التعليق:

من الجدول يتضح معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية للاستبيان في نسخته الانجليزية و المعربة كان ارتباطاً (٠.٩) وهذا ارتباط عالي ، أما بخصوص الأبعاد فقد تراوحت معاملات ارتباط أبعاد الاستبيان بنسخته العربية و الانجليزية بين (٠.٩٢-). وهي الأخرى معاملات مرتفعة.

عرض نتائج الدراسة:

تحديد اعتدالية التوزيع:

بعد تصحيح استجابات أفراد عينة الدراسة البالغ عددها (١٣) أستاذًا تم حساب المتوسط الحسابي، الوسيط و المنوال و التباين لدرجاتهم على الاستبيان و الجدول رقم (٠٦) يوضح ذلك.

جدول رقم (٠٦): يوضح المتوسط الحسابي، الوسيط و المنوال و الانحراف المعياري

الأفراد	المتوسط الحسابي	الوسيط	المنوال	الانحراف المعياري
١٣٣	١٠.٨.٩٣	١٠.٩	١١٥	١٢.٦٤

التعليق:

يلاحظ من الجدول رقم (٠٦) أن قيم المتوسط الحسابي، و الوسيط، و المنوال متقاربة إلى درجة كبيرة، مما يشير إلى أن درجات أفراد عينة التقنين على استبيان محتوى العمل قريبة جدا من التوزيع الطبيعي.

مؤشرات الصدق لاستبيان JCQ

صدق التكوين الفرضي:

وقد تم تحديد مؤشر الصدق الفرضي للاستبيان عن طريق حساب معاملات الارتباط بين كل بند و البعد الذي ينتهي إليه وذلك بالنسبة لجميع أفراد العينة والجدول التالية توضح معاملات الارتباط بين درجة البند و البعد الذي ينتهي إليه، ويستخدم هذا الإحصائي لعزل أنواع معينة من البنود أو حذفها.

بعد حرية اتخاذ القرار:

جدول رقم (٠٩): يوضح مصفوفة الارتباط ودلالات معامل الارتباط بين البنود و الدرجة الكلية لبعده حرية اتخاذ القرار

البنود	1	3	4	5	6	7	8	9	مهارة اتخاذ القرار	سلطة اتخاذ القرار	بعد حرية اتخاذ القرار
1	1	,340**	,224**	0,118	-0,115	-0,021	,425**	0,03	,352**	,284**	,345**
3	,340**	1	,184*	,465**	-0,006	0,057	,247**	0,12	,585**	,222*	,361**
4	,224**	,184*	1	,267**	,314**	0,119	0,122	0,05	,229**	,746**	,700**
5	,465**	,267**	1	1	,384**	,298**	-0,038	,338**	,708**	,305**	,468**

,651**	,640**	,365**	,378**	-0,007	0,157	1	,384**	,314**	-0,006	-0,115	6
,338**	,218*	,518**	,271**	0,156	1	0,157	,298**	0,119	0,057	-0,021	7
,541**	,578**	,171*	-0,004	1	0,156	-0,007	-0,038	0,122	,247**	,425**	8
,370**	,202*	,671**	1	-0,004	,271**	,378**	,338**	0,046	0,122	0,034	9
,621**	,384**	1	,671**	,171*	,518**	,365**	,708**	,229**	,585**	,352**	مهارة اتخاذ القرار
,962**	1	,384**	,202*	,578**	,218*	,640**	,305**	,746**	,222*	,284**	سلطة اتخاذ القرار
1	,962**	,621**	,370**	,541**	,338**	,651**	,468**	,700**	,361**	,345**	بعد حرية اتخاذ القرار

**الارتباط دال عند مستوى ٠.٠١

التعليق:

يتضح من البيانات في الجدول رقم (٠٩) إلى أن جميع معاملات الارتباط بين بنود الاستبيان (١، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩) و الأبعاد الفرعية تراوحت بين (٠.٧٤٦.٢) وهي دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (٠.٠١) أما بين البنود و البعد الرئيسي فقد تراوحت بين (٠.٧٠٣.٣) وهي الأخرى دالة عند مستوى الدلالة (٠.٠١) أما بخصوص الارتباط بين البعد الرئيسي (حرية اتخاذ القرار) و أبعاده الفرعية (مهارة اتخاذ القرار، سلطة في اتخاذ القرار) فقد تراوح معاملاته بين (٠.٩٦٢.٦) وهي معاملات موجبة وقوية، وهذا يعني أن بعد اتخاذ القرار بجميع بنوده وأبعاده الفرعية يتمتع بدلالات من صدق الاتساق الداخلي، ويمكن الوثوق به في الكشف عن مستويات الإجهاد المهني.

المتطلبات النفسية:

جدول رقم (٠): يوضح مصفوفة الارتباط ودلالات معامل الارتباط بين البنود و الدرجة الكلية لبعد المتطلبات النفسية

البنود	10	11	13	14	15	المتطلبات النفسية
10	1	-0,161	-,286**	,209*.-	,268**.-	,606**
11	-0,161	1	,190*.-	,331**.-	0,078	,392**
13	,286**.-	,190*.-	1	,406**	0,128	,666**.-
14	,209*.-	,331**.-	,406**	1	,385**	,736**.-
15	,268**.-	0,078	0,128	,385**	1	,575**.-

1	-,575**	-,736**	-,666**	-,392**	-,606**	المتطلبات النفسية
---	---------	---------	---------	---------	---------	-------------------

**الارتباط دال عند مستوى ٠.٠٥

التعليق:

يتضح من البيانات في الجدول رقم (٠٧) إلى أن جميع معاملات الارتباط بين بنود الاستبيان (١،١) و بعد المتطلبات النفسية تراوحت بين (٠.٦٠٣-٠.٣٩٦) موجبة. أما البنود (١٥،١٤،١٣) فقد تراوحت بين (٠.٧٣٦-٠.٥٧٠) سالبة وهي جميعها دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (٠.٠٥)، وهذا يعني أن بعد المتطلبات النفسية بجميع بنوده يتمتع بدلالات من صدق الاتساق الداخلي، ويمكن الوثوق به في الكشف عن مستويات الإجهاد.

الدعم الاجتماعي:

جدول رقم (٠٨): يوضح مصفوفة الارتباط ودلالات معامل الارتباط بين البنود و الدرجة الكلية لبعء الدعم الاجتماعي

البنود	17	18	19	20	21	22	23	24	دعم الزملاء	دعم الرؤساء	الدعم الاجتماعي
17	1	,672**	,572**	,465**	,246**	,284**	,403**	,387**	,781**	,385**	,641**
18	,672**	1	,829**	,640**	,380**	,320**	,517**	,514**	,914**	,505**	,785**
19	,572**	,829**	1	,607**	,424**	,333**	,552**	,420**	,884**	,504**	,768**
20	,465**	,640**	,607**	1	,343**	,221**	,558**	,335**	,819**	,427**	,687**
21	,246**	,380**	,424**	,343**	1	,714**	,631**	,594**	,412**	,848**	,743**
22	,284**	,320**	,333**	,221**	,714**	1	,642**	,679**	,338**	,872**	,721**
23	,403**	,517**	,552**	,558**	,631**	,642**	1	,712**	,603**	,870**	,855**
24	,387**	,514**	,420**	,335**	,594**	,679**	,712**	1	,482**	,866**	,790**
دعم الزملاء	,781**	,914**	,884**	,819**	,412**	,338**	,603**	,482**	1	,536**	,848**
دعم الرؤساء	,385**	,505**	,504**	,427**	,848**	,872**	,870**	,866**	,536**	1	,902**
الدعم الاجتماعي	,641**	,785**	,768**	,687**	,743**	,721**	,855**	,790**	,848**	,902**	1

**الارتباط دال عند مستوى ٠.٠٥

التعليق:

يتضح من البيانات في الجدول رقم (٠٩) إلى أن جميع معاملات الارتباط بين بنود الاستبيان (١،١٨،١٩،٢٠،٢١،٢٢،٢٣، ٢٤) و الأبعاد الفرعية تراوحت بين (٠.٩١٤-٠.٣٣٣) وهي دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (٠.٠٥) أما بين البنود و البعد الرئيسي فقد تراوحت بين (٠.٨٥٥-٠.٦٤٦) وهي الأخرى دالة عند مستوى الدلالة (٠.٠٥) أما بخصوص الارتباط بين البعد

الرئيسي (الدعم الاجتماعي) و أبعاده الفرعية (دعم الزملاء، دعم الرؤساء) فقد تراوح معاملاه بين (٠.٩٠٢.٨) وهي معاملات موجبة وقوية، وهذا يعني أن بعد الدعم الاجتماعي بجميع بنوده وأبعاده الفرعية يتمتع بدلالات من صدق الاتساق الداخلي، ويمكن الوثوق به في الكشف عن مستويات الإجهاد.

انعدام الأمن الوظيفي:

جدول رقم (٠): يوضح مصفوفة الارتباط ودلالات معامل الارتباط بين البنود و الدرجة الكلية لبعده انعدام الأمن الوظيفي.

انعدام الأمن	27	25	16	البنود
	,672 **	,296 **	,387 **	1
	,917 **	,579 **	1	,387 **
	,721 **	1	,579 **	,296 **
انعدام الأمن	,721 **	,917 **	,672 **	

**الارتباط دال عند مستوى ٠.

التعليق:

يتضح من البيانات في الجدول رقم (٠) إلى أن جميع معاملات الارتباط بين بنود الاستبيان (٢٧،٢٩) و بعد انعدام الأمن الوظيفي تراوحت بين (٠.٩) قوية موجبة. أما البند (١) فقد كان (٠.٦٧-) قويا سالبا وهي جميعها دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (٠.٠٥)، وهذا يعني أن بعد انعدام الأمن الوظيفي بجميع بنوده يتمتع بدلالات من صدق الاتساق الداخلي، ويمكن الوثوق به في الكشف عن مستويات الإجهاد المهني.

كما تم حساب معاملات الارتباط بين الأبعاد الأربعة المكونة للاستبيان (اتخاذ القرار، المتطلبات النفسية، الدعم الاجتماعي، وانعدام الأمن الوظيفي) فيما بينها ثم حساب معاملات الارتباط بين أبعاد الاستبيان و الدرجة الكلية له والجدول التالي يبين ذلك:

جدول رقم (٠): يوضح المصفوفة الارتباط ودلالات معامل الارتباط بين الأبعاد الفرعية و الرئيسية و الدرجة الكلية للاستبيان

الدرجة الكلية	انعدام الأمن	د/الاجتماعي	د/الرؤساء	د/الزملاء	المتطلبات	حرية اتخاذ القرار	سلطة	مهارة ا-ق	الأبعاد
,486 **	-,204 *	,076	,139	-,022	,066	,621 **	,384 **	1	مهارة ا-ق
,840 **	-,047	,364 **	,403 **	,218 *	-,057	,962 **	1	,384 **	سلطة
,857 **	-,100	,332 **	,383 **	,178 *	-,029	1	,962 **	,621 **	حرية اتخاذ القرار
,340 **	,383 **	-,480 **	-,360 **	-,497 **	1	-,029	-,057	,066	المتطلبات

,167**	-,415**	,848**	,536**	1	-,497**	,178*	,218*	-,022	د/الزملاء
,445**	-,257**	,902**	1	,536**	-,360**	,383**	,403**	,139	د/الرؤساء
,364**	-,374**	1	,902**	,848**	-,480**	,332**	,364**	,076	د/الاجتماعي
,167**	1	-,374**	-,257**	-,415**	,383**	-,100	-,047	-,204*	انعدام الأمن
1	,167**	,364**	,445**	,167**	,340**	,857**	,840**	,486**	الدرجة الكلية

**الارتباط دال عند مستوى ٠.٠١

التعليق:

يتضح من البيانات في الجدول رقم (٠) أن جميع قيم معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية للاستبيان و بين أبعاده الفرعية و الرئيسية قد كانت دالة إحصائياً فقد بلغ معامل الارتباط مع بعد اتخاذ القرار (٠.٨٩) ومع المتطلبات (٠.٣) ومع الدعم الاجتماعي (٠.٣) أما انعدام الأمن الوظيفي (٠.١) وجميع القيم دالة عند مستوى (٠.٠١).

أما بخصوص ارتباط الأبعاد فيما بينها فقد كانت غير دالة بين بعدي حرية اتخاذ القرار والمتطلبات النفسية (٠.٠٢) بين بعدي حرية اتخاذ القرار وانعدام الأمن الوظيفي (٠.١) ، ودالة مع بعد الدعم الاجتماعي على الرغم من انه منخفض (٠.٣٦) ، وبعد المتطلبات مع بعدي الدعم الاجتماعي (٠.٥) ومع انعدام الأمن الوظيفي (٠.٣) وأخيراً بعد انعدام الأمن مع الدعم فقد قدر بـ (٠.٣) ، ويلاحظ أن قيمة بعض معاملات الارتباط سالبة وهذا يعني إذا وجد بعد يعني انخفاض في درجات البعد الأخر. وهذا ما يؤكد الفرضية القائلة بالاستقلالية النسبية بين البنود .

الصدق العاملي:

قامت الدراسة الحالية بدراسة البناء العاملي لاستبيان محتوى العمل JCQ على عينة من الأساتذة، تم إجراء التحليل العاملي وقد استخدمت طريقة المكونات الرئيسية مع تدوير المحاور بطريقة الفاريمكس Varimax، باستخدام حزمة البرامج الإحصائية للعلوم الاجتماعية، و الاعتماد على محك كاييز Kaiser Normalization الذي وضعه جوتمان Guttman، وفي ضوء هذا المحك يقبل العامل الذي يساوي أو يزيد جذره الكامن عن الواحد الصحيح، وكذلك يتم قبول العوامل التي تشبع بها ثلاثة بنود على الأقل بحيث لا يقل تشبع البند بالعامل عن (٠.٥).

وقد قامت الباحثة بالتأكد من اعتدالية التوزيع درجات الأفراد على بنود الاستبيان، وذلك بفحص معامل التواء كل منها، وقد تراوحت معاملات الالتواء بين (٠.١) و (١.٧) وهي اقل من (١.٩)، أي أنها غير دالة إحصائياً مما يعني أنها غير ملتوية، وأنها تتوزع توزيعاً طبيعياً.

وقد تم إجراء التحليل العاملي لـ (٢) بند يمثلون عبارات الاستبيان، وقد بلغت عينة التحليل (133) فرداً، وأسفرت نتائج التحليل العاملي لبنود الاستبيان عن وجود (08) عامل جذرها الكامن أكبر من واحد.

جدول رقم (٢): يوضح المصفوفة العاملية لمجموعة المفحوصين (N=133) من الأساتذة على استبيان محتوى العمل بعد التدوير بالفاريمكس

البنود	العوامل							
	1	2	3	4	5	6	7	8
1				791.				
2				325.	812.	421.		
3						595.		
4	426.					569.		
5							729.	
6	353.						484.	520.
7								770.
8				735.				368.
9						424.	406.	323.
10		424.						538.
11				666.			327.	
12					430.	535.		
13					391.	566.		
14			414.			414.	598.	
15							747.	
16			497.				626.	
17		769.						
18		847.						
19		769.						
20		729.						
21	838.							
22	810.							
23	757.	409.						
24	779.							
25		352.	708.					
26				875.				
27			728.					
الجذر اللظمن	٢.٨٤	٣.٣٧	١.٦٢	١.٩٣	١.٧٦	٣.٠١	١.٦٨	١.٣٩
نسبة التباين	٤٧.٤٠	٤٨.١٧	٣٢.٥٢	٤٨.٢٨	٤٤.٠٦	٣٣.٥٤	٤٢.٠٣	٢٧.٨٤

التعليق:

يظهر من قراءة الجدول أن البنود السبعة والعشرين التي يتألف منها الاستبيان ، قد توزعت إلى مجموعات مختلفة تشبع كل منها بعامل معين، وان بعض هذه البنود يتشبع بأكثر من عامل واحد، وباعتماد درجة التشبع الأعلى للبنود واستبعاد الدرجة الأدنى في حالة التشبع البنود بأكثر من عامل .

حيث بلغ الجذر الكامن للعامل الأول (٢.٨)، ويفسر (٤٧.٤%) من التباين الكلي، وهي نسبة مرتفعة تؤثر على مدى مساهمة هذا العامل في الاستبيان، وقد تشبع على هذا العامل أربعة بنود مرتبة حسب حجم تشبعها كما يلي: البنود (٢) بمعامل (٠.٨٣) والبنود (٢) بمعامل (٠.٨)، والبنود (٢) بمعامل (٠.٧٧) والبنود (٢) بمعامل (٠.٧٩) ، ويلاحظ من ذلك أن التشبعات الدالة على هذا العامل عالية موجبة حيث تراوحت بين (٠.٧٩ و٠.٨١).

أما العامل الثاني فقد كان جذره الكامن (٣.٣) ويفسر (٤٨.٠%) من التباين الكلي ، وهي الأخرى نسبة مرتفعة وبالتالي فهي تؤثر في مدى مساهمة هذا العامل في الاستبيان، وقد تشبعت عليه أربعة بنود وهي مرتبة حسب حجم تشبعها كما يلي: البنود (١) بمعامل (٠.٨٤) ، و البنود (١) بمعامل (٠.٧٦)، و البنود (١) بمعامل (٠.٧٦) ، و البنود (٢) بمعامل (٠.٧٢) ، ويلاحظ من ذلك أن التشبعات الدالة على هذا العامل عالية موجبة حيث تراوحت بين (٠.٧٢ و٠.٨٤).

وفيما يتعلق بالعامل الثالث فقد كان جذره الكامن (١.٦)، ويفسر (٣٢.٥%) من التباين الكلي، وقد تشبع على هذا العامل ثلاثة بنود مرتبة حسب حجم تشبعها كما يلي: البنود (٢) بمعامل (٠.٧٢) والبنود (٢) بمعامل (٠.٧) ، والبنود (٩) بمعامل (٠.٤٢) ، ويلاحظ من ذلك أن التشبعات الدالة على هذا العامل موجبة حيث تراوحت بين (٠.٤٢ و٠.٧٢).

وقدر الجذر الكامن للعامل الرابع (١.٩) ويفسر (٤٨.٢%) من التباين الكلي ، وقد تشبعت عليه ثلاثة بنود وهي مرتبة حسب حجم تشبعها كما يلي: البنود (١) بمعامل (٠.٧٩) ، و البنود (٨) بمعامل (٠.٧٣) ، و البنود (١) بمعامل (٠.٦٦) ، ويلاحظ من ذلك أن التشبعات الدالة على هذا العامل موجبة حيث تراوحت بين (٠.٦٦ و٠.٧٩).

و العامل الخامس كان جذره الكامن (١.٧)، ويفسر (٤٤.٠%) من التباين الكلي، تشبع عليه عاملين وتشبع عليه بنودين (٢) لذا سوف يتم استبعاد هذا العامل لأنه لم يتشبع عليه ثلاث بنود على الأقل طبقا لمحك كايزر kaiser وسوف يتم حذف العبارة (٢) لأنها لم يتشبع على أي من الأبعاد الأخرى.

العامل السادس فقد قدر جذره الكامن (٣.٠)، ويفسر (٣٣.٩%) من التباين الكلي، وتشبع عليه ستة عوامل وهي : البنود (١) بمعامل (٠.٦٢) ، و البنود (٣) بمعامل (٠.٥٩) ، البنود (٥) بمعامل (٠.٥٦) ، البنود (١) بمعامل (٠.٥٦) ، البنود (١) بمعامل (٠.٥٣) ، البنود (٢) بمعامل (٠.٤٢) ، ويلاحظ من ذلك أن التشبعات الدالة على هذا العامل موجبة حيث تراوحت بين (٠.٤٢ و٠.٥٦).

أما البعد السابع فكان جذره الكامن (١.٦)، ويفسر (٤٢.٠%) من التباين الكلي، وهذا العامل تشبعت عليه ثلاثة بنود وهي مرتبة حسب حجم تشبعها كما يلي: و البنود (١) بمعامل (٠.٧٤) ، و البنود (٩) بمعامل (٠.٧٢) ، و البنود (١) بمعامل (٠.٥٩) ، ويلاحظ من ذلك أن التشبعات الدالة على هذا العامل موجبة حيث تراوحت بين (٠.٥٩ و٠.٧٤).

وأخيرا بلغ الجذر الكامن للعامل الثامن (١.٣٩)، ويفسر (٢٧.٤%) من التباين الكلي، وهذا العامل تشبعت عليه ثلاثة بنود وهي مرتبة حسب حجم تشبعها كما يلي: و البند (٧) بمعامل (٠.٧٧)، و البند (١) بمعامل (٠.٥٣)، و البند (٦) بمعامل (٠.٥٢)، ويلاحظ من ذلك أن التشبعت الدالة على هذا العامل موجبة حيث تراوحت بين (٠.٧١) و (٠.٥٩).
دليل التمييز (صدق المقارنات الطرفية):

قامت الباحثة بتحديد المجموعتين الطرفيتين (الربيع الأعلى والأدنى) من العينة (١٣) فكان (٣) فرد لكل مجموعة ومن ثم أجرى اختبار (ت) للفرق بين متوسطيهما فكان كما يلي:

جدول رقم (١): بوضوح صدق المقارنات الطرفية لاستبيان

مستوى الدلالة	قيمة ت المحسوبة	المتوسط الحسابي	المجموعة الطرفية	
0.04	-١٢.٩٠	92,8333	الدرجة العليا	الدرجة
		123,8056	الدرجة الدنيا	

التعليق :

ويلاحظ من الجدول (١) أن الاستبيان محتوى العمل له قدرة تمييزية عالية بين المجموعتين الطرفيتين في درجات الاستبيان مؤشرات الثبات لاستبيان JCQ:

تم إجراء عدد من التحليلات الإحصائية لاستخراج دلالات الثبات، وذلك من اجل الإجابة على التساؤلات، لقد تم حساب ثبات الاستبيان بعدة طرق، حيث تم حساب عن طريق:

١ ثبات الاستقرار بطريقة التطبيق وإعادة التطبيق:

قامت الباحثة بتطبيق الاستبيان على عينة من (٣) مفحوصا تم اختيارهم من العينة الكلية التي طبق عليها الاستبيان، ثم أعادت تطبيقه عليهم بعد أربعة أسابيع، فكانت معاملات الثبات كما في الجدول رقم (١)

جدول رقم (١) يوضح: معامل الثبات بطريقة الإعادة $N \pm 3$

معامل الارتباط	الأبعاد
0.719	حرية اتخاذ القرار
0.738	متطلبات النفسية
٠.٨٨٤	دعم الاجتماعي
61٠.٨	انعدام الأمن
3٠.٦٨	الدرجة الكلية

من الجدول رقم (١): نلاحظ أن معاملات الثبات تراوحت بين (٠.٨٨٤.٦) وهي معاملات مرتفعة طريقة التجزئة النصفية:

حيث اعتمدت هذه الطريقة على تقسيم كالاتبيان إلى جزئيين تالف الأول من البنود التي تأخذ الأرقام الفردية وهي (١، ٣، ٥، ٧، ٩)، والثاني البنود التي تأخذ الأرقام من (٢، ٤، ٦، ٨) ثم حساب معامل الارتباط..

جدول رقم (١): معاملات التجزئة النصفية

٠.٥٣٢	القيمة	الجزء الأول	معامل ألفا لكرونباخ
14	عدد البنود		
٠.٤٦٥	القيمة	الجزء الثاني	
13	عدد البنود		
٠.٦٩٩	معامل سيرمان التصحيحي		
٠.٦٩٢	معامل Guttman		

a: البنود الفردية.

b: البنود الزوجية.

تم حساب معامل الارتباط بين درجتي الجزء الأول و درجات الجزء الثاني لكل الاستبيان وتصحيحه باستخدام معادلة سيرمان-براون ، وقد بلغ معامل الثبات (٠.٦٩) ، وهذا مؤشرا أوليا لثبات الاستبيان مدار الدراسة من خلال إظهار التجانس بين الجزئين.

١ طريقة معامل ألفا:

تم حساب معامل ألفا للاستبيان فوجد أن المعامل ٠.٥٥

ثم حساب معامل ألفا لكرونباخ لأبعاد الاستبيان كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم (١): معاملات ألفا لكرونباخ لأبعاد الاستبيان

معامل ألفا لكرونباخ	الأبعاد	معامل ألفا لكرونباخ	الأبعاد
0,77	دعم الزملاء	0,756	مهارة اتخاذ القرار
0,751	دعم الرؤساء	0,669	سلطة اتخاذ القرار
0,755	الدعم الاجتماعي	0,658	بعد حرية اتخاذ القرار
0,785	انعدام الأمن	0,802	المتطلبات النفسية

التعليق:

يكشف الجدول رقم (١) عن أن الحد الأدنى لمعاملات الثبات بمعامل ألفا كرونباخ (٠.٦٩) كان من نصيب بعد اتخاذ القرار ، أما الحد الأعلى فقد بلغ (٠.٨) وكان من نصيب المتطلبات النفسية.

وبصفة عامة يلاحظ أن معاملات الثبات الاستبيان كانت عالية هذا ما يحقق موثوقية في ثبات نتائجه عند تطبيقه لتشخيص مستويات الإجهاد.

مناقشة النتائج وتفسيرها:

هدفت الدراسة الحالية إلى : تقنين استبيان محتوى العمل JCQ للتحقق من مدى فعالية بنوده من ناحية، و التحقق من خصائصه السيكمومترية من ناحية أخرى،.

وفيما يلي مناقشة نتائج تحليل بنود الاستبيان، وخصائصه السيكمومترية:

صدق الاستبيان:

أكدت نتائج الدراسة تمتع الاستبيان بدلالات صدق كافية، وفيما يلي عرض موجز لنتائج دلالات الصدق ومناقشتها:

صدق التكوين الفرضي:

دلت نتائج الدراسة عن وجود ارتباط دال إحصائيا عند مستوى الدلالة (٠.٠٥) بين كل بند من بنود الاستبيان و البعد الذي ينتمي إليه، وعند مستوى دلالة (٠.٠٥) بين كل بعد و الاستبيان الكلي. وهذا يدل على تمتع أبعاد الاستبيان و بنوده بدرجة معتبرة من التجانس، وهو مؤشر على أنها تقسي شيئا واحدا.

صدق العاملي:

أكدت نتائج التحليل العاملي على وجود سبعة عوامل.

الصدق التمييزي:

أكدت نتائج المقارنة الطرفية على وجود تمييز واضح بين فئتي وهذا في طالح الفئة السفلى، وهذا يدل على قدرة الاستبيان على التمييز بين مستويات الإجهاد، وهو دليل على أن الإجهاد المهني تزداد وتنقص حدته بزيادة أو نقصان المجهودات المهنية. من خلال النتائج السابقة يتضح تمتع استبيا بدرجة مقبولة من الصدق، مما يجعل منه أداة صالحة وقادرة على دراسة مستويات الإجهاد المهني.

ثبات الاستبيان:

أكدت نتائج الدراسة على تمتع الاستبيان بدلالات ثبات كافية، وفيما يلي عرض موجز لنتائج كل دلالة من دلالات الثبات، ومناقشتها:

معامل ثبات الاستقرار:

بلغت قيمة معامل الثبات المتحصل عليها بطريقة إعادة التطبيق^(١٠.٦) وهي قيمة عالية، وتدلل على استقرار الاستبيان، وعدم تأثره بالعوامل الخارجية.

معامل ألفا كرونباخ:

تم حساب معامل ألفا لكرونباخ حيث كانت قيمته^(٠.٥٩).

معامل ثبات التجزئة النصفية:

بلغت قيمة معامل الثبات المتحصل عليها باستخدام معادلة (جتمان)^(٠.٦)، بمعادلة سبيرمان-براون التصحيحية^(٠.٩٣)، وهي قيم عالية تدل على ثبات الاستبيان.

من خلال النتائج السابقة، يتضح تمتع استبيان بدرجة عالية من الثبات، تجعل منه أداة صالحة، وقادرة على دراسة مستويات الإجهاد المهني الأربعة.

مناقشة النتائج:

لقد أسفرت إجراءات الدراسة الحالية عن إعداد نسخة من استبيان محتوى العمل JCQ، تصلح للتطبيق في البيئة الجزائرية، وأشارت الدراسة والتطبيق الأساس لاستبيان من استبيان محتوى العمل JCQ، التي تضمنتها إجراءات الدراسة الحالية أن استبيان محتوى العمل JCQ، يتمتع بمؤشرات مقبولة للصدق والثبات.

وقد تمخضت إجراءات الدراسة الحالية عن مجموعة من التوصيات والمقترحات، هي:

التوصيات:

توصي نتائج الدراسة الحالية بما يلي:

- التوصية إلى مراكز البحوث النفسية، المرصد النفسية بضرورة إدراج الدراسة الحالية ضمن قائمة الاختبارات والمقاييس النفسية المعتمدة لديها.

- اعتماد استبيان محتوى العمل JCQ، كأداة من أجل تحديد أهم مصادر الإجهاد.

المقترحات:

تقترح نتائج البحث الحالي ما يأتي:

- إجراء دراسات لاستبيان محتوى العمل JCQ، على عينات جديدة مثل الأطباء و العمال في المؤسسات الاقتصادية من البيئة العربية لانعدام مثل هذه الدراسات.

- تكييف لاستبيان محتوى العمل النسخة^(٩.٤) بند كونها آخر إصدارات المركز.

- إجراء دراسات لاستبيان محتوى العمل JCQ، على مناطق أخرى.

قائمة المراجع:

١. أحمد عيد مطيع الشخانية، (٢٠١٠)، التكيف مع الضغوط النفسية، الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع، ط١.
٢. بن زروال فتيحة، الإجهاد على مستوى المنظمة المصادر والتأثيرات و استراتيجيات المواجهة، دراسات نفسية و تربوية عدد٤، جوان ٢٠١١، جامعة قسنطينة.
٣. حمدي ياسين وآخرون، (١٩٩٩)، علم النفس الصناعي و التنظيم بين النظرية و التطبيق، دار الكتاب الحديث و التوزيع، ط١.
٤. خضير كاضم حمو الفريجات، موسى سلامة اللوزي، إنعام الشهابي، (٢٠٠٩)، السلوك التنظيمي مفاهيم معاصرة، الأردن: إثراء للنشر و التوزيع، ط١.
٥. خلاصي مراد، (٢٠١٠)، الاحتراق النفسي لدى الإطارات وعلاقته بالمجهودات المهنية، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، قسم علم النفس، لوكيا الهاشي.
٦. عبد الرحمان بن احمد بن محمد هيجان، (١٩٩٩)، ضغوط العمل منهج شامل لدراسة مصادرها ونتائجها وكيفية إدارتها، السعودية: معهد الإدارة العامة - مركز البحوث، ط١.
٧. عبد الرحمن بن سليمان بن سعود الطريفي، (١٩٩٩)، القياس النفسي و التربوي نظريته، أسسه تطبيقاته، لعربية السعودية: مكتبة الرشيد للنشر و التوزيع، ط١.
٨. عبد الفتاح خليفات و عماد الزغلول، (٢٠٠٩)، مصادر الضغوط النفسية لدى معلمي مديرية التربية.
٩. فاروق السيد عثمان، (٢٠٠٩)، القلق و إدارة الضغوط النفسية، القاهرة: دار الفكر العربي، ط١.
- محافظة الكرك وعلاقتها ببعض المتغيرات، مجلة العلوم التربوية العدد الثالث، ينير، كلية التربية.
١٠. محمد حمزة أمير خان، (١٤١٤)، تقنين اختبار تورنس للتفكير الإبداعي النسخة المصور (١) على المنطقة الغربية للمملكة السعودية، مجلة جامعة أم القرى، السنة الثالثة، العدد الرابع.
١١. مسعودي رضا، مؤشرات الضغط النفسي لدى المعلمين، دراسة مقارنة بين المعلمين في الجزائر ودي، جزايرس. يوم ٢٧-١٠-٢٠١١.
١٢. نايف تويم، (٢٠٠٩)، مستويات ضغوط العمل وسبل مواجهتها في الأجهزة الأمنية في الرياض، دراسة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، قسم العلوم الإدارية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٣. يوسف عبد الفتاح محمدا، (١٩٩٩)، الضغوط النفسية لدى المعلمين وحاجاتهم الإرشادية، مجلة مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، س٨، العدد ١، يناير.
14. Nathalie Houlfort. Frédéric Sauvé. Santé psychologique des enseignants de la Fédération autonome de l'enseignement. École nationale d'administration publique. Janvier 2010. Montréal.
15. Azlihanis Abdul Hadi, NyiNyiNaing, Aziah Daud. RusliNordin,(2006)**Reliability AndConstructValidity Of The Malay Version Of The Job Content Questionnaire (Jcq) AmongSecondarySchoolTeachers In Kota Bharu, Kelantan, Malaysia**. Health Campus. UniversitiSains Malaysia, Vol37.no6.november

16. Flora Yassine. **Le stress des enseignants. Sciences humaines.**__ 02/04/2012.
[http://www.scienceshumaines.com/le-stress-des-enseignants fr 23288.html](http://www.scienceshumaines.com/le-stress-des-enseignants_fr_23288.html)
17. Isabelle Niedhammer Valérie Ganem L. Gendrey Sandra David .Stéphanie Degioanni,(2006) .**Propriétés psychométriques de la version française des échelles de la demande psychologique, de la latitude décisionnelle et du soutien social du « Job Content Questionnaire » de Karasek : résultats de l'enquête nationale SUMER.** Santé Publique. S.F.S.P. 3 (Vol. 18)-
18. Ki-DoEum · Jian Li · Hyung-JoonJhun ·Jong-Tae Park · Sang-Woo Tak · Robert Karasek ·Sung-Il Cho,(2007),**Psychometricproperties of the Korean version of the job content questionnaire: data fromhealth care workers .Int ArchOccup Environ Health**
19. Philippe Menkoué ,**‘L’enseignement : une profession à haut risque de stress ?’**
http://cursus.edu/article/19858/enseignement-une-profession-haut-risque-stress/#.Vsg34_nhCM
20. Viviola Gómez Ortiz(٢٠١١) ,**Assessment of psychosocial stressorsatwork: psychometricproperties of the JCQ in Colombianworkers.** RevistaLatinoAmericana de PsicologíaVolumen 43 No 2 .
21. Wim Van Wassenhove,(2014)**Modele de Karasek.** In: Zawieja, Philippe et Guarnieri, Franck (coord.). Dictionnaire des risques psychosociaux. Paris : Le Seuil.

Comportements des ménages vis-à-vis de la problématique de l'environnement urbain Etude de cas de la commune d'Oran et la Commune de Perpignan (Enquête sur terrain 2011)

Boudia Leila. M.Assistante/Université Abou Bekr Belkaid, Tlemcen

Résumé :

Cette étude est consacrée aux différences environnementales au niveau des comportements, des opinions et des perceptions des populations Algériennes de la ville d'Oran et des immigrés Algériens de la ville de Perpignan vis-à-vis de l'environnement . Les ménages Algériens immigrés à Perpignan sont conscients de plus en plus des effets négatifs de la forte pression démographique en milieu urbain. Ce travail analyse cette tendance à travers une enquête réalisée en mars 2011 dans les communes d'Oran et de Perpignan, auprès de 228 personnes dans chaque commune. Notre but était de répondre aux questions : Quelle perception des populations pour un développement durable ? Y a-t-il des différences environnementales au niveau des comportements, des opinions et des perceptions des populations vis-à-vis de l'environnement entre les Algériens de la commune d'Oran et ceux de la commune de Perpignan ?

1. Introduction

L'environnement est devenu l'objet d'un débat politique et scientifique intense, avec la reconnaissance, depuis une trentaine d'années, de l'importance des risques écologiques qui menacent notre planète : dégradation du milieu naturel, épuisement des ressources en terre, en eau ou en forêts, pollutions en tous genres, parfois catastrophiques, réchauffement de la planète, accroissement du volume des déchets non traités, augmentation rapide des quantités d'eau usée non recyclée, etc¹.

Dans le même temps sont intervenus de profonds changements des modes de vie des sociétés, plus soucieuses de la qualité du cadre de vie, plus sensibles à la nature, aux paysages, à la faune, à la flore, à la préservation d'espaces vierges de toute présence humaine².

Partant de ce constat, notre étude cherche à analyser la pensée réelle des individus vis-à-vis de l'environnement urbain et des problèmes liés à sa préservation, citons l'impact de la croissance démographique sur les problèmes environnementaux à l'échelle locale (sur l'hygiène en milieu urbain). C'est à ces objectifs que tente de répondre notre enquête de terrain "perceptions, opinions et comportements" auprès d'un échantillon représentatif de la population Algérienne de la ville d'Oran et d'un autre échantillon de la population Algérienne immigrée de la ville de Perpignan en France.

Le cadre d'investigation de cette recherche concerne la ville d'Oran et la ville de Perpignan.

¹ ANTOINE S., BARRERE.M., Vebrugge G. (Eds.), La planète Terre entre nos mains. Guide pour la mise en oeuvre des engagements du sommet planète Terre, Paris, La doc. fse, 1994.

² AOURAGH. L. Mouvements de la population et conséquences sur les espaces urbanisés en Algérie. Arab Regional Population Conference, Actes du Congrès régional arabe de population, Le Caire, vol. 4. 1996.

La ville d'Oran est un exemple d'illustration d'un espace dans lequel les risques sanitaires sont maximisés, du fait d'une synergie de plusieurs facteurs qui sont :

→ La forte densité de la population

→ L'habitat précaire et irrégulier dans certains quartiers (les Planteurs, Barki, Sidi Houari.....)

→ La qualité de l'air, le bruit et le problème d'eau potable.....

Ce niveau accentue d'une part, l'altération de l'environnement dans certains secteurs urbains de la ville et d'autre part, l'incidence de ces facteurs sur la santé et l'environnement des populations. Sur ce thème particulier des causes principales de la dégradation de l'environnement urbain, il est impératif de consentir un effort scientifique pour mieux comprendre ces causes.

Le deuxième champ d'investigations Perpignan compte parmi les grandes villes françaises dans laquelle la croissance démographique est rapide (plus de 100.000 habitants après Montpellier et Nîmes).

L'évolution démographique de la ville induit des effets multiplicateurs sur les pressions et les nuisances : étalement urbain, augmentation des déchets, forte demande en eau, accroissement de déplacement en voiture, etc.

Partant de cette lecture nous avons formulé une question générale relative à la recherche de la manière suivante : Quelle perception des populations pour un développement durable ? Y a-t-il des différences environnementales au niveau des comportements, des opinions et des perceptions des populations vis-à-vis de l'environnement entre les Algériens de la commune d'Oran et ceux de la commune de Perpignan ? Comment expliquerait cette différence ?

L'objectif général de l'étude est de comparer les perceptions, les opinions et les comportements de la population locale d'Oran et des Algériens immigrés de Perpignan, elle vise à impulser une participation consciente et volontaire des populations à la protection de l'environnement.

2. Matériaux et méthodes

Les sources de données utilisées dans ce travail sont :

a. Recherche documentaire

Il s'agit de faire l'inventaire de la documentation sur le thème de l'étude. Nous avons consulté des ouvrages de types généraux ayant trait à notre thème de recherche et qu'ils ont permis d'identifier le problème général et partant, de dégager la question générale de la recherche.

b. Enquête population et environnement (Perpignan et Oran 2011)

b.1 Présentation de l'enquête

L'enquête, population et environnement, a duré un (1) mois. Elle s'est effectuée auprès des ménages ordinaires répartis à travers la commune d'Oran et des ménages Algériens immigrés de la commune de Perpignan. Le temps passé avec chaque ménage a varié entre 30 et 45 minutes.

b.2 Objectifs de l'enquête

- Comblent les déficits d'utilisation des techniques d'analyse quantitatives en sciences sociales et humaines et constituer une banque de données démographiques et environnementales pour la mettre à la disposition des chercheurs sur le domaine et même aux services concernés de l'aménagement du territoire et l'environnement.

- Mesurer et comparer le degré des connaissances, des opinions et des pratiques des algériens de la ville d'Oran et des Algériens immigrés de la ville de Perpignan vis-à-vis de leurs environnements urbains.

L'enquête sur le terrain est basée sur un questionnaire. Ce dernier qui constitue l'instrument principal de mesure a été administré à tous les chefs de ménages de notre échantillon. Les questions (contenu et forme) ont porté :

- Du point de vue du contenu, sur des questions d'opinion et des questions de fait.
- Quant à la forme, il s'agit de questions ouvertes, semi-ouvertes et fermées ;

Le choix de ces questions est déterminé par l'absence de données statistiques sur les comportements environnementaux des Algériens immigrés et leurs perceptions vis-à-vis de leurs environnements. Le but essentiel visé est de mesurer le degré des connaissances, des opinions et des comportements de la population d'Oran sur les questions d'environnement et faire une comparaison de celle-ci à une autre catégorie de la population Algérienne immigrée en France de la ville de Perpignan.

Pour ce qui concerne la structuration du questionnaire, celui-ci comporte trois (3) sections à savoir :

- Habitat
- Caractéristiques du chef de ménage
- Perceptions, opinions et comportements

Les trois sections du questionnaire englobent 59 questions.

Les questions se répartissent comme suit :

- 18 questions sur les caractéristiques générales (habitat et ménage), objet des rubriques 1 et 2 du questionnaire.
- 43 questions concernent la problématique traitée. Celles-ci sont regroupées en :
 - 10 questions sur la perception du concept " environnement "
 - 15 questions portant sur les opinions des enquêtés sur leur environnement ;
 - 18 questions relatives aux comportements des ménages face à quelques éléments de l'environnement urbain : déchets domestiques, eau).

3. Résultats de l'enquête de terrain sur la problématique de l'environnement urbain

3.1 Perceptions et opinions vis-à-vis de l'environnement urbain

Les questions insérées s'articulent autour des thèmes suivants :

- Le niveau de connaissance et la compréhension personnelle aux questions environnementales ? Quel mot vous semble lié à l'environnement ? l'environnement est plutôt naturel ou plutôt humain ? l'environnement concerne la collectivité ou plutôt l'individu ? L'utilisation de ressources naturelles et la notion de développement durable, les attentes en matière de protection de l'environnement : de quelle manière nos concitoyens estiment-ils pouvoir individuellement contribuer le plus au respect de l'environnement ? Quels types d'actions attendent-ils de l'État dans ce domaine ? A qui font-ils confiance pour résoudre les problèmes d'ordre environnemental : à la commune, au département, à la région, à l'État, à l'Europe ou aux associations de citoyens.

3.1.1 Connaissance et compréhension personnelle des questions environnementales.

L'attention des Algériens en France et les Algériens en Algérie aux problèmes environnementaux est importante. Un peu plus de la moitié d'entre eux 57% et 53% respectivement se déclare très sensible à l'environnement et connaît très bien l'environnement, 56% et 53%. L'environnement est devenu un sujet d'actualité quasi-quotidien tant à l'échelle internationale et nationale que locale. Les facteurs économiques dont le chômage restent leur préoccupation majeure.

Tableau 1: Facteurs influençant le cadre de vie

	Oran	Perpignan
Facteurs économiques	98	80
Etat de l'environnement	120	130
facteurs sociaux	10	18
Autres à préciser	00	00

Tableau 2: Niveau de connaissance personnelle de questions environnementales.

	Oran	Perpignan
Très important	120	128
Plutôt important	72	81
Pas du tout	26	17
Ne sais pas	10	02

Dans tous les groupes des enquêtés, une très large majorité se dit "très important" aux questions environnementales. Cette préoccupation est plus fréquente dans les milieux favorisés : chez les diplômés, les titulaires de revenus importants, les cadres supérieurs, le niveau de vie modeste, on a trouvé plus de 70 % d'individus qui disent : "très important" à ces sujets.

Dans les deux groupes de populations Perpignan et Oran, 98% et 60% respectivement on *acheté des* produits respectueux de l'environnement même s'ils sont un peu plus chers (la proportion n'est que de 97% et 50% dans l'ensemble de la population) ; En fait, 90% et 80% d'entre eux sont prêts à modifier certaines habitudes pour montrer aux personnes proches comment préserver l'environnement ; (contre 80% et 60% en moyenne). 73% et 08% trient leurs déchets organiques (3 et 4 points de plus qu'en moyenne) et 76 % et 66% contrôlent la quantité d'eau consommée (contre 70% et 60% en moyenne). En résumé, ces personnes sont effectivement impliquées dans leur vie quotidienne : leur niveau de connaissance de la protection de l'environnement est déclaratif et s'appuie sur des engagements concrets.

Cette motivation ne semble pas sans rapport avec les inquiétudes ressenties à l'égard des problèmes environnementaux. En effet, chez les personnes qui se disent "très" important au niveau de connaissance de la protection de l'environnement, 80 % et 70% ont un problème de santé lié à la dégradation de l'environnement (contre 62% et 66 en moyenne). 94 et 90 % s'inquiètent de la question de la concentration de la population ; elle est la principale cause de dégradation de l'environnement (contre 92 % et 86% en moyenne).

Ce n'est pas par hasard si ces individus sont plus engagés : ils perçoivent les menaces écologiques qui pèsent sur la planète et sont prêts à s'impliquer pour combattre ces dangers.

Tableau 3 : Opinions et attitudes représentées chez les chefs des ménages se déclarant " très" important au niveau de la protection de l'environnement à Perpignan

	Les individus "très important" au niveau de la connaissance personnelle de la protection de l'environnement	L'ensemble de l'échantillon	Ecart à la moyenne
A acheter des produits respectueux de l'environnement même s'ils sont un peu plus chers ?	98	97	+1
Y'avait il un problème de santé lié à la dégradation de l'environnement ?	80	62	+18
Est prêt à modifier certaines d'habitudes pour montrer aux personnes proches comment préserver l'environnement ?	90	80	+10
pense que la forte concentration humaine peut être à l' origine de la dégradation de l'environnement urbain ?	94	92	+2
contrôle la quantité d'eau consommée ?	76	70	+6
tri des déchets ménagers	73	70	+3

Exemple de lecture : Parmi les individus ayant un niveau "très important" de la connaissance concernant la protection de l'environnement, 95% achètent *des* produits respectueux de l'environnement même s'ils sont un peu plus chers, soit 1 point de plus qu'en moyenne.

Tableau 4 : Opinions et attitudes surreprésentées chez les chefs des ménages se déclarant "très important " au niveau de la protection de l'environnement à Oran

	Les individus "très important" au niveau de la connaissance personnelle de la protection de l'environnement	L'ensemble de l'échantillon	Ecart à la moyenne
A acheter des produits respectueux de l'environnement même s'ils sont un peu plus chers ?	60	50	+10
Y'avait il un problème de santé lié à la dégradation de l'environnement ?	70	66	+04
Est prêt à modifier certaines d'habitudes pour montrer aux personnes proches comment préservé l'environnement ?	80	60	+20
pense que la forte concentration humaine peut être à l' origine de la dégradation de l'environnement urbain ?	90	86	+04
contrôle la quantité d'eau consommée ?	66	60	+06
tri des déchets ménagers ?	08	04	+5

3.1.2 Utilisation des ressources naturelles

En général, l'image de développement durable n'est pas clairement identifiée chez les enquêtés d'Oran, par contre elle est bien définie chez les Algériens immigrés de Perpignan : lorsqu'on demande au chef de ménage s'il est d'accord que l'homme utilise toutes les ressources pour son confort même s'il porte atteinte au milieu naturel à Oran, la réponse est oui majoritairement

(Tableau 5).

Tableau 5: Utilisation des ressources naturelles

	Oran		Perpignan	
	Nombre	%	Nombre	%
Oui	153	67	11	5
Non	75	33	217	95

Dans les deux groupes des enquêtés d'Oran et de Perpignan, 33 % contre 95% respectivement estiment que l'homme n'utilise pas toutes les ressources pour son confort même s'il porte atteinte au milieu naturel. Cette réponse correspond à la définition officielle du développement durable, proposée en 1987 par la Commission des Nations Unies pour l'Environnement et le développement (plus connue sous le nom de commission Brundtland¹). À Oran une personne sur trois sait indirectement de quoi il s'agit contre 9 sur 10 à Perpignan.

En fait, l'utilisation de ressources naturelles qui donne une définition indirecte du concept de développement durable est plutôt mal comprise dans tous les ménages enquêtés à Oran. Parmi les personnes aux niveaux de connaissances "très important" de la protection de l'environnement un sur trois (34%) estiment que l'homme n'utilise pas toutes les ressources pour son confort même s'il porte atteinte au milieu naturel ; il connaît indirectement la définition du développement durable ; le cas de 37% dit "plutôt" important. Parmi les individus les plus au fait des questions environnementales, on ne sait pas bien utiliser des ressources naturelles et à quoi correspond la notion de développement durable. Il est vrai que la médiatisation de ce concept est encore assez récente, même si l'idée existe depuis très longtemps.

Tableau 6: Niveau de connaissance de la protection de l'environnement et utilisation des ressources naturelles à Perpignan

	<i>Oui</i>	<i>Non</i>	<i>Total</i>
<i>Très important</i>	2	126	128
<i>Plutôt important</i>	2	79	81
<i>Pas du tout</i>	6	11	17
<i>Ne sais pas</i>	1	1	02

¹ AGRASOT. P et all. Les relations entre population et environnement dans les pays du sud : faits et théories. In : GERARD.H. Intégrer population et développement. Ed. Louvain la Neuve : Academia et l'harmattan, 1990.

Tableau 7: Niveau de connaissance de la protection de l'environnement et utilisation des ressources naturelles à Oran

	<i>Oui</i>	<i>Non</i>	<i>Total</i>
<i>Très important</i>	79	41	120
<i>Plutôt important</i>	45	27	72
<i>Pas du tout</i>	20	06	26
<i>Ne sais pas</i>	09	01	10

Dans les deux groupes des populations enquêtés à Perpignan et Oran, les personnes qui répondent le plus facilement ne sont pas d'accord pour que l'homme utilise toutes les ressources naturelles pour son confort ; ils appartiennent aux milieux favorisés (tableaux 83 et 84) : 98 % et 96% des diplômés de l'enseignement supérieur disent non, contre 33 % et 15% de niveau coranique et primaire ; 98 % des titulaires de revenus supérieurs à 1500 euros par mois à Perpignan répondent que l'homme n'utilise pas toutes les ressources naturelles pour son confort et reconnaissent indirectement la définition du développement durable¹, contre 60 % des personnes disposant de plus de 25000 DA par mois, qui ne sont pas d'accord à Oran ; les occupés et les étudiants semblent plus au fait que les chômeurs et les femmes au foyer.

La mal utilisation des ressources naturelles et le non savoir de développement sont plus fréquents chez les personnes à faible capital économique et culturel.

3.1.3 Environnement: état intangible ou modifiable

A la question : selon vous, l'environnement est plutôt naturel, humain ou les deux à la fois, les enquêtés répondent que c'est plutôt naturel 71% à Perpignan et 60% à Oran .

Tableau 8: Environnement : état intangible ou modifiable

Q23	Perpignan		Oran	
	Nombre	%	Nombre	%
Naturel	162	71	137	60
Humain	64	28	73	32
Ne sais pas	02	01	18	08

¹ Commission Mondiale sur l'Environnement et le Développement, (CMED), rapport de Brundtland G.H, Notre avenir à tous, Montréal, édition du Fleuve, 1987.

Les résultats sont présentés selon certaines caractéristiques sociodémographiques. On constate que l'environnement est perçu comme un fait naturel dans toutes les catégories de populations où excellent le capital économique et culturel dans les deux villes, les écarts eux sont moins marqués.

3.1.4 Responsabilité de la protection de l'environnement

En confrontant les réponses aux deux questions précédentes, l'on apprécie mieux la répartition de la responsabilité autour de la protection de l'environnement entre les individus et la collectivité locale, telle que les enquêtés l'imaginent.

Dans l'esprit des immigrés, les individus devraient se charger de la protection de de l'environnement 66%. Par contre les enquêtés d'Oran disent que la protection de l'environnement est à la charge des pouvoirs publics 76%.

Tableau 10: Responsabilité de la protection de l'environnement

	Perpignan		Oran	
	Nombre	%	Nombre	%
Pouvoirs publics	78	34	173	76
Individus	150	66	55	24
Ne sais pas	00	00	00	00

Les responsabilités des individus chez les immigrés sont plus discutées sur les actions suivantes : le bruit 64 % et 16%, la mauvaise odeur. Les ménages d'Oran déclarent que la protection de l'environnement est à la charge des collectivités locales, cette responsabilité est partagée entre 44% pour la lutte contre la pollution de l'air, 20% pour la lutte contre la pollution de l'eau et 11% pour la lutte contre le bruit.

Tableau 11: Répartition des rôles entre les pouvoirs publics et les individus pour sauvegarder l'environnement

Q37	Perpignan	Oran
	Individus	Pouvoirs publics
Pollution de l'air	08	44
Pollution de l'eau	12	20
Mauvaises odeurs	16	15
Bruit	64	11
Prolifération des insectes	00	10

3.1.5 Propositions pour améliorer la protection de l'environnement

Pas d'amélioration durable de la protection de l'environnement particulièrement pour la collecte des ordures ménagères dans la ville d'Oran sans l'amélioration du comportement des usagers du

service de collecte. Tel est le constat qui semble se profiler derrière les propositions relatives à l'amélioration du comportement des habitants.

Cette amélioration peut se réaliser de deux manières combinées ou indépendantes l'une de l'autre. La répression et l'éducation dans le sens de sensibilisation.

a- Répression

La majorité des ménages enquêtés de la ville d'Oran considèrent que pour avoir un comportement adéquat vis-à-vis de la protection de l'environnement, par rapport à la collecte des ordures ménagères et à la propreté de la part des habitants, la répression est inévitable 72%. La forme la plus citée de cette répression consiste dans les contraventions et le paiement d'amendes en cas d'infraction au code de bonne conduite dans la gestion de ses ordures ménagères. Cette répression est citée par 20% chez les immigrés.

b- Sensibilisation

A côté de la répression, les immigrés confirment qu'il faut sensibiliser les habitants à adopter des comportements propres 69%. Quant aux moyens de la sensibilisation, ils sont variés : Mass-médias, bouche à oreille, etc. contre 18% chez les enquêtés à Oran.

Tableau 12: Propositions pour améliorer la protection de l'environnement

	Perpignan		Oran	
	Nombre	%	Nombre	%
Educative	157	69	41	18
Répressive	46	20	164	72
Répressive éducative	25	11	23	10

L'éducation à l'environnement et au développement durable rassemble une diversité d'actions complémentaires allant de la sensibilisation de tous les publics jusqu'à la formation dans l'enseignement supérieur ou par la formation continue. Ces différentes formes ont en commun une finalité de changement de pratiques individuelles, collectives, professionnelles pour accompagner la mutation de la société.

Des initiatives sont prises à l'école, dans les entreprises, à l'université, dans les médias, des actions de proximité sont engagées par les associations et les collectivités locales sur les territoires auprès des jeunes, des citoyens, des familles... Il s'agit d'apporter au plus grand nombre, dans toute la diversité des situations de vie au quotidien, les clés pour comprendre les enjeux et pouvoir agir, chacun à son niveau et selon ses possibilités.

3.1.6 Domaines prioritaires de l'action publique en matière d'environnement

- Revoir le plan de circulation est la première mission de l'Etat à Perpignan et mettre plus de moyens pour le ramassage des déchets à Oran.

S'agissant de la ville d'Oran ou de Perpignan, quelles sont à votre avis, l'action que l'Etat devrait mener en priorité dans le domaine de la protection de l'environnement ?

▪ Les enquêtés de la ville de Perpignan attendent que l'Etat réduise le plan de circulation : 75% de la population classent cette action au premier rang de leurs attentes et au total, 90 % la citent (en première ou deuxième réponse).

▪ 19% répondent aux autres mesures (la lutte contre la pollution de l'eau, des rivières et des lacs). Cette préoccupation arrive au second rang.

On le voit, la sensibilisation de la population ne se situe pas au cœur des préoccupations : 6 personnes sur 100 espèrent que l'Etat intervienne dans ce domaine 6%.

Les enquêtés de la ville d'Oran estiment, que l'Etat doit mettre plus de moyens pour le ramassage des déchets et sensibiliser la population ; ces deux actions sont citées respectivement par 69 % et 20 % des enquêtés, revoir le plan de circulation (11 %).

Tableau 13: Domaines prioritaires de l'action publique en matière d'environnement

Q38	Perpignan		Oran	
	Nombre	%	Nombre	%
Revoir le plan de circulation	171	75	25	11
Elargir le réseau d'assainissement	00	00	00	00
Mettre plus de moyens pour le ramassage des déchets	00	00	157	69
Sensibilise la population	22	06	46	20
Autres mesures	35	19	00	00

3.1.7 Forte concentration humaine et dégradation de l'environnement

Les populations sont conscientes que la forte croissance démographique est le principal phénomène de la dégradation de l'environnement. Ses enquêtés ont presque tous la même perception sur cette question dans les deux groupes.

Dans l'ensemble, tous les enquêtés reconnaissent de façon unanime que la dégradation du milieu urbain due à la forte croissance de la population.

Les résultats montrent que 88% des personnes enquêtées d'Oran confirment que la dégradation de leurs environnements est liée à la forte croissance de la population et 12% des personnes répondent que la forte croissance démographique n'a aucun effet sur l'environnement.

Pour cette catégorie de ménages enquêtés, la disponibilité de l'Etat pour la lutte contre les pollutions en ville pour mettre plus de moyens particulièrement les déchets ménagers et application des méthodes répressives confirment leurs affirmations.

Tableau 14: Forte concentration humaine et dégradation de l'environnement

Q30	Perpignan		Oran	
	Nombre	%	Nombre	%
Oui	178	78	201	88
Non	50	22	27	12

L'enquête menée auprès des ménages immigrés sur la même question confirme cet état de dégradation de villes liées à la forte croissance de la population près de 78%. Une faible proportion de 22 % des enquêtés confirme que la dégradation du milieu urbain est liée à d'autres phénomènes.

Si la grande majorité des enquêtés reconnaît que la dégradation de l'environnement urbain, est liée à la forte concentration humaine, nous avons voulu savoir les moyennes et les méthodes pour résoudre une telle situation. Les moyennes énumérées sont les lois qui limitent le nombre de la population dans les villes, pour maîtriser l'augmentation de la population et l'utilisation durable du milieu urbain.

Tableau 15: Proportion des ménages proposant les lois pour limiter la population en milieu urbain

Q30	Perpignan %		Oran %	
	Utile	Inutile	Utile	Inutile
Oui	28	72	92	08

Face à la dégradation de l'environnement de la ville d'Oran, les enquêtés proposent dans leurs grande majorité (92,0%) l'adoption de nouvelles lois de gestion des populations ; c'est la voie salubre pour limiter la forte concentration des populations en ville afin de faire de meilleurs rendements et de protéger l'environnement en général.

Par contre, cette moyenne énumérée n'est pas une solution pour les chefs de ménages Algériens immigrés de Perpignan (72,0%).

3.1.8 Actions individuelles pour préserver l'environnement

Parallèlement à cette exigence envers les pouvoirs publics, les enquêtés savent qu'ils peuvent contribuer à protéger l'environnement, grâce à des gestes quotidiens.

En l'occurrence, les immigrés ont une idée très précise de ce qu'ils peuvent faire régulièrement: une personne sur deux répond pratiquer le tri sélectif des déchets (Tableau 107). Cette possibilité arrive très loin devant toutes les autres interventions envisagées : le contrôle de la quantité d'eau consommée (33 %) et l'achat des produits respectueux de l'environnement (12 %), cinq personnes sur cent estiment qu'elles sont d'accord pour réduire le déplacement par voiture (50%).

Pour les enquêtés de la ville d'Oran, les mêmes trois actions recueillent les réponses suivantes : le contrôle de la quantité d'eau consommée (23 %), l'achat des produits respectueux de l'environnement (07 %) et le tri sélectif des déchets (10 % ; ce dernier item est moins pratiqué

par les ménages de la ville d'Oran). Les enquêtés de la ville d'Oran pensent que, dans ces domaines – le tri sélectif des déchets, le contrôle de la quantité d'eau consommée et l'achat des produits respectueux de l'environnement, il est pratiquement impossible d'intervenir à titre individuel. Ces interventions sont semblables dans tous les groupes sociodémographiques.

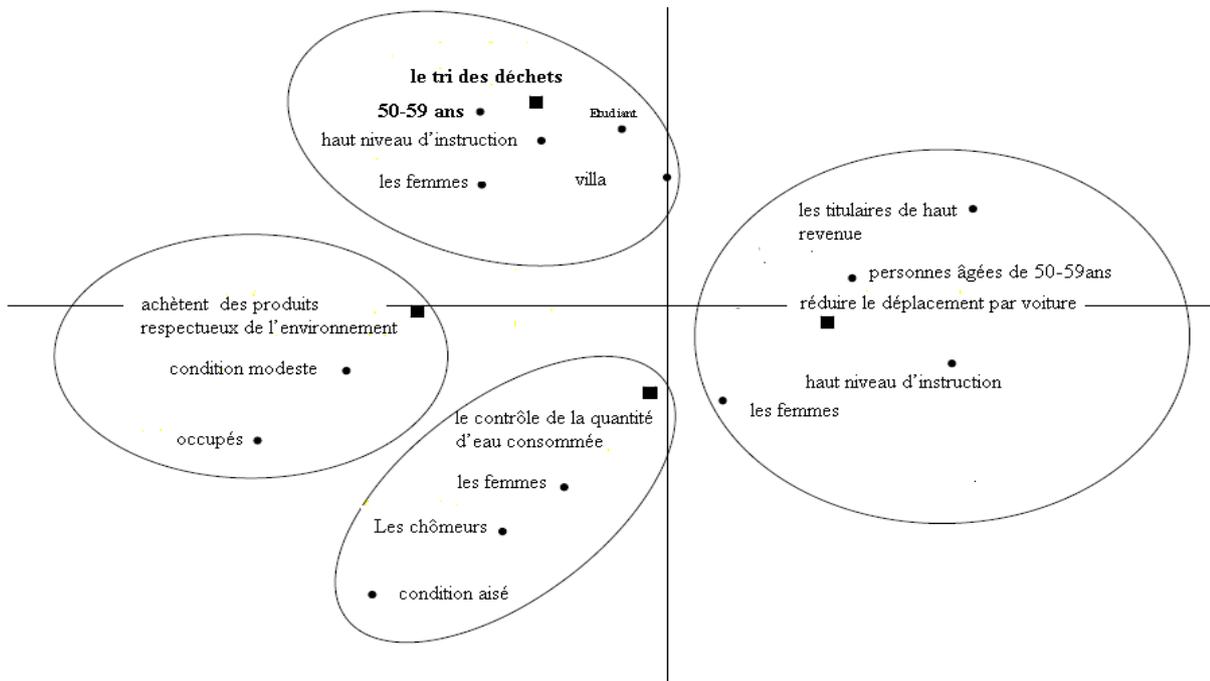
Les enquêtés sont plus particulièrement concernés par les nuisances des voitures à la ville d'Oran. Ils confirment qu'ils doivent pouvoir limiter les déplacements par voiture 60%.

Tableau 17: Actions individuelles pour préserver l'environnement

	Perpignan		Oran	
	Nombre	%	Nombre	%
Tri sélectif des déchets	114	50	23	10
Contrôle de la quantité d'eau consommée	75	33	52	23
Achat des produits respectueux de l'environnement	27	12	16	07
Réduire le déplacement par voiture	11	5	137	60

Une analyse factorielle, du même type que celle que nous avons conduite précédemment pour les actions prioritaires de l'Etat, nous permet de tirer les résultats suivants:

Graphel : Actions individuelles et groupes sociodémographiques



Dans tous les groupes sociodémographiques des immigrés, le tri des déchets arrive très largement en tête des actions pour lesquelles les enquêtés se sentent capables d'intervenir en matière d'environnement. Cette intention est plus fréquente chez les personnes à haut niveau d'instruction et les personnes âgées de 50-59ans, les femmes et les habitants dans les villas.

Les jeunes, les étudiants et les personnes de condition modeste (les occupés, pensent qu'ils achètent des produits respectueux de l'environnement. Les personnes qui déclarent en premier lieu l'élimination et le tri des déchets, achètent des produits pour contribuer à ne pas dégrader la nature.

Les personnes qui pensent pouvoir individuellement agir pour réduire leurs déplacements par voiture à Oran, sont des personnes au haut niveau d'instruction, les titulaires de revenus plus de 30000DA et les personnes de condition de vie moyenne.

Conclusion :

Cette recherche ressort de nombreux enseignements qui seront, utiles à une réflexion plus approfondie sur l'ensemble du champ de la relation population environnement.

L'enquête aborde bien le sujet démographique et son effet sur l'environnement urbain, l'opinion sur l'environnement urbain. Elle teste le lien entre le langage des spécialistes et celui des citoyens, dans un domaine qui est au cœur de la gestion de la ville urbaine.

En Algérie, parler de citoyenneté écologique est encore inexistant. Les villes font partie des espaces dans lesquels la problématique du développement local durable est très pertinente dans la mesure où les atteintes à l'environnement y sont généralisées et croissantes dans le même temps, le défaut d'infrastructures y est plus marqué et les pratiques de la gestion des déchets liquides contredisent les principes de prudence écologique et de développement durable.

Ces pratiques ont des impacts négatifs à court et à long terme sur la santé des populations, les sols et les autres ressources. La situation est particulièrement critique dans les villes où les densités élevées de la population concentrent les déchets liquides et compliquent les problèmes.

Bien que cette perception ne soit pas suffisante pour prendre en charge la gestion totale des problèmes liés à l'environnement urbain, elle témoigne d'un certain niveau de sensibilisation de la population locale sur les dangers de la pollution de l'environnement en le comparant avec la population immigrée en France. Cette perception comparative entre deux villes Oran et Perpignan donne une image réelle de l'environnement local par rapport à l'environnement d'une ville Européenne.

Enfin, sur la question de la gestion durable de l'environnement en Algérie il serait indispensable, recours à l'expérience européenne qui d'envisager l'intégration de l'ensemble de la population pour renforcer l'action des pouvoirs publics.

Bibliographie:

1-AGRASOT. P et all. **Les relations entre population et environnement dans les pays du sud : faits et théories.** In : GERARD.H. Intégrer population et développement. Ed. Louvain la Neuve : Academia et l'harmattan, 1990.

2-ANTOINE S., BARRERE.M., Vebrugge G. (Eds.), **La planète Terre entre nos mains. Guide pour la mise en oeuvre des engagements du sommet planète Terre, Paris, La doc. fse, 1994.**

3-AOURAGH. L. **Mouvements de la population et conséquences sur les espaces urbanisés en Algérie.** Arab Regional Population Conference, Actes du Congrès régional arabe de population, Le Caire, vol. 4. 1996.

4-Commission Mondiale sur l'Environnement et le Développement, (CMED), **rapport de Brundtland G.H, Notre avenir a tous,** Montréal, édition du Fleuve, 1987.

Les limites dans l'échange et risque de dissociabilité socio-familiale -Etude clinique chez un enfant épileptique-

Zitouni Mohamed zoheir :Doctorant/Université de Tlemcen,ALGERIE

Résumé :

Notre but de recherche présenté dans cet article issue de notre expérience de psychologue clinicien, consiste à étudier les attitudes ambiantes des parents et le silence socio-familial qui peuvent renforcer la mise en place d'une vulnérabilité de plus en plus importante du vécu psychopathologique de l'épilepsie de l'enfant ; on exerce leurs contraintes sur le processus de socialisation à travers la clinique projective plus précisément le dessin libre, et s'engager l'exploration des aspects psychodynamiques (fantasmes, relation d'objet, narcissisme) impliqués dans la mise en œuvre de ces processus.

Ces objectifs d'analyse clinique et psychopathologique nous offrent la possibilité d'étudier d'un seul cas clinique, âgé de 11 ans scolarisé, orienté pour consultation à l'unité médico-psychologique au centre hospitalo- universitaire de Tlemcen à raison des difficultés d'apprentissage scolaires, liées à des troubles du comportement.

Pour pouvoir effectuer notre recherche, nous avons eu recours à la méthode de l'étude de cas entretenues par des observations cliniques et aussi un test projectif le dessin libre.

Mots clés : épilepsie, sociabilité, test projectif, dessin libre, analyse clinique et psychopathologique

Ojectif et cadre théorique :

Le Psychologue clinicien et Pédopsychiatrie est fréquemment confrontée à des familles et des enfants qui lui présentent une pathologie neurologique comme l'épilepsie. A l'origine de ces rencontres patients professionnels il existe un motif le plus fréquent, référé à l'hyperactivité de l'enfant ou à l'instabilité psychomotrice. Un ensemble de signes dérange les parents qui mettent en avant, inattention, instabilité motrice, impulsivité, troubles émotionnels et désadaptation sociale, échec scolaire et des apprentissages. L'intolérance du milieu par rapport à ses symptômes serait la condition première de la consultation.

Notre objet de recherche a pour but d'évaluer et d'explorer le psychisme et son actualisation à travers la mise en jeu des processus de socialisation chez un enfant épileptique, et enfin en va essayer de répondre à la problématique suivante :

Quelle est la relation entre l'échange socio-familial et la vie psychique chez le cas dans son rapport à la pathologie de l'épilepsie ?

1 La sociabilité :

Wallon.H postule la nature sociale de l'enfant exprimant la nécessité pour l'enfant de se tourner vers le milieu humain pour assurer sa sécurité étant donné son immaturité physiologique. Il est d'abord confondu avec autrui, totalement dépendant de l'autre et c'est par cette confusion et par

cette dépendance que se construit l'homme social potentiel en quelque sorte « par défaut ». (Anne Baudier, Bernadette Celeste, 2002, p150)

Les moyens à la disposition de l'enfant vont se développer sous le double effet de la maturation et des stimulations apportées par le milieu. Ce constat par Wallon.H (1925) précise la nature des relations entre équipement inné et milieu : l'enfant ne se développe pas simplement parce que la maturation est l'œuvre, il faut que le milieu offre des opportunités compatibles avec les moyens disponibles à chaque moment chez l'enfant.

1-1 Les milieux : pour Wallon, il n'y a pas un milieu mais des milieux : le milieu physique, biologique, humain et symbolique.

« Le milieu est l'ensemble plus ou moins durable des circonstances physiques humaines et idéologiques où se poursuivent des existences individuelles ». (Anne Baudier, Bernadette Celeste, 2002, p151)

Ainsi le milieu humain est à la fois le milieu où se font les échanges avec autrui mais aussi un milieu relai puisqu'il permet d'agir sur d'autres milieux en particulier le milieu physique.

Wallon distingue également le milieu physique (où se réalisent mouvements, actes intellectuels...) transformés au cours de l'histoire par l'homme et le milieu symbolique, milieu des représentations. L'accès à ce dernier milieu n'est possible que par le biais du milieu humain qui fournit les moyens de la représentation le langage, les concepts.

III-1-2 L'équilibre fonctionnel : Cette notion désigne la formule optimale entre répertoire comportemental et échanges avec un milieu.

A chaque moment du développement, à chaque stade il y a accord entre les moyens disponibles et les fins actuelles. Selon l'âge de l'enfant un même objectif pourra être atteint par des moyens différents : la recherche de proximité avec l'adulte sera sollicitée par le sourire à 3 mois, par le fait de tendre les bras à 1 an. Réciproquement, des objectifs différents peuvent être atteints avec des moyens identiques : L'imitation sert avant tout à communiquer avec les pairs dans la troisième année de la vie, à reproduire le réel et à apprendre aux âges ultérieurs.

Milieux et moyens ne sont chez Wallon.H ni limités ni univoques, les milieux changent en fonction de l'évolution des moyens de l'enfant et ils donnent à l'enfant de nouveaux moyens, générateurs à leur tour de nouveaux rapports avec les milieux.

L'enfant dit Wallon.H n'arrive à une attitude objective qu'à travers une phase de personnalisme. (Trang Thong, 1992, p128)

Pour que l'enfant arrive à prendre conscience de soi, il faut que sa sociabilité syncrétique initiale se différencie sous l'influence conjuguée de la maturation et de l'ambiance sociale. La formation de la personne et la constitution de son Moi ne peuvent s'effectuer que par l'intermédiaire de l'autre etc. Ce double social comparable au double mental, conscience de soi et conscience du monde qui renvoie à la représentation dont l'origine génétique et historique commune est l'ordre social.

III-2 Abord social et familial de l'épilepsie :

On voit jusqu'à quel point l'épilepsie interfère avec le développement et comment elle peut acquérir progressivement une place centrale dans le psychisme de l'enfant et dans ses réactions aux autres. Les réactions de l'entourage familial vont de leur côté renforcer en positif ou en

نégatif, certains comportements de l'enfant et favoriser les recours à des stratégies plus ou moins adaptatives.

Les réactions affectives qu'on observe le plus fréquemment chez les parents des enfants épileptiques sont des vécus anxieux et dépressifs. Les réactions sont souvent présentes par des événements à forte valeur émotionnelle (confrontation aux progrès des autres enfants, échecs dans des situations de vie,...)

Elles s'expriment par des attitudes de surprotection, par des mouvements de rejet ou par l'incapacité à poser des limites à l'enfant.

-2-1 Rôle des relations avec les parents :

Il est fréquent de constater qu'un certain nombre de crises qu'elles soient d'origine lésionnelle ou non, se déclenche à la suite d'événements relationnels (séparations, retrouvailles, conflits,...)

Pour que l'enfant puisse utiliser des mécanismes de défense plus développés et que l'épilepsie garde une juste place dans son travail psychologique, il faut que ses parents puissent l'accompagner, au sens noble du terme et le seconder dans ses processus d'automatisation qui sont étroitement dépendants de la confiance qu'ils peuvent lui témoigner.

Comme toutes les maladies chroniques, les parents sont soumis à l'angoisse : L'épilepsie est sans doute une maladie plus angoissante que les autres puisqu'elle renvoie à des ruptures dans la conscience du sujet et fait vivre aux autres l'impression d'un semblant d'une perte de vie, lorsque la maladie est très lourde et provoque un handicap chez l'enfant, cette fantasmatisation de mort s'inscrit dans le vécu de l'ambivalence relationnelle parentale.(**Graindorge Catherine,2005,p120**)

Dans ce cadre, la scolarisation de l'enfant épileptique reste sans doute un enjeu anxieux majeur pour les parents. Cependant, l'idée que cette maladie reste secrète renforce parfois chez l'enfant et chez les parents la certitude qu'elle est diabolique, épouvantable, terrible. Il faut trouver un compromis pour que l'enfant garde une place suffisamment sécurisante à l'école.

On voit parfois des parents apprendre à leurs enfants à dissimuler sous des explications trompeuses, ces atteintes. La famille est soulagée lorsqu'elle parvient à cacher sa honte ; elle se donne meilleure conscience en donnant une illusion de bonheur à son enfant. Mais pour le malade lui-même, cette position demeure précaire et instable. Il essaie de vivre normalement caché en lui-même mais il est en état d'angoisse permanente.(**BOUVARD.C, 1974,p132**)

2-2 Difficultés d'adaptation :

a) La culpabilité parentale : Parfois des conflits de couples surviennent liés à l'apparition de la maladie par ailleurs le fait que certaines crises apparaissent dans les moments conflictuels poussent certains parents à ne plus du tout poser de limites à l'enfant. Ce qui bien entendu ne l'aide pas, mais le pousse plutôt à la recherche de bénéfices secondaires et notamment, celui d'induire des crises pour obtenir du réconfort : Sallou disait : « l'enfant a son épilepsie, sa famille sa culpabilité ».(**Graidorge Catherine,2005,p121**)

b) L'agressivité : comme dans toutes les maladies chroniques, elle reste à la hauteur de la culpabilité des parents, le narcissisme parental étant forcément rongé par la représentation sociale de la maladie.

L'agressivité peut s'exprimer directement envers l'enfant (rejet, placement,...) mais la plupart du temps, elle est plutôt déplacée à travers des conduites (surprotection, renforcement des contraintes et des interdits,...).

L'enfant se retrouve alors dans une situation de mise en dépendance obligatoire qu'il peut :

- Accepter (possibilité de retard psychomoteur important supérieur à ceux induits par la maladie, épisodes dépressifs).

- Refuser (développer des troubles caractériels, mise en place de pathologies d'états limites, troubles de conduites, hétéro-agressivité,...). (Graindorge Catherine, 2005, p122)

Dans certains cas, c'est la recrudescence des crises qui est au premier plan. Comme toujours, plus l'épilepsie est précoce, plus les modes pathologiques interrelationnels centrés et exprimés par l'agressivité et la culpabilité sont présents et plus les dégâts psychiques chez l'enfant peuvent être importants.

Un cercle vicieux peut s'installer et peut également aggraver l'épilepsie elle-même. Dans certains cas, on assiste à un véritable balancement entre la fréquence des crises de l'enfant et des épisodes psychiatriques plus ou moins larvés chez les parents (épisodes dépressifs, moment de rupture limite,...). Dans ces cas, il est bien entendu important de mettre en place un soutien véritablement familial.

Synthèse de l'étude du cas :

Il s'agit d'un enfant **K** âgé de 11 ans, d'une fratrie de 03 enfants qui sont respectivement, Amine âgé de 08 ans et sa sœur de 04 ans. Le père de 39 ans commerçant et la mère 34 ans, femme au foyer.

- **K** a été scolarisé à l'âge de 06 ans, épileptique depuis cet âge, après 03 années de scolarisation à l'âge de 09 ans, il a eu des difficultés scolaires et des troubles du comportement, de type instabilité psychomotrice.

Pendant l'étude clinique du cas et la biographie, nous avons repérer trois temps principaux révélateurs des indices cliniques.

Premier temps : **T1** : Méningite à l'âge de 3 ans et hospitalisation, manifestation des crises convulsives hyperthermiques, stabilisation et guérison de son état après la sortie. On note dans ce temps :

- Une fragilité de l'activité cérébrale transcrite par, l'EEG.

- Naissance d'un frère : la mère est très occupée par le nouveau-né, isolement, retrait social avec un père absent, manque de stimulation de l'enfant sans renforcement. Ce qui a entravé la qualité de l'apprentissage, le climat socio-familial a mal stimulé le désir de personnalisation de l'enfant qui fait apparaître un profond malaise accompagné de l'énurésie nocturne et diurne et parfois encoprésie plus des attitudes délibérées de retrait.

Temps 2 : la rentrée scolaire : la manifestation des crises tonico-cloniques, vue par le neurologue à trois reprises, traitement prescrit : (Dépakinegtt). Diminution de la fréquence des crises à ce moment (6-8 ans) . Après Les crises deviennent fréquentes et intenses (3-4 crises / mois).

Ks'est orienté vers une consultation spécialisée à l'âge de 9ans. Motif de consultation : hyperactivité, difficultés scolaires et épilepsie, traitement prescrit : Dépakine + Tegretol.

T3 : pendant les neuf (09) séances d'entretiens, nous avons repérer les principaux thèmes importants de notre recherche :

- Honte liée aux difficultés : rougeur du visage lorsqu'il ne sait pas répondre à une question ou échec à une tâche.

- Echec scolaire (redoublement de la 3^{ème} année scolaire)

- Difficultés et lenteur en lecture.

- Myoclonies visuelles : mouvement de l'œil en saccades dans les tâches qui demandent de la concentration.

- Souvent se laisse facilement distraire par les stimuli externes.
- Précipitation des réponses avant avoir fini une question et mes explications.

On note un surinvestissement perceptif dominant (sur un matériel concret). Difficultés à communiquer au-delà du concret.

Pauvreté des performances verbales.

Pourquoi utiliser le dessin libre ?

Dès le début, j'ai constaté une difficulté à faire parler mon cas, suite à ce blocage qui fut pour nous une véritable impasse à la recherche. J'ai pris une décision d'utiliser le dessin libre comme test projectif pour laisser une certaine autonomie à l'enfant pour choisir et exprimer ce qu'il souhaite. Enfin les épreuves projectives impliquent une double sollicitation perceptives et projective. **Roussillon. R** (2007, p552) postule que les opérations mentales mis en œuvre aux cours de la passation des épreuves projectives sont susceptibles de rendre compte des modalités de fonctionnement psychique propre à chaque sujet dans leur spécificité mais aussi dans leurs articulations singulière.

L'enfant dessine pour exprimer ce qu'il ressent à un moment donné de sa vie, suite à des conditions particulières comme le précise **Jacqueline Royer** (1995,p13) : « Le dessin est une écriture naturelle qui vient du fond des âges », il est la projection de l'image du corps comme l'enfant la perçoit. Par le dessin l'enfant cherche à communiquer ce qu'il ne peut exprimer verbalement et consciemment. <Le trait qui fait l'engagement c'est son écriture inconsciente> **David. R** (1976,p29).

Le dessin libre est une projection spontanée, une reproduction du monde interne. « C'est forcément le modèle interne que doit reproduire les dessins, fait de mémoire,...) c'est en réalité le modèle interne qui est dessiné. **Lucquet G.H**(1977,p64)

Le fait de ne pas imposer des thèmes offre une expression sans limite, ni obligation en s'appuyant sur les éléments naturels présents dans l'imaginaire de l'enfant. Il désire ce à quoi il pense et qu'il est capable de formaliser par des schémas simples à sa portée. Il s'agit de traces d'expériences vécues, de désirs ou de pensées.

Il compose son dessin, sans hésitation méticuleusement chargé d'un grand degré d'attention et surtout chargé du thème de l'histoire qu'il rattache à son dessin **Widlocher. D**(1998)

- L'interprétation résulte d'une part des éléments qui composent le dessin et d'autre part de leur synthèse c'est-à-dire la place du dessin dans la feuille, le trait du dessin, les thèmes, les personnages et les objets.

Le sujet va narrer (raconter) graphiquement ce qui ne peut verbaliser. On demande au sujet qui dessine, de raconter l'histoire de ce qu'il produit. Au fur et à mesure, il dessinera les personnages et les objets tout en parlant. L'ordre d'entrée des divers éléments et le déroulement de l'histoire refléteront les préoccupations du sujet et mettent en évidence le déroulement de l'imaginaire et du processus psychique mis à l'œuvre tout en analysant en fonction de la dynamique de synthèse de l'étude de cas et les histoires liées à ces dessins.

Les dessins dessinés et commentaires :

L'exécution du graphisme :

Kamel dessine avec lenteur et grande concentration et parfois des lacunes où il ferme les yeux.

Une fois installé dans le bureau, il trouve devant lui une feuille, blanche accompagnée d'un crayon noir et une boîte de couleurs. Je lui demande de dessiner n'importe quoi, le temps passe dans le silence presque comme une attitude d'opposition et répond : Qu'est-ce que je dessine ? J'ai dit n'importe quoi. Après quelques hésitations, Kamel s'engage dans la réalisation d'un dessin. Il dessine une grande maison ; il dispose à l'intérieur trois personnages qu'il décrit comme des enfants, il rajoute un gros chien avec de grandes dents qui veut dévorer les enfants.

A côté de ce chien, il dessine un petit chien revêtu d'une couche de laine d'après lui, qui veut sauver les enfants.

Un combat s'engage entre les deux chiens, mais dans la bataille, le chien méchant a touché un de ces trois enfants et lui a coupé les pieds. C'est le plus grand enfant. On peut en supposer qu'il s'agit de sa personne ? Est-ce il perle de lui-même ? Kamel recommence son dessin pour réaliser la suite de son histoire. Maintenant le petit chien a grandi et il est plus que dans le passé, les deux petits enfants grandissent aussi mais l'ainée est resté handicapé sans pieds.

Analyse du dessin :

On peut noter que Kamel dessine avec lenteur et grande application. Au moment des lacunes, il ferme les yeux, tous les gestes sont là pour bien se concentrer et rassembler des forces, par ce geste, il s'abstrait en même temps du registre de la perception, et en même temps, il permet à l'imaginaire et à l'activité fantasmagorique de se libérer. Par la fermeture des yeux, le dessin devient possible et la concentration devient plus efficace.

Pendant les premiers temps, on a noté que Kamel a mis beaucoup de temps à se décider à dessiner .

Après quelques hésitations, il décide de prendre le crayon avec rougeur du visage (il est en pleine crise du « Non » dit sa mère). Ce qui évoque pour nous le déficit du personnalisme noté précédemment.

La grande maison dessinée contient à l'intérieur 03 enfants, rapidement nous comprenons l'expressivité de la situation des enfants qui est mise en danger par un gros chien dévorant, avec de grandes dents qui prend place comme déjà présenté en dessin. une grande partie de la feuille du dessin on peut l'interpréter suite à des caractéristiques d'un objet important menaçant. Le petit chien dit l'enfant pourra combattre le gros chien, ce qui peut signifier que l'attitude hyperprotectrice de la mère est justifiée vis-à-vis de son enfant. La protection est assurée pour lui comme défense essentielle.

Nous pourrions supposer que la mère protège l'enfant dans la mise en place des défenses pour son fils. Et que dans le milieu socio-familial du cas, la carence psychoaffective soulignée, peut être contenue par des renforçateurs proposés par la mère pour qu'elle puisse collaborer efficacement de continuité vitale et lui assurer la capacité de soutenir ses fantasmes et de lui permettre des conduites. Mais face à notre cas d'analyse, nous soulignons la fragilité narcissique de Kamel et le déficit du personnalisme qui le caractérise. Il s'appuie quant il collabore maladroitement et uniquement sur des mécanismes de défense archaïque ; le petit chien pourra combattre le gros chien parce qu'il dispose d'une enveloppe de laine, synonyme de protection, mécanisme de pensée archaïque comme modalité de seconde peau (**Anzieu 1985**).

Il l'exprime ici par la détresse qu'il ressent comme limites fragiles nécessitant le bénéfice de l'offre de la chaleur qu'il éprouve par le soutien de sa mère.

Cette régression nous semble traduire chez Kamel en premier lieu l'impact affectif provoqué par l'épilepsie. En effet, "Barbellnhelder" a montré que lorsqu'un sujet était soumis à un stress

important on observerait une régression à des formes très élémentaires de la pensée et de raisonnement. Il s'emblerait que l'épileptique constitue un stress tellement fort qu'elle suscite un actionnement régressif. Ce mécanisme de régression s'expliquerait par le fait de l'excitation provoquée par les spectacle de la crise comitiale exigeant une mise en place d'une protection assurée, selon Freud S, par l'investissement et le désinvestissement périodique du système de la perception (**Bouvard. C** 1974,p114).

A travers tous ces éléments, on observe une interaction fortement négative.

Elle intervient dans la structuration de la pathologie de l'épilepsie et l'atteinte vulnérable du processus de la pensée chez le cas étudié.

La fréquence de crises épileptiques vécue par Kamel provoquant des ruptures répétées de la conscience et de la relation au monde. Ceci aggrave la décompensation qui freine de plus en plus son potentiel développemental et occasionne l'absence émergence réflexive de la pensée, ainsi que ses capacités organisatrices et intégratives de son potentiel perceptif.

Cette discontinuité engendre des angoisses et absorbe fortement toute l'énergie de l'enfant perturbant ainsi ses capacités réflexives.

Il en résulte que son monde interne fonctionne de façon pauvre et chaotique à la suite duquel s'instaure un gel de la pensée. L'inhibition de la pensée s'impose à la représentation fantasmatique et subjective qui a son tour entrave les champs des perceptions et des sensations.

Ces troubles d'organisation de la pensée sont actionnés par un mélange où règne de la confusion entre le subjectif et l'objectif. Wallon H indique que l'enfant n'arrive à une attitude objective qu'à travers une phase de personnalisme (**Tran-Thong** , 1992,p128)

Cette absence d'autonomie personnelle a été renforcée par une fragilité de l'activité cérébrale occasionnant des défauts d'intégration sensorielle (due à un déficit cérébral exprimé par une méningite précoce).

Cette insuffisance alimente une disponibilité aux états d'absence, sans pouvoir réel de mobiliser davantage contre le mal épileptique.

Austin et Al

ont montré que les enfants épileptiques issus de familles avec des bonnes capacités de maîtrise et d'anticipation des situations, ont un bon niveau de communication affectif et présentent moins de risques d'apparition des troubles psychopathologiques. Au contraire, un style familial caractérisé par la surprotection et l'intrusivité complique l'acquisition de comportements naturels indépendants chez l'enfant épileptique (**Baillet.D**,2005,p167).

Références bibliographiques :

- 1-ANZIEU.D(1985) : **Le Moi peau**, paris, dunod
- 2-BAILLET.D(2005) : **Pédopsychiatrie de l'enfant**, doinséditeurs,grape de liaison
- 3- BAUDIER. Anne, BERNADETTE. C (2002) : **Le développement affectif et social du jeune enfant**, 2eme edition, Nathan
- 4-BOUVARD. C(1974) : **L'épileptique et les autres**, simep, édition Villeurbanne, paris
- 5-DAVIDO. R(1976) : **Le langage du dessin d'enfant**, paris, presse de la renaissance
- 6-GRAINDORGE. C (2002) : **Comprendre l'enfant malade**, Dunod,Paris.
- 7-LUQUET G.H(1977) : **Le dessin enfantin**, Neuchatel, Délachieux et Niéstlé

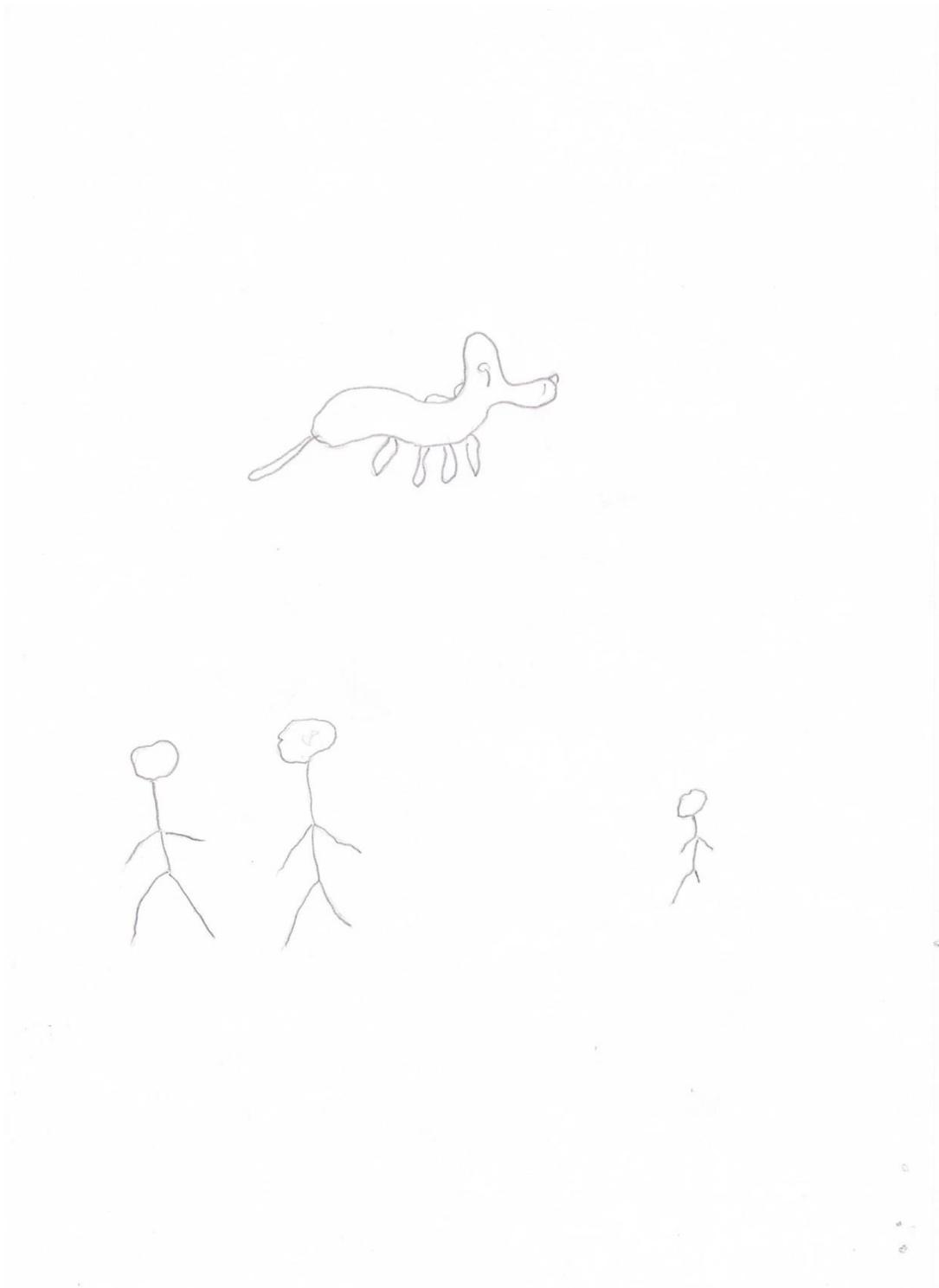


- 8-ROUSSILLON. R (2007) : **Manuel de psychologie et de psychopathologie**, Elsevier,Masson.
- 9-ROYER. J (1995) :**Que nous disent les dessins d'enfants ?**Revigny-sur-Ornain, Hommes et perspectives.
- 10-WALLON. H (1925) : **L'enfant turbulent**, P.U.F
- 11-WIDLOCHER. D (1998) : **L'interprétation des dessins d'enfants**, Margada 15 édition
- 12-TRAN-THONG (1992): **Stade et concept de stades de developpement de l'enfant dans la psychologie**, Irvin.

session libre



47



« Comment les enseignantes et les enseignants du secondaire se représentent les enjeux éthiques de leur profession »

Khelifi Ammar, Institut Supérieur de l'Éducation et de la Formation continue de Tunis

Résumé :

L'objectif de cette étude consiste en l'exploration de la manière dont les acteurs experts du système scolaire (enseignants) se représentent les enjeux éthiques de leur profession. Pour ce faire, nous avons collecté les réponses de 468 enseignants au questionnaire adapté de Gohier et all. (2009) portant sur six types de rapports entretenus par un enseignant. Les résultats indiquent que les représentations des enjeux renvoient particulièrement à la communication, à l'éthique, au conflit de valeurs, à la solidarité, à la confidentialité, à l'équité, à la responsabilité et au respect. Toutefois, des différences ont été observées entre ces enjeux tels qu'ils sont appréciés par les enseignantes et les enseignants.

Mots clés : enseignant, représentation, identité professionnelle, éthique.

1. Introduction

Aujourd'hui, dans un monde caractérisé par sa complexité croissante (Dupouey, 1998), beaucoup de valeurs sociétales sont en mutation perpétuelle aboutissant parfois à ce qu'Arendt (1985) appelle « crise mondiale de valeurs ». Certes, les répercussions du progrès scientifique, technique, de la mondialisation peuvent se traduire par des bouleversements abondants et des conflits touchant tous les secteurs du travail. De ce fait, le monde a besoin de nouvelles exigences éthiques (Ricœur, 1990) pour remédier à ce que certains penseurs appellent un « déficit éthique » caractérisé par « la perte de référence objective dans l'ordre moral » (Legault, 1999). Depuis ces dernières années, on assiste à un appel d'urgence à l'éthique, authentifié par Arendt (1958) dans les conditions de l'homme moderne, Nabert (1960) dans la mise en évidence de la question éthique dans l'existence humaine, Weber (1963) dans l'éthique de conviction, Levinas (1982) dans l'éthique de responsabilité, Ricœur (1990) dans « soi-même comme un autre », Habermas (1990) dans l'éthique du discours et de la communication et Jonas (1990) dans les préoccupations éthiques liées aux comportements humains.

En effet, l'éthique semble être une compétence professionnelle indéniable dans tous les secteurs du travail. Dans le domaine de l'éducation, elle favorise la réflexion des enseignants sur ce qui sous-tend leurs conduites et leurs décisions pédagogiques dans leur travail, caractérisé par sa complexité inhérente issue de la pluralité et la diversité des facteurs culturels, sociaux et psychologiques qui l'influent (Cifali, 2001; Castelloti et Moore, 2002), son caractère mouvant, ses événements simultanés et parfois imprévisibles (Altet, 1994; Vermersch, 2000; Perrenoud, 2001). Les préoccupations qui émergent du travail enseignant (Desaulniers et Jutras, 2006, p. 21) exigent une éthique professionnelle (Gohier, 2006; Imbert, 1987; Meirieu, 1991 et Reboul, 1992).

Étant donné que la dimension éthique du travail enseignant porte essentiellement sur la relation pédagogique et les qualités humaines (Desaulniers et Jutras, 2006), l'exercice du jugement éthique relève du « rapport à » dans lequel des dilemmes et des conflits de valeurs peuvent

surgir (Gohier, 2010). Le rapport entre les pratiques professionnelles des enseignants et leurs perceptions renvoie à l'hypothèse centrale du cognitivisme qui postule que « le comportement est causé par une activité interne mettant en jeu des réalités internes : les représentations » (Denhière et Baudet, 1992, p. 36),

Notre intérêt pour le milieu scolaire repose sur la complexité du travail enseignant, l'absence de la formation à l'éthique malgré que cette dimension est indispensable dans la pratique enseignante et concerne particulièrement l'enseignant (Meirieu, 1991; Perrenoud, 2006), le manque de travaux en Tunisie sur le sujet et enfin, le contexte transitoire tunisien caractérisé par des troubles politiques et sociétaux. C'est dans la réalité complexe et compliquée de la profession enseignante associée à des circonstances spécifiques suite à la situation particulière du pays générée par les répercussions de la révolution (Décembre 2010/Janvier 2011) sur le climat général du travail. Les résultats de cette étude peuvent contribuer à la compréhension des préoccupations éthiques des enseignants, à l'amélioration du rendement de l'établissement scolaire, de l'engagement des enseignants dans leur travail et la prévention des dilemmes éthiques en rapport à la justice, à la discrimination, à la séduction, à l'équité dans l'évaluation, à la violence à l'efficacité de l'enseignement, (Coleman, 1966 ; Campbell, 2003), au pouvoir (Cifali, 1994) et au désir d'influencer les élèves ((Fourez, 1998).

En effet, un enseignant n'est pas parfaitement neutre plutôt, il est « manipulateur ». Il ne réussit pas toujours à contrôler ses désirs personnels, ses besoins affectifs, ses complexes psychologiques ou ses projets sociaux d'où la légitimité de l'appel de Fourez (1998) à la sensibilité et la maturité éthique. En plus, l'école n'est pas le lieu favorable d'égalité des chances (Bourdieu, 1970) parce qu'elle « entretient l'illusion de la démocratie et décourage ainsi les défavorisés » (Fourez, 1998, p. 56).

La prise de décision éthique dans l'exercice du travail représente un sujet de grand intérêt (Ford et Richardson, 1994). Contrairement aux professions libérales (médecins, avocats, journalistes, pharmaciens, architectes...) dont leur exercice se réfère à un code déontologique, les métiers de l'éducation n'en disposent pas malgré que « l'éthique s'impose de plus en plus parce qu'elle permet d'analyser en profondeur les incidences de nos choix et leurs répercussions» (Fortin, 1988). En fait, le cadre de pensée et d'action dans la responsabilité d'enseigner n'est ni la déontologie ni la morale, ni les lois de la vie scolaire, plutôt l'interpellation éthique (Bodergat, 2006, p. 5).

Dans la présente étude, nous mettons en forme les réponses des acteurs éducatifs dans les lycées tunisiens sur leurs représentations des enjeux éthiques de leur profession dans une démarche descriptive qui devrait permettre également de comprendre comment le sexe contribue à la modification des représentations relatives aux enjeux éthiques.

2. Contexte théorique

2.1. Analyse de concepts

2.1.1. Représentation

De nombreuses études ont cherché à comprendre la pensée, sa nature, ce qui la sous-tend et son rôle dans l'orientation de la conduite. C'est dans le champ de la psychologie sociale que l'étude de la pensée renvoie avant tout à la pensée dite « sociale », distincte de la pensée rationnelle. Parce qu'elles sont le produit d'impressions et d'évidence, les représentations sociales se distinguent des connaissances scientifiques (Moliner 1996). Du côté de leur fonction cognitive, elles produisent des connaissances spécifiques différentes de la réalité voire caractérisées par des « biais cognitifs » (Jodelet, 1994). Ces mêmes connaissances seront mises à l'œuvre dans les comportements puisqu'elles « constituent un guide pour l'action» (Moscovici (1961).

Les représentations sociales désignent un ensemble d'énoncés et d'explications faisant partie de la vie quotidienne en vue de l'appréhender et de la redéfinir, elles consistent également en des « univers d'opinions », « des systèmes de valeurs, des idées, et des pratiques », (Moscovici, 1961, p. 39). Pour Jodelet (1997), la représentation est une « forme de connaissance, socialement élaborée et partagée, ayant une visée pratique et concourant à la construction d'une réalité commune» (p. 365). Elle vise la communication, la compréhension et la maîtrise de l'environnement.

Doise (1986) postule que les représentations sociales consistent en des principes générateurs de prise de position dans les rapports sociaux en remplissant une fonction d'organisation des processus qui en sont responsables (p. 85). Cette définition met en exergue le caractère dynamique de prises de positions variées de la représentation sociale tout en soulignant l'aspect social de sa composante. En effet, ces représentations sociales s'élaborent à travers et dans les rapports de communication (Guimelli, 1989, p. 63). La représentation sociale renvoie donc, à un ensemble d'informations et de croyances qui seront à la base des explications de ce qui a trait à l'environnement des personnes ou des groupes sociaux (Sémin, 1994, p. 243).

En définitive, les représentations sociales désignent un système d'interprétation qui régit notre rapport au monde et aux autres, orientent et organisent les conduites et les communications sociales (Jodelet 1994, p. 36). En se référant aux travaux de Moscovici, nous entendons par représentation toute élaboration cognitive produisant des connaissances par les membres de notre échantillon sous l'influence de leur cadre et leurs normes collectives liées à leur pratique professionnelle.

2.1.2. Enseignant

Il est à préciser que le mot « enseignant » pris dans son sens collectif, s'applique à toute une catégorie de personnels qui relève du domaine professionnel lié à l'éducation. Ce terme désigne également selon l'UNESCO « toutes personnes qui, dans les écoles, ont une charge de l'éducation des élèves ». Il est défini dans le Littré comme la personne qui enseigne ou comme « celui qui transmet des connaissances et en contrôle l'acquisition » (Mialaret, 1979, p. 204).

2.1.3. Identité professionnelle

L'identité au travail est fondée sur des représentations collectives distinctes (Dubar, 1998). D'après Drot-delaage (2000), elle est définie comme la manière par laquelle les groupes au travail se définissent devant les pairs, les responsables et les autres groupes.

Le concept d'identité professionnelle de l'enseignant renvoie au processus dynamique et interactif de constitution et de transformation de son identité (Gohier, 2001, p. 10). Toutefois, l'identité des enseignants au secondaire, spécialisés dans une discipline, se réfèrent à leurs savoirs scientifiques et non pas à leur compétence professionnelle. Selon Obin (1991), la culture du second degré repose sur des valeurs qui renvoient à la connaissance et à sa transmission. Les modèles pédagogiques issus de cette culture sont influencés par l'académisme dominant dans l'enseignement universitaire. En fait, les enseignants de l'enseignement secondaire « continuent dans leur vie professionnelle de se définir le plus souvent par la discipline enseignée » (Ibid. p.10).

2.1.4. Ethique

En effet, l'éthique paraît « comme une création personnelle et solidaire » (Fortin, 1988, p. 169) puisque qu'elle est l'œuvre du groupe professionnel en question.

Pour Imbert (1987), la problématique du rapport entre morale et éthique renvoie au rapport entre réciprocité et responsabilité. L'intention éthique sera donc une relation entre le « Je » et le « Tu » dont le régulateur de cette rencontre que Ricœur appelle « Il », qui renvoie aux lois, aux règles, aux codes justes et au langage de la raison. En effet, l'éthique ne désigne pas des principes ou des règles, mais elle renvoie plutôt au caractère des individus.

D'après Droz (2006), l'éthique est définie comme un ensemble rationnellement structuré de valeurs explicites désignant le bien et le juste dans l'action humaine. Elle consiste donc, en un système explicite et argumenté de valeurs régissant un éventail de comportements ou de pratiques sociales. L'une des manières d'entendre l'éthique selon Jickling (1996), consiste en la considérer comme étant un code permettant de reproduire des rôles dans la vie sociale et éthique. Par ailleurs, Perrenoud, (2006) désigne par « éthique » l'interrogation d'un sujet sur la finalité de ses actes (Meirieu, 1993, p. 11). (Piatkowski, 1993, p. 13).

L'éthique renvoie à une dimension téléologique, (les fins et les valeurs) et une dimension déontologique (les normes et sur la justice) mais aussi, elle maintient également la tension entre l'universel et le particulier, entre la conviction et la responsabilité (Weber, 1995, p. 21). C'est dans ce sens que l'éthique peut être considérée comme une réflexion philosophique sur le sens des règles et des normes admises par la morale (Aubert, 1989).

Si l'éthique est définie comme le comportement bon d'un individu qui se manifeste dans sa capacité à agir de façon juste, l'éthique professionnelle consiste en l'ensemble de valeurs, d'attitudes et de conceptions relatives aux rôles du professionnel dans l'accomplissement de son travail en tenant compte de la solidarité envers sa profession (Patenaude, 1996; Legault, 1996; Gohier, 1997, 2001). L'éthique professionnelle pour Desautels (2007) désigne une éthique partagée par un groupe dans laquelle il fixe mutuellement les types d'interventions professionnelles et leur signification et les règles de conduites liées à leur mission. Par conséquent, l'éthique appliquée au domaine de l'éducation désigne alors l'ensemble de règles et de principes qui régissent la pratique de l'enseignement en respectant le sens de la justice, des valeurs, des principes et des devoirs en regard du comportement humain (Legendre, 1993).

Le concept d'éthique consiste donc en une force et lieu d'interpellation: « avant la loi morale, l'éthique » (Prairat, E. 2005, p. 9). Cette dernière est une puissance de renouvellement du fait qu'elle interroge les valeurs et les règles de la morale. La démarche éthique repose sur des choix personnels qui favorisent la singularité du sujet quant à la morale, elle semble se référer aux devoirs qui contraignent l'individu. Dans la perspective de Ricœur, l'articulation entre « éthique » et « morale » commence par l'intériorité du sujet par l'intermédiaire de l'éthique pour s'intégrer avec les autres au moyen de la norme morale. En ce sens, Ricœur (1990) associe le social à l'individuel (Prairat, 2005).

2.2. Etudes antérieures

Dans le cadre d'un projet de recherche effectué dans le contexte québécois francophone, Desautels, Gohier et Jutras (2006) ont mené une étude visant à explorer le discours des enseignants sur l'éthique liée à leur profession. Cette étude a porté sur 63 enseignantes et enseignants. L'analyse des réponses a permis aux chercheurs de définir les préoccupations éthiques de la profession enseignante exprimées par les participants qui s'inscrivent généralement dans le cadre relationnel: le rapport à la profession (identité professionnelle et système de soutien), à l'autorité (locale, syndicale, gouvernementale), à soi (devoir et satisfaction personnels), à l'enseignement (contenus, pédagogie, formation), aux collègues (comportements déplorables et difficulté d'intervenir) et aux étudiants (encadrement, évaluation et finalité). Les préoccupations des enseignants triés par ordre décroissant du nombre

d'occurrences par catégorie étaient successivement liées au rapport à l'étudiant, aux collègues, à l'enseignement, à l'autorité, à la profession et en fin à soi-même.

Les préoccupations éthiques liées aux étudiants concernent l'évaluation des apprentissages et constituent presque un quart des interventions au niveau du rapport aux étudiants qui portent sur ce sujet. Les participants s'interrogent sur l'équité, la justice et l'objectivité devant figurer dans leurs pratiques d'évaluation. Par ailleurs, 31 enseignants soulèvent des questions relatives à l'encadrement et à la valeur de l'équité vis-à-vis de leurs étudiants. Les enseignants expriment leur reproche des comportements déplorables de certains collègues comme l'inégalité dans l'engagement au sein du collège, le non-respect des règles admises dans le travail en équipe, la difficulté d'intervention auprès des collègues fautifs, l'absentéisme des professeurs et le comportement d'entreprendre une relation personnelle avec les étudiants (amoureuse ou flirteuse). Les commentaires sur les préoccupations éthiques des enseignants par rapport à l'enseignement concernent le choix des contenus et les difficultés relatives. Les répondants mentionnent la dualité technique, la pédagogie, l'expertise professionnelle et l'équilibre entre les contenus et la modification des comportements des élèves.

Campbell (2003), dans ses travaux, met en exergue des savoirs et des compétences éthiques appréciés dans l'exercice de la profession enseignante et qui renvoient notamment aux principes éthiques universels tels que la véracité, le respect et l'équité. L'objectif principal de cette élaboration théorique vise à aider les enseignants à relever les défis. Campbell invite à rendre compte de la manière de la remise du travail des élèves en temps opportun qui n'est pas une question d'organisation, plutôt il s'agit du respect et de soins.

L'enseignant éthique, selon Campbell, est avant tout, une personne éthique qui maintient les vertus morales comme l'équité, le respect, la confiance, l'honnêteté, la bonté et les met en œuvre dans toutes ses interactions avec les élèves. Dans cette perspective, l'enseignant est considéré en tant que personne morale devant faire preuve de conscience des principes, des tensions et des complexités inhérentes à leur application dans leur contexte. Elle insiste également sur la capacité à articuler et justifier ses principes éthiques puisqu'ils augmentent le niveau de conscience morale sans garantir le perfectionnement.

Dans son livre, (The Ethical Teacher) Campbell (2003) prend des exemples concrets, identifie les champs de mines éthiques et montre que l'enseignant a besoin d'une éthique de jugement pour évaluer les conséquences des mesures proposées et agir de manière efficace. Cette auteure montre que la capacité de reconnaître un problème d'éthique et de le résoudre ne cesse de diminuer et que ce que Whitehead appelle la décoloration des idéaux est en mesure de causer la défaite pour nos plus beaux espoirs. Campbell (2003, p. 81) invite les enseignants à éviter de déclarer leurs propres points de vue sur les questions qui sont vraiment controversées. Elle pense que certaines situations récentes suggèrent la solidarité à tous les coûts et conçoit que l'autonomie professionnelle est dégradée par la pression des syndicats et dénonce l'absence de discussion sur les conséquences éthiques par les enseignants. Cette auteure remarque également que la collectivité exprimée par un syndicat ou une association semble nommer les enjeux éthiques et aider à trouver le courage de les aborder. Toutefois, elle affirme que « la syndicalisation, les attitudes et les initiatives normatives qui en découlent constituent le plus grand obstacle au professionnalisme éthique.

3. Méthode de recherche

3.1. Échantillon

Le choix des participants exerçant au niveau de l'enseignement secondaire émane de l'importance du second cycle de l'enseignement qui inclut des élèves adolescents de rapports,

de comportements et d'attentes spécifiques susceptibles de faire appel à des exigences éthiques particulières. Du côté des enseignants, il s'agit essentiellement de la diversité disciplinaire, de la spécificité du public qu'il enseigne, des données du Ministère de l'Éducation à propos des dilemmes éthiques à ce niveau et des résultats issus de la phase exploratoire de notre étude témoignant de la richesse des informations collectées par l'intermédiaire des entretiens effectués.

La constitution de l'échantillon a été faite selon la méthode du choix raisonné qui nous semble la plus appropriée dans le contexte de la présente étude parce qu'elle « repose fondamentalement sur le jugement » et favorise le respect des critères dont nous avons fixés Royer et Zarlowski (2003, p. 191). Deux méthodes inter- reliées ont été effectuées : au moyen des grappes, nous avons obtenu les sous-groupes suivant les critères de groupes. Dans chaque sous-groupe, nous avons appliqué la méthode de quotas pour obtenir enfin le nombre de participants.

Afin d'éviter d'éventuelles répercussions, nous avons tenu compte d'un taux raisonnable de rejet ou de refus (50%) en demandant la réponse à notre entrevue auprès de 1000 enseignants puisque nous comptons travailler sur 500 sujets. Ces mesures nous ont permis de trouver un échantillon constitué de 468 enseignants volontaires exerçant sous l'égide de neufs commissariats régionaux d'éducation représentant le nord, le centre et le sud de la Tunisie.

Tableau 1

Caractéristiques de l'échantillon

<i>Caractéristiques</i>	<i>Groupes</i>	<i>Effectifs</i>	<i>Pourcentages</i>
<i>Genre</i>	Hommes	233	49.8
	Femmes	235	50.2

3.2. Instrumentation

Dans la présente étude, nous avons adapté le questionnaire de Gohier et all. (2009) portant sur différents aspects du travail enseignant : rapport aux élèves, aux collègues, aux instances administratives et gouvernementales, à soi, à la profession et à l'enseignement. Puisque ce questionnaire vise à identifier les points de vue des enseignants sur les préoccupations et les enjeux éthiques de leurs professions, il se situe clairement dans la sphère des « représentations professionnelles » des participants.

Ce questionnaire a été utilisé dans le contexte québécois auprès d'enseignants du réseau collégial francophones. Pour l'adapter au contexte tunisien, nous avons vérifié son adéquation théorique avec les différents pôles du « rapport à », sa validité, sa sensibilité à la désirabilité sociale et sa fidélité. L'action éducative, et d'un point de vue éthique, est conçue en termes de « rapports à » (Gohier et all, 2009) qu'entretiennent les enseignants : rapport aux étudiants, aux collègues, aux instances administratives et gouvernementales, à soi, à l'enseignement et à la profession enseignante. Après un rapprochement théorique, nous avons remarqué l'absence d'items renvoyant au rapport aux parents d'élèves.

Dans le contexte tunisien, la loi d'orientation de l'éducation n° 80 de 2002, article 47 reconnaît explicitement le rôle des parents d'élèves en tant que partenaires dans l'action éducative. Les rapports parents-enseignants se bâtissent à travers des communications directes à l'occasion des rencontres parents-professeurs organisées par les établissements scolaires (à la fin de chaque

trimestre de l'année scolaire). Par conséquent, il est indispensable de compléter le questionnaire de Gohier par un bloc permettant la collecte des représentations des enjeux éthiques par rapport aux parents d'élèves.

Pour élaborer les items liés à ce type de rapports, nous avons appliqué la méthode du « focus group » auprès de cinq groupes de discussions de dix participants pour chacune. L'analyse des réponses montre que les participants accordent une importance à l'échange de l'information pertinente en exprimant 32 éléments sur 117 commentaires, au respect de la confidentialité des informations rapportées (27/117), à la légitimité de l'intervention auprès des parents d'élèves (21/117), aux limites des relations qu'un enseignant peut entretenir avec les parents d'élèves (19/117) et l'amélioration et le suivi de la situation (18/117). Cette phase a abouti à l'élaboration d'un sous-questionnaire (bloc) constitué de six items. La version finale du questionnaire constituée de sept blocs a été validée par deux expérimentations sur le terrain qui ont permis certaines modifications.

3.3. Déroulement de la passation du questionnaire

Afin de répondre au questionnaire, nous avons pris les mesures nécessaires de préparation d'acceptation, d'implication et disponibilité de l'échantillon d'enseignants. Dans les régions, avec collaboration avec nos collègues inspecteurs, nous avons administré le questionnaire pour être remplis puis collecté dans des délais acceptables.

3.4. Transcription et dépouillement des données

Après la collecte des questionnaires, nous avons calculé les moyennes des réponses au niveau de chaque bloc pour faciliter le traitement statistique aisé des résultats.

3.5. Considérations éthiques

Dans une recherche, il est important de respecter les exigences éthiques. Seul le chercheur en question a le droit d'accéder aux transcriptions des données de la présente étude. Toutefois, l'engagement à l'éthique de la recherche dépasse le respect des conditions d'anonymat et de confidentialité. Pour ce faire, une promesse a été communiquée aux participants dans laquelle nous nous engageons à la destruction des données après la réalisation de cette étude.

3.6. Mesures

La réponse aux items s'effectue par l'intermédiaire d'un choix sur une échelle constituée de cinq niveaux (aucune, faible, modérée, forte, très forte) sur lesquelles les sujets devront préciser le degré de leur préoccupation éthique vis-à-vis de la situation décrite par l'énoncé et accorder des scores allant de 1 à 5 respectivement aux niveaux de l'échelle. La quantification des scores attribués issus des réponses des enseignants au questionnaire a été exprimée en moyennes. Au niveau de chaque type de rapport, nous calculons les moyennes des scores obtenues à chaque enjeu. Un enjeu éthique doit obtenir une moyenne supérieure à 3,50. L'examen des différences entre les enseignantes et les enseignants a été effectué par le test-t de Student.

4. Résultats

Tableau 2

Moyennes aux enjeux éthiques par rapport aux élèves selon le sexe

<i>Enjeux éthiques par rapport aux élèves</i>	<i>Hommes</i>	<i>Femmes</i>
EE1. Confidentialité par rapport à des informations rapportées par les élèves dans le cadre de cours ou de rencontres individuelles.	4.1	4.30
EE2. Admission d'élèves trop faibles académiquement.	2.82	3.42
EE3. Respect des différences culturelles et religieuses	2.88	3.31
EE4. Équité dans l'encadrement apporté à tous et à chacun	3.98	4.15
EE5. Équité dans l'évaluation des apprentissages	2.92	3.37
EE6. Équité dans l'attention apportée aux élèves qui présentent des problèmes particuliers.	3.99	4.05
EE7. Légitimité et limites de l'intervention par rapport aux problèmes personnels des élèves	4.14	4.44
EE8. Le fait de représenter un modèle pour les élèves.	2.87	3.46
EE9. Conflit entre différents objectifs de formation	2.78	3.47
EE10. Position d'autorité exercée envers les élèves	3.19	3.16
EE11. Manipulation des élèves	3.85	4.06
EE12. Séduction des élèves	3.69	3.91

Au niveau de leur rapport aux élèves, les enseignantes sont plus préoccupées que les enseignants par la confidentialité des informations rapportées par les élèves (4,30 et 4.1), l'équité dans l'attention apportée aux élèves présentant des problèmes particuliers. (4.05 et 3.99), légitimité et limites de l'intervention par rapport aux problèmes personnels des élèves (4.44 et 4.14) et l'équité dans l'encadrement apporté à tous et à chacun, (4.15 et 3.98).

La valeur t de Student indique que les différences sont très significatives au niveau des enjeux éthiques par rapport au élèves ($t(466) = -6,03; p < .0000$), ce qui confirme l'existence d'une relation significative entre cette catégorie d'enjeux éthiques et le sexe des enseignants.

Tableau 3

Moyennes aux enjeux éthiques par rapport aux collègues selon le sexe

<i>Enjeux éthiques par rapport aux collègues</i>	<i>Hommes</i>	<i>Femmes</i>
--------------------------------------------------	---------------	---------------

EC1. Pertinence d'une intervention auprès d'un collègue qui aurait des comportements répréhensibles	2.82	4.13
EC2. Confidentialité des propos rapportés par des collègues	4.19	3.64
EC3. Solidarité dans les décisions prises en commun	4.11	4.12
EC4. Degré de concertation avec les collègues dans l'approche par programme	3.11	2.89
EC5. Degré d'engagement des collègues dans l'institution.	3.38	3.62

Au niveau de leur rapport aux collègues, les enseignants semblent plus préoccupés par la solidarité dans les décisions prises en commun (4.11 et 3.12), la pertinence d'une intervention auprès d'un collègue qui aurait des comportements répréhensibles (4.19 et 3.64) confidentialité des propos rapportés par des collègues (4.19 et 3.64).

La valeur t de Student indique que les différences ne sont pas significatives au niveau des enjeux éthiques par rapport aux collègues ($t(466) = -1,79$; $p < .07$), ce qui infirme l'existence d'une relation significative entre cette catégorie d'enjeux éthiques et le sexe des enseignants.

Tableau 4

Moyennes par rapport aux instances administratives et gouvernementales selon le sexe

<i>Enjeux éthiques par rapports aux instances administratives et gouvernementales</i>	<i>Hommes</i>	<i>Femmes</i>
EI1. Conflit entre des valeurs personnelles et des valeurs prescrites par l'institution.	3.3	2.87
EI2. Conflit entre des valeurs personnelles et des valeurs prescrites par le ministère de l'éducation.	3.64	3.58
EI3. Conflit entre votre jugement professionnel sur l'évaluation de l'apprentissage et les cibles institutionnelles de réussite.	3.63	4.01

Dans le cadre de leur rapport aux instances administratives et gouvernementales, ce sont uniquement les enseignants qui considèrent le conflit entre les valeurs personnelles et les valeurs prescrites par le ministère de l'éducation comme enjeu éthique important (3.64 et 3.58) tandis les enseignantes mentionnent le conflit entre leur jugement professionnel sur l'évaluation de l'apprentissage et les cibles institutionnelles de réussite (3.63 et 4.01).

La valeur t de Student montre que les différences ne sont pas significatives au niveau des enjeux éthiques par rapport aux instances administratives et gouvernementales ($t(466) = 1,72$; $p < .08$). C'est ce qui témoigne de l'absence de relation significative entre ce type d'enjeux éthiques et le sexe des enseignants.

Tableau 5

Moyennes aux scores des enjeux éthiques par rapport à soi selon le sexe

<i>Enjeux éthiques par rapport à soi</i>	<i>Hommes</i>	<i>Femmes</i>
ES1. Intégrité dans l'exercice de la profession d'enseignant	3,89	4,45
ES2. Enseignement d'un cours qui n'est pas dans votre domaine d'expertise.	2,87	3,20
ES3. Enseignement d'un cours sans préparation suffisante	2,88	4,17
ES4. Congruence dans les prises de décision entre les valeurs personnelles et la possibilité de les mettre en œuvre.	4,02	4,15

Les résultats qui concernent le rapport à soi montrent que contrairement aux enseignants qui apprécient l'intégrité dans l'exercice de la profession d'enseignant (4.45 contre 2.89), les enseignantes sont les seules à considérer la congruence dans les prises de décision entre les valeurs personnelles et la possibilité de les mettre en œuvre (4.15 contre 3.02) et l'enseignement d'un cours sans préparation suffisante (4.17 contre 2.88) comme étant deux enjeux éthiques.

La valeur t de Student montre que les différences entre les deux groupes sont très significatives au niveau des enjeux éthiques par rapport à soi ($t(466) = -4,18; p < .000$). De ce fait, la relation significative entre ce type d'enjeux éthiques et le sexe des enseignants est confirmée.

Tableau 6

Moyennes aux enjeux éthiques par rapport à l'enseignement selon le sexe

<i>Enjeux éthiques par rapport à l'enseignement</i>	<i>Hommes</i>	<i>Femmes</i>
EEnsx1. Décision sur le choix des contenus d'enseignement qui peuvent influencer, voire déstabiliser les élèves.	4,02	2,97
EEnsx2. Conflit entre les contenus prescrits dans le programme et ceux privilégiés par l'enseignant	4,07	4,10
EEnsx3. Pertinence de développer des compétences en enseignement.	2,98	4,18

Les représentations des deux groupes divergent nettement au niveau de leur rapport à l'enseignement. Si la décision sur le choix des contenus d'enseignement qui peuvent influencer, voire déstabiliser les élèves est appréciée par les enseignants comme étant un enjeu très fort, elle ne l'est pas du point de vue de leurs collègues femmes (4.02 et 2.97). En effet, la pertinence de développer des compétences en enseignement (EEnsx3) est estimée comme étant un enjeu « très fort » selon les enseignantes alors qu'elle ne l'est pas aux yeux des enseignants (4.18 et 2.98).

La valeur t de Student indique que les différences ne sont pas significatives au niveau des enjeux éthiques par rapport à l'enseignement ($t(466) = -1,38; p < .16$). C'est ce qui infirme l'existence d'une relation significative entre cette catégorie d'enjeux éthiques et le sexe des enseignants.

Tableau 7

Moyennes aux enjeux éthiques par rapport à la profession enseignante selon le sexe

<i>Enjeux éthiques par rapports à la profession enseignante</i>	<i>Hommes</i>	<i>Femmes</i>
EPsx1. Maintien de l'expertise disciplinaire	2.81	2.98
EPsx2. Évaluation des professeurs en cours de carrière	4.02	4.03
EPsx3. Place de l'éthique dans la profession	3.05	3.41
EPsx4. Conflit entre la liberté académique des professeurs et l'équivalence dans la formation des élèves.	3.08	3.02

Les résultats liés au rapport à la profession enseignante indiquent que les appréciations des enseignantes et des enseignants convergent en considérant comme étant un enjeu éthique « très fort » l'évaluation des professeurs en cours de carrière (4.03 et 4.02). En fait, les deux groupes ne considèrent pas comme étant des enjeux éthiques, le maintien de l'expertise disciplinaire (2.81 et 2.98), la place de l'éthique dans la profession (3.05 et 3.41) et le conflit entre la liberté académique des professeurs et l'équivalence dans la formation des élèves (3.08 et 3.02). Toutefois, il est étonnant que les deux groupes d'enseignants sont d'accord pour ne pas considérer la pertinence de développer des compétences en enseignement et le maintien de l'expertise disciplinaire comme étant deux enjeux éthiques. Les différences entre les enjeux éthiques des enseignantes et des enseignants ne sont pas significatives.

Tableau 8

Moyennes aux enjeux éthiques par rapport aux parents d'élèves selon le sexe

<i>Enjeux éthiques par rapports aux parents d'élèves</i>	<i>Hommes</i>	<i>Femmes</i>
EPrsx1. Disponibilité à la communication	4.19	4.44
EPrsx2. Confidentialité des informations	2.9	3.2
EPrsx3. Pertinence de l'information	2.88	4.07
EPrx4. Légitimité de l'intervention	3.98	4.16
EPrsx5. Limites de la relation avec les parents	2.75	2.71
EPrsx6. Pertinence des solutions et suivi	4.24	4.18

Par ailleurs, les enjeux éthiques liés aux parents d'élèves, aux yeux des enseignantes et des enseignants, sont constitués de la disponibilité à la communication (4.19 et 4.44) et la pertinence

des solutions et suivi (4.18 et 4.24). La pertinence de l'information n'est considérée comme étant un enjeu éthique que par les enseignantes (4.07 contre 2.88).

Ces résultats révèlent que parmi ces enjeux éthiques, c'est la disponibilité à la communication qui préoccupe plus particulièrement les femmes quant à leurs collègues hommes, ils semblent être préoccupés par la pertinence des solutions et le suivi. Il est à remarquer que ce sont les limites de la relation avec les parents qui semblent l'enjeu le moins estimé conjointement par les deux groupes. La valeur t de Student montre que les différences sont très significatives au niveau des enjeux éthiques par rapport aux parents d'élèves ($t(466) = -3,47; p < .000$). De ce fait, nous pouvons confirmer le lien entre ce type d'enjeux éthiques et le sexe des enseignants de cet échantillon.

5. Discussion des résultats

Le contexte dans lequel nous avons mené notre étude consiste en un milieu d'exercice de l'enseignement dans des lycées. Les informations recueillies sont issues des représentations des enseignants à propos de leur profession. De ce fait, l'identité professionnelle des enseignants interrogés intervient d'une manière ou d'une autre. C'est dans cette mesure que nous pouvons qualifier les représentations des enjeux éthiques du travail enseignant de « représentations professionnelles » (Lorenzi-Cioldi, 1999).

La présente étude, corroborant des travaux antérieurs de Gohier et ses collaborateurs (2007, 2009), confirme dans un premier temps que les enjeux éthiques appréciés « forts » ou « très forts » tournent autour des valeurs éthiques qui renvoient généralement à la confidentialité, au respect, à l'équité (Campbell, 2003), à la solidarité et à la responsabilité. Contrairement à leurs collègues hommes qui semblent préoccupés par des enjeux qui renvoient à l'enseignement et aux parents d'élèves, les femmes sont plus sensibles à ceux qui sont liés aux élèves, aux collègues et à soi. Les représentations qui ont trait aux instances administratives et gouvernementales et à la profession, ne se distinguent pas en fonction du sexe.

Dans leur globalité, les représentations des enjeux éthiques diffèrent selon le sexe des enseignants au niveau de leurs représentations compte tenu des types de « rapports à ». Mais l'affinement de l'analyse révèle que ces différences ne sont significatives qu'au niveau de quatre facteurs : rapport aux élèves, à soi, à l'enseignement et aux parents d'élèves. Plusieurs recherches (Gilly, 1987; Postic, 2001; Fassin, 2011) avaient confirmé des différences en fonction du facteur sexe. Les différences ne sont pas significatives entre les enseignants et les enseignantes de la présente étude au niveau de leurs représentations des enjeux liés aux collègues, aux instances administratives et gouvernementales et enfin à la profession enseignante.

Ces derniers résultats peuvent être interprétés séparément au niveau de chaque facteur. En ce qui concerne les collègues, nous pouvons l'expliquer avec Lorenzi-Cioldi(1997) par l'effet de la sensibilité à l'identité professionnelle. En effet, dans cette période « post-révolution », la conscience identitaire s'est renforcée et les mouvements syndicaux ne cessent de le consolider par des grèves, des rencontres et des conférences de presse régies par les revendications des enseignants. Il s'agit d'un nouveau contexte politique et social.

Dans le champ de l'éducation, les enseignants avaient abouti à des acquis et des avantages (pouvoir et droits syndicaux, loi fondamentale de la profession enseignante, augmentation de salaire, réduction des heures de travail...) qui, dans un climat socio-politique spécifique caractérisé par un processus de « destruction/création », ont renforcé le sens commun de manière à ce que les enseignants agissent et pensent en tant que groupe social. C'est ce qui marque, à

notre avis, les représentations des deux groupes de répondants et réduit les différences entre les femmes et les hommes dans ce qui touche au plus près leur identité professionnelle.

Quant aux rapports aux instances administratives et gouvernementales, ils peuvent être appréhendés comme étant des symboles en rapport avec le pouvoir et l'autorité voire comme des aspects renvoyant au régime politique effondré. Les enjeux éthiques qui y sont liés ne se distinguent pas les uns des autres parce qu'ils semblent être partagés par les deux groupes. En effet, les comités syndicaux et les amicales ne cessent renforcer l'identité professionnelle et réunir le corps enseignant autour de certaines valeurs professionnelles sous diverses préoccupations. Par conséquent, nous pouvons conclure que certaines représentations professionnelles sont régies par l'identité de ces enseignants.

Conclusion :

L'objectif de cette étude est d'explorer les enjeux éthiques de la profession enseignante du point de vue des enseignants du secondaire. En se référant aux résultats auxquels nous sommes parvenus, il ressort que les enjeux liés aux élèves et qui sont les plus sollicités consistent en la confidentialité des informations, l'équité, la légitimité de l'intervention par rapport aux problèmes personnels des élèves et leur manipulation. Mais concernant le rapport aux collègues, il s'agit plus particulièrement de la confidentialité des propos rapportés par des collègues et de la solidarité dans les décisions prises en commun. En ce qui concerne les enjeux relatifs aux autorités, il s'avère que la tension entre jugement professionnel sur l'évaluation de l'apprentissage et les cibles institutionnelles de réussite constitue l'unique enjeu éthique.

La présente étude a permis d'identifier les enjeux en rapport à soi qui consistent notamment en la congruence dans les prises de décision entre les valeurs personnelles et la possibilité de les mettre en œuvre et l'intégrité dans l'exercice de la profession d'enseignant. En effet, le conflit entre les contenus prescrits dans le programme et ceux privilégiés par l'enseignant et l'évaluation des professeurs en cours de carrière sont les deux enjeux qui correspondent respectivement à l'enseignement et à la profession enseignante. Les trois enjeux qui s'avèrent les plus considérés par rapport aux parents, consistent en la disponibilité à la communication, la légitimité de l'intervention et la pertinence des solutions et du suivi. Il est à noter également que des similitudes et des différences entre les groupes de répondants sont observées. Au niveau des représentations des enjeux éthiques, les analyses statistiques basées sur les moyennes ont montré que les représentations des enjeux éthiques de la profession enseignante diffèrent en fonction du sexe. De manière générale, partant du contexte tunisien, ces résultats nous ont permis de participer au débat scientifique et de contribuer aux connaissances concernant l'étude des représentations des enjeux éthiques de la profession enseignante afin d'identifier leur nature et le type de « rapport à » dans lequel elles s'inscrivent.

Les résultats de la présente étude sont limités du fait qu'elle porte sur un échantillon réduit et s'inscrit dans un contexte socioculturel spécifique à une Tunisie « post-révolution » caractérisée par l'instabilité et la quête d'identité et du sens. En ce qui concerne le statut des répondants, nous n'avons interrogé que les enseignants aux lycées et il nous paraît important d'étendre l'enquête aux enseignants du primaire et ceux exerçant dans les universités afin d'identifier la variation de leurs enjeux éthiques. Toutefois, l'adaptation du questionnaire utilisé n'évite pas tous les risques pouvant être issus de son utilisation. Les représentations sociales renvoient à des connaissances « naïves » qui peuvent orienter les conduites (Abric, 1994), de ce fait, il est important d'étudier les liens entre les représentations, les convictions des enseignants et leur pratique éducative pour mieux appréhender le rendement de l'établissement scolaire.

Références bibliographiques :

- 1-Abriç, J-C. (1994). Pratiques sociales et représentations. Paris : PUF.
- 2-Arendt, H. (1983). Condition de l'homme moderne, « Pocket » 1994, chapitre III, « le Travail ».
- 3-Aristote, (1992). Éthique à Nicomaque. Paris : Le Livre de Poche.
- 4-Campbell, E. (2003). The Ethical Teacher. Maidenhead, UK, The Open University Press, McGraw-Hill.
- 5-Cifali, M.(1994b). La relation éducative-Contre-jour psychanalytique. Paris : PUF, L'éducateur.
- 6-Desaulniers, M. Jutras,F. (2006). L'éthique professionnelle en enseignement : fondements et pratiques. Presses de l'Université du Québec.
- 7-Desautels, L., Gohier, Ch., et Jutras, F. (2009). « Les préoccupations éthiques chez des enseignants de l'ordre collégial : caractéristiques, Revue des sciences de l'éducation, vol. 36, n° 1, 2010
- 8-Forster, S. (2006). Les différences entre les sexes : naturelles ou culturelles? IRDP.
- 9-Fourez, G. (1998). Éduquer : écoles, éthiques, sociétés. Bruxelles : De Boeck Université.
- 10-Habermas, J. (1992b). De l'éthique de la discussion. Paris : Éditions du Cerf.
- 11-Jonas, H. (1990). Le principe responsabilité, Paris, Flammarion. Coll. « Champs », Paris.
- 12-Imbert, F. (1987). La question de l'éthique dans le champ éducatif. Pour une praxis pédagogique II. Vigneux, France : Éditions Matrice.
- 13-Kridis, N. (2006). Vingt-quatre leçons en communication, (français-arabe).Tunis : ONFEP,
- 14-Langlois, L et Lapointe, c. (2013). « La sensibilité éthique : une fenêtre pour comprendre la voix des groupes minoritaires et des femmes, Midi-Recherche de la Chaire Claire Bonenfant-Femmes, Savoirs et Sociétés.
- 15-Levinas, E. (1982). Éthique et infini. Paris: Fayard, coll. Biblio essais.
- 16-Lipiansky, E-M. (1992). Identité et Communication, Paris, PUF.
- 17-Meirieu, Ph. (1992). « Éduquer: un métier possible? Ou « Éthique et pédagogie» ». In Pédagogie collégiale, vol. 6, no 1.
- 18-Montandon C. et Perrenoud P. (1994). Entre parents et enseignants: un dialogue impossible ? Berne, Peter Lang.
- 19-Moscovici, S. (1994). « Des représentations collectives aux représentations sociales ». In les représentations sociales (dir) Jodelet, D. Paris : PUF.
- 20-Oakley, A. (1972). Sex, Gender, and Society, TempleSmith.
- 21-Obin, J-P. (1991). « Identité et changement dans la profession et la formation des enseignants » in Recherche et Formation N° 10 Octobre.
- 22-Postic, M. (2001). La relation éducative. 7ème édition, Collection Pédagogie d'aujourd'hui. Paris : PUF.
- 23-Prairat, E. (2005). De la déontologie enseignante. Paris : PUF.
- 24-Ricoeur, P. (1990). Soi-même comme un autre. Paris : Seuil.
- 25-Simon, R. (1993). Éthique de la responsabilité. Paris : Cerf.



جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2016